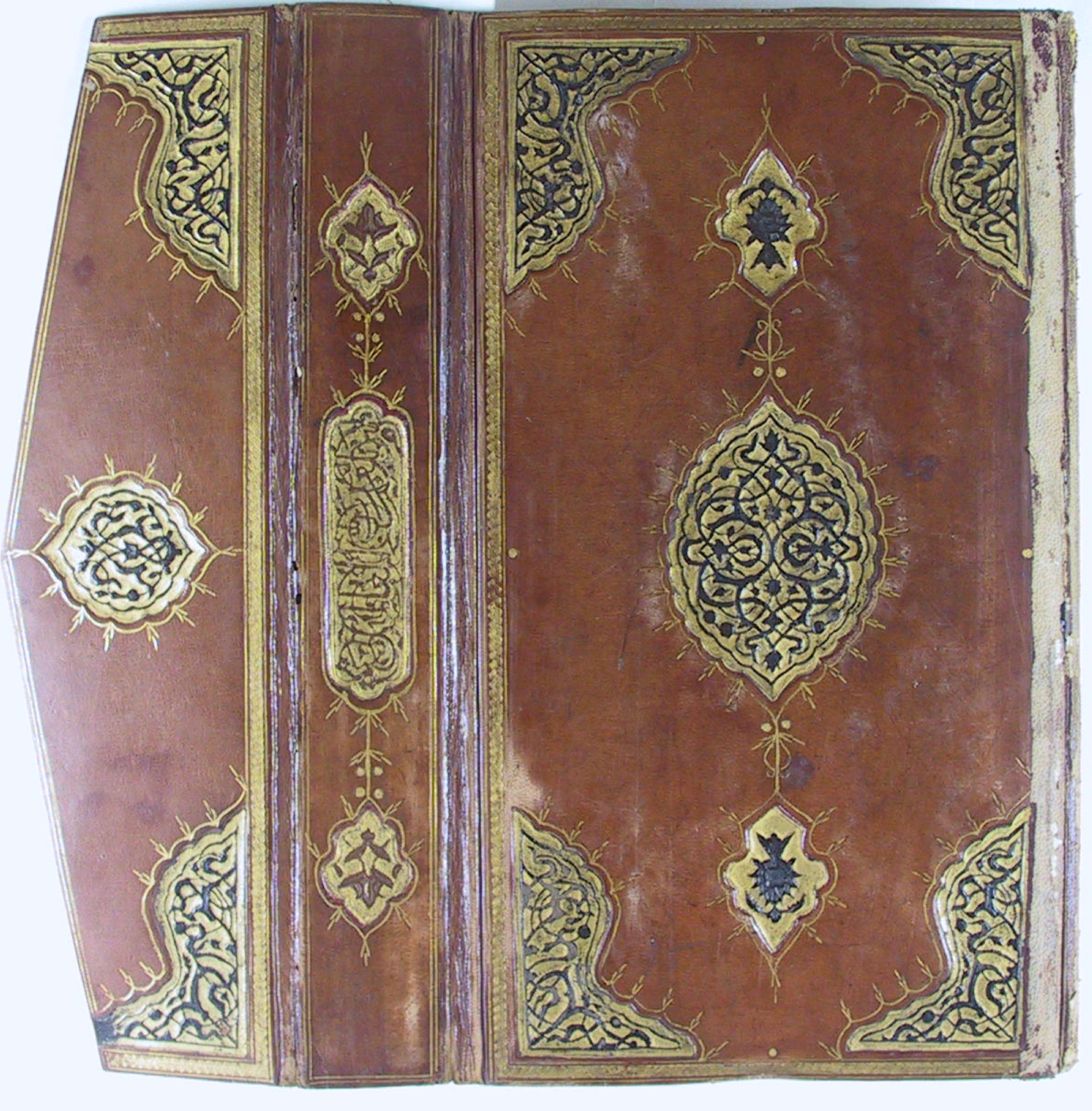

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 59/2

RAĞIP P.
Ka. Nu.
75

الجلد الثاني
من
تفسير القاضي

٧٦

فهرست النصف الثانى من تفسير البيضاوى

سورة الكهف ٣٨٨	ثلثة ارباع من الجزء الخامس عشر	الجزء السادس عشر	سورة مريم ٤٠٣	ربع من الجزء السادس عشر ٤٠٦
سورة طه ونصف من الجزء السادس عشر ٤١٣	ثلثة ارباع من الجزء السادس عشر ٤٢١	سورة الانبياء ٤٢٧	الجزء السابع عشر	ربع من الجزء السابع عشر
نصف من الجزء السابع عشر	سورة الحج ٤٣٨	ثلثة ارباع من الجزء السابع عشر	الجزء الثامن عشر	سورة المؤمنون ٤٤٨
ربع من الجزء الثامن عشر	سورة النور ٤٥٧	نصف من الجزء الثامن عشر	ثلثة ارباع من الجزء الثامن عشر	سورة الفرقان ٤٧٠
الجزء التاسع عشر	سورة الشعراء وربع من الجزء التاسع عشر ٤٨٠	نصف من الجزء التاسع عشر	سورة النمل ثلثة ارباع من الجزء التاسع عشر ٤٩١	الجزء العشرون
سورة القصص ٥٠١	ربع من الجزء العشرين	نصف من الجزء العشرين	سورة العنكبوت وثلثة ارباع من الجزء العشرين ٥١١	الجزء الحادى والعشرون ٥١٦
سورة الروم ٥١٩	ربع من الجزء الحادى والعشرين	سورة لقمان ٥٢٥	نصف من الجزء الحادى والعشرين	سورة السجدة ٥٢٩
ثلثة ارباع من الجزء الحادى والعشرين	سورة الاحزاب ٥٣٢	الجزء الثانى والعشرون	ربع من الجزء الثانى والعشرين	سورة السبأ ٥٤٣
نصف من الجزء الثانى والعشرين	سورة فاطر والملائكة	ثلثة ارباع من الجزء الثانى والعشرين	سورة يس ٥٥٧	الجزء الثالث والعشرون

سورة الصافات ٥٦٥	ربع من الجزء الثالث والعشرين	نصف من الجزء الثالث والعشرين	سورة ص ٥٧٥	ثلثة ارباع من الجزء الثالث والعشرين
سورة الزمر ٥٨٤	الجزء الرابع والعشرون	سورة المؤمن وربع من الجزء الرابع والعشرين ٥٩٤	نصف من الجزء الرابع والعشرين	سورة فصلت وثلثة ارباع من الجزء الرابع والعشرين
الجزء الخامس والعشرون	سورة الشورى ٦٠٧	ربع من الجزء الخامس والعشرين	سورة الزخرف ٦١٣	نصف من الجزء الخامس والعشرين
سورة الدخان ٦١٩	ثلثة ارباع من الجزء الخامس والعشرين	سورة الجاثية ٦٢٣	سورة الاحقاف ٦٢٦	الجزء السادس والعشرون
سورة محمد صلعم وربع من الجزء السادس والعشرين ٦٣٣	سورة الفتح ٦٣٤	نصف من الجزء السادس والعشرين	سورة الحجرات ٦٣٩	ثلثة ارباع من الجزء السادس والعشرين
سورة ق ٦٤٣	سورة الذاريات ٦٤٦	الجزء السابع والعشرون	سورة الطور ٦٥٠	سورة النجم ٦٥٢
ربع من الجزء السابع والعشرين	سورة القمر ٦٥٦	سورة الرحمن ٦٥٨	نصف من الجزء السابع والعشرين	سورة الواقعة ٦٦٢
ثلثة ارباع من الجزء السابع والعشرين	سورة الحديد ٦٦٥	سورة المجادلة ٦٦٩	الجزء الثامن والعشرون	سورة الحشر ٦٧٢
ربع من الجزء الثامن والعشرين	سورة الممتحنة ٦٧٦	سورة الصف ٦٧٨	نصف من الجزء الثامن والعشرين	سورة الجمعة ٦٧٩
سورة المنافقون ٦٨٠	سورة التغابن ٦٨١	ثلثة ارباع من الجزء الثامن والعشرين	سورة الطلاق ٦٨٣	سورة التحريم ٦٨٥

RAĞIP P.
Ka. Nu.
75

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى آلاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
وكفى عبده ١١٧٥

٧

المجلد الثاني
من
تفسير قاضي

٧٦

T.C.

سورة الملك والجزء التاسع والعشرون	سورة القلم ٦٨٩	سورة الحاقة ٦٩٢	ربع من الجزء التاسع والعشرين	سورة المعارج ٦٩٤
سورة نوح ٦٩٦	سورة الجن نصف من الجزء التاسع والعشرين ٦٩٨	سورة المزمل ٧٠٠	سورة المدثر ٧٠٢	ثلثة ارباع من الجزء التاسع والعشرين
سورة القيامة ٧٠٥	سورة الدهر ٧٠٦	سورة المرسلات ٧٠٩	سورة النبأ والجزء الثلاثون ٧١١	سورة النازعات ٧١٣
سورة عبس ٧١٥	سورة التكوير ٧١٧	سورة الانفطار ٧١٨	سورة المطففين وربع من الجزء الثلاثين ٧١٨	سورة الانشقاق ٧٢٠
سورة البروج ٧٢١	سورة الطارق ٧٢٢	سورة الاعلى ٧٢٢	سورة الغاشية ونصف من الجزء الثلاثين ٧٢٣	سورة الفجر ٧٢٤
سورة البلد ٧٢٦	سورة الشمس ٧٢٧	سورة الليل ٧٢٧	سورة الضحى ٧٢٨	سورة الانشراح ٧٢٨
سورة التين ٧٢٩	سورة العلق ٧٣٠	سورة القدر ٧٣١	سورة البينة وثلثة ارباع من الجزء الثلاثين ٧٣١	سورة الزلزال ٧٣١
سورة العاديات ٧٣٢	سورة القارعة ٧٣٢	سورة التكاثر ٧٣٢	سورة العصر ٧٣٣	سورة الهمزة ٧٣٣
سورة الفيل ٧٣٤	سورة القريش ٧٣٤	سورة الماعون ٧٣٤	سورة الكوثر ٧٣٥	سورة الكافرون ٧٣٥
سورة النصر ٧٣٦	سورة تبت ٧٣٦	سورة الاخلاص ٧٣٧	سورة الفلق ٧٣٧	سورة الناس ٧٣٨

سورة الكهف مكية وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله
تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما
ينتظم به صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ
وتناف في المعنى او انحراف من الدعوة الى جانب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان
قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا
بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر
تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل
للحال دون العطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف
عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ قيما لينذر بأسا شديدا اي لينذر
الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا
على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده وقرأ ابو بكر باسكان الدال
الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر
الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا
هو الجنة ماكثين فيه في الاجر ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا
خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر
به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى
لانهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير
علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر
او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا لآبائهم الذين تقولوه
بمعنى التبني كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك
وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على

التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول ابلغ وادل على المقصود تخرج من افواههم
صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء
الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر هاهنا بمعنى بئس وقرئ
كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك قاتلها
على آثارهم اذا ولوا عن الايمان شبهه لما تداخله من الوجد على توليهم بمن فارقه
اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة
ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا للتأسف عليهم او متأسفا عليهم
والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ أن بالفتح على لأن فلا يجوز اعمال باخع الا
اذا جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن
زينة لها ولاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه
ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيدا فيه والجرز
الارض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة
ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه ام حسبت بل احسبت ان
اصحاب الكهف والرقيم في ابقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا عجبا
وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر
على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها
ليس بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم
اسم الجبل او الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابي الصلت
وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همدا او لوح رصاصي او
حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون
كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء فأووا الى الكهف فانحطت صخرة
وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد

استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته
مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة
فبلغت ما شاء الله فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لي عندك حقا
وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا
فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال آخر كان في فضل واصابت الناس شدة فجاءتني امرأة
فطلبت مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا
ثم ذكرت لزوجها فقال لها اجيبي له واغيثي عيالك فأتت وسلمت الي نفسها فلما تكشفتها
وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك فقالت اخاف الله فقلت لها خفتيه في الشدة ولم
اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا
فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان هرمان وكان لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما
ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فأتيت اهلي واخذت محلبي فحلبت
فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي ان اوقظهما فوقفت جالسا ومحلبي على
يدي حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله
عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير اذ اوى الفتية الى الكهف يعني فتية من
اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف فقالوا ربنا
آتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو وهيئ لنا
من امرنا من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير بسببه راشدين
مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رأيت منك اسدا واصل التهيئة احداث هيئة
الشيء فضربنا على آذانهم اي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى انمناهم انامة لا تنبههم
فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امرأته في الكهف سنين
ظرفان لضربنا عددا اي ذوات عدد ووصف سنين به يحتمل التكثير والتقليل
فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا
حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اي الحزبين المختلفين منهم في

من غيرهم في مدة لبثهم احصى لما لبثوا امدا ضبط امدا لزمان لبثهم وما في اي من معنى
الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله
ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا
تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال
وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه كقوله واضرب منا بالسيوف
القوانسا نحن نقص عليك نبأهم بالحق بالصدق انهم فتية شبان جمع فتى
كصبي وصبية آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم
وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجرأة على اظهار الحق والرد
على دقيانوس الجبار اذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض لن
ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا والله لقد قلنا قولا ذا شطط اي ذا بعد
عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء مبتدأ قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه آلهة
خبره وهو اخبار في معنى انكار لولا يأتون هلا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان
بين ببرهان ظاهر فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه من
مردود وان التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك
اليه واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون الا الله عطف على الضمير
المنصوب اي واذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله و
يعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون ما مصدرية على تقدير واذ
اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون نافية على انه تكون اخبارا من الله
عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فأووا الى الكهف
ينشر لكم ربكم يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم من رحمته في الدارين ويهيئ
لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون به اي تنتفعون به وجزمهم بذلك لنصوع
يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو
مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب

لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد اذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع
شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله تعالى زورها عنهم واصله
تتزاور فادغمت التاء في الزاي وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر
وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة
ذات اسم اليمين واذا غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعني يمين
الكهف وشماله لقوله وهم في فجوة منه اي وهم في متسع من الكهف يعني في وسطه
بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لان باب الكهف
في مقابلة بنات نعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق راس السرطان
ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن
وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبتيه ويحلل
عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم ذلك من آيات
الله شأنهم وايواؤهم الى الكهف كذلك واخبارك قصتهم او ازورار الشمس عنهم وقرضها
طالعة وغاربة من آياته من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد الذي اصاب الفلاح
والمراد به الثناء عليهم او التنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع
بها من وفقه الله للتأمل فيها والاستبصار بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد
له وليا مرشدا من يليه ويرشده وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة
تقلبهم وهم رقود نيام ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كي لا تأكل الارض
ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم
على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم هو كلب
مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم
او كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة وكالبهم اي وصاحب كلبهم
باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء
الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ

لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم فرارا هربا منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك لما ألبسهم الله من الهيبة او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لملّئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما انمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى ويستبصروا به امر البعث ويشكروا ما انعم به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصي مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الاخرين عليهم وقيل انهم لما دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة ظنوا انهم في يومهم او اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة والورق الفضة مضروبة كانت او غيرها وقرأ ابو عمرو وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو ومدغما وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأي المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر ايها ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن او في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور انهم ان يظهروا عليكم ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم

في ملتهم او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فامنوا ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله بالبعث او الموعود الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة آتية لا ريب فيها وان القيامة لا ريب في امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها عليها اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم الله بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة او قالت طائفة نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلي فيه كما قال فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله ردا على الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين او من المتنازعين فيهم على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم او من المتنازعين للرد الى الله بعدما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكي ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدرهم وكان على اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا سيقولون اي الخائضون

في قصتهم في عهد الرسول عم من اهل الكتاب والمؤمنين ثلاثة رابعهم كلبهم اي
هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل قول السيد
من نصارى نجران وكان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى
او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع
لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين
اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون
باخبار الرسول لهم عن جبريل عم وايماء الله اليه بان اتبعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم
ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطائفة
بعد ما حصر اقوال الطوائف في الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد رابع في نحو هذا
المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين
الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة
حالا من المعرفة لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها
امر ثابت وعن علي رضه هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا
ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش
اصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير
واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم فلا
تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل في شان الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه
وهو ان تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم ما في القرآن من
غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسال احدا منهم عن قصتهم
سؤال مسترشد فان فيما اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا
سؤال متعنت تريد تفضيح المسؤل عنه وتزييف ما عنده فانه يخل بمكارم الاخلاق
ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله نهي تاديب من الله لنبيه
حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه

فقال ايتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق
عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي لا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل
فيما يستقبل الا بان يشاء الله اي الا ملتبسا بمشيئته قائلا ان شاء الله او الا وقت ان
يشاء الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران
المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهي واذكر
ربك مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال عم ان شاء الله اذا
نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس رضه ولو بعد سنة
ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه
لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في
الاية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول
به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء
مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على
التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقل عسى ان يهدين
ربي لاقرب من هذا رشدا لاقرب رشدا واظهر دلالة على اني نبي من
نبا اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعد عنه
ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة
او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا
تسعا يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم وهو بيان لما اجمله قبل وقيل انه
حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة وقال
ثلثمائة وتسع سنين وقرا حمزة والكسائي ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع
موضع الواحد ويحسنه ان علامة الجمع ههنا فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل
في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلث قل الله اعلم بما
لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلها

فلا خلق يخفى عليه علما أبصر به وأسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على أن أمره
في الإدراك خارج عما عليه إدراك السامعين والمبصرين إذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت
دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود إلى الله ومحله الرفع
على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان أصله أبصر أي صار ذا بصر ثم
نقل إلى صيغة الأمر بمعنى الإنشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له أو لزيادة الباء
كما في قوله وكفى به والنصب على المفعولية عند الأخفش والفاعل ضمير المأمور وهو
كل أحد والباء مزيدة إن كانت الهمزة للتعدية ومعدية إن كانت للصيرورة ما لهم
الضمير لأهل السموات والأرض من دونه من ولي من يتولى أمورهم ولا يشرك
في حكمه في قضائه أحدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن
يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل أحد عن الإشراك ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة
أهل الكهف من حيث إنها من المغيبات بالإضافة إلى الرسول عليه السلام على أنه وحي معجز أمره
أن يداوم درسه ويلازم أصحابه فقال واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك من القرآن
ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله لا مبدل لكلماته لا أحد يقدر على تبديلها
وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل إليه إن هممت به واصبر نفسك
احبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي في مجامع أوقاتهم أو في
طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه أن غدوة علم في الأكثر فتكون اللام فيه
على تأويل التنكير يريدون وجهه رضا الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم أي
ولا تجاوزهم نظرك إلى غيرهم وتعديته بعن لتضمنه معنى نبا وقرئ ولا تعد
عينيك ولا تعد من أعداه وعداه والمراد نهي الرسول أن يزدري بفقراء المؤمنين
وتعدو عيناه عن رثاثة زيهم طموحا إلى زي الأغنياء تريد زينة الحياة الدنيا
حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من أغفلنا
قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا كأمية بن خلف في دعائك إلى طرد الفقراء عن
مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على أن الداعي له إلى هذا الاستدعاء غفلة قلبه

عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه أن الشرف بحلية النفس لا بزينة
الجسد وأنه لو أطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم إسناد الإغفال
إلى الله قالوا إنه مثل أجبنته إذا وجدته كذلك أو نسبته إليه أو من أغفل إبله إذا
تركها بغير سمة أي لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان واحتجوا
على أن المراد ليس ظاهر ما ذكروا لا بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ
أغفلنا بإسناد الفعل إلى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا إياه
بالمؤاخذة وكان أمره فرطا أي متقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال فرس
فرط أي متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم ما يكون من جهة الله لا
ما يقتضيه الهوى ويجوز أن يكون الحق خبر مبتدأ محذوف ومن ربكم حالا فمن
شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لا أبالي بإيمان من آمن ولا كفر من كفر وهو
لا يقتضي استقلال العبد بفعله فإنه وإن كان بمشيئته إنا أعتدنا هيأنا للظالمين
نارا أحاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة
التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار وإن يستغيثوا
من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالنحاس المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على
طريقة قوله فأعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه إذا قدم ليشرب من فرط حرارته
وهو صفة ثانية لماء أو حال من المهل أو الضمير في الكاف بئس الشراب المهل
وساءت وساءت النار مرتفقا متكأ وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد
وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا وإلا فلا ارتفاق لأهل النار إن الذين آمنوا
وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا خبر إن الأولى هي الثانية
بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من أحسن عملا منهم أو مستغنى عنه في قولك
نعم الرجل زيدا أو واقع موقعه الظاهر فإن من أحسن عملا على الحقيقة لا يحسن
الحقيقة إطلاقه إلا للذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم جنات عدن
تجري من تحتهم الأنهار وما بينهما اعتراض وعلى الأول استئناف لبيان الأجر

وخبر ثان يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان
صفة لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها من الاحاطة به وهو جمع اسورة او اسوار في
جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة
من سندس واستبرق مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة
على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر
كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا متكأ
واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمن رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين هما اخوان
من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية الاف
فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير
وآل امرهما الى ما حكاه الله تع وقيل الممثل بهما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن
عبد الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه
وسلم جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من الكروم والجملة بتمامها
بيان التمثيل او صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا
بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله
فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون
كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب
الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرى كل الجنتين
آتى اكله ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها شيئا يعهد في سائر البساتين فان الثمار
تتم في عام وتنقص في عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد
بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال سوى الجنتين
من ثمر ماله اذا كثره وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم
والباقون بضمهما وكذلك في قوله واحيط بثمره فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه
في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا

لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد
الجنة لان المراد ما هو جنته وما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها
ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون او لاتصال كل واحد من جنتيه بالاخرى او
لان الدخول يكون في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما
اظن ان تبيد ان تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته وما
اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها
من جنته وقرأ الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة
لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه
لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره
اكفرت بالذي خلقك من تراب لانه اصل مادتك او مادة اصلك ثم من نطفة فانها
مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال
جعل كفره بالبعث كفرا بالله لان منشاه الشك في كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب
الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه
لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذف الهمزة بنقل الحركة او
دونه فتلاقت النونان فكان الادغام وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف
في الوصل لتعوضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقرئ لكن انا على الاصل
وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا فالضمير لله والله بدله وربي
خبره والجملة خبر انا والاستدراك من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به
وقد قرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي ولولا اذ دخلت جنتك
قلت وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على
ان ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها
وما فيها بمشية الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله وقلت لا قوة
الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير

مرها فمعونته واقداره وعن النبي صلى الله عليه وسلم من راى شيا فاعجبه فقال
ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره عين ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان
يكون انا فصلا وان يكون تاكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا و
الجملة مفعول ثان لترن وفي قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي
ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا او في الاخرة لايماني وهو جواب الشرط
ويرسل عليها على جنتك لكفرك حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة وهي
الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب
حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء يزلق عليها باستيصال
نباتها واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق
فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر ترددا في رده واحيط بثمره واهلكت امواله
حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو ماخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط
به غلبه واهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا
عليهم فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها
وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكانه قيل فاصبح يندم
او حال اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية ساقطة على عروشها بان سقطت
عروشها على الارض وسقط الكروم فوقها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا
ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتي من قبل شركه
فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما
على ما سبق منه ولم تكن له فئة وقرأ حمزة والكسائي بالياء لتقدمه ينصرونه
يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك او الاتيان بمثله من دون الله
فانه القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله
منه هنالك في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة لله وحده لا يقدر
عليها غيره تقريرا لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المومنين على الكفرة كما نصر

فيما فعل بالكافر اخاه المومن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه
وقرأ حمزة والكسائي بالكسر ومعناها السلطان والملك اي هنالك السلطان له
لا يغلب ولا يمنع منه او لا يعبد غيره كقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين
له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع عما
دهاه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة وقرأ حمزة وعاصم عقبا بالسكون وقرئ عقبى
وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحياة الدنيا اذكر لهم ما تشبهه الحياة
الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز
ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط
به نبات الارض فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع
في النبات حتى روي ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان
كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته فاصبح هشيما
مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس
الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون
اخضر وارقا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كان لم يكن وكان الله على كل شيء
من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا
يتزين بها الانسان في دنياه ويفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات
واعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها ابد الاباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات
واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدة وخير املا لان
صاحبها ينال بها في الاخرة ما كان يؤمل بها في الدنيا ويوم نسير الجبال واذكر
يوم نقلعها ونسيرها في الجو او نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على
عند ربك اي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيمة وقرأ ابن كثير وابو
عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت وترى

الارض بارزة بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ ترى على
بناء المفعول وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى
لتحقق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد
لهم وعلى هذا يكون الواو للحال باضمار قد فلم نغادر فلم نترك منهم احدا يقال
غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفا والغدير لما غادره السيل وقرئ
بالياء وعرضوا على ربك شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان
ليأمر فيهم لا ليعرفهم صفا مصطفين لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول
على وجه يكون حالا او عاملا في يوم نسير كما خلقناكم اول مرة عراة لا شيء معكم
من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى واحياء كخلقتكم الاولى لقوله بل
زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وان الانبياء
كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ووضع الكتاب صحائف الاعمال في الايمان
والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين
خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها
من بين الهلكات مال هذا الكتاب تعجبا من شأنه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها الا عدها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا
في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل ويزيد في عقابه الملائم
لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كرره في مواضع لكونه
مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك الحال وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح
صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها
وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف
الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم
نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهذا مذهب كل تكرير
في القرآن كان من الجن حال باضمار قد او استئناف للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد

فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره بترك السجود والفاء للتسبيب
وفيه دليل على ان الملك لا يعصي البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله
والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة افتتخذونه اعقيب ما وجد منه تتخذونه
والهمزة للانكار والتعجب وذريته اولاده او اتباعه وسماهم ذرية مجازا اولياء
من دوني فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو بئس للظالمين
بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم
نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض
ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين
عضدا اي اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق
العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين
موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم
خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون
فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني
ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول صلعم وقرئ متخذا المضلين على الاصل
وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه
ويوم يقول اي الله للكافر وقرأ حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شركائي
او شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركاء الى زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه
وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم
وجعلنا بينهم بين الكفار وآلهتهم موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة
هي في شدتها هلاك كقول عمر رض لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر
من وبق يوبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا
يوم القيامة ورأى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون
فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا في

هذا القران للناس من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه وكان الانسان اكثر
شيء يتاتى منه الجدل جدلا خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس
ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعي والقران المبين و
يستغفروا ربهم ومن الاستغفار عن الذنوب الا ان تأتيهم سنة الاولين
الا طلب او انتظار او تقدير ان تاتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال فحذف المضاف
اليه مقامه او يأتيهم العذاب عذاب الاخرة قبلا عيانا وقرا الكوفيون قبلا بضمتين
وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة
وقبلا وقبلا وقبليا وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين
الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل
باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها
تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم
وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة
ونحو ذلك واتخذوا اياتي يعني القران وما انذروا وانذارهم او والذي انذروا
به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزءا بالسكون وهو ما يستهزأ به ومن
اظلم ممن ذكر بايات ربه بالقران فاعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي
ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم
اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة
ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفي اذانهم وقرا يمنعهم ان يستمعوه
حق استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليدا لانهم
لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول على تقدير قوله ما
لي لا ادعوهم فان حرصه على الاسلام يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة
ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد
على ذلك باهمال قريش مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم

موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا من دونه موئلا منجا يقال وأل اذا نجا

ووأل اليه اذا التجأ اليه وتلك القرى يعني قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ

خبره اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف

في احدهما ليكون مرجع الضماير لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي

وجعلنا لمهلكهم موعدا وهو يوم بدر او يوم القيمة لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون

عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتاخر العذاب عنهم وقرا ابو بكر

لمهلكهم بفتح الميم واللام اي لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر

يفعل كالمرجع والمحيض واذ قال موسى مقدر باذكر لفتاه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف

عليه السلام لا ابرح لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى

ابلغ مجمع البحرين من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح

مسيري حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل

وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر

ومجمع البحرين ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحرين

الخضر وموسى عليهما السلام فان موسى عم كان بحر علم الظاهر والخضر كان بحر

علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعَل كالمشرق والمطلع او امضي

حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتى

ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل

سبعون روي ان موسى عم خطب الناس بعد هلاك القبط ودخول مصر خطبة بليغة

فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل اعلم منك عبدنا

الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر

وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى عم سأل ربه اي عبادك احب اليك قال الذي

يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى

قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على

لا ابرح من برح الناقص كزال يزال اي لا ازال اسير فحذف الخبر اعتمادا على قرينة الحال

اذ كان ذلك عند التوجه الى السفر والكلام على التعقيب من قوله حتى ابلغ فان ذلك غاية تستدعي

ذا غاية يؤدي اليها ويجوز ان يكون اصل الكلام لا يبرح سيري حاصلا حتى ابلغ فحذف

المضاف ويقام المضاف اليه مقامه فينقلب الضمير البارز المجرور المحل مرفوعا مستكنا

والفعل من صيغة الغيبة الى التكلم ويجوز ان يكون من برح التام كزال يزول اي لا افارق

ما انا بصدده حتى ابلغ مجمع البحرين بتغيير المولى ابي السعود

قوله عليه متعلق بدلالة والضمير راجع الى الخبر فان الوصول الى المكان لا يكون الا بعد السير

قوله ويجوز ان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول فهي تامة لا تحتاج الى خبر لكن لا بد من تقدير متعلق

ليتم المعنى كما اشار اليه بقوله عما انا عليه ومضارع هذه يزول وتلك يزال كما اشار

اليه المص من حاشية الشهاب

هدى او تردة عن ردى قال ان كان في عبادك اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر
قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته
فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما
اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما
نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما راى من حياته ووقوعه في
البحر روي ان موسى رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى او
الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء وقيل
نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله في البحر
سربا فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله
جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه
او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتاه اتنا غدانا ما يتغدى
لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة
والغد الى الظهر القي عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى في سفره غيره ويؤيده
التقييد باسم الاشارة قال ارايت اذ اوينا ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة يعني
الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت
فقدته او نسيت ذكره بما رايت منه وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اي وما
انساني ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان
له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضري بمشاهدة امثالها
عند موسى والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب
شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان
هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر يعد
من نقصان واتخذ سبيله في البحر عجبا سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا
والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في آخر كلامه او موسى

في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر
عجبا قال ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا على آثارهما
فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين
حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان
وقيل اليسع وقيل الياس آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا
علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك على
ان تعلمن على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف مما علمت رشدا علما ذا رشد
وهو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني
ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز
ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة
ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن
ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع
والادب فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه
بتعليم بعض ما انعم الله عليه قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه
على وجوه من التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف
تصبر على ما لم تحط به خبرا اي وكيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظاهرها
مناكير وباطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره قال
ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا
اي ستجدني صابرا وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن او لعلمه
بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف وفيه دليل
على ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء فلا تفاتحني
بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدئك
ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة فانطلقا على الساحل يطلبان

السفينة حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة بان قلع لوحين
من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضى الى
غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد وقرا حمزة والكسائى ليغرق اهلها على اسناده الى
الاهل لقد جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك
لن تستطيع معى صبرا تذكير لما ذكره قال لا تؤاخذنى بما نسيت بالذى نسيته او
يعنى وصيته بان لا يعترض عليه او بشئ نسيته يعنى وهو اعتذار بالنسيان اخرجه فى
معرض النهى عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اى لا تؤاخذنى
بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شيئا آخر نسيته
ولا ترهقنى من امرى عسرا ولا تغشنى عسرا من امرى بالمضايقة والمؤاخذة على المنسى
فان ذلك يعسر على متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه
وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا اى بعد ما خرجا من السفينة حتى
اذا لقيا غلاما فقتله قيل فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه
والفاء للدلالة على انه كما لقيه قتله من غير تروٍّ واستكشاف حال ولذلك قال اقتلت
نفسا زكية بغير نفس اى طاهرة من الذنوب وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس
عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التى لم تذنب قط والزكية التى
اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا
يقتضى قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا
وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى عم
مستانفا وفى الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض
عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا
نكرا اى منكرا وقرا نافع فى رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا
بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب
على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار

ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد الاستنكار ثانى مرة قال ان سالتك عن شئ بعدها
فلا تصاحبنى وان سالت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبنى اى فلا تجعلنى صاحبك
قد بلغت من لدنى عذرا قد وجدت عذرا من قبلى لما خالفتك ثلاث مرات وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه
لابصر اعجب الاعاجيب وقرا نافع لدنى بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله
قدنى من نصر الخبيبين قدى وابو بكر لدنى بتحريك النون واسكان الدال اشمامها الضم
من عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قرية انطاكية وقيل ابلة بصرة وقيل باجروان
ارمينية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال اضافه اذا انزله
به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض
اذا مال فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة
للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابى براء ويعدل عن
بنى عقيل وقال ان دهرا يلف شملى بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض انفعل
من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه او افعل من النقض
وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا
فاقامه بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت
لتخذت عليه اجرا تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما فى لو
من النفى كانه لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه
واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرا ابن كثير
والبصريان لتخذت اى لاخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه
الباقون قال هذا فراق بينى وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبنى
او الى الاعتراض الثالث او الوقت اى هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته
واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقرئ على الاصل
سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه

٤٠٠

لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر احتج
وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين
لعجزهم عن دفع الملك ولزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون
في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك قدامهم او خلفهم
وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منولة بن جلندى الازدى ياخذ كل
سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم ان يتأخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله
وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسببة عن خوف الغصب وانما قدم للعناية
او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى
الجزئين وادعاهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة
صالحة والمعنى عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما
ان يغشيهما طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره
فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالاته
على طغيانه وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله اعلمه وعن ابن عباس رضي ان نجدة
الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي عم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت
من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اي فكره كراهة
من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله عز وجل فاردنا
ان يبدلهما ربهما خيرا منه ان يرزقهما بدله خيرا منه زكاة طهارة من الذنوب
والاخلاق الردية واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها
نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم وقرأ نافع وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن
عامر ويعقوب وعاصم رحما بالتثقيل وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل
وكذلك زكاة واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم
وصريم واسم المقتول حيسور وكان تحته كنز لهما من ذهب وفضة روي ذلك
ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكاتهما

وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت
لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن
بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا
وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله **وكان ابوهما صالحا**
تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة
ابا وكان سياحا واسمه كاشح **فاراد ربك ان يبلغا اشدهما** اى الحلم وكمال الرأى
ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا
لاراد فان ارادة الخير رحمة ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب
وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى
الله وحده لانه لا مدخل له فى بلوغ الغلامين أو لان الاول فى نفسه شر والثالث خير
والثانى ممتزج او لاختلاف حال العارف فى الالتفات الى الوسائط وقيل يتعلق بمحذوف
تقديره فعلت رحمة من ربك **وما فعلته** وما فعلت ما رأيته **عن امرى** عن رأيى وانما
فعلته بامر الله تع ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما
وهو اصل ممهد غير ان الشرائع فى تفاصيله مختلفة **ذلك تاويل ما لم تسطع عليه
صبرا** اى ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء
بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على
التعلم ويتذلل للمعلم ويراعى الادب فى المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه
حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر **ويسألونك عن ذى القرنين** يعنى اسكندر الرومى
ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمى ذا القرنين او لانه طاف قرنى
الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض فى ايامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان
اى ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش
للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف فى نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون
هم اليهود سألوه امتحانا او مشركو مكة **قل سأتلوا عليكم منه ذكرا** خطاب للسائلين

والهاء لذي القرنين وقيل لله انا مكنا له في الارض اي مكنا له امره من التصرف فيها
كيف شاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شيء اراده وتوجه اليه سببا وصلة توصله
اليه من العلم والقدرة والآلة فاتبع سببا فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه
حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ذات حمأ من حمئت البئر اذا صارت
ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر حامية اي حارة ولا تنافي بينهما
لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر
ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك
قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ
حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في
ماء وطين كذلك نجده في التورية ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم
جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او
يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب اي بالقتل على كفرهم
واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه
احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى
ربه فيعذبه عذابا نكرا اي فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار
على كفره واستمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه انا ومن معي في الدنيا بالقتل
ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من آمن وعمل صالحا وهو
ما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائي
ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها
او على المصدر لفعله المقدر حالا اي يجزى بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا
غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ
والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شأنك
معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب

عنه وبدأ الله بانه ان كان نبيا فوحي وان كان غيره فبالهام او على لسان نبي وسنقول
له من امرنا ما نامر به يسرا سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين
ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا توصله الى المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع
الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف
اي مكان مطلع الشمس فانه مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها
سترا من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب
بدل الابنية كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك
او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر
محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذين تغرب عليهم الشمس
في الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات والعدد والاسباب خبرا
علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم
اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعني طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من
الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا ارمينية
واذربيجان وقيل جبلان في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك منيفان من ورائهما يأجوج
وماجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب بين السدين
بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله والمفتوح لما عمله الناس لانه في الاصل
مصدر سمي به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من
الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم
وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائي لا يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا
يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين اي قال مترجموهم وفي مصحف ابن مسعود
قال الذين من دونهم ان يأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل يأجوج
من الترك ومأجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان
من اجّ الظليم اذا اسرع واصلهما الهمز كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتانيث

قوله الذين من دونهم اي القوم الذين يقرب بلادهم من بلادهم فانهم يعرفون لغتهم ولغة غيرهم لوقوع بلادهم بين بلاد القرنيين فهم واسطة مترجمون بينهم وهذا يدل على ان ذل ويرجحه عطاء الكي وبل الآخر ولذا اقتصر عليه وقد وقع التعبير عنه ايضا بان الله تعالى علم ذا القرنين لغتهم كما علم سليمان عليه الصلوة والسلام منطق الطير

قوله والجيل بكسر الجيم قوم معروفون ولا يبعد ان يقال قائله قوم غير الذين لا يفقهون قولا وهم اقربهم يتعبرون بقربهم ويؤيده ما في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه وهو الذي اراده المص بايراده فهو في الحقيقة جواب اخر لكنه اقرب مما قبله لم يصرح بجعله جوابا مستقلا والذي اختاره الزمخشري ان فيه تقديرا كا لا يكادون يفقهون قولا الا بجهد شهاب

قوله وهما اسمان اعجميان يعني انه لا يخلو من كونه اعجميا او عربيا فعلى الاول منع صرفه للعلمية والعجمة وعلى الثاني للعلمية والتانيث باعتبار القبيلة فلا يرد عليه كما توهم انه يجوز ان يكون للعلمية والتانيث وهو مهموز من اجّ فمعنى اجّ مفعول كيعفور ومفعول وهو ان كان لازما فبنا مفعول منه ان كان مرتجلا فظاهر وان كان منقولا فلعله بحرف الجر والظليم ذكر النعام وفي تذكرة ابن علي ان كان عربيا فياجوج المهموز يفعول من اج كيربوع وليس من ياجج كما ذكره سيبويه وان كان في العربية فعلول ومن لم يهمز خفف الهمزة كراس فهو ايضا يفعول ويحتمل ان يكون فاعول من يجج ومن همز جعله كالعالم ومنع صرفه للعلمية والتانيث للقبيلة كمجوس وماجوج اذا همز من اج كما ان ياجوج منقول منه فالكلمتان من اصل واحد في الاشتقاق وعلى العجمة لا يتاتى تصريفه ولا يعتبر وزنه الا بتقدير كونه عربيا انتهى شهاب

مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع وقيل كانوا يخرجون الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا نخرجه من اموالنا وقرا حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السد غير حمزة والكسائي قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج ولا حاجة لي اليه وقرا ابن كثير مكنني على الاصل فاعينوني بقوة اي بقوة فعلة اي بما اتقوى به من الالات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاع فوق رقاع اتوني زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ايتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير ولان اعطاء الالة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا ساوى بين الصدفين بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرا ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الاخر ومنه التصادف للتقابل قال انفخوا اي قال للعملة انفخوا في الاكوار والحديد حتى اذا جعله جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء قال اتوني افرغ عليه قطرا اي اتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول اتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرا حمزة وابو بكر قال ايتوني موصولة الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقي متقاربين وقرا حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود

لارتفاعه

لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته وقيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليها فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخر مربطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا السد او الاقدار على تسويته رحمة من ربي على عباده فاذا جاء وعد ربي وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيمة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرا الكوفيون دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو اخر قول ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون في بعض مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا وابرزناها واظهرناها لهم الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن اياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلامي لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا افظنوا والاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادي اتخاذهم الملائكة والمسيح من دوني اولياء معبودين نافعهم او لا اعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ افحسب الذين كفروا اي اكافيهم في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل او خبر له انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما يستحقرونه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع

لانه من سمات الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ضاع
وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فانهم خسروا دنياهم واخراهم ومحله الرفع على
الخبر المحذوف فانه جواب السؤال او الجر على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بآيات
ربهم بالقرآن او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه
او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيمة
وزنا فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا ولا نضع لهم ميزانا توزن به اعمالهم
لانحباطها ذلك الامر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك
مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم
خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا بسبب ذلك
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله
ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل خالدين
فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم
اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تأكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا ما يكتب به وهو
اسم ما يمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته
لنفد البحر لنفد جنس البحر بأسره لان كل جسم متناه قبل ان تنفد كلمات ربي فانها
غير متناهية لا تنفد كعلمه ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا زيادة ومعونة
لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا
متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير
المتناهي لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهو ما يستمده الكاتب
ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا وتقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة
على كلماته يوحى الي انما الهكم اله واحد وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجوا

لقاء ربه بأمل حسن لقائه فليعمل عملا صالحا يرتضيه الله ولا يشرك بعبادة ربه احدا بأن يرائيه او يطلب منه اجرا روي ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة وعن النبي عم من قرأها عند مضجعه كان له نورا في مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون حتى يستيقظ وعنه عم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء ٥ ٥

سورة مريم مكية الا آية السجدة وهي ثمان او تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص امال ابو عمرو الهاء لان الفات اسماء التهجي ياآت وابن عامر وحمزة الياء والكسائي وابو بكر كليهما ونافع بين بين وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال والباقون يدغمونها ذكر رحمة ربك خبر ما قبله ان اوّل بالسورة او القرآن فانه مشتمل عليه او خبر محذوف اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك او مبتدأ حذف خبره اي فيما يتلى عليك وقرئ ذكر رحمة على الماضي وذكّر على الامر عبده مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادى ربه نداء خفيا لان الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء اشد اخباتا واكثر اخلاصا او لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبر او لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم او لان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف في سنه ح فقيل ستون وقيل سبعون وخمس وثمانون قال رب اني وهن العظم مني تخصيص العظم بالذكر لانه عماد البدن والوهن

٤٠٤

وتخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان
ما وراءه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر ونظيره
كمل في الحركات الثلث واشتعل الرأس شيبا شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ النار
وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة واسند الاشتعال
الى الرأس الذي هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى باللام
عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد ولم اكن بدعائك
رب شقيا بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه
على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه
فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه واني خفت الموالي يعني بني عمه وكانوا اشرار
بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم من ورائي
بعد موتي وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو يتعلق بمحذوف او بمعنى الموالي
اي خفت فعل الموالي من ورائي او الذين يلون الامر من ورائي
وقرئ خفت الموالي من ورائي اي قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدي وخفوا ودرجوا قدامي
فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت وكانت امرأتي عاقرا لا تلد فهب لي من لدنك
فان مثله لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فاني وامرأتي لا نصلح للولادة وليا
من صلبي يرثني ويرث من آل يعقوب صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائي على
انهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل
يرثني الحبورة فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق عليهما السلام
وقيل كان يعقوب اخا زكريا او عمران بن ماثان من نسل سليمان وقرئ يرثني وارث
آل يعقوب على الحال من احد الضميرين او يرث بالتصغير لصغره ووارث من آل يعقوب
على انه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد في علم البيان لانه جرد عن المذكور اولا مع انه المراد
واجعله رب رضيا ترضاه قولا وعملا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى جواب لندائه
ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد

يحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامي الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها
كقوله هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان في الاسم والاظهر انه اعجمي وان كان
عربيا فمنقول عن فعل ليعيش ويحيى قيل سمى به لانه حيي به رحم امه او لان دين الله حيي
بدعوته قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا
جساوة وقحولا في المفاصل واصله عتوو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين
فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرأ حمزة و
الكسائي وحفص عتيا بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا
بان المؤثر فيه كمال قدرته وان الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك قال اي الله او الملك
المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك اي الامر كذلك ويجوز ان يكون الكاف منصوبة
بقال في قال ربك وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو على هين ويؤيد الاول قراءة
من قرأ وهو على هين اي الامر كما قلت او كما وعدت وهو على ذلك يهون علي او كما وعدت
وهو على هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثاني محذوف
وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان
المعدوم ليس بشيء قال رب اجعل لي آية علامة اعلم بها وقوع ما بشرتني به قال
آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا سوي الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما
ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد
للذكر والشكر ثلاثة ايام ولياليهن فخرج على قومه من المحراب من المصلى او من الغرفة
فاوحى اليهم فاومأ اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض ان سبحوا صلوا
او نزهوا ربكم بكرة وعشيا طرفي النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح ويأمر قومه
بان يوافقوه وان يحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة يا يحيى على تقدير
القول خذ الكتاب التورية بقوة بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا
يعني الحكمة وفهم التورية وقيل النبوة احكم الله عقله في صباه واستنبأه وحنانا
من لدنا ورحمة منا عليه او رحمة وتعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما عطف على الحكم

وزكاة وطهارة من الذنوب او صدقة اى تصدق الله به على ابويه او مكنه ووفقه
على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصى وبرا بوالديه وبارا بهما ولم يكن
جبارا عصيا عاقا او عاصى ربه وسلام عليه من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان
بما ينال به بنى آدم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب النار وهول
القيامة واذكر فى الكتاب فى القرآن مريم يعنى قصتها اذ انتبذت اعتزلت بدل من مريم
بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم قصتها
وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية
كقولك لا اكرمك اذ لم تكرمنى فتكون بدلا لا من اهلها مكانا شرقيا فى بيت المقدس
او شرقى دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول
لان انتبذت متضمنة معنى اتت فاتخذت من دونهم حجابا ستر فارسلنا اليها روحنا
فتمثل لها بشرا سويا قيل قعدت فى مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بشىء يسترها
وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فبينما هى فى مغتسلها
اتاها جبريل متمثلا بصورة شاب امرد سوى الخلق لتستأنس بكلامه ولعله ليهيج شهوتها به
فتنحدر نطفتها الى رحمها قالت انى اعوذ بالرحمن منك من غاية عفافها ان كنت
تقيا تتقى الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اى
فانى اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك قال انما انا رسول ربك الذى استعذت به
لاهب لك غلاما لاكون سببا فى هبته بالنفخ فى الدرع ويجوز ان يكون حكاية
لقول الله سبحانه ويؤيده قراءة ابى عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب بالياء
زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى
بشر ولم يباشرنى رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما الزنا فانما
يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله ولم اك بغيا عليه وهو
فعول من البغى قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء
لانه للمبالغة او للنسب كطالق قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله

اى

اى ونفعل ذلك لنجعله اولنبين به قدرتنا ولنجعله ~~اولنبين به قدرتنا ولنجعله~~
وقيل عطف على لنهب على طريقة الالتفات آية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال
قدرتنا ورحمة منا على العباد يهتدون بارشاده وكان امرا مقضيا تعلق به
قضاء الله فى الازل او قدر وسطر فى اللوح او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لكونه
آية ورحمة فحملته بان نفخ فى درعها فدخلت النفخة فى جوفها وكانت مدة حملها سبعة اشهر
وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته
وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به
فاعتزلت وهو فى بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا والجار والمجرور فى
موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار فاجاءها
المخاض فالجأها وهو فى الاصل منقول من جاء لكنه خص به فى الاستعمال كآتى
فى اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد فى بطنها
للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق
الى الغصن وكانت نخلة يابسة لا راس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما
للجنس او للعهد اذ لم يكن ثم غيرها وكانت كالمتعالم ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها
من آياتها ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها
قالت يا ليتنى مت قبل هذا استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرئ مت من مات
يموت وكنت نسيا ما من شانه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرا
حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمى به وقرئ به وبالهمزة وهو الحليب
المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلته منسيا منسى الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ
بكسر الميم على الاتباع فناداها من تحتها عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد وقيل
تحتها اسفل من مكانها وقرا نافع وحمزة والكسائى وحفص وروح من تحتها بالكسر
والجر على ان فى نادى ضمير احدهما وقيل الضمير فى تحتها للنخلة ان لا تحزنى
اى لا تحزنى او بان لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا جدولا هكذا روى مرفوعا وقيل

سيدا من البشر وهو عيسى **وهزي اليك بجذع النخلة** اميليه اليك والباء مزيدة
للتاكيد او على الهز والامالة او وهزي الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع **تساقط**
عليك تتساقط فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء
وحفص تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط وتسقط ويسقط
فالتاء للنخلة والياء للجذع **رطبا جنيا** تمييز او مفعول روي انها كانت نخلة يابسة
لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها
بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش
والمنبهة لمن رآها على ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر ان يحبلها
من غير فحل وانه ليس ببدع من شانها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب
عليه الامرين فقال **فكلي واشربي** اي من الرطب وماء السري **وقري عينا** وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك وقرئ وقري بالكسر وهو لغة
نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر
الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال
قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه **فاما ترين من البشر احدا** فان ترى آدميا
وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف اللين **فقولي**
اني نذرت للرحمن صوما صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم
فلن اكلم اليوم انسيا بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل
اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى فانه
قاطع في قطع الطاعن **فاتت به** مع ولدها **قومها** راجعة اليهم بعدما طهرت من النفاس
تحمله حاملة اياه **قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا** بديعا منكرا من فري الجلد **يا**
اخت هارون يعنون هرون النبي وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة
وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانها
شبهوها به تهكما او لما رأوا قبل من صلاحها او شتموها به **ما كان ابوك امرأ سوء**

وما كانت أمك بغيا تقرير لان ما جاءت به فرى وتنبيه على ان الفواحش من اولاد
الصالحين افحش فاشارت اليه الى عيسى اى كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان
في المهد صبيا ولم نعهد فيما سبق صبيا يكلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة
من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله وكان الله عليما حكيما
او بمعنى صار قال انى عبد الله انطقه الله به اولا لانه اول المقامات وللرد على
من يزعم ربوبيته آتانى الكتاب الانجيل وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا نفاعا
معلما للخير والتعبير بلفظ الماضى اما باعتبار ما سبق فى قضائه او بجعل المحقق
وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلا اينما كنت حيث كنت واوصانى
وامرنى بالصلاة والزكوة زكاة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل ما دمت
حيا وبرا بوالدتى وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به او منصوب
بفعل دل عليه اوصانى اى وكلفنى برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلاة
ولم يجعلنى جبارا شقيا عند الله من فرط تكبره والسلام على يوم ولدت ويوم
اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض
باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله
تع والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ذلك
عيسى ابن مريم اى الذى تقدم نعته هو عيسى ابن مريم لا ما يصفه النصارى
وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهانى حيث جعله موصوفا
باضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم قول الحق خبر محذوف اى هو قول الحق الذى لا
ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة
عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول
بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول الذى فيه يمترون
فى امره يشكون او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ
بالتاء على الخطاب ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى و تنزيه

لله عما بهتوه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون تبكيت لهم بأن من إذا أراد شيئاً
أوجده بكن كان منزهاً عن شبه الخلق في الحاجة في اتخاذ الولد بإحبال الإناث وقرأ ابن
عامر فيكون بالنصب على الجواب وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ الحجازيان وأبو عمرو وأن بالفتح وقيل إنه معطوف
على الصلاة فاختلف الأحزاب من بينهم اليهود والنصارى أو فرق النصارى ونسطو
قالوا إنه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء
وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم
من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيمة أو من وقت الشهود
أو من مكانه فيه أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو أن تشهد عليهم الملائكة
والأنبياء وألسنتهم وآرابهم بالكفر والفسوق أو من وقت الشهادة أو من مكانها
وقيل هو ما شهدوا به في عيسى وأمه أسمع بهم وأبصر تعجب معناه أن أسماعهم
وأبصارهم يوم يأتوننا أي يوم القيمة جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا صماً عمياً
في الدنيا أو التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل أمر بأن يسمعهم ويبصرهم
مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الأول في موضع الرفع
وعلى الثاني في محل النصب لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين أوقع الظاهر
موقع الضمير إشعاراً بأنهم ظلموا أنفسهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين
ينفعهم وسجل على إغفالهم بأنه ضلال مبين وأنذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر
الناس المسيء على إساءته والمحسن على قلة إحسانه إذ قضي الأمر فرغ من الحساب
وتصادر الفريقان الجنة والنار وإذ بدل من اليوم أو ظرف للحسرة وهم في
غفلة وهم لا يؤمنون حال متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض
أو بأنذرهم أي غافلين غير مؤمنين فيكون متضمنة للتعليل إنا نحن نرث الأرض
ومن عليها لا يبقى لأحد غيرنا عليها ملك ولا ملك أو نتوفى الأرض ومن عليها
بالإفناء والإهلاك توفي الوارث لإرثه وإلينا يرجعون يردون للجزاء واذكر في الكتاب

انه كان صديقا ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته
وكتبه ورسله نبيا استنبأه الله اذ قال بدل من ابرهيم وما بينهما اعتراض او متعلق
بكان او بصديقا نبيا لابيه يا ابت التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال
يا ابتي ويقال يا ابتا وانما يذكر للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا
يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ولا يغني عنك شيئا في جلب
نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشقه برفق
وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف
به العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق الا
لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب
ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا
بصيرا مقتدرا على الضر والنفع ولكن ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته
وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد
للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الحق
القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي
فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا
ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير
يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر
فانه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الآمر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان
واستهجن ذلك وبين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولي للنعم
كلها بقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص
وكل عاص حقيق بان تسترد منه النعم وينتقم منه ولذلك عقبه بتخويفه سوء
عاقبته وما يجر اليه فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان
وليا قرينا في اللعن والعذاب تليه ويليك او ثابتا في موالاته فانه اكبر من العذاب

كما أن رضوان الله أكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب إما للمجاملة
أو لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته لارتقاء همته
في الربانية أو لأنه من حيث إنه نتيجة معاداته لآدم وذريته منبهة عليها قال أراغب
أنت عن آلهتي يا إبراهيم قابل استعطافه ولطفه في الإرشاد بالفظاظة وغلظة
العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بني وأخره وقدم الخبر على المبتدأ وصدره
بالهمزة لإنكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كأنها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده
فقال لئن لم تنته عن مقالك فيها والرغبة عنها لأرجمنك بلساني يعني الشتم
والذم أو بالحجارة حتى تموت أو تبعد مني واهجرني عطف على ما دل عليه لأرجمنك
أي فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة أو مليا بالذهاب عني قال سلام
عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة أي لا أصيبك بمكروه ولا أقول
لك بعد ما يؤذيك ولكن سأستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة والإيمان فإن حقيقة
الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة
إنه كان بي حفيا بليغا في البر والألطاف وأعتزلكم وما تدعون من دون الله
بالمهاجرة بديني وأدعو ربي وأعبده وحده عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا
خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم
النفس والتنبيه على أن الإجابة والإثابة تفضل غير واجب وأن ملاك الأمر
خاتمته وهو غيب فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة إلى الشام وهبنا
له إسحق ويعقوب بدل من فارقهم من الكفرة قيل إنه لما قصد الشام أتى أولا حران
وتزوج بسارة وولدت له إسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لأنهما شجرتا
الأنبياء أو لأنه أراد أن يذكر إسمعيل بفضله على الانفراد وكلا جعلنا نبيا وكلا منهما
أو منهم ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والأموال والأولاد وجعلنا لهم لسان
صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي لسان
صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم وإضافته إلى

وتوصيفه بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بما يثنون عليهم وأن محامدهم لا تخفى على
تباعد الأعصار وتحول الدول وتبدل الملل واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا
موحدا أخلص عبادته عن الشرك والرياء أو أسلم وجهه لله وأخلص نفسه عما سواه
وقرأ الكوفيون بالفتح على أن الله أخلصه وكان رسولا نبيا أرسله الله إلى الخلق
فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع أنه أخص وأعلى وناديناه من جانب الطور
الأيمن من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي يمين موسى أو من جانبه الميمون من اليمن
بأن تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك
لمناجاته نجيا مناجيا حال من أحد الضميرين وقيل مرتفعا من النجو وهو الارتفاع
لما روي أنه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من أجل
رحمتنا أو بعض رحمتنا أخاه معاضدة أخيه وموازرته إجابة لدعوته واجعل لي
وزيرا من أهلي هرون فإنه كان أسن من موسى وهو مفعول أو بدل هرون عطف
بيان له نبيا حال منه واذكر في الكتاب إسمعيل إنه كان صادق الوعد ذكره بذلك
لأنه المشهور به والموصوف بأشياء في هذا الباب لم تعهد في غيره وناهيك أنه وعد
الصبر على الذبح فقال ستجدني إن شاء الله من الصابرين وكان رسولا نبيا يدل
على أن الرسول لا يلزم أن يكون صاحب شريعة فإن أولاد إبراهيم كانوا على شريعته
وكان يأمر أهله بالصلوة والزكاة اشتغالا بالأهم وهو أن يقبل الرجل على نفسه
ومن هو أقرب الناس إليه بالتكميل قال تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين وأمر أهلك
بالصلوة قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقيل أهله أمته فإن الأنبياء آباء الأمم وكان
عند ربه مرضيا لاستقامة أقواله وأفعاله واذكر في الكتاب إدريس وهو سبط
شيث وجد أبي نوح واسمه أخنوخ واشتقاق إدريس من الدرس يرده منع صرفه
نعم لا يبعد أن يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه
إذ روي أنه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة وأنه أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم
والحساب إنه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا يعني شرف النبوة والزلفى

عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة اولئك اشارة الى المذكورين
في السورة من زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية والدنيوية
من النبيين بيان للموصول من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون
من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية وممن حملنا
مع نوح اى ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابراهيم كان من
ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم الباقون واسرائيل عطف على ابراهيم اى
ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه
دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا اى ومن جملة من هديناه الى الحق
واجتبينا للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا
خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفة واستيناف ان جعلته خبرا لبيان
خشيتهم من الله واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة فى شرف النسب وكمال النفس
والزلفى من الله تع وعن النبى صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم
تبكوا فتباكوا والبكى جمع باك كالسجود جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التانيث
غير حقيقى فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق
بالفتح وخلف سوء بالسكون اضاعوا الصلوة تركوها او اخروها عن وقتها
واتبعوا الشهوات كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في
المعاصى وعن على رضى واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس
المشهور فسوف يلقون غيا شرا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو
لا يعدم على الغى لائما او جزاء غى كقوله يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة وقيل هو
واد فى جهنم تستعيذ منه اوديتها الا من تاب وآمن وعمل صالحا يدل على ان
الاية فى الكفرة فاولئك يدخلون الجنة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب
على البناء للمفعول من ادخل ولا يظلمون شيئا ولا ينقصون شيئا من جزاء
اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق

لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها
عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف وعدن علم لانه المضاف
اليه في العلم او علم للعدن بمعنى الاقامة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله
التي وعد الرحمن عباده بالغيب اي وعدها اياهم وهي غائبة عنهم وهم غائبون
عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب انه كان وعده الذي هو الجنة مأتيا يأتيها اهلها
الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا اي مفعولا منجزا لا يسمعون فيها
لغوا فضول كلام الا سلاما ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة
او الا تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع او
على ان معنى التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله ولا عيب فيهم
غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او على ان معناه الدعاء بالسلامة و
اهلها اغنيا عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة
وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق
ودروره تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا نبقيها عليهم من ثمرة
تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق
من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون
من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب
نورث بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل حين استبطأه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر
ما يجيب ورجا ان يوحى اليه فابطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين يوما حتى
قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل
لانه مطاوع نزّل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى
وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء
والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من

الاماكن والاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل في زمان دون زمان الا

بامره ومشيئته **وما كان ربك نسيا** تاركا لك اي ما كان عدم النزول الا لعدم الامر

ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها

فيه وقيل اول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة

الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه

وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم اي وما

كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله **رب السموات**

والارض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربك

فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول مرتب عليه اي لما عرفت ربك بانه لا ينبغي

ان ينساك او اعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحي

وهزء الكفرة وانما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد

والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك **هل تعلم له سميا** مثلا يستحق ان يسمى

الها او احدا يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك

لظهور احديته وتعالي ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير

للامر اي اذا صح ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره

والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها **ويقول الانسان** المراد به الجنس

باسره فان القول مقول فيما بينهم ولم يقل كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل

واحد منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية

ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت **ائذا ما مت لسوف اخرج حيا**

من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون

ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا

يعمل فيما قبلها وهي هنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام

في يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال **اولا يذكر الانسان** عطف على

يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان يتقدمهما للدلالة
على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشا منه فلو تذكر وتأمل
انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا لم يفعل ذلك فانه اعجب من جمع المواد
بعد التفريق وايجاد مثل ما كان منها من الاعراض وقرا نافع وابن عامر وعاصم
وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل
فوربك لنحشرنهم اقسم باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشان الرسول
والشياطين عطف او مفعول معه لما روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من
الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مخصوصا
بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين
فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم حول جهنم ليرى السعداء ما نجاهم الله منه
فيزدادوا غبطة وسرورا ويرى الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا
من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم
من هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب
واهل الموقف جاثون لقوله وترى كل امة جاثية على المعتاد في مواقف التقاول
وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم
اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة ثم لننزعن من كل شيعة من
كل امة شاعت دينا ايهم اشد على الرحمن عتيا من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم
فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا من اهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة
فالمراد انه يميز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب او يدخل
كلا طبقتها التي تليق بهم وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات
لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد
الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتداء
على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة

يقال فيهم ايهم اشد وعلى متعلق بها لتنزعن لتضمنه معنى التميز اللازم للعلم او

بافعل وقع من كل شيعة واما بشيعة لانها بمعنى شيع وعلى للبيان او متعلق بافعل

وكذا الباء في قوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي نحن اعلم بالذين هم اولى

بالصلي او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يريد بهم وباشدهم عتيا رؤساء

الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وان منكم وما منكم التفات الى

الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم الا واردها الا واصلها وحاضر دونها يمر بها

المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عم سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة

الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها

وهي خامدة واما قوله تع اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها

الجواز على الصراط فانه ممدود عليها كان على ربك حتما مقضيا كان ورودهم

واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه

ثم ننجي الذين اتقوا فيساقون الى الجنة وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ ثم

بفتح الثاء اي هناك ونذر الظالمين فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا وهو دليل على

ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم

وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيآتهم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات مرتلات

الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول او واضحات الاعجاز قال الذين

كفروا للذين امنوا لاجلهم او معهم اي الفريقين المؤمنين او الكافرين خير مقاما موضع

قيام او مكانا وقرأ ابن كثير بالضم اي موضع اقامة ومنزل واحسن نديا مجلسا ومجتمعا

والمعنى انهم لما سمعوا الايات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها

اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم

وحسن حالهم عند الله تع لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحياة الدنيا

فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن

اثاثا ورئيا وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمي اهل كل عصر قرنا لانه

يتقدم من بعدهم وهم احسن صنعة لكم واثاثا تمييز من النسبة وهو متاع البيت
وقيل هو ما جد منه والخرثي ما رث ورئيا منظرا فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز
وقرا نافع وابن عامر ريا على قلب الهمزة وادغامها او على انه من الري الذي هو النعمة
وابو بكر ريئا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزي وهو الجمع فانه محاسن
مجموعة ثم بين تمتعهم استدراج لَيْسَ باكرام وانما العناد على الفضل والنقص ما
يكون في الآخرة بقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فيمده ويمهله
بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغي ان يفعله
استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وكقوله اولم نعمركم ما
يتذكر فيه من تذكر حتى اذا راوا ما يوعدون غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا
للذين آمنوا اي الفريقين خير اما العذاب واما الساعة تفصيل للموعود فانه اما
اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما
يوم القيمة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين
بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو
جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى واضعف جندا اي فئة وانصارا قابل به احسن
نديا من حيث ان حسن النادي باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين
ان امهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ
المؤمن منها ليس لنقصه بل لان الله عز وجل اراد به ما هو خير وعوضه منه وقيل
عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلالة
ويزيد المقابل له هداية والباقيات الصالحات الطاعات التي تبقى عائدتها ابد الآباد
ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر خير عند ربك ثوابا عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون
بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله وخير

مردًا والخير هنا اما لمجرد الزيادة او على طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره
منه في برده أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا نزلت في العاص بن
وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا اكفر بمحمد
حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئتني فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك
ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل أرأيت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى
أخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرأ حمزة والكسائي ولدا جمع ولد كأسد
وأسد او لغة فيه كالعرب والعرب أطلع الغيب أقد بلغ من عظمة شأنه الى ان ارتقى الى علم
الغيب الذي توحد به الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتى له في الآخرة مالا وولدا وتألى عليه
أم اتخذ عند الرحمن عهدا او اتخذ من عالم الغيوب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى
العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان
وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه كلا ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره
لنفسه سنكتب ما يقول سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا
لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة
العدو وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تتأخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد ونمد له من العذاب مدا ونطول له من العذاب ما يستأهله او نزيد
عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه واستهزائه على الله ولذلك اكده بالمصدر دلالة
على فرط غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد ويأتينا يوم القيامة
فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا
لهذا القول منفردا عنه واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا
بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله تعالى وشفعاء عنده كلا ردع وانكار لتعززهم بها
سيكفرون بعبادتهم ستجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله اذ
تبرأ الذين اتبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله ثم لم تكن
فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا يؤيد الاول

اذا فسر الضد بالعون أي ويكونون عليهم ذلا او بضدتهم على معنى انها تكون معونة في
عذابهم بان توقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اي يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها
وتوحيده لوحدة المعنى الذي به مضادتهم فانهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله عليه السلام
وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف الاطلاق
في قوله أقلي اللوم عاذل والعتابن او على معنى كل هذا الرأي كلا وكلا على اضمار فعل
يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم الم تر انا ارسلنا الشياطين
على الكافرين بان سلطناهم عليهم او قيضنا لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم وتغريهم
على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله من اقاويل
الكفرة وتماديهم في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات
المتقدمة فلا تعجل عليهم بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم
وتطهر الارض من فسادهم انما نعد لهم اياما لآجالهم عدا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه
لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة يوم نحشر المتقين نجمعهم الى الرحمن
الى ربهم الذي غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شأن ولعله لان
مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها
وفدا وافدين عليه كما تفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق
المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش
او كالدواب التي ترد الماء لا يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد المدلول عليها بذكر
القسمين وهو الناصب لليوم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا الا من تحلى بما يستعد به
ويستاهل ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله او الا من اتخذ
من الله اذنا فيها كقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى
فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف
اي الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون
الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام ٥

قوله على الاصل اي بالتنوين ونصب المفعول وفيه دليل على ان الوالد لا يملك ولده وانه يعتق عليه اذا ملكه

قوله منفردا من الاتباع والانصار يعني انه حال من فاعل آتيه المستتر فاي ينفرد العابدون عن الالهة التي زعموا انها انصار وشفعاء والمعبود عن الاتباع الذين عبدوهم والتفرقة تقتضي عدم النفع ومن لا ينفع لا يفيد فكيف يشبه من بيده الضر والنفع ففي هذا اشارة الى الاستدلال به على ما قبله كما اشار اليه المصنف رحمه الله

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجرأة على الله والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وآدني اثقلني وعظم علي تكاد السموات وقرأ نافع والكسائي بالياء يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاولى ابلغ لان التفعل مطاوع فعّل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل التكلف وتنشق الارض وتخر الجبال هدا تهد هدا او مهدودة او لانها تهد اي تكسر وهو تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوس لم تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ولا يليق به اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولي اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله ان كل من في السموات والارض اي ما منهم الا آتي الرحمن عبدا الا وهو مملوك له يأوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد احصاهم حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته وعدهم عدا عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شيء عنده بمقدار وكلهم آتيه يوم القيامة فردا منفردا عن الاتباع والانصار فلا يجانسه شيء من ذلك

لا يتخذ ولدا ولا يناسبه لتشركه به إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ
لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن
النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا يقول لجبريل احببت فلانا فاحبه فيحبه
جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم
توضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ
بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا دجى الاسلام او لان الموعود في القيمة حين تعرض
حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ
بان انزلناه بلغتك لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ الصائرين الى التقوى وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا
لُدًّا اشداء الخصومة آخذين في كل لد اي شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به
وانذر وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ تخويف للكفرة وتجسير للرسول على انذارهم
هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ هل تشعر باحد منهم وتراه أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا وقرئ تُسمع من
اسمعت والركز الصوت الخفي واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه
في الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر
الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله ٥ ٥

سورة طه مكية وهي مائة واربع وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طه فخمها ابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخم الطاء وحده
ابو عمرو وورش لاستعلائه وامالهما الباقون وهما من اسماء الحروف وقيل معناه يا رجل
على لغة عك فان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار
والاستشهاد بقوله ان السفاهة طه في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين
ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على انه امر للرسول
بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه وان اصله

قوله الذي عند العقل لانه يدرك افعاله
اولا ثم يستدل بها على سائر صفاته ولذا قدم
الخلق وثنى بالرحمة الذي تنال الموجودات
قبل كل شيء لان الخلق مهاد ليس
الترتيب بحسب الوجود فانه
بنفسه ولذا قدم
الارض كما اشار
اليه

طاها فقلبت همزتها هاء او قلبت الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر وضم اليه
ها السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طاها والالف مبدلة من الهمزة والهاء
كناية الارض لكن يرد ذلك كتبهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل او اكتفى
بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما ما انزلنا عليك القران لتشقى خبر طه
ان جعلته مبتدأ على انه مؤول بالسورة او القران فيه واقع والقران فيه واقع
موقع العائد وجواب ان جعلته مقسما به ومنادى له ان جعلته نداء واستئنافا
ان كانت جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدأ او طائفة من الحروف محكية والمعنى
ما انزلنا عليك لا لتتعب او بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق
والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه اشقى من رائض المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله
عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما
رأوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القران انزل عليك لتشقى
به الا تذكرة لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون
بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد
لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر في موقع الحال من الكاف او القران او مفعول
له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القران اي ما انزلنا عليك القران
المنزل لتتعب بتبليغه لمن يخشى لمن في قلبه خشية ورقة يتأثر بالانذار او لمن
علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به تنزيلا نصب باضمار فعله
او بيخشى او على المدح او البدل من تذكرة ان جعل حالا لا ان جعل مفعولا له لفظا
او معنى فان الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ممن خلق الارض والسموات
العلى مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزل بعرض تعظيم المنزل
بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات
التي هي اصول العالم وقدم الارض لانه اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات
العلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها

بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير
حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت مشيته فقال الرحمن على العرش استوى له
ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ليدل بذلك على كمال
قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة
علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على سواء فقال وان تجهر بالقول فانه يعلم السر
واخفى اي وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه
وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله
بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع
والجؤار ثم لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المتفرد بها والمتوحد
بمقتضاها فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ومن في ممن خلق صلة لتنزيلا او
صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين
اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشان ونسبته الى المختص بصفة الجلال والاكرام
والتنبيه على انه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شانه ويجوز
ان انزلنا حكاية كلام جبريل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن بالجر صفة لمن خلق
فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذا ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز
ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهي آخر طبقاتها والحسنى تانيث
الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء لدلالتها على معان هي اشرف المعاني وافضلها
وهل اتاك حديث موسى قفى تمهيد نبوته بقصة موسى ليأتم به في تحمل اعباء النبوة
وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من اوائل ما نزل
اذ رأى نارا ظرف للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر قيل انه استاذن شعيبا عليهما السلام
في الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شاتية
مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد اضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من
جانب الطور نارا فقال لاهله امكثوا اقيموا مكانكم اني آنست نارا ابصرتها ابصارا

لا شبهة فيه وقيل الإيناس إبصار ما يؤنس به لعلي آتيكم منها بقبس بشعلة من النار وقيل جمرة أو أجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق أو يهديني أبواب الدين فإن أفكار الأبرار مائلة إليها في كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الأمر فيهما على الرجاء بخلاف الإيناس فإنه كان محققا ولذلك حققه لهم ليوطنوا أنفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار أن أهلها مشرفون عليها أو مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد إنه لصوق بمكان يقرب منه فلما أتاها أتى النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء نودي يا موسى إني أنا ربك فتحه ابن كثير وأبو عمرو أي بأني وكسره الباقون بإضمار القول أو إجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل إنه لما نودي قال من المتكلم قال إني أنا الله فوسوس إليه إبليس لعنه الله لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله بأني أسمعه من جميع الجهات وبجميع الأعضاء وهو إشارة إلى أنه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل إلى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك أمره بذلك لأن الحفوة تواضع وأدب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فإنهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الأهل والمال إنك بالواد المقدس تعليل للأمر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين طوى عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي أو المقدس أي نودي نداءين أو قدس مرتين وأنا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وإنا اخترناك فاستمع لما يوحى للذي يوحى إليك أو للوحي واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني بدل مما يوحى دال على أنه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والأمر بالعبادة التي هي كمال العمل وأقم الصلاة لذكري خصها بالذكر وأفردها بالأمر للعلة التي أناط بها إقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكري لأني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أو لأن أذكرك بالثناء أو لذكري خاصة لا ترائي بها ولا تشوبها بذكر غيري وقيل

لأوقات

لأوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة أو لذكر صلاتي لما روي أنه عليه السلام قال من نام عن صلاة أو نسيها فليقضها إذا ذكرها إن الله تعالى يقول وأقم الصلاة لذكري إن الساعة آتية كائنة لا محالة أكاد أخفيها أريد إخفاء وقتها أو أقرب أن أخفيها فلا أقول إنها آتية ولولا ما في الإخبار بإتيانها من اللطف وقطع الأعذار لما أخبرت به أو أكاد أظهرها من أخفاه إذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه إذا أظهره لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق بآتية أو بأخفيها على المعنى الأخير فلا يصدنك عنها عن تصديق الساعة أو عن الصلاة من لا يؤمن بها نهي الكافر أن يصد موسى عنها والمراد نهيه أن ينصد عنها كقوله لا أرينك ههنا تنبيها على أن فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وأنه ينبغي أن يكون راسخا في دينه فإن صد الكافر إنما يكون بسبب ضعفه فيه واتبع هواه ميل نفسه إلى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها فتردى فتهلك بالانصداد بصدته وما تلك استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب بيمينك حال من معنى الإشارة وقيل صلة تلك يا موسى تكرير لزيادة الاستئناس والتنبيه قال هي عصاي وقرئ عصي على لغة هذيل أتوكأ عليها أعتمد عليها إذا عييت أو وقفت على رأس القطيع وأهش بها على غنمي وأخبط الورق بها على رؤوس غنمي وقرئ أهس وكلاهما من هش الخبز يهش إذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم أي أنحي عليها زاجرا لها ولي فيها مآرب أخرى حاجات أخر مثل أنه كان إذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل به وإذا قصر الرشاء وصله بها وإذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكأنه عليه السلام فهم أن المقصود من السؤال أن يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى إذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص أخرى خارقة للعادة مثل أن تشتعل شعبتاها بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب عنه إذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر إذا اشتهى ثمرة فركزها

ليعلم ان ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة اخذها الله فيها لاجله وليست من خواصها
فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى انها من جنس العصى تنفع منافع امثالها
ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى
قيل لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصى ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها
جانا تارة نظرا الى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى بالاسم الذي يعم
الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كأنها جان قال
خذها ولا تخف فانه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها
سنعيدها سيرتها الاولى هيئتها وحالتها المتقدمة وهي فعلة من السير
تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض او على ان اعاد منقول من
عاده بمعنى عاد اليه او على الظرف اي سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها
اي سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل
قيل لما قال له ربه عز وجل ذلك اطمأنت نفسه حتى ادخل يده في فمها واخذ بلحييها
واضمم يدك الى جناحك الى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان
كجناحي العسكر استعارة من جناحي الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران
تخرج بيضاء كأنها مشعة من غير سوء من غير عاهة وقبح كنى به عن البرص كما
كنى بالسوأة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه آية اخرى معجزة ثانية
وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول باضمار خذ او دونك
لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بهذا المضمر او بما دل عليه آية او القصة اي
دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة آياتنا او مفعول نريك ومن آياتنا حال
منها اذهب الى فرعون بهاتين الآيتين وادعه الى العبادة انه طغى عصى وتكبر
قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري لما امره الله بخطب عظيم وامر جسيم
سأله ان يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر على مشاقه والتلقي
لما ينزل عليه ويسهل الامر له باحداث الاسباب ورفع الموانع وفائدة لي ابهام المشروح

والميسر ولا تزد فيه بذكر الشدائد والامر تاكيدا ومبالغة **واحلل عقدة من لساني**
يفقهوا قولي فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه
وذلك ان فرعون حمله يوما فاخذ بلحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت آسية
صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل
تبييض يده كان لذلك وقيل احترقت يده واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما
دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال
العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل احتج بقوله
هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه
مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر ومن لساني
يحتمل ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة احلل **واجعل لي وزيرا من اهلي هارون**
اخي يعينني على ما كلفتني به واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن اميره
او من الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برايه ويلتجئ اليه في اموره ومنه الموازرة
وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت
همزتها كقلبها في موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهارون قدم ثانيهما للعناية به ولي صلة
او حال او وزيرا وهارون عطف بيان للوزير او وزيرا من اهلي ولي تبيين كقوله
ولم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه بدل من هارون او مبتدأ خبره **اشدد به ازري**
واشركه في امري على لفظ الامر وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر
كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدي الى تكاثر الخير
وتزايده **انك كنت بنا بصيرا** عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا وان هارون
نعم المعين لي فيما امرتني به **قال قد اوتيت سؤلك يا موسى** اي مسؤولك فعل بمعنى
مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والمأكول **ولقد مننا عليك مرة اخرى** انعمنا
عليك في وقت آخر **اذ اوحينا الى امك** بالهام او في منام او على لسان نبي في وقتها
او ملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم **ما يوحى** ما لا يعلم الا بالوحي او مما ينبغي

٤١٧

ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام به ان اقذفيه في التابوت بان اقذفيه
او اي اقذفيه لان الوحي بمعنى القول فاقذفيه في اليم والقذف يقال للالقاء وللوضع
كقوله تع وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا
فليلقه اليم بالساحل لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول
لتعلق الارادة به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع امر بذلك واخرج الجواب مخرج الامر
والاولى ان تجعل الضماير كلها لموسى عم مراعاة للنظم فالمقذوف في البحر والملقى
الى الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى عم بالعرض يأخذه عدو لي
وعدو له جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة او لان الاول باعتبار الواقع والثاني
باعتبار المتوقع قيل انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته
والقته في اليم وكان يشرع الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى
بركة في البستان وكان فرعون جالسا على راسها مع امرأته آسية بنت مزاحم فامر
به فاخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال والقيت
عليك محبة مني اي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد
يصبر عنك من رآك فلذلك احبك فرعون ويجوز ان يتعلق مني بالقيت اي
احببتك ومن احبه الله احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله
وهو شاطئه لان الماء يسحله فالتقط منه لكن لا يبعد ان يؤول الساحل بجنب
فوهة نهره ولتصنع على عيني ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك والعطف
على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك او على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل
فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على الامر ولتصنع بالنصب وفتح
التاء اي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن امري اذ تمشي اختك ظرف
لالقيت ولتصنع او بدل من اذ اوحينا على ان المراد بها وقت متسع فتقول هل ادلكم
على من يكفله وذلك انه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت اخته مريم متفحصة
خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم فجاءت بامه

فقبل

فتقبل بديها فرجعناك الى امك وفاء بقولنا انا رادوه اليك كي تقر عينها بلقائك
ولا تحزن هي بفراقك او انت بفراقها وفقد اشفاقها وقتلت نفسا نفس القبطي الذي
استغاثه عليه الاسرائيلي فنجيناك من الغم غم قتله خوفا من عقاب الله واقتصاص فرعون
بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين وفتناك فتونا وابتليناك ابتلاء او انواعا من
الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجزة وبدرة
فخلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال ما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة
الالاف والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى غير ذلك اوله ما
سبق ذكره فلبثت سنين في اهل مدين لبثت فيهم عشر سنين قضاء لاوفى
الاجلين ومدين على ثماني مراحل من مصر ثم جئت على قدر قدرته لان اكلمك
واستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر او على مقدار من السن يوحى فيه
الى الانبياء يا موسى كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك واصطنعتك
لنفسي واصطفيتك لمحبتي مثله فيما خولته من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه
اذهب انت واخوك باياتي بمعجزاتي ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ ولا
تنيا بكسر التاء في ذكري لا تنسياني حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري والدعاء
الي اذهبا الى فرعون انه طغى امر به اولا موسى وحده وههنا اياه واخاه فلا تكرير
وقيل اوحي الى هارون ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله فقولا له
قولا لينا مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة في صورة عرض
ومشورة حذرا ان تحمله الحماقة على ان يسطو عليكما او احتراما لما له من حق التربية
عليك وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه
شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول الا بالموت لعله يتذكر او يخشى متعلق باذهبا
او قولا اي باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر ولا يخيب سعيكما فان الراجي مجتهد
والايس متكلف والفائدة في ارسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه بانه لا
يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الايات

والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول اي ان لم يتحقق صدقكما ولم
يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان يعجل علينا
بالعقوبة ولا يصبر الى تمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط و
فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطته اذا حملته على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل
من استكبار او خوف على الملك وشيطان انسي وجني على المعاجلة بالعقاب ويفرط
من الافراط في الاذية او ان يطغى وان يزداد طغيانا فيتخطى الى ان يقول فيك ما
لا ينبغي لجراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب قال لا تخافا انني معكما بالحفظ والنصرة
اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فاحدث في كل حال ما يصرف شره
عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما سامعا مبصرا
والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ فاتياه فقولا انا رسولا ربك
فارسل معنا بني اسرائيل اطلقهم ولا تعذبهم بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان
فانهم كانوا في ايدي القبط يستخدمونهم ويتعبونهم في العمل ويقتلون ذكور
اولادهم في عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين
من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون للتدريج في الدعوة قد جئناك
باية من ربك جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما
وحد الاية وكان معه ايتان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى
وحدة الحجة وتعددها وكذلك قد جئتكم ببينة فأت باية او لو جئتك بشيء مبين
والسلام على من اتبع الهدى وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين او السلامة
في الدارين لهم انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى ان عذاب المنزلين
على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد
في اوائل الامر اهم وانجع وبالواقع اليق قال فمن ربكما يا موسى اي بعدما اتياه وقالا له
ما امرا به ولعله حذف لدلالة الحال فان المطيع اذا امر بشيء فعله لا محالة وانما
خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه او لانه عرف

ان له ربا ولاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله اما انا خير من هذا الذي هو
مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذي اعطى كل شيء من الانواع خلقه صورته وشكله
الذي يطابق كماله الممكن له او اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به وقدم
المفعول الثاني لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة
زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثاني
محذوفا اي اعطى كل مخلوق ما يصلحه ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطى وكيف
يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره في
اعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته على ان الغني القادر بالذات المنعم
على الاطلاق هو الله تعالى وان ما عداه مفتقر اليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته
وافعاله ولذلك بهت الذي كفر وافحم عن الدخل عليه فلم ير الا صرف الكلام عنه
قال فما بال القرون الاولى فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة قال
علمها عند ربي اي انه غيب لا يعلمه الا هو وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني
به في كتاب مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه
العالم وقيده بالكتبة ويؤيده لا يضل ربي ولا ينسى والضلال ان تخطئ الشيء في
مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم
بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله تعالى بالاشياء كلها وتخصيصه
ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الاشياء
وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد اطرافهم كيف
احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك
كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهادا مرفوع صفة
لربي او خبر محذوف او منصوب على المدح وقرأ الكوفيون مهدا اي كالمهد تتمهدونها
وهو مصدر سمي به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش او جمع مهد
وسلك لكم فيها سبلا وحصل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبراري

قوله سمي به اي جعل اسم جنس لما يمهد للصبي
وهو مفعول جعل الثاني ان كانت بمعنى صير وجهه
الظاهر او حال ان كانت بمعنى خلق وجوز ان ينتصب
بفعله على المصدرية وتضمنه بفعل مقدر من لفظه
اي تمهد بها قرنه اي بمعنى بسطها ووطأها والجملة حال من
الفاعل او المفعول واذا كان جمعا فهو ككعب وكعاب
والمشهور في جمعه مهود وقوله كالمهد متعلق بقوله تمهدونها
مقدم عليه وقيل تمهدونها صفة المهد لانه معنى نكرة

تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها وانزل من السماء ماء مطرا فاخرجنا
به عدل به عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تنبيها على ظهور
ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء
المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء
فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء
ماء فانبتنا به حدائق ازواجا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض
من نبات بيان وصفة لازواجا وكذلك شتى ويحتمل ان يكون صفة للنبات فانه
من حيث انه مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض
ومرضى اي متفرقات في الصور والاغراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها
للبهائم فلذلك قال كلوا وارعوا انعامكم وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول
اي اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى معديها لانتفاعكم بالاكل
والعلف آذنين فيه ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن اتباع
الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية منها خلقناكم فان التراب اصل خلقة اول آبائكم واول
مواد ابدانكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء ومنها نخرجكم تارة اخرى
بتاليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة ورد الارواح اليها
ولقد اريناه آياتنا بصرناه اياها او عرفناه صحتها كلها تاكيد لشمول الانواع او لشمول
الافراد على ان المراد بآياتنا آيات معهودة وهي الآيات التسع المختصة بموسى او انه عم
اراه آياته وعدد عليه ما اوتي غيره من المعجزات فكذب موسى من فرط عناده وابى الايمان
والطاعة لعتوه قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا ارض مصر بسحرك يا موسى هذا تعلل
وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان الساحر لا يقدر ان يخرج
ملكا مثله من ارضه فلنأتينك بسحر مثله مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا وعدا
لقوله لا نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب
مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف

اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى
فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم او باضمار مثل
مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ
يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته
الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدا في الشذوذ وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وعاصم
بالضم وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم وانما
عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار وان
يحشر الناس ضحى عطف على اليوم او الزينة وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب
فرعون وبالياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون على ان الخطاب لقومه فتولى
فرعون فجمع كيده ما يكاد به يعني السحرة وآلاتهم ثم اتى بالموعد قال لهم موسى ويلكم
لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا آياته سحرا فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستأصلكم
به وقرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت
لغة الحجاز وقد خاب من افترى كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه
فلم ينفعه فتنازعوا امرهم بينهم اي تنازعت السحرة في امر موسى حين سمعوا كلامه
فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة واسروا النجوى بان موسى ان غلبنا اتبعناه
او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا في السر وقيل الضمير لفرعون
وقومه وقوله قالوا ان هذان لساحران تفسير لاسروا النجوى كانهم تشاوروا في تلفيقه
حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا
الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران
خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل على خبر المبتدأ وقيل
اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف
وقرأ ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على انها هي المخففة واللام
هي الفارقة او النافية بمعنى الا يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بالاستيلاء عليها

ان هذان لساحران

P13

واعلم ان القراء اختلفوا في قراءة قوله تعالى ان هذان لساحران فقرأ ابن كثير وحده ان هذانّ
بتخفيف ان وبالالف وتشديد النون ... وحفص كذلك الا انه خفف نون هذان
وقرأ ابو عمرو انّ بالتشديد هذين بالياء وتخفيف النون والباقون كذلك الا انهم قرأوا
هذان بالالف فاما القراءة الاولى وهي قراءة ابن كثير وحفص فاوضح القراءات لفظا
وخطا وذلك انهما جعلا ان المخففة من الثقيلة فاهملت على ما هو الافصح فانها انما
عملت لشبهها بالفعل من وجوه ولما خففت زال الشبه اللفظي فلا اشكال في
ان وانما اهملت كما هو الافصح من وجهيها خيف التباسها بالنافية فجيء باللام
في الخبر فهذان مبتدأ ولساحران خبره وقد وافقت خط المصحف فان الرسم هذن
بدون الالف وتشديد نون هذان من ابن كثير للفرق بين الاسماء المتمكنة وغير المتمكنة
واما الكوفيون فيزعمون ان ان هنا نافية بمعنى ما واللام بمعنى الا وهو
خلاف ... لما علق المصنف قوله ... شيخ زاده عليه الرحمه

بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء
دينه لقوله اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم
كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه
القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم فاجمعوا كيدكم فازمعوه واجعلوه مجمعا
عليه لا يتخلف عنه واحد منكم وقرا ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير في
قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب في صدور
الناس قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة
وقد افلح اليوم من استعلى فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى
اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى اي بعدما اتوا مراعاة للادب وان بما بعدها منصوب
بفعل مضمر او مرفوع بخبرية محذوف اي اختر القاءك اولا او الامر القاؤك او القاؤنا
قال بل القوا مقابلة ادب بادب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا من
الميل الى البدء بذكر الاول في شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما معهم
ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى اي فالقوا فاذا حبالهم وهي
للمفاجاة والتحقيق انها ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها
خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجا موسى
وقت تخيل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك بانهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت
عليها الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك وقرا ابن عامر وروح تخيل بالتاء
على اسناده الى الله وتخيل بمعنى تتخيل فاوجس في نفسه خيفة موسى فاضمر فيها
خوفا من مفاجاته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا
يتبعوه قلنا لا تخف ما توهمت انك انت الاعلى تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدا
بالاستيناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على
الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها

اى لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الذى فى يدك او تعظيما لها اى لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان فى يمينك ما هو اعظم منها اثرا فالقه تلقف ما صنعوا تبتلعه بقدرتنا واصله تتلقف فحذفت احدى التائين وتاء المضارعة تحتمل التانيث والخطاب على اسناد الفعل الى المسبب وقرا ابن عامر بالرفع على الحال والاستيناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته انما صنعوا ان الذى زوروا وافتعلوا كيد ساحر وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرا حمزة والكسائى سحر بمعنى ذى سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال ولا يفلح الساحر اى هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج يوم ترى النفوس ما اعدت في سعى دنيا طال ما قد مدت كانه قيل انما صنعوا كيد سحرى حيث اتى حيث كان واين اقبل فالقى السحرة سجدا اى فالقى فتلقفت فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو من ايات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا واعتابا وتعظيما لما راوا قالوا امنا برب هرون وموسى قدم هرون لكبر سنه او لروى الاية ولان فرعون ربى موسى فى صغره فلو اقتصر على موسى او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روى انهم رفعوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قال امنتم له اى لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع قبل ان اذن لكم فى الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم فى فنكم واعلمكم به او لاستاذكم الذى علمكم السحر وانتم تواطاتم على ما فعلتم فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتدا من مخالفة العضو العضو وهى مع المجرور بها فى حيز النصب على الحال اى لاقطعنها مختلفات وقرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف ولاصلبنكم فى جذوع النخل شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو اول من صلب ولتعلمن اينا يريد نفسه وموسى لقوله امنتم له واللام مع الايمان فى كتاب الله لغير الله اراد به توضيع موسى والهزء به فانه لم يكن

قوله يريد نفسه وموسى تفسير الضمير المتكلم مع غيره فالمراد بالغير عليه السلام موسى بقرينة تقدم ذكره فى قوله امنتم له ولاحتمال كون الضمير لله اشار الى دفعه بان الايمان اذا تعدى باللام فهو بمعنى الانقياد ولم يقل الاتباع لما مر وان فى نسخة فيما مر بمعنى الاتباع بالباء وح لا يرد ما مر

٤٢١

من التعذيب فيّ ومكّ ربّ موسى الذي آمنوا به أشدّ عذاباً وأبقى وأدوم عقاباً قالوا
لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا موسى به ويجوز أن يكون الضمير فيه لما من البينات
المعجزات الواضحات والذي فطرنا عطف على ما جاءنا أو قسم فاقض ما أنت قاض
ما أنت قاضيه أي صانعه أو حاكم به إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنما تصنع ما
تهواه أو تحكم بما تراه في هذه الدنيا والآخرة خير وأبقى فهو
كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحيوة الدنيا كقولك صيم
يوم الجمعة إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي وما أكرهتنا
عليه من السحر في معارضة المعجزة روي أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائماً فوجد
تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فإن الساحر إذا نام بطل سحره فأبى إلا أن يعارضوا
والله خير وأبقى جزاءً أو خير ثواباً وأبقى عقاباً إنه إن الأمر من يأت ربه مجرماً
بأن يموت على كفره وعصيانه فإن له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى
حياة مهنأة ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات في الدنيا فأولئك لهم الدرجات العلى
المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها حال والعامل فيها معنى الإشارة أو الاستقرار وذلك جزاء من تزكى تطهر
من أدناس الكفر والمعاصي والآيات الثلاث يحتمل أن يكون من كلام السحرة وأن يكون
ابتداء كلام من الله ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي أي من مصر فاضرب لهم
طريقاً فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهماً أو فاتخذ من ضرب اللبن إذا
عمله في البحر يبساً يابساً مصدر وصف به يقال يبس يبساً ويبساً كسقم سقماً وسقماً
ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتي جف لبنها وقرئ يبساً وهو إما مخفف
منه أو وصف على فعل كصعب أو جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله
كأن قتود رحلي حين ضمت حوالب غرزاً ومعى جياعاً أو لتعدده معنى فإنه جعل
لكل سبط منهم طريقاً لا تخاف دركاً حال من المأمور أي آمناً من أن يدرككم
العدو أو صفة ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لا تخف على جواب الأمر ولا

تخشى

تخشى استئنافا اى وانت لا تخشى او عطف عليه والالف للاطلاق كقوله وتظنون
بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى ولا تخشى الغرق فاتبعهم فرعون بجنوده
وذلك ان موسى خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون بذلك فقص اثرهم والمعنى فاتبعهم
فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثانى وقيل فاتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به
والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده وذادهم خلفهم فغشيهم من
اليم ما غشيهم الضمير لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة اى غشيهم
ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرئ فغشاهم ما غشاهم اى غطاهم ما
غطاهم والفاعل هو الله تع او ما غشاهم او فرعون لانه الذى ورطهم للهلاك
واضل فرعون قومه وما هدى اى اضلهم فى الدين وما هداهم وهو تهكم به فى
قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او اضلهم فى البحر وما نجا يا بنى اسرائيل خطاب
لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا او للذين منهم فى عهد النبى
صلى الله عليه وسلم بما فعل بآبائهم قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه وواعدناكم
جانب الطور الايمن لمناجاة موسى وانزال التورية عليه وانما عدى المواعدة اليهم
وهى لموسى او له وللسبعين المختارين للملابسة ونزلنا عليكم المن والسلوى
يعنى فى التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم يعنى لذائذه او حلالاته وقرأ حمزة
والكسائى انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على التاء وقرئ ووعدتكم ووعدناكم
والايمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم بالاخلال
بشكره والتعدى لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق فيحل
عليكم غضبى فيلزمكم عذابى ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبى
فقد هوى فقد تردى وهلك وقيل وقع فى الهاوية وقرأ الكسائى يحل ويحلل بالضم من
حل يحل اذا نزل وانى لغفار لمن تاب عن الشرك وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا
ثم اهتدى ثم استقام على الهدى المذكور وما اعجلك عن قومك يا موسى سؤال
عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة فى نفسها انضم اليها اغفال

القوم وإيهام التعظيم عليهم فلذلك أجاب موسى عن الأمرين وقدم جواب الإنكار لأنه أهم
قال هم أولاء على أثري ما تقدمتهم إلا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم
إلا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا وعجلت إليك رب لترضى فإن
المسارعة إلى امتثال أمرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك قال فإنا قد فتنا قومك
من بعدك ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون
وكانوا ستمائة ألف وما نجا من عبادة العجل منهم إلا اثنا عشر ألفا وأضلهم السامري
باتخاذ العجل والدعاء إلى عبادته وقرئ وأضلهم أي أشدهم ضلالة لأنه كان ضالا
ومضلا وإن صح أنهم أقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بأيامها
أربعين وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل وأن هذا الخطاب كان له عند مقدمه
إذ ليس في الآية ما يدل عليه كان ذلك إخبارا من الله له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته
فإن أصل وقوع الشيء أن يكون في علمه ومقتضى مشيئته والسامري منسوب إلى
قبيلة من بني إسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من أهل باجرما
واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى إلى قومه بعد ما استوفى الأربعين وأخذ
التوراة غضبان عليهم أسفا حزينا بما فعلوا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا
بأن يعطيكم التوراة فيها هدى ونور أفطال عليكم العهد أي الزمان يعني زمان مفارقته
لهم أم أردتم أن يحل عليكم أن يجب عليكم غضب من ربكم بعبادة ما هو مثل في الغباوة
فأخلفتم موعدي وعدكم إياي بالثبات على الإيمان بالله والقيام على ما أمرتكم به
وقيل هو من أخلفت وعده إذا وجدت الخلف فيه أي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الأربعين
وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذي يليه ولا جوابهم له قالوا ما
أخلفنا موعدك بملكنا بأن ملكنا أمرنا إذ لو خلينا وأمرنا ولم يسول لنا السامري
لما أخلفناه وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي بالضم وثلثتها في الأصل لغات
في مصدر ملكت الشيء ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم أحمالا من حلي القبط
التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا

ليس

لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة أن يعلموا به وقيل هي ما ألقاه البحر على الساحل
بعد إغراقهم فأخذوه ولعلهم سموها أوزارا لأنها آثام فإن الغنائم لم تكن تحل
بعد ولأنهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي فقذفناها
أي في النار فكذلك ألقى السامري أي ما كان معه منها روي أنهم لما حسبوا أن العدة
قد كملت قال لهم السامري إنما أخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام
عليكم فالرأي أن نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا وقرأ
أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف فأخرج لهم عجلا
جسدا من تلك الحلي المذابة له خوار صوت العجل فقالوا يعني السامري ومن افتتن به
أول ما رآه هذا إلهكم وإله موسى فنسي فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور
أو فنسي السامري أي ترك ما كان عليه من الإيمان أفلا يرون أفلا يعلمون ألا يرجع
إليهم قولا أنه لا يرجع إليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف
لأن أن الناصبة لا تقع بعد أفعال اليقين ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر على
إنفاعهم وإضرارهم ولقد قال لهم هارون من قبل من قبل رجوع موسى أو قول السامري
كأنه أول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم يا قوم
إنما فتنتم به بالعجل وإن ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني وأطيعوا أمري في الثبات
على الدين قالوا لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع
إلينا موسى وهذا الجواب يؤيد الوجه الأول قال يا هارون أي قال له موسى لما رجع
ما منعك إذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل ألا تتبعن أن تتبعني في الغضب لله والمقاتلة
مع من كفر به أو أن تأتي عقبي وتلحقني ولا مزيدة كما في قوله ما منعك أن لا تسجد أفعصيت
أمري بالصلابة في الدين والمحاماة عليه قال يا ابن أم خص الأم استعطافا وترقيقا
وقيل لأنه كان أخاه من الأم والجمهور على أنهما كانا من أب وأم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي
أي بشعر رأسي قبض عليهما يجره إليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه السلام
حديدا خشنا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل إني خشيت أن تقول

فرقت بين بني اسرائيل لو قاتلت وفارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولي حين
قلت اخلفني في قومي واصلح فان الاصلاح كان في حفظ الدهماء والمداراة بهم الى
ان ترجع اليهم فتدارك الامر برايك قال فما خطبك يا سامري اي ثم اقبل عليه
وقال له منكرا ما خطبك اي ما طلبك له وما الذي حملك عليه وهو مصدر خطب
الشيء اذا طلبه قال بصرت بما لم يبصروا به وقرا حمزة والكسائي بالتاء على
الخطاب اي علمت بما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له وهو ان الرسول الذي جاءك
روحاني محض لا يمس اثره شيئا الا احياه او رايت ما لم تروه وهو ان جبريل جاءك
على فرس الحياة قيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبريل
يغذوه حتى استقل فقبضت قبضة من اثر الرسول من تربة موطئه والقبضة المرة
من القبض واطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول للاخذ بجميع
الكف والثاني للاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبريل
ولعله لم يسمه لانه لم يعرف انه جبريل او اراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل
اليه ليذهب به الى الطور فنبذتها في الحلي المذاب او في جوف العجل حتى حيي وكذلك
سولت لي نفسي زينته وحسنته لي قال فاذهب فان لك في الحياة عقوبة على
ما فعلت ان تقول لا مساس خوفا ان يمسك احد فتاخذك الحمى ومن مسك فتحامى الناس
ويتحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشي النافر وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة
وان لك موعدا في الآخرة لن تخلفه لن يخلفكه الله وينجزه لك في الآخرة بعد
ما عاقبك في الدنيا وقرا ابن كثير والبصريان بكسر اللام اي لن تخلفه الواعد اياه
وستاتيه لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون
من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله وانظر الى الهك الذي
ظلت عليه عاكفا ظللت على عبادته مقيما فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء
على نقل حركة اللام اليها لنحرقنه اي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة
في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه لنذرينه رمادا او مبرودا

وفي

وقرئ بضم السين في اليم نسفا فلا يصادف منه شيء والمقصود من ذلك زيادة عقوبته
واظهار غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر انما الهكم المستحق لعبادتكم الله الذي
لا اله الا هو اذ لا احد يماثله او يدانيه في كمال العلم والقدرة وسع كل شيء علما
وسع علمه كل ما يصح ان يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وان كان حيا في نفسه
كان مثلا في الغباوة وقرئ وسّع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه وان انتصب
على التمييز في المشهور لكنه فاعل في المعنى فلما عدي الفعل بالتضعيف الى المفعول
صار مفعولا كذلك مثل ذلك الاقتصاص يعني قصة موسى نقص عليك من
انباء ما قد سبق من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة
في علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك وقد آتيناك
من لدنا ذكرا كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار
والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس من اعرض عنه
عن الذكر الذي هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله فانه يحمل
يوم القيامة وزرا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها
في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره
او اثما عظيما خالدين فيه في الوزر او في حمله والجمع فيه والتوحيد في اعرض للحمل
على المعنى واللفظ وساء لهم يوم القيامة حملا اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره
حملا والمخصوص بالذم محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت
لك ولو جعلت ساء بمعنى احزن والضمير الذي فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب
حملا ولم يفد مزيد معنى يوم ينفخ في الصور وقرا ابو عمرو بالنون على اسناد
النفخ الى الآمر به تعظيما له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله
او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ في الصور وهو جمع
صورة وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ وقرئ ويحشر المجرمون
زرقا زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب

لان الروم كانوا اعدى عدائهم وهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد
اصهب السبال ازرق العين او عميا فان حدقة الاعمى تزرق يتخافتون بينهم يخفضون
اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم
الا عشرا اي في الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآ
او لتأسفهم عليها لما عاينوا من الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء
الاوطار واتباع الشهوات او في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى اخر الايات نحن اعلم
بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رايا او عملا ان لبثتم
الا يوما استرجاع لقول من يكون اشد تقالا منهم ويسألونك عن الجبال عن مآل
امرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف فقل ينسفها ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم
يرسل الرياح فتفرقها فيذرها فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة
الجبال عليها كقوله تع ما ترك على ظهرها من دابة قاعا صفصفا خاليا مستويا كأن اجزاءها
على صف واحد لا ترى فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا ان تأملت فيها بالمقياس
الهندسي وثلاثتها احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس
ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص المعاني والامت وهو النتوء اليسير وقيل لا ترى
استيناف مبين للحالين يومئذ اي يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف
ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيمة يتبعون الداعي اي داعي الله الى المحشر قيل
هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب الى صوبه
لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن خفضت لمهابته
فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس
بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن
الاستثناء من الشفاعة اي الا شفاعة من اذن او من اعم المفاعيل اي الا من اذن
في ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع بالبدلية واذن يحتمل ان
يكون من الاذن وعلى الثاني منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن

اومن

أو من الأذن ورضي له قولا أي ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة أو رضي لأجله
قول الشافع في شأنه يعلم ما بين أيديهم ما تقدمهم من الأحوال وما خلفهم وما بعدهم
مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير
لأحد الموصولين أو لمجموعهما فإنهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت
الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الأسارى في يد الملك القهار
وهو يقتضي العموم ويجوز أن يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام بدل الإضافة ويؤيده
وقد خاب من حمل ظلما وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لأجله عنت وجوههم
ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن إذ الإيمان شرط في صحة الطاعات
وقبول الخيرات فلا يخاف ظلما منع ثواب مستحق بالوعد ولا هضما ولا كسرا منه
بنقصان أو جزاء ظلم وهضم لأنه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف على
النهي وكذلك عطف على كذلك نقص أي مثل ذلك الإنزال أو مثل إنزال هذه الآيات
المتضمنة للوعيد أنزلناه قرآنا عربيا كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد
مكررين فيه آيات الوعيد لعلهم يتقون المعاصي فتصير التقوى لهم ملكة أو
يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا حين يسمعونها فتثبطهم عنها ولهذه النكتة أسند
التقوى إليهم والإحداث إلى القرآن فتعالى الله في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل
ذاته ذاتهم الملك النافذ أمره ونهيه الحقيق بأن يرجى وعده ويخشى وعيده الحق
في ملكوته يستحقه لذاته أو الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن من قبل أن
يقضى إليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل ومساوقته في القراءة
حتى يتم وحيه بعد ذكر الإنزال على سبيل الاستطراد وقيل نهي عن تبليغ ما كان
مجملا قبل أن يأتي بيانه وقل رب زدني علما أي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فإن ما أوحي إليك
تناله لا محالة ولقد عهدنا إلى آدم ولقد أمرناه يقال تقدم الملك إليه وأوعز إليه
وعزم عليه وعهد إليه إذا أمره واللام جواب قسم محذوف وإنما عطف قصة آدم
على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على أن أساس بني آدم على العصيان وعرقهم

وانسخ النسيان من قبل هذا الزمان فنسي العهد ولم يعن به حتى غفل عنه
او ترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة ولم نجد له عزما تصميم رأي وثبات
على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله ولم يستطع تغريره ولعل ذلك
كان في بدء امره قبل ان يجرب الامور ويذوق أريها وشريها وعن النبي صلى الله عليه
وسلم لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما
وقيل عزما على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمد ونجد ان كان من الوجود الذي بمعنى
العلم فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما او
متعلق بنجد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم مقدر باذكر اي اذكر حاله في ذلك
الوقت ليتبين لك انه نبي ولم يكن من اولي العزيمة والثبات فسجدوا الا ابليس قد
سبق القول فيه ابى جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى
هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود والمدلول عليه بقوله فسجدوا لان معناه اظهر الاباء
عن المطاوعة فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا
لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما من الجنة
فتشقى افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشتراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه
شقاءها من حيث انه قيم عليها ومحافظة على الفواصل ولان المراد بالشقاء التعب في
طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى
وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه بيان وتذكير لما له في الجنة من اسباب الكفاية
واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي
في تحصيل اعواض عنها ما عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة
المحذر عنها والعاطف وان ناب عن ان لكنه ناب من حيث انه عامل لا من حيث انه حرف تحقيق
فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه فوسوس اليه الشيطان فانهى
اليه وسوسته قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد الشجرة التي من اكل منها
خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانها سببه بزعمه وملك

لا يبلى لا يزول ولا يضعف فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما
من ورق الجنة اخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين وعصى
آدم ربه باكل الشجرة فغوى فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة
او عن المأمور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل
اذا اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة
وزجر بليغ لاولاده عنها ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة و
التوفيق له من جبى الى كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة
الجمع فتاب عليه فقبل توبته لما تاب وهدى الى الثبات على التوبة والتشبث
باسباب العصمة قال اهبطا منها جميعا الخطاب لآدم وحواء او له ولابليس ولما
كانا اصل الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال بعضكم لبعض عدو لامر المعاش كما
عليه الناس من التجاذب والتحارب ولاختلاف حال كل من النوعين بواسطة الآخر
ويؤيد الاول قوله فاما يأتينكم مني هدى كتاب ورسول فمن اتبع هداي فلا
يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن اعرض عن ذكري عن الهدى الذاكر لي والداعي
الى عبادتي فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه
المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همه ومطامح نظره تكون الى اعراض
الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع
انه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة
ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا الآيات وقيل
هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء على
لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة لانه جواب الشرط يوم القيامة اعمى
اعمى البصر او القلب ويؤيد الاول قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقد
اما لهما حمزة والكسائي لان الالف منقلبة عن الياء وفرق ابو عمرو بان الاول راس الآية
ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير قال كذلك اي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال اتتك

آياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها وكذلك ومثل تركك
اياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب وكذلك نجزي من اسرف بالانهماك
في الشهوات والاعراض عن الآيات ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها وخالفها ولعذاب
الآخرة وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اي وللنار بعد ذلك اشد وابقى من ضنك
العيش او منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله او مما فعله
من ترك الآيات والكفر بها افلم يهد لهم مسند الى الله تع او الرسول عم او ما دل عليه
كم اهلكنا قبلهم من القرون اي اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل
على الاولين معلق يجري مجرى اعلم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم
ويشاهدون آثار هلاكهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول الناهية
عن التغافل والتعامي ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتاخير عذاب
هذه الامة الى الآخرة لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء
الكفرة وهو مصدر وصف به او اسم آلة سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم
واجل مسمى عطف على كلمة اي ولولا العدة بتاخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم
وهو يوم القيمة لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم
ويجوز عطفه على المستكن في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له فاصبر
على ما يقولون وسبح بحمد ربك وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه
او نزهه عن الشرك وعن سائر ما يضيفون اليه من النقائص حامدا له على ما
ميزك بالهدى معترفا بانه المولي للنعم كلها قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها
يعني الظهر والعصر لانهما في آخر النهار او العصر وحده ومن آناء الليل ومن ساعاته
جمع اني بالكسر والقصر وآناء بالفتح والمد فسبح يعني المغرب والعشاء وانما
قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى
الاستراحة فكانت العبادة فيه احمز ولذلك قال تع ان ناشئة الليل هي اشد وطأ
واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلاتي الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع

لأمن الالباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلاة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخير وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع في اجزاء النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك وقرأ الكسائي وابو بكر بالبناء للمفعول اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك الى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحياة الدنيا منصوب بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف ودونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهي لغة كالجهرة في الجهر او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم في الاخرة بسببه ورزق ربك وما ادخر لك في الاخرة او ما رزقك من الهدى والنبوة خير مما منحهم في الدنيا وابقى فانه لا ينقطع وامر اهلك بالصلاة امره بان يامر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلاة بعدما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر عليها وداوم عليها لا نسألك رزقا ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الاخرة والعاقبة المحمودة للتقوى لذوي التقوى روي انه عم كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلاة وتلا هذه الآية وقالوا لولا يأتينا باية من ربه باية تدل على صدقه في ادعاء النبوة او باية مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات او للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن الذي هو ام المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولا شك ان العلم اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه

أبين من وجوه إعجازه المختصة بهذا الباب فقال أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى من التورية والإنجيل وسائر الكتب السماوية فإن اشتماله على زبدة ما فيها من العقائد والأحكام الكلية مع أن الآتي بها أمي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها إعجاز بين وفيه إشعار بأنه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث إنه معجز وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة إلى ما يشهد على صحتها وقرئ الصحف بالتخفيف ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد صلى الله عليه وسلم أو البينة والتذكير لأنها في معنى البرهان والمراد بها القرآن لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى بالقتل والسبي قل كل منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول إليه أمرنا وأمركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي المستقيم وقرئ السواء أي الوسط الجيد والسوأى والسوء أي الشر والسوي وهو تصغيره ومن اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز أن تكون الثانية موصولة بخلاف الأولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على أن العلم بمعنى المعرفة أو على أصحاب أو على الصراط على أن المراد به النبي صلعم وعنه عم من قرأ سورة طه أعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ٥ ٥ ٥

سورة الأنبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم بالإضافة إلى ما مضى أو عند الله تعالى لقوله إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أو لأن كل ما هو آت قريب وإنما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب أو تأكيد للإضافة وأصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله وهم في غفلة معرضون أي في غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز أن

يكون

يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما يأتيهم من ذكر ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفة لذكر أو صلة ليأتيهم محدث تنزيله ليكرر على أسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل إلا استمعوه وهم يلعبون يستهزئون به ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك لاهية قلوبهم أي استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهي والذهول عن التفكر فيه ويجوز أن يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على أنه خبر آخر للضمير وأسروا النجوى بالغوا في إخفائها أو جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها الذين ظلموا بدل من واو وأسروا للإيماء بأنهم ظالمون فيما أسروا به أو فاعل له والواو لعلامة الجمع أو مبتدأ والجملة المتقدمة خبره وأصله وهؤلاء أسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم أو منصوب على الذم هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون بأسره في موضع النصب بدلا من النجوى أو مفعولا لقول مقدر كأنهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم أن الرسول لا يكون إلا ملكا واستلزموا منه أن ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فأنكروا حضوره وإنما أسروا به تشاورا في استنباط ما يهدم أمره ويظهر فساده للناس عامة قل ربي يعلم القول في السماء والأرض جهرا كان أو سرا فضلا عما أسروا به فهو آكد من قوله قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله وأسروا النجوى وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال بالإخبار عن الرسول وهو السميع العليم فلا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يضمرون بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر إضراب لهم عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط الأحلام ثم إلى أنه كلام افتراه ثم إلى أنه قول شاعر والظاهر أن بل الأولى لتمام حكاية والابتداء بأخرى أو للإضراب عن تحاورهم في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وما ظهر عليه من الآيات إلى تقاولهم في أمر القرآن والثانية والثالثة لإضرابهم عن كونه أباطيل خيلت إليه وخلطت عليه إلى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء

نفسه ثم إلى أنه كلام شعري يخيل إلى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها و
أن يكون الكل من الله تنزيلا لأقوالهم في درج الفساد لأن كونه شعرا أبعد من
كونه مفترى لأنه مشحون بالحقائق والحكم وليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو
من كونه أحلاما لأنه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون
كذلك بخلاف الأحلام ولأنهم جربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا وأربعين
سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو من كونه سحرا لأنه يجانسه من حيث إنهما من
الخوارق فليأتنا بآية كما أرسل الأولون أي كما أرسل به الأولون مثل اليد البيضاء
والعصا وإبراء الأكمه وإحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث أن الإرسال يتضمن
الإتيان بالآية ما آمنت قبلهم من قرية من أهل قرية أهلكناها باقتراح الآيات
لما جاءتهم أفهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم أعتى منهم وفيه تنبيه على أن عدم الإتيان
بالمقترح للإبقاء عليهم إذ لو أتي به لم يؤمنوا واستوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم
وما أرسلنا قبلك إلا رجالا يوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون
جواب لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم يأمرهم أن يسألوا أهل الكتاب عن حال الرسل
المتقدمة لتزول عنهم الشبهة والإحالة عليهم إما للإلزام فإن المشركين كانوا يشاورونهم
في أمر النبي صلى الله عليه وسلم ويثقون بقولهم أو لأن إخبار الجم الغفير يوجب العلم
وإن كانوا كفارا وقرأ حفص نوحي بالنون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام
وما كانوا خالدين نفي لما اعتقدوا أنها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لأنهم كانوا أبشارا
مثلهم وقيل جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وما كانوا
خالدين تأكيد وتقرير له فإن التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي إلى الفناء
وتوحيد الجسد لإرادة الجنس أو لأنه مصدر في الأصل أو على حذف المضاف أو تأويل
الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران
وقيل جسم ذو تركيب لأن أصله لجمع الشيء واشتداده ثم صدقناهم الوعد في
الوعد فأنجيناهم ومن نشاء يعني المؤمنين ومن في إبقائه حكمة كمن سيؤمن هو

او احد

او احد من ذريته ولذلك حميت العرب من عذاب الاستئصال وأهلكنا المسرفين
في الكفر والمعاصي لقد أنزلنا إليكم يا قريش كتابا يعني القرآن فيه ذكركم صيتكم
كقوله وإنه لذكر لك ولقومك أو موعظتكم أو ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم
الأخلاق أفلا تعقلون فتؤمنون وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب عظيم
لأن القصم كسر يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف الفصم كانت ظالمة صفة لأهلها
وصفت بها لما أقيمت مقامه وأنشأنا بعدها بعد إهلاك أهلها قوما آخرين مكانهم
فلما أحسوا بأسنا فلما أدركوا شدة عذابنا إدراك المشاهد المحسوس والضمير
للأهل المحذوف إذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو
مشبهين بهم من فرط إسراعهم لا تركضوا على إرادة القول أي قيل لهم استهزاء
لا تركضوا إما بلسان الحال أو المقال والقائل ملك أو من ثم من المؤمنين وارجعوا
إلى ما أترفتم فيه من التنعم والتلذذ والإتراف إبطار النعمة ومساكنكم التي
كانت لكم لعلكم تسألون غدا عن أعمالكم أو تعذبون فإن السؤال من مقدمات
العذاب أو تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل قالوا يا ويلنا إنا
كنا ظالمين لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل إن أهل
حضور من قرى اليمن بعث إليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع السيف
فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الأنبياء فندموا وقالوا ذلك فما زالت
تلك دعواهم فما زالوا يرددون ذلك وإنما سماه دعوى لأن المولول كأنه يدعو
الويل ويقول يا ويل تعال فهذا أوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية
حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع خامدين
ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني كقولك جعلته حلوا
حامضا إذ المعنى وجعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود أو صفة له أو حال
من ضميره وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين وإنما خلقناها
مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسبيبا لما

ينتظم به امور العباد فى المعاش والمعاد فينبغى ان يتشبثوا بها الى تحصيل الكمال
ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب
لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من
الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم فى رفع السقوف وتزويقها
وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على
النصارى ان كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة
كالنتيجة للشرطية بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته
من اللعب اى بل من شاننا ان نغلب الحق الذى من جملته الجد على الباطل الذى من عداده
اللهو فيدمغه فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمى البعيد المستلزم لصلابة
المرمى والدمغ الذى هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدى الى زهوق الروح
تصويرا لابطاله ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله ٭ سأترك منزلى
لبنى تميم ٭ والحق بالحجاز فاستريحا ٭ ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على
الحق فاذا هو زاهق هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم
الويل مما تصفون مما لا يجوز عليه وهو فى موضع الحال وما مصدرية
او موصولة او موصوفة وله من فى السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده
يعنى الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف
على من فى السموات وافراده للتعظيم او لانه اعم منه من وجه والمراد به نوع من
الملائكة متعال عن التبوء فى السماء والارض ومبتدا خبره لا يستكبرون عن
عبادته لا يتعظمون عنها ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما جيء بالاستحسار
الذى هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان
يستحسر منها ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه
دائما لا يفترون حال من الواو فى يسبحون وهو استيناف وحال من ضمير
قبله ام اتخذوا آلهة بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم من الارض صفة لا

او

ومتعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص هم ينشرون
الموتى وهم وان لم يصرحوا بذلك لزم ادعاؤهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار
على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة في ذلك زيد الضمير
الموهم لاختصاص الانشار بهم لو كان فيهما آلهة الا الله غير الله وصفت بالا لما
تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون
الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها على غير كما استثنى بغير
حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون
في كلام غير موجب لفسدتا لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع
فانها ان توافقت في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت فيه تعاوقت
عنه فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع الاجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ
المقادير عما يصفون من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد لا يسأل عما يفعل
لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية وهم يسألون
لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة او للعباد ام اتخذوا من دونه
آلهة كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا
لجهلهم او ضما لانكار ما يكون لهم سندا من النقل الى انكار ما يكون لهم دليلا
من العقل على معنى اوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا
فيهم من خواص الالوهية او وجدوا في الكتب الالهية الامر باشراكهم فاتخذوهم متابعة
للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني ما
يدل على فساده نقلا قل هاتوا برهانكم على ذلك اما من العقل او من النقل فانه
لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا
هذا ذكر من معي وذكر من قبلي من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها
الا الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل
وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معي امته ومن قبلي الامم المتقدمة

واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال فيه وبمن الجارة على ان مع
اسم هو ظرف كقبل وبعد بل اكثرهم لا يعلمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل
وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتاكيد بين السبب والمسبب فهم
معرضون عن التوحيد واتباع الرسل من اجل ذلك وما ارسلنا من قبلك من
رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي
من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجودين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه
له عن ذلك بل عباد بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد مكرمون
مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد لا يسبقونه بالقول
لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم
قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق
المعرض به للقائلين على الله ما لا يقوله وانيب اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن
تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه وهم بامره يعملون
لا يعملون قط ما لم يامرهم به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليه خافية
مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون
انفسهم ويراقبون احوالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه
وهم من خشيته عظمته ومهابته مشفقون مرتعدون واصل الخشية خوف
مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى
الخوف فيه اظهر وان عدي بعلى فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة او من الخلائق
اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة
وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية كذلك نجزي الظالمين من ظلم بالاشراك
وادعاء الربوبية اولم ير الذين كفروا اولم يعلموا وقرا ابن كثير بغير واو ان السموات
والارض كانتا رتقا ذات رتق او مرتوقتين وهو الضم والالتحام اي كانتا شيئا

واحدا

واحدا وحقيقة متحدة ففتقناهما بالتنويع والتمييز وكانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات او اقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الافاق والسموات باسرها على ان لها مدخلا في الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم نظرا به فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بتوسط او استفسارا من العلماء ومطالعة الكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا اي مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض وجعلنا من الماء كل شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان لقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه اعظم مواده او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان افلا يؤمنون مع ظهور الايات وجعلنا في الارض رواسي ثابتات من رسى اذا ثبت ان تميد بهم كراهة ان تميد بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد بهم فحذف لا لامن الالباس وجعلنا فيها في الارض او الرواسي فجاجا سبلا مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك وليدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد لعلهم يهتدون الى مصالحهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا عن الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيته او استراق السمع بالشهب وهم عن اياتها احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة معرضون غير متفكرين وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك الايات كل في فلك اي كل واحد منهما والتنوين بدل المضاف اليه

والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون على سطح الفلك
اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما
بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء لان السباحة
فعلهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون نزلت حين قالوا
نتربص به ريب المنون وفي معناه قوله فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما
لقينا والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعدما تقرر ذلك كل نفس ذائقة
الموت ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما انكروه ونبلوكم ونعاملكم
معاملة المختبر بالشر والخير بالبلايا والنعم فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه و
الينا ترجعون فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء
بان المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لما سبق وإذا
رآك الذين كفروا ان يتخذونك ما يتخذونك الا هزوا الا مهزوا به ويقولون أهذا
الذي يذكر آلهتكم اي بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء
وهم بذكر الرحمن بالتوحيد او بارشاد الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم
او بالقرآن هم كافرون منكرون فهم احق بان يهزأ بهم وتكرير الضمير للتأكيد و التخصيص
ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر خلق الانسان من عجل كأنه خلق منه لفرط استعجاله
وقلة ثباته كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه
مبالغة في لزومه له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال
الوعد روي انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل سأريكم آياتي نقماتي في الدنيا
كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت
عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد وقت وعد العذاب
او القيامة ان كنتم صادقين يعنون النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لو يعلم الذين
كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون
محذوف الجواب وحين مفعول به ليعلم اي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون منه
بقولهم

متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا
يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل
بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا ويعلمون بطلان ما هم عليه حين لا يكفون وانما وضع
الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما اوجب لهم ذلك بل تأتيهم العدة او النار او الساعة
بغتة فجأة مصدر او حال وقرئ بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم او تحيرهم وقرئ
الفعلان بالياء والضمير للوعد او الحين وكذا في قوله فلا يستطيعون ردها لأن
بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار او للبغتة ولا هم
ينظرون يمهلون وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون
ووعد بان ما يفعلونه يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعني جزاءه
قل يا محمد للمستهزئين من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن من بأسه
ان اراد بكم وفي لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته العامة وان اندفاعه
بمهلته بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه
حتى اذا كلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا
بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او من عذاب يكون من عندنا والاضراب
عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه
ابعد لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استئناف بابطال ما
اعتقدوه فان ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر
غيره بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان ما هو
الداعي الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الاعمال او عن الدلالة
على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وامهلهم حتى طالت
اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل
على انه امل كاذب فقال أفلا يرون أنا نأتي الأرض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها

٤٣٢

بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تع على ايدي المسلمين افهم الغالبون
رسول الله والمسلمون قل انما انذركم بالوحي بما اوحي الى ولا يسمع الصم
الدعاء وقرا ابن عامر ولا تسمع الصم على خطاب النبوة وقرئ بالياء على ان فيه ضمير
وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم
بما يسمعون اذا ما ينذرون منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام
في الانذار او للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم ولئن مستهم نفحة ادنى شيء وفيه
مبالغات ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رايحة الشيء
والبناء الدال على المرة من عذاب ربك من الذي ينذرون به ليقولن يا ويلنا انا
كنا ظالمين لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ونضع الموازين
القسط العدل توزن بها صحايف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد
الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة
ليوم القيامة لجزاء يوم القيامة او لاهله او فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر
فلا تظلم نفس شيئا من حقها او من الظلم وان كان مثقال حبة من خردل اي
وان كان العمل او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة اتينا بها احضرناها
وقرئ اتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من اعطينا او من المواتاة فانهم اتوه
بالاعمال واتاهم بالجزاء واثبنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتانيثه لاضافته
الى الحبة وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد اتينا موسى وهرون
الفرقان وضياء وذكرى للمتقين اي الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل
وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون
اليه من الشرايع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على انه
من الفرقان الذين يخشون ربهم صفة للمتقين او مدح لهم منصوب او مرفوع
بالغيب حال من الفاعل والمفعول وهم من الساعة مشفقون خايفون وفي
تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر يعني القران مبارك

كثير

كثير خيره أنزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم أفأنتم له منكرون استفهام توبيخ
ولقد آتينا إبراهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح وإضافته ليدل على أنه رشد مثله
وأن له شأناً وقرئ رَشَده وهو لغة من قبل من قبل موسى وهرون أو محمد عليهم الصلوة
والسلام وقيل من قبل استنبائه أو بلوغه حيث قال إني وجهت وجهي وكنا به
عالمين علمنا أنه أهل لما آتيناه أو جامع لمحاسن الأوصاف ومكارم الخصال وفيه
إشارة إلى أن فعله تعالى باختيار وحكمة وأنه عالم بالجزئيات إذ قال لأبيه وقومه متعلق
بآتينا أو برشده أو بمحذوف أي اذكر من أوقات رشده وقت قوله ما هذه التماثيل
التي أنتم لها عاكفون تحقير لشأنها وتوبيخ على إجلالها فإن التمثال صورة لا روح فيها
لا يضر ولا ينفع واللام للاختصاص لا للتعدية فإن تعدية العكوف بعلى والمعنى أنتم
فاعلون العكوف لها ويجوز أن يؤول بعلى أو يضمن العكوف معنى العبادة قالوا
وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما
اقتضى عبادتها وحملهم عليها قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين منخرطون
في سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين إلى دليل والتقليد إن جاز
فإنما يجوز لمن علم في الجملة أنه على حق قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين
كأنهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا أن ما قاله على وجه الملاعبة فقالوا أبجد
تقوله أم تلعب به قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن إضراب
عن كونه لاعباً بإقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والأرض أو للتماثيل وهو
أدخل في تضليلهم وإلزام الحجة عليهم وأنا على ذلكم أي المذكور من التوحيد من
الشاهدين من المحققين له والمبرهنين عليه فإن الشاهد من تحقق الشيء وحققه
وتالله وقرئ بالباء على الأصل والتاء مبدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب لأكيدن
أصنامكم لأجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما في التاء من التعجب لصعوبة الأمر و
توقفه على نوع من الحيل بعد أن تولوا عنها مدبرين إلى عيدكم ولعله قال ذلك سراً
فجعلهم جذاذاً قطاعاً فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي

بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ الا كبيرا لهم للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفاس على عنقه لعلهم اليه يرجعون لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة الهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او لانهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شان المعبود ان يرجع اليه في حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله اى يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز الهتهم قالوا حين رجعوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين بجرأته على الالهة الحقيقة بالاعظام او بافراطه في حطمها او بتوريط نفسه للهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثانى مفعولى سمع او صفة لفتى يصححه لان يتعلق به السمع وهو ابلغ في نسبة الذكر اليه يقال له ابراهيم هو ابراهيم ويجوز ان يرفع بالفعل لان المراد به الاسم قالوا فاتوا به على اعين الناس بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته في اعينهم تمكن الراكب على المركوب لعلهم يشهدون بفعله او قوله او يحضرون عقوبتنا له قالوا أأنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم حين احضروه قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون اسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على اسلوب تعريضى كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق انت كتبت فقلت بل كتبته او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه في المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى او ابراهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله وما روى انه عم قال لابراهيم ثلث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته فرجعوا الى انفسهم وراجعوا عقولهم فقالوا فقال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال او بعبادة ما لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشىء مستعليا على اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا اى

قوله ونكسوا التنكيس قلب الشىء بجعل اعلاه اسفله فاما ان يستعار للرجوع عن الفكرة المستقيمة في تظليم انفسهم الى الفكرة الفاسدة في تجويز عبادتها مع عجزها فضلا عن كونها في معرض الالوهية فقولهم لقد علمت معناه لم يخف علينا وعليك انها كذلك وانا اتخذناها الهة مع العلم به والدليل عليه قوله افتعبدون الى ولذا اختاره المصنف واما انه الرجوع عن الجدال الباطل الى الحق في قولهم لقد علمت لانه نفي لقدرتها واعتراف بانها لا تصلح للالوهية وسمى نكسا وان كان حقا لانه ما افادهم مع الاصرار ولكنه نكس بالنسبة لما كانوا عليه من الباطل والنكس مبالغة في اطراقهم خجلا وقولهم لقد علمت الخ بتمامه وهو حجة عليهم او هو مبالغة في الحيرة وانقطاع الحجة وسيحسن هذا وهو رجوع عن الجدال عنه الى الجدال معه بالباطل وهو قريب مما في ...

نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تأمرنا بسؤالها وهو على ارادة
القول قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم انكار لعبادتهم
لها بعد اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافي الالوهية أف لكم ولما
تعبدون من دون الله تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين وأف صوت المتضجر
ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له أفلا تعقلون قبح صنيعكم
قالوا أخذا في المضارة لما عجزوا عن المحاجة حرقوه فان النار أهول ما يعاقب
به وانصروا آلهتكم بالانتقام لها إن كنتم فاعلين ان كنتم ناصرين لها
نصرا مؤزرا والقائل فيهم رجل من أكراد فارس اسمه هينون خسف به الارض وقيل
نمرود قلنا يا نار كوني بردا وسلاما ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار
وفيه مبالغات جعل النار المسخرة بقدرته مأمورة مطيعة واقامة كوني ذات برد
مقام ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما
بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا
عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولا ورموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة
قال اما اليك فلا فقال فاسأل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله ببركة
قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال
اني مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان اذ ذاك ابن ست
عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبة ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد
فهو اذا من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى دفع عنه اذاها كما ترى في السمندل
ويشعر به قوله على ابراهيم وأرادوا به كيدا مكرا في اضراره فجعلناهم الأخسرين
أخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا
لمزيد درجته واستحقاقهم اشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الأرض التي باركنا
فيها للعالمين اي من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه
وانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والد

وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا بأس به للقرينة وكلا يعني الاربعة جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى بهم يهدون الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذلك قوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامه وكانوا لنا عابدين موحدين مخلصين في العبادة ولذلك قدم الصلة ولوطا آتيناه حكما حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغي علمه للانبياء ونجيناه من القرية قرية سدوم التي كانت تعمل الخبائث يعني اللواطة وصفها بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اذ نادى اذ دعا الله على قومه بالهلاك من قبل من قبل المذكورين فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله من الكرب العظيم من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم الشديد ونصرناه مطاوع انتصر اي جعلناه منتصرا من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك في الشر لم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث في الزرع وقيل في كرم تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا وكنا لحكمهم شاهدين لحكم الحاكمين والمتحاكمين عالمين ففهمناها سليمان الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها روي ان داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما فامر بدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها

ونفعها

وشعرها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان ولعلهما
قالا اجتهادا والاول نظير قول ابى حنيفة فى العبد الجانى والثانى مثل قول الشافعى
بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه فى شرعنا عند الشافعى وجوب ضمان
المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا وكذا قضى النبى صلى الله عليه وسلم
لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى
اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابى حنيفة لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله
عليه السلام جرح العجماء جبار **وكلا آتينا حكما وعلما** دليل على ان خطأ المجتهد
لا يقدح فيه وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو يخالف مفهوم قوله ففهمناها
ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل عليه فى صغره
وسخرنا مع داود الجبال يسبحن يقدسن الله معه اما بلسان الحال او بصوت
يتمثل له او بخلق الله فيها وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال او استيناف
لبيان وجه التسخير ومع متعلقة بسخرنا او يسبحن **والطير** عطف على الجبال او مفعول
معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف **وكنا فاعلين**
لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجيبا عندكم **وعلمناه صنعة لبوس** عمل
الدروع وهو فى الاصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها وقيل كانت صفائح
فحلقها وسردها **لكم** متعلق بعلم او صفة للبوس **لتحصنكم من بأسكم** بدل
منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود او للبوس وفى قراءة ابن عامر
وحفص بالتاء للصنعة او اللبوس على تأويل الدرع وفى قراءة ابى بكر ورويس بالنون
لله عز وجل **فهل انتم شاكرون** ذلك امر اخرجه فى صورة الاستفهام للمبالغة
او التقريع **ولسليمان** وسخرنا له ولعل اللام فيه دون الاول لان الخارق فيه
عائد الى سليمان نافع له وفى الاول امر يظهر فى الجبال والطير مع داود وبالاضافة
اليه **الريح عاصفة** شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه فى مدة يسيرة
كما قال غدوها شهر ورواحها شهر وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته

تجري بامره بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى وحال من ضميرها الى الارض التي
باركنا فيها الى الشام رواحا بعدما سارت به منه بكرة وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على
ما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين من يغوصون له في البحار ويخرجون نفائسه
ومن عطف على الريح او مبتدأ خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة ويعملون عملا دون
ذلك ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة
لقوله تع يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن
امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر
باني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح
شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال وانت ارحم الراحمين
وصف ربه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب
لطفا في السؤال وكان روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله تعالى وكثر
اهله وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله
والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات
روي ان امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له
يوما لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله ان ادعو
وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه
وآتيناه اهله ومثلهم معهم بان ولد له ضعف ما كان او احيي ولده وولد له منهم نوافل
رحمة من عندنا وذكرى للعابدين رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا
كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين فانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم
واسمعيل وادريس وذا الكفل يعني الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لانه كان
ذا حظ من الله تع او تكفل منه او له ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى
النصيب والكفالة والضعف كل من الصابرين على مشاق التكليف و
شدائد النوب وادخلناهم في رحمتنا يعني النبوة او نعمة الآخرة انهم من الصالحين

الكاملين

الكاملين في الصلاح وهم الانبيا فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد وذا النون
وصاحب الحوت يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا لقومه لما برم بطول دعوتهم وشدة شكيمتهم
ومهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف
الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بنا المغالبة للمبالغة او لانه اغضبهم
بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه لن
نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا او لن نعمل
فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه
من غير انتظار لامرنا او خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة
وقرئ به مثقلا فنادى في الظلمات في الظلمة الشديدة المتكاثفة بطن الحوت
والبحر والليل ان لا اله الا انت بانه لا اله الا انت سبحانك من ان يعجزك شي اني
كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له فاستجبنا له ونجيناه من الغم
بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان في بطنه وقيل ثلاثة ايام والغم
غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص
وفي الامام نجي ولذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرا
ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء
الثانية في تظاهرون وهي وان كانت فا فحذفها اوقع من حرف المضارعة التي لمعنى
ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام
وامتناع الحذف في تتجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر
وسكن اخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن
اخره وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير
الوارثين فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي به فاستجبنا له ووهبنا له يحيى
واصلحنا له زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او لزكريا بتحسين خلقها

وكانت حرده انهم يعني المتوالدين والمذكورين من الانبياء كانوا يسارعون في
الخيرات يبادرون الى ابواب الخير ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب ورهب راغبين
في الثواب راجين للاجابة او في الطاعة خائفين العقاب او المعصية وكانوا لنا
خاشعين مخبتين او ذوي الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال
والتي احصنت فرجها من الحلال والحرام يعني مريم فنفخنا فيها في عيسى فيها اي
في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها من روحنا من الروح الذي هو بامرنا وحده او من
جهة روحنا جبريل وجعلناها وابنها اي قصتهما او حالهما ولذلك وحد قوله آية للعالمين
فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى ان هذه امتكم ان ملة التوحيد
والاسلام ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها امة واحدة غير مختلفة فيما بين الانبياء ولا مشاركة
لغيرها في صحة الاتباع وقرئ امتكم بالنصب على البدل وامة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع
على انهما خبران وانا ربكم لا اله لكم غيري فاعبدون لا غير وتقطعوا امرهم بينهم
صرف الى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا امره قطعا موزعة بقبيح
فعلهم الى غيرهم كل من الفرق المتحزبة الينا راجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن بالله ورسله فلا كفران لسعيه فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما
استعير الشكر لاعطائه ونفي نفي الجنس للمبالغة وانا له لسعيه كاتبون مثبتون
في صحيفة عمله لا نضيع بوجه وحرام على قرية وممتنع على اهلها غير متصور منهم
وقرئ حرم اهلكناها حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة انهم لا يرجعون رجوعهم
الى التوبة او الحياة ولا صلة او عدم رجوعهم الجزاء وهو مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد
مسد خبره او دليل عليه وتقديره توبتهم او حياتهم او عدم بعثهم او لانهم لا
يرجعون ولا يتوبون وحرام خبر محذوف اي وحرام عليها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة
ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا
فتحت يأجوج ومأجوج متعلق بحرام او بمحذوف دل الكلام عليه او بلا يرجعون
اي يستمر الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو

سد يأجوج ومأجوج وحتى هي التي يحكى الكلام بعدها والمحكي هي الجملة الشرطية وقرأ
ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد وهم يعني يأجوج ومأجوج او الناس كلهم من كل
حدب نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر ينسلون يسرعون من نسلان الذئب
وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق وهو القيامة فاذا هي شاخصة ابصار الذين
كفروا جواب الشرط واذا للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله تعالى اذا هم يقنطون
فاذا جاءت الفاء معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد والضمير للقصة او مبهم
يفسره الابصار يا ويلنا مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول قد كنا
في غفلة من هذا لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين لانفسنا بالاخلال بالنظر والاعتداد
بالنذر انكم وما تعبدون من دون الله يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم
لهم في حكم عبدتهم لما روي انه عم لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى فقد خصمتك
ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا
الملائكة فقال عم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولا بمن وبما يعمه
ويدل عليه ما روي ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا خاصة او لكل من عبد من
دون الله فقال عم بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين سبقت بيانا للتجوز
او التخصيص تأخر عن الخطاب حصب جهنم ما يرمى به اليها وتهيج به من حصبه يحصبه
اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر انتم لها واردون استئناف
او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم
لاجلها لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها وكل فيها
خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل
البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما تعبدون الاصنام وهم فيها لا يسمعون من
الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
الخصلة الحسنى وهي السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة اولئك

عنها مبعدون لانهم يرفعون الى اعلى عليين روى ان عليا رض خطب وقرأ هذه الآية
ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن
عوف وابن الجراح ثم اقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها وهو
بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة فى ابعادهم عنها والحسيس صوت
يحس به وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون دائمون فى غاية التنعم وتقديم الظرف
للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم الفزع الاكبر النفخة الاخيرة لقوله
تعالى ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض او الانصراف الى النار
او حين يطبق على النار او يذبح الموت وتتلقيهم الملائكة تستقبلهم مهنئين هذا
يومكم يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول الذى كنتم توعدون فى الدنيا يوم نطوى
السماء مقدر باذكر او ظرف للا يحزنهم او تتلقاهم او حال مقدرة من العائد المحذوف
من توعدون والمراد بالطى ضد النشر او المحو من قولك اطو عنى هذا الحديث وذلك لانها
نشرت مظلة لبنى آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول
كطى السجل للكتاب طيا كطى الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل
عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص على الجمع اى للمعانى الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل
ملك يطوى كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان كما بدأنا اول خلق نعيده اى
نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه فى كونهما ايجادا عن العدم او جمعا من
الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول
الامكان الذاتى المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء وما كافة
او مصدرية واول مفعول لبدأنا او لفعل يفسره نعيده اى نعيد مثل الذى بدأناه
واول خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مقدر بفعله تأكيدا
لنعيد او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا اى علينا انجازه انا كنا فاعلين ذلك
لا محالة ولقد كتبنا فى الزبور كتاب داود من بعد الذكر اى التورية وقيل

المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ أن الأرض أي أرض الجنة
أو الأرض المقدسة يرثها عبادي الصالحون يعني عامة المؤمنين أو الذين كانوا
يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها أو أمة محمد صلى الله عليه وسلم إن في هذا
أي فيما ذكر من الأخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغا لكفاية أو لسبب بلوغ إلى البغية
لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين لأن ما بعثت
به سبب لإسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار أمنهم به من الخسف
والمسخ وعذاب الاستئصال قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد أي ما يوحى إلي
إلا أنه لا إله لكم إلا إله واحد وذلك لأن المقصود الأصلي من بعثته مقصور على
التوحيد فالأولى لقصر الحكم على الشيء والثانية على العكس فهل أنتم مسلمون
مخلصون العبادة لله على مقتضى الوحي المصدق بالحجة وقد عرفت أن التوحيد مما
يصح إثباته بالسمع فإن تولوا عن التوحيد فقل آذنتكم أعلمتكم ما أمرت به أو حربي
لكم على سواء مستوين في الإعلام به أو مستوين أنا وأنتم في العلم بما أعلمتكم به أو
في المعاداة أو إيذانا على سواء وقيل أعلمتكم أني على سواء أي عدل واستقامة رأي بالبرهان
النير وإن أدري وما أدري أقريب أم بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين أو البعث والحشر
لكنه كائن لا محالة إنه يعلم الجهر من القول ما تجاهرون به من الطعن في الإسلام
ويعلم ما تكتمون من الإحن والأحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وإن أدري لعله
فتنة لكم وما أدري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم أو امتحان لينظر
كيف تعملون ومتاع إلى حين وتمتيع إلى أجل مقدر تقتضيه مشيئته قل رب احكم
بالحق اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب والتشديد عليهم
وقرأ حفص على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ رب بالضم وربي أحكم
على بناء التفضيل وأحكم من الإحكام وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان
المطلوب منه المعونة على ما تصفون من الحال بأن الشوكة تكون لهم وأن راية الإسلام
تخفق أياما ثم تسكن وأن الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فأجاب الله دعوة رسوله فخيب

ابنائهم ونصر رسوله عليهم وقرئ بالياء وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج مكية الا ست آيات من هذان خصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة تحريكها للاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير في واضافة المصدر الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها شيء عظيم هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويتقوها بملازمة التقوى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل وقرئ تذهل وتذهل مجهولا ومعروفا اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت التي القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه وما موصولة او مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى الناس سكارى كانهم سكارى وما هم بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد فارهقهم هوله بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم وقرئ ترى من اريتك قائما او رايتك قائما بنصب الناس ورفعه على انه نائب مناب الفاعل وتانيثه على تاويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل احد على غيره وقرأ حمزة والكسائي سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي تعمه واضرابه ويتبع في المجادلة او في عامة احواله كل شيطان مريد متجرد للفساد واصله العري كتب عليه على الشيطان انه من تولاه تبعه والضمير للشان فانه يضله خبر لمن او جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من يتولاه لانه جبل عليه على تقدير فتح انه

لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في الموضعين على حكاية
المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه ويهديه الى عذاب السعير بالحمل على ما
يؤدي اليه يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا
وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب فانا خلقناكم اي فانظروا في بدء خلقكم فانه
يريكم فانا خلقناكم من تراب بخلق آدم منه او الاغذية التي يتكون منها المني ثم من
نطفة مني من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة من الدم جامدة ثم من
مضغة قطعة من اللحم وهي في الاصل قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة
لا نقص فيها ولا عيب وغير مسواة او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة لنبين لكم
بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها اخرى وان
من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء الى
ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر ونقر في الارحام
ما نشاء ان نقره الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه
آخر اربع سنين وقرئ ونقر بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على نبين
كأن خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم في الارحام حتى يولدوا
وينشأوا ويبلغوا حد التكليف وقرئ بالياء رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر من قررت
الماء اذا صببته وطفلا حال اجريت على تأويل كل واحد او الدلالة على الجنس او لانه
في الاصل مصدر ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة والعقل جمع شدة كالانعم
جمع نعمة كأنها شدة في الامور ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله وقرئ
يتوفى اي يتوفاه الله ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم
لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة العقل
وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر من عرفه والآية استدلال ثان على امكان البعث
بما يعتري الانسان في اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر
على ذلك قدر على نظائره وترى الارض هامدة ميتة يابسة من همدت النار اذا صا

رماداً فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ ربأت
أي ارتفعت وأنبتت من كل زوج من كل صنف بهيج حسن رائق وهذه دلالة ثانية
كررها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ذلك إشارة إلى ما ذكر من خلق
الإنسان في أطوار مختلفة وتحويله على أحوال متضادة وإحياء الأرض بعد موتها
وهو مبتدأ خبره بأن الله هو الحق أي بسبب أنه الثابت في نفسه الذي به تتحقق
الأشياء وأنه يحيي الموتى وإلا لما أحيى النطفة والأرض الميتة وأنه على كل شيء قدير
لأن قدرته لذاته الذي نسبته إلى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته
على إحياء بعض الأموات لزم اقتداره على إحياء كلها وأن الساعة آتية لا ريب فيها
فإن التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه وأن الله يبعث من في القبور
بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف ومن الناس من يجادل في الله بغير علم
تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب منير على أنه لا
سند له من استدلال أو وحي أو الأول في المقلدين والمراد بالعلم الفطري ليصح
عطف الهدى والكتاب عليه ثاني عطفه متكبراً وثني العطف كناية عن التكبر
كلي الجيد أو معرضاً عن الحق استخفافاً به وقرئ بفتح العين أي مانع تعطفه ليضل
عن سبيل الله علة للجدال وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس بفتح الياء على أن
عن الهدى المتمكن منه بالإقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى إلى الضلال
وأنه من حيث هو مؤداه كالغرض له في الدنيا خزي وهو ما أصابه يوم بدر ونذيقه
يوم القيامة عذاب الحريق النار ذلك بما قدمت يداك على الالتفات أو إرادة القول
أي يقال له يوم القيامة ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي
وأن الله ليس بظلام للعبيد وإنما هو مجازيهم على أعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد
ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي
يكون على طرف الجيش فإن أحس بظفر قر وإلا فر فإن أصابه خير اطمأن به وإن
أصابته فتنة انقلب على وجهه روي أنها نزلت في أعاريب قدموا المدينة وكان أحدهم

إذا صح بدنه ونتجت فرسه مهراً سرياً وولدت امرأته غلاماً سوياً وكثر ماله وماشيته قال
ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيراً واطمأن وإن كان الأمر بخلافه قال ما
أصبت إلا شراً وانقلب وعن أبي سعيد أن يهودياً أسلم فأصابته مصائب فتشاءم
بالإسلام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أقلني فقال إن الإسلام لا يقال فنزلت
خسر الدنيا والآخرة بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب
على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصاً على خسرانه
أو على أنه خبر محذوف ذلك هو الخسران المبين إذ لا خسران مثله يدعوا من دون
الله ما لا يضره وما لا ينفعه يعبد جماداً لا يضر بنفسه ولا ينفع ذلك هو الضلال
البعيد عن المقصد مستعار من ضلال من أبعد في التيه ضالاً يدعو لمن ضره بكونه
معبوداً لأنه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة أقرب من نفعه الذي يتوقع
بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها إلى الله واللام معلقة ليدعو من حيث أنه
بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد أو داخلة على الجملة الواقعة مقولاً إجراء له
مجرى يقول أي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به أو مستأنفة على أنه
تكرير للأول ومن مبتدأ خبره لبئس المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب إن الله
يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل
ما يريد من إثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع من كان يظن
أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة كلام فيه اختصار والمعنى أن الله ناصر رسوله
في الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر
الرزق والضمير لمن فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فليستقصص في إزالة غيظه
أو جزعه بأن يفعل كل ما يفعله الممتلئ غضباً أو المبالغ جزعاً حتى يمد حبلاً إلى سماء بيته
فيختنق من قطع إذا اختنق فإن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل فليمدد حبلاً إلى سماء
الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد في دفع نصره أو تحصيل رزقه
فلينظر فليتصور في نفسه هل يذهبن كيده ذلك فعله وسماه على الأول كيداً لأنه

منتهى ما يقدر عليه ما يغيظ غيظه او الذي يغيظه من نصر الله وقيل نزلت في
قوم مسلمين استبطؤا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين وكذلك و
مثل ذلك الانزال انزلناه انزلنا القرآن كله آيات بينات واضحات وان الله يهدي وبان
الله يهدي به او يثبت على الهدى من يريد هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا ان الذين
آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله
يفصل بينهم يوم القيمة بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم على المبطل والجزاء فيجازي
كلا ما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما دخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد
التاكيد ان الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله الم تر ان الله يسجد له
من في السموات ومن في الارض يتسخر لقدرته ولا يتأبى عن تدبيره او يدل بذله
على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم اولي العلم وغيرهم على التغليب فيكون قوله والشمس
والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك
منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف او الجمع بين الساكنين وكثير من
الناس عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه واسناده
باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص
المعنى المسند اليهم او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب او فاعل
فعل مضمر اي يسجد له كثير من الناس سجود طاعة وكثير حق عليه العذاب بكفره وابائه
عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب
وان يعطف على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا
باضمار فعله ومن يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ
بالفتح بمعنى الاكرام ان الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة هذان خصمان
اي فوجان مختصمان ولذلك قال اختصموا حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما
المؤمنون والكافرون في ربهم في دينه او في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود
والمؤمنون فقال اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤ

قوله قيل نزلت في حمزة رضي الله عنه ان الخصام
ليس فيما تدل عليه الاية انها اقرب من الله وقيل انه
عام وما ذكر من التخصيص لا دليل عليه ولا يخفى
ان خصوص السبب لا ينافي العموم مع ان
اسم الاشارة يقتضي عدم عمومه فالظاهر
انه مرضه لانه لم يصح عنده كونه سبب النزول
وما بعده من الجواب غير موافق له الا ان يحمل على

نحن احق بالله منكم اقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم...

نحن احق بالله منكم اننا محمد نبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا
ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل
بينهم يوم القيمة قطعت لهم قدرت لهم على مقادير جثتهم وقرئ بالتخفيف ثياب
من نار نيران تحيط بهم احاطة الثياب يصب من فوق رؤسهم الحميم حال من الضمير
في لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار يصهر به ما في بطونهم والجلود اي يؤثر من فرط حرارته
في باطنهم تأثيره في ظاهرهم فتذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة حال من
الحميم او من ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير ولهم مقامع من حديد سياط منه يجلدون
بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اي يكف بعنف كلما ارادوا ان يخرجوا منها
من النار من غم من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار اعيدوا فيها اي فخرجوا اعيدوا
لان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهيب النار فيرفعهم الى اعلاها
فيضربون بالمقامع فيهوون فيها وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اي النار
البالغة في الاحراق ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من
تحتها الانهار غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعالى واكده بان احمادا لحال
المؤمنين وتعظيما لشأنهم يحلون فيها من حليت المرأة اذا البستها الحلي وقرئ بالتخفيف والمعنى
واحد من اساور صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهي جمع سوار من
ذهب بيان له ولؤلؤا عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصعة به
ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها او اضمار الناصب مثل ويؤتون وروى حفص
بهمزتين وقرئ لولؤا بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلب الثانية
ياء ولِيلِيا بقلبهما ياءين ولول كادل ولباسهم فيها حرير غير اسلوب الكلام فيه
للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل وهدوا
الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده او كلمة التوحيد
وهدوا الى صراط الحميد المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة او الحق او المستحق لذاته
الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله

لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد به استمرار الصد منه كقولهم فلان يعطي ويمنع ولذ
حسن عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف دل عليه اخر الآية
اي معذبون والمسجد الحرام عطف على اسم الله واوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله
الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد اي المقيم والطارئ على عدم
جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم
وشراء عمر دار السجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه
ان جعل للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على انه المفعول
او الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد
فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود بالحاد عدول
عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان او الثاني بدل من الاول باعادة الجار
او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام نذقه من عذاب اليم
جواب لمن واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت اي واذكر اذ عيناه وجعلناه له مباءة
وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اي واذ انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء وانطمس
ايام الطوفان فاعلمه الله مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على اسه القديم
ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ان
لبوأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة او مصدرية
موصولة بالنهي اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وتطهر بيتي من الاوثان
والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعله عبر عن الصلاة باركانها للدلالة على
ان كل واحد منها مستقل باقتضائه ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء
واذن في الناس ناد فيهم وقرئ وآذن بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه صعد
ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله من اصلاب الرجال
وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه ان يحج وقيل الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك في حجة الوداع يأتوك رجالا مشاة

ع

جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخففة الجيم ومثقلته ورجالى كعجالى وعلى
كل ضامر اى ركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر فهزله يأتين صفة لضامر محمول
على معناه وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان او استيناف فيكون الضمير للناس
من كل فج عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق بمعنى ليشهدوا ليحضروا
منافع لهم دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه
العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن
النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله تعالى في ايام
معلومات هي عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر على ما رزقهم من بهيمة الانعام علق
الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر فكلوا
منها من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او
ندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا في المتطوع به دون الواجب واطعموا البائس الذي
اصابه بؤس اى شدة الفقير المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول ثم ليقضوا
تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند
الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وليطوفوا
طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت
العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار
سار اليه ليهدمه فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط
عليه ذلك خبر محذوف اى الامر ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل بين كلامين ومن
يعظم حرمات الله احكامه وسائر ما لا يحل هتكه او الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف
وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم فهو فالتعظيم خير
له عند ربه ثوابا واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم الا المتلو عليكم تحريمه
وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل لغير الله به فلا تحرموا منها غير ما حرم الله
كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا الرجس من الاوثان الرجس الذي هو الاوثان كما تجتنب

قوله عم الذي هو الاوثان اشارة الى ان من بيانية لا تبعيضية او ابتدائية كما قيل فانه تكلف بلا

قوله اى ما يليه اشارة الى ان البيت مجاز بعلاقة المجاورة عما قرب منه لانها لا تنتهى الى البيت العتيق نفسه والتراخى فى الوقت لان التى وقوعه عقيبه لانه باعتبار ابتدائه ولذا جعل بعضهم رتبيا
قوله وعلى الاول اى تفسيرها بدين الله والاولين والضمائر للشعائر بالرغبة لمناسبة والمنافع الدينية اقامة الشعائر وتعظيم البيت والانتفاع معنى اللام وهو الثواب ومحلها وقت حلولها والموت موت الحاج

الانجاس وغاية المبالغة فى النهى عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان راس الزور كانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى انه عم قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الاية والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع حنفاء لله مخلصين له غير مشركين به وهما حالان من الواو ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء المردية توزع افكاره او تهوى به الريح فى مكان سحيق بعيد فان الشيطان قد طوح به فى الضلالة واو للتخيير كما فى قوله او كصيب او للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة لكن على بعد ويجوز ان يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا يشبه احد الهلاكين ذلك ومن يعظم شعائر الله دين الله او فرايض الحج ومواضع نسكه او الهدايا لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان تختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روى انه عم اهدى مائة بدنة فيها جمل لابى جهل فى انفه برة من ذهب وان عمر اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها من تقوى القلوب فان تعظيمها من افعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق اى لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت اى ما يليه من الحرم وثم تحتمل التراخى فى الرتبة اى لكم منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على الاولين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها او المراد على الاول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت العتيق

الذي يرفع اليه الاعمال او يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثاني
لكم فيها منافع التجارات في الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية
الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة ولكل امة ولكل اهل دين جعلنا منسكا متعبدا
او قربانا يتقربون به الى الله وقرا حمزة والكسائي بالكسر اي موضع نسك ليذكروا اسم الله
دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك
تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان
القربان يجب ان يكون نعما فالهكم اله واحد فله اسلموا اخلصوا التقرب او الذكر ولا
تشوبوه بالاشراك وبشر المخبتين المتواضعين او المخلصين فان الاخبات صفتهم
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين
على ما اصابهم من الكلف والمصائب والمقيمي الصلاة في اوقاتها وقرئ والمقيمين
الصلاة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير والبدن جمع بدنة كخشب
وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت به الابل لعظم بدنها ماخوذة من بدن
بدانة ولا يلزم من مشاركة البقر لها في اجزائها عن سبعة لقوله عم البدنة عن سبعة
والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل
يفسره جعلناها لكم ومن رفعه جعله مبتدا من شعائر الله من اعلام دينه التي
شرعها الله لكم فيها خير منافع دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها بان
تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف
قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام
على ثلاث وطرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على
ثلث وصوافيا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وصوافي اي
خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم اعط القوس
باريها فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض وهو كناية عن الموت فكلوا
منها واطعموا القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة او السائل من قنعت

اليه قنوعاً اذا خضعت له في السؤال وقرئ القنع والمعتر والمعترض بالسؤال وقرئ
والمعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل ما وصفنا من نحرها قياماً
سخرناها لكم مع عظمها وقوتها حتى تأخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها
صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون انعامنا عليكم بالتقرب
والاخلاص لن ينال الله لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول لحومها
المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله
التقوى منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى تعظيم
امر الله والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا
الكعبة بدمائها قربة الى الله تع فهم به المسلمون فنزلت كذلك سخرها لكم كرره
تذكيراً للنعمة وتعليلاً له بقوله لتكبروا الله اي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا
يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح على
ما هداكم ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما يحتمل المصدرية
والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين المخلصين
فيما يأتونه ويذرونه ان الله يدفع عن الذين آمنوا غائلة المشركين وقرأ نافع
وابن عامر والكوفيون يدافع اي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه ان الله
لا يحب كل خوان في امانة الله كفور لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته
فلا يرتضي فعلهم ولا ينصرهم اذن رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي
على البناء للفاعل وهو الله للذين يقاتلون المشركين والمأذون فيه محذوف
لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اي الذين يقاتلهم
المشركون بأنهم ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون
اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهي اول آية نزلت
في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم

بالنصر

بالنصر كما وعد بدفع أذى الكفار عنهم الذين أخرجوا من ديارهم يعني مكة بغير حق
بغير موجب استحقوا به إلا أن يقولوا ربنا الله على طريقة قول النابغة ولا عيب
فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقيل منقطع ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين لهدمت لخربت باستيلاء
المشركين على أهل الملل وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بالتخفيف صوامع صوامع الرهبان
وبيع بيع النصارى وصلوات وكنائس اليهود سميت بها لأنها يصلى فيها وقيل
أصلها صلوثا بالعبرانية فعربت ومساجد ومساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله
كثيرا صفة للأربع أو لمساجد خصت بها تفضيلا ولينصرن الله من ينصره من
ينصر دينه وقد أنجز وعده بأن سلط الله المهاجرين والأنصار على صناديد
العرب وأكاسرة العجم وقياصرتهم وأورثهم أرضهم وديارهم إن الله لقوي
على نصرهم عزيز لا يمانعه شيء الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلوة
وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف للذين أخرجوا وهو ثناء
قبل بلاء وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين إذ لم يستجمع ذلك غيرهم
من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره ولله عاقبة الأمور فإن مرجعها إلى حكمه وفيه
تأكيد لما وعده وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم
إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين تسلية له بأن قومه إن كذبوه فهو ليس بأوحدي
في التكذيب فإن هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه وكذب موسى غير فيه النظم وبني
الفعل للمفعول لأن قومه بنو إسرائيل ولم يكذبوه وإنما كذبه القبط ولأن تكذيبه
كان أشنع وآياته كانت أعظم وأشيع فأمليت للكافرين فأمهلتهم حتى انصرمت
آجالهم المقدرة ثم أخذتهم فكيف كان نكير إنكاري عليهم بتغيير النعمة محنة
والحياة هلاكا والعمارة خرابا فكأين من قرية أهلكناها بإهلاك أهلها وقرأ البصريان
بغير لفظ التعظيم وهي ظالمة أي أهلها فهي خاوية على عروشها ساقطة حيطانها
على سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو خالية مع بقاء عروشها

قوله بإهلاك أهلها يعني أن نسبة الإهلاك إليها مجازية أو فيها مضاف مقدر وقيل الإهلاك استعارة لعدم الانتفاع بها بإهلاك أهلها وإنما مراده المعنى كان الظلم صفة أهلها

وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اى هى خالية
وهى على عروشها اى مطلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها
والجملة معطوفة على اهلكناها لا على وهى ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خوائها
فلا محل لها ان نصبت كاين بمقدر يفسره اهلكناها وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع
وبئر معطلة عطف على قرية اى وكم بئر عامرة فى البوادى تركت لا يستقى منها لهلاك
اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع اى مجصص اخليناه
عن ساكنيه وذلك يقوى ان معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل
المراد ببئر بئر فى سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة
ابن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله وعطلهما افلم يسيروا
فى الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان
كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من
التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال او آذان يسمعون بها ما يجب ان
يسمع من الوحى والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم فانها الضمير للقصة او مبهم
يفسره الابصار وفى تعمى راجع اليه او الظاهر اقيم مقامه لا تعمى الابصار ولكن
تعمى القلوب التى فى الصدور عن الاعتبار اى ليس الخلل فى مشاعرهم وانما ايفت
عقولهم باتباع الهوى والانهماك فى التقليد وذكر الصدور للتاكيد ونفى التجوز
وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقى ليس المتعارف الذى يخص البصر قيل لما نزل
ومن كان فى هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا فى الدنيا اعمى افاكون فى الآخرة
اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب المتوعد به ولن يخلف الله وعده لامتناع الخلف
فى خبره فيصيبهم ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة وان
يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون بيان لتناهى صبره وتانيه حتى استقصر
المدد الطوال ولتمادى عذابه وطول ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد
مستطالة وكاين من قرية وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه

في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطف الاولى
بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل عن قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها
من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لا محالة وان تأخر لعادته تعالى أمليت لها كما أمهلتكم
وهي ظالمة مثلكم ثم أخذتها بالعذاب وإلي المصير والي حكمي مرجع الجميع قل يا أيها الناس إنما
أنا لكم نذير مبين أوضح لكم ما أنذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب
وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم
زيادة في غيظهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما بدر منهم ورزق
كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله والذين سعوا في آياتنا بالرد
والابطال معاجزين مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق ماخوذ من
عاجزه فأعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الآخر
عن اللحاق به وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين على انه حال مقدرة أولئك أصحاب الجحيم
النار الموقدة وقيل اسم دركة وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول
من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق
كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام ولذلك شبه النبي صلعم
علماء امته بهم فالنبي أعم من الرسول ويدل عليه انه عليه الصلاة والسلام سئل عن الانبياء
فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر
جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب
له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام إلا إذا تمنى
زور في نفسه ما يهواه ألقى الشيطان في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله
بالدنيا كما قال عليه السلام وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما
يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه
ثم يحكم الله آياته ثم يثبت آياته الداعية الى الاستغراق في امر الآخرة والله عليم بأحوال
الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه

على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت
عليه سورة والنجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى
سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون
حتى تابعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مسلم ولا مشرك الا سجد
ثم نبهه جبريل فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية وهو مردود عند المحققين وان صح
فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله
اول ليله تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان تكلم
بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقد
رد بانه ايضا يخل بالوثوق والآية تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة
اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى
امر ظاهر عرفه المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية
قلوبهم المشركين وان الظالمين يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم
قضاء عليهم بالظلم لفي شقاق بعيد عن الحق وعن الرسول والمؤمنين وليعلم الذين
اوتوا العلم انه الحق من ربك ان القرآن هو الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان
من الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن آدم
فيؤمنوا به بالقرآن او بالله فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية وان الله لهادي
الذين آمنوا فيما اشكل الى صراط مستقيم هو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحق فيه
ولا يزال الذين كفروا في مرية في شك منه من القرآن او الرسول او مما القى الشيطان
في امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنه حتى تأتيهم الساعة القيامة
او الموت او اشراطها بغتة فجأة او يأتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم
بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم او لان المقاتلين ابناء
الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لا خير لهم فيه
ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه

او يوم القيمة على ان المراد بالساعة غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل الملك
يومئذ لله التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليها الغاية اى يوم تزول مريتهم
يحكم بينهم بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله فالذين
امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك
لهم عذاب مهين وادخال الفاء في خبر الثاني دون الاول تنبيه على ان اثابة المؤمنين
بالجنات تفضل من الله تع وان عقاب الكافرين مسبب من اعمالهم ولذلك قال
لهم عذاب ولم يقل هم في عذاب والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا في الجهاد
او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها وانما سوى بين من قتل في الجهاد
ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل روى ان بعض
الصحابة قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير
ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا فنزلت وان الله لهو خير الرازقين
فانه يرزق من يشاء بغير حساب ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة فيها ما يحبونه
وان الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجل في العقوبة ذلك الامر
ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء
بالعقاب الذي هو الجزاء للازدواج او لانه سببه ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة
لينصرنه الله لا محالة ان الله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام
واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه
تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تع مع كمال قدرته وتعالي شانه لما كان يعفو
ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه على انه تع قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو
الا القادر على ضده ذلك اى ذلك النصر بان الله يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل بسبب ان الله تع قادر على تقليب بعض الامور على بعض جارية
عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد الملوين في
الاخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار

بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها وان الله سميع يسمع قول المعاقِب والمعاقَب
بصير يرى افعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف بكمال القدرة والعلم بان الله
هو الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان
ان يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه او الثابت الالهية ولا
يصلح لها الا من كان قادرا عالما وان ما يدعون من دونه الها وقرأ ابن كثير ونافع
وابن عامر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فتكون الواو لما
فانه في معنى الالهة هو الباطل المعدوم في حد ذاته او باطل الالوهية وان
الله هو العلي على الاشياء الكبير عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شانا واكبر
سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير ولذلك رفع فتصبح
الارض مخضرة عطفا على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار كما في قولك
الم تر اني جئتك فتكرمني والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة
على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان ان الله لطيف يصل علمه او لطفه الى كل ما
جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا وان الله لهو الغني في ذاته عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته
وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم
والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره
حال منها او خبر ويمسك السماء ان تقع على الارض من ان تقع او كراهة ان تقع
بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك الا باذنه الا بمشيئته وذلك يوم القيمة
وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام في الجسمية فتكون قابلة
للميل الهابط قبول غيرها ان الله بالناس لرؤف رحيم حيث هيأ لهم اسباب الاستدلال
وفتح لهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا
عناصر ونطفا ثم يميتكم اذا جاء اجلكم ثم يحييكم في الآخرة ان الانسان لكفور
لجحود للنعم مع ظهورها لكل امة اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او شريعة تعبدوا

بها وقيل عيدا هم ناسكوه ينسكونه فلا ينازعنك سائر ارباب الملل في الامر في
امر الدين او النسائك لانهم بين جهال واهل عناد ولان امر دينك اظهر من ان
يقبل النزاع وقيل المراد نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الالتفات الى قولهم
وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء
او عن منازعتهم كقولك لا يضاربنك زيد وهذا انما يجوز في افعال المغالبة للتلازم
وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون مما قتله
الله وقرئ فلا ينزعنك على تهييج الرسول صلى الله عليه وسلم والمبالغة في تثبيته
على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته وادع الى ربك الى توحيده وعبادته
انك لعلى هدى مستقيم طريق الى الحق سوي وان جادلوك وقد ظهر الحق ولزمت
الحجة فقل الله اعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو
وعيد فيه رفق الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب
يوم القيامة كما فصل في الدنيا بالحجج والايات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين
الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه شيء ان ذلك في كتاب
هو اللوح المحفوظ كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له
ان ذلك ان الاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير لان علمه
مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء ويعبدون من دون الله ما لم
ينزل به سلطانا حجة تدل على جواز عبادته وما ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة
العقل او استدلاله وما للظالمين وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير
يقرر مذهبهم او يدفع العذاب عنهم واذا تتلى عليهم اياتنا من القران بينات
واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الالهية تعرف في وجوه الذين
كفروا المنكر الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا
منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه
من الشر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا يثبون ويبطشون بهم

قل افأنبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم
من الضجر بسبب ما تلوا عليكم النار اي هو النار كانه جواب سائل قال ما هو ويجوز
ان يكون مبتدأ خبره وعدها الله الذين كفروا وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر
بدلا من شر فتكون الجملة استينافا كما اذا رفعت النار خبرا او حالا منها وبئس المصير
النار يا ايها الناس ضرب مثل بين لكم حال مستغربة او قصة رايعة ولذلك سماها
مثلا او جعل لله مثل في استحقاق العبادة فاستمعوا له للمثل استماع تدبر
وتفكر ان الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام وقرأ يعقوب بالياء وقرئ
به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين لن يخلقوا ذبابا
لا يقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من تاكيد النفي دالة على منافاة ما
بين المنفي والمنفي عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان ولو
اجتمعوا له بجوابه المقدر في موضع الحال جيء به للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه
مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين وان يسلبهم الذباب شيئا
لا يستنقذوه منه جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا الها قدر على المقدورات كلها
وتفرد بايجاد الموجودات باسرها تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على
خلق اقل الاحيا واذلها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز
عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها ضعف الطالب والمطلوب
عابد الصنم ومعبوده او الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب
منه الذباب السلب او الصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه فلو حققت
وجدت الصنم اضعف بدرجات ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث
اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة ان الله لقوي على خلق
الممكنات باسرها عزيز لا يغلبه شيء والهتهم التي يدعونها عاجزة عن اقلها مقهورة
من اذلها الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون بينه وبين الانبيا عليهم السلام
بالوحي ومن الناس يدعون سايرهم الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كانه لما

قوله كانه لما قرر وحدانيته
الخ شروع في بيان ارتباط هذه
الآية بما قبلها وهو ظاهر

قرر وحدانيته فى الالوهية ونفى ان يشاركه غيره فى صفاتها بين ان له عبادا
مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله تع وهو اعلى المراتب
ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك ان الله سميع بصير مدرك
للاشياء كلها يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم عالم بواقعها ومترقبها والى الله
ترجع الامور واليه مرجع الامور كلها لانه مالكها بالذات لا يسأل عما يفعل
من الاصطفاء وغيره وهم يسألون يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا فى صلاتكم
امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلاة بهما
لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم
به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات
وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اى افعلوا هذه كلها وانتم
راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين على اعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر
ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عم فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما
فلا يقرأها والحنفية لا يرون الا سجدة واحدة فى الحج لان اقترانه بالركوع دل على
انها سجدة صلاة لا تلاوة وجاهدوا فى الله اى لله ومن اجله اعداء دينه الظاهرة
كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه السلام انه رجع من غزوة
تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اى جهادا فيه
حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم
واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله
ومن اجله هو اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضى للجهاد
والداعى اليه وفى قوله وما جعل عليكم فى الدين من حرج اى ضيق بتكليف ما يشتد القيام
به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم فى تركه او الى الرخصة فى اغفال
بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عم اذا امرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم

وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم فى المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات فى حقوقه والاروش والديات فى حقوق العباد ملة ابيكم ابراهيم منتصبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اى وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ابراهيم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به فى الآخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل من قبل القرآن فى الكتب المتقدمة وفى هذا وفى القرآن والضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم مسلمين فى القرآن وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل فى قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفى هذا تقدير وفى هذا بيان تسميته اياكم مسلمين من قبل ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول قوله لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف واعتصموا بالله وثقوا به فى مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه هو مولاكم ناصركم ومتولى امركم فنعم المولى ونعم النصير هو اذ لا مثل له فى الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه فى الحقيقة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج اعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى ٥

سورة المؤمنين مكية وهى مائة وتسع عشرة آية عند البصريين وثمانى عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المؤمنون قد فازوا بامانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخلت على الماضى ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرأ ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة

الهمزة على الدال وحذفها وقرئ أفلحوا على أكلوني البراغيث أو على الإبهام والتفسير وأفلح اجتزاء بالضمة عن الواو وأفلح على البناء للمفعول الذين هم في صلاتهم خاشعون خائفون من الله متذللون له ملزمون أبصارهم مساجدهم روي أنه عم كان يصلي رافعاً بصره إلى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وأنه رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو عما لا يعنيهم من قول وفعل معرضون لما بهم من الجد ما شغلهم عنه وهو أبلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه وإقامة الإعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه رأساً مباشرة وتسبباً وميلاً وحضوراً فإن أصله أن يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله والذين هم للزكاة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلاة ليدل على أنهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروءة اجتنابه والزكاة تقع على المعنى والعين والمراد الأول لأن الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه أو الثاني على تقدير مضاف والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم زوجاتهم أو سرياتهم وعلى صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسي أو حال أي حفظوها في كافة الأحوال إلا في حال التزوج أو التسري أو بفعل قال ما إجراء للمماليك مجرى غير العقلاء إذ الملك أصل شائع وإفراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لأن المباشرة أشهى الملاهي إلى النفس وأعظمها فإنهم غير ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى فأولئك هم العادون الكاملون في العدوان والذين هم لأماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق والخلق راعون قائمون بحفظها وإصلاحها وقرأ ابن كثير لأمانتهم على الإفراد لأمن الإلباس ولأنها في الأصل مصدر والذين هم على صلواتهم يحافظون مواظبون عليها ويؤدونها في أوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلاة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس ذلك تكريراً لما وصفهم به أولاً فإن الخشوع

قوله الكاملون في العدوان الكمال من الإشارة والتعريف وتوسيط الضمير المفيد للحصر حيث كما نقريره في أولئك هم المفلحون

في الصلاة غير المحافظة عليها وفي تصدير الأوصاف وختمها بأمر الصلاة تعظيم لشأنها
أولئك الجامعون لهذه الصفات هم الوارثون الأحقاء بأن يسموا وراثاً دون غيرهم
الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد إطلاقها تفخيماً لها
وتأكيداً وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من أعمالهم وإن كان بمقتضى وعده
مبالغة فيه وقيل إنهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على أنفسهم لأنه
تعالى خلق لكل إنسان منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار هم فيها خالدون أنث الضمير
لأنه اسم للجنة أو لطبقتها العليا ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من خلاصة
سلت من بين الكدر من طين متعلق بمحذوف لأنه صفة لسلالة أو من بيانية
أو بمعنى سلالة لأنها في معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالأولى والإنسان آدم
خلق من صفوة سلت من الطين أو الجنس فإنهم خلقوا من سلالات جعلت نطفاً
بعد أدوار وقيل المراد بالطين آدم لأنه خلق منه والسلالة نطفته ثم جعلناه
جعلنا نسله فحذف المضاف نطفة بأن خلقناه منها أو ثم جعلنا السلالة نطفة
وتذكير الضمير على تأويل الجوهر أو المسلول أو الماء في قرار مكين مستقر حصين
يعني الرحم وهو في الأصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار
ثم خلقنا النطفة علقة بأن أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة
فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاماً بأن صلبناها فكسونا العظام
لحماً مما بقي من المضغة أو مما أنبتنا عليها مما يصل إليها واختلاف العواطف لتفاوت
الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وأبو بكر على التوحيد
فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بإفراد أحدهما وجمع الآخر ثم أنشأناه خلقاً
آخر هو صورة البدن أو الروح أو القوى بنفخه فيه أو المجموع وثم لما بين الخلقين من
التفاوت واحتج به أبو حنيفة رضي الله عنه على أن من غصب بيضة فأفرخت عنده لزمه ضمان
البيضة لا الفرخ لأنه خلق آخر فتبارك الله فتعالى شأنه في قدرته وحكمته أحسن
الخالقين المقدرين تقديراً فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه ثم إنكم بعد ذلك

لميتون لصائرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به ثم انكم يوم القيمة تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل ما هو فوق مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلاف وندبر امرها حتى يبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسب ما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية وانزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره او بمقدار ما علمنا من صلاحهم فاسكناه فجعلناه ثابتا مستقرا في الارض وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فانشانا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها ومن الجنات ثمارها وزروعها تاكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته ويجوز ان يكون الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمراتها انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تاكلونه وشجرة عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء اي ومما انشئ لكم به شجرة تخرج من طور سيناء جبل موسى بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التانيث على تاويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالفه للتانيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لا فعلال اذ ليس في كلامهم

وقرئ بالكسر والقصر تنبت بالدهن اى تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز
ان تكون البا صلة معدية لتنبت كما فى قولك ذهبت بزيد وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
فى رواية تُنبِت وهو اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير ٭ رأيت ذوى الحاجات عند
بيوتهم ٭ قطينا لهم حتى اذا انبت البقل ٭ او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن
وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت بالدهان
وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفى الشئ على الآخر
اى تنبت بالشئ الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه
الخبز اى يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ فى دبغ وان لكم فى الانعام لعبرة
تعتبرون بحالها وتستدلون بها نسقيكم مما فى بطونها من الالبان او من العلف
فان اللبن يتكون منه فمن للتبعيض او للابتداء ولكم فيها منافع كثيرة فى ظهورها
واصوافها وشعورها ومنها تأكلون فتنتفعون باعيانها وعليها وعلى الانعام
فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هى المحمول عليها عندهم
والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة ٭ سفينة بر تحت خدى زمامها ٭
فيكون الضمير فيه كالضمير فى وبعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون فى
البر والبحر ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله الى آخر القصة
مسوق لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها
ما لكم من اله غيره استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرا الكسائى غيره بالجر على اللفظ
افلا تتقون افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته
الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التى لا تحصونها فقال الملأ الاشراف الذين كفروا
من قومه لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل
عليكم ويسودكم ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة رسلا ما سمعنا
بهذا فى آبائنا الاولين يعنون نوحا اى ما سمعنا به انه نبى او ما كلمهم به من الحث
على عبادة الله ونفى اله غيره او من دعوى النبوة وذلك اما من فرط عنادهم او لا

كانوا

كانوا في مرية متطاولة إن هو إلا رجل به جنة اي جنون ولاجله يقول ذلك فتربصوا
به فاحتملوه وانتظروا حتى حين لعله يفيق من جنونه قال بعدما ايس من ايمانهم
رب انصرني باهلاكهم او بانجاز ما وعدتهم من العذاب بما كذبون بدل تكذيبهم اياي
او بسببه فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه
او يفسده عليك مفسد ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف تصنع فاذا جاء امرنا بالركوب
او نزول العذاب وفار التنور روي انه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن
معك فلما نبع الماء منه اخبرته امرأته فركب ومحله في مسجد الكوفة عن يمين الداخل
مما يلي باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه اخر ذكرتها في هود فاسلك
فيها فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ما سلككم في سقر من كل زوجين
اثنين من كل امتي الذكر والانثى واحدين مزدوجين واثنين تاكيد واهلك واهل بيتك
او ومن آمن معك الا من سبق عليه القول منهم اي القول من الله باهلاكه لكفره
وانما جيء بعلى لان السابق ضار كما جيء باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء لهم بالانجاء انهم مغرقون
لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي ومن هذا شانه لا يشفع له ولا يشفع فيه
كيف وقد امره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله فاذا استويت انت ومن
معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين كقوله فقطع دابر
القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلني في السفينة او في الارض
منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير في الدارين وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال
وانت خير المنزلين ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى
الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق به ان يستوي هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا
بان في دعائه مندوحة عن دعائهم فانه يحيط بهم ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه
لآيات يستدل بها ويعتبر اولو الاستبصار والاعتبار وان كنا لمبتلين لمصيبين
قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان هي المخففة واللام

هي الفارقة ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين هم عاد أو ثمود فأرسلنا فيهم رسولا
منهم هو هود أو صالح وإنما جعل القرن موضع الإرسال ليدل على أنه لم يأتهم من مكان
غير مكانهم وإنما أوحي إليه وهو بين أظهرهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره تفسير
لأرسلنا أي قلنا لهم على لسان الرسول أن اعبدوا الله أفلا تتقون عذاب الله وقال
الملأ من قومه الذين كفروا لعله ذكر بالواو لأن كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف
قول قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال وكذبوا بلقاء الآخرة بلقاء ما
فيها من الثواب والعقاب أو بمعادهم إلى الحياة الثانية بالبعث وأترفناهم ونعمناهم
في الحياة الدنيا بكثرة الأموال والأولاد ما هذا إلا بشر مثلكم في الصفة
والحال يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبر
والعائد إلى الثاني منصوب محذوف أو مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه
ولئن أطعتم بشرا مثلكم فيما يأمركم إنكم إذا لخاسرون حيث أذللتم أنفسكم وإذا جزاء
للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما
مجردة عن اللحوم والأعصاب أنكم مخرجون من الأجداث أو من العدم تارة أخرى إلى
الوجود وأنكم تكرير للأول أكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره أو أنكم مخرجون مبتدأ
خبره الظرف المقدم أو فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الأول أي أنكم
إخراجكم إذا متم أو أنكم إذا متم وقع إخراجكم ويجوز أن يكون خبر الأول محذوفا
لدلالة خبر الثاني عليه لا أن يكون الظرف لأن اسمه جثة هيهات هيهات
بعد التصديق أو الصحة لما توعدون أو بعد ما توعدون واللام للبيان كما في هيت لك
وكأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو
مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على أنه جمع هيهة
وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبإبدال
التاء هاء إن هي إلا حياتنا الدنيا أصله إن الحياة إلا حياتنا الدنيا فأقيم الضمير
مقام الأولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير وإشعارا بأن تعينها مغن عن

التصريح بها كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل ومعناه لا حياة الا هذه الحياة لان ان
نافية دخلت على هي التي في معنى الحيوة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي ما بعدها
نفي الجنس نموت ونحيى يموت بعضنا ويولد بعض وما نحن بمبعوثين بعد الموت
ان هو ما هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من رسالة وفيما يعدنا من البعث
وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون
بسبب تكذيبهم اياي قال عما قليل عن زمان قليل وما صلة لتوكيد معنى القلة او
نكرة موصوفة ليصبحن نادمين على التكذيب اذا عاينوا العذاب فاخذتهم الصيحة
صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على
ان القرن قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل من الله كقولك
فلان يقضي بالحق او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بغثاء
السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادي لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين
يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التي تنصب بافعال
لا تستعمل اظهارها واللام لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم
للتعليل ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين يعني قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما
تسبق من امة اجلها الوقت الذي حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق وما يستأخرون
الاجل ثم ارسلنا رسلنا تترى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء
بدل من الواو كتولج وتيقور والالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرأ ابو عمرو وابن كثير بالتنوين على
انه مصدر بمعنى المتواترة وقع حالا كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسول مع الارسال
الى المرسل ومع المجيء الى المرسل اليهم لان الارسال الذي هو مبدأ الامر منه والمجيء الذي هو
منتهاه اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث لم يبق منهم
الا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا
فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا بالآيات التسع وسلطان
مبين وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به المعجزات وان يراد بها العصا وافرادها

لانها اول المعجزات وامها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة
وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة
خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به المعجزات وبالسلطان الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها
ايات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي الى فرعون وملائه فاستكبروا عن الايمان
والمتابعة وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه
يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله تع فاما ترين من البشر احدا ولم
يثن المثل لانه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوة
قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر
بادنى تامل فان النفوس البشرية وان تشاركت في اصل القوى والادراك لكنها متباينة
الاقدام فيهما وكما ترى في جانب النقصان اغبياء لا يعود عليهم التفكر برادة يمكن
ان يكون في طرف الزيادة اغنياء عن التفكر والتعلم في اكثر الاشياء واغلب الاحوال
فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي اليه علمهم واليه اشار بقوله
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد وقومهما يعني بني اسرائيل لنا عابدون
خادمون منقادون كالعباد فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم
ولقد اتينا موسى الكتاب التورية لعلهم لعل بني اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى
فرعون وقومه لان التوراة نزلت بعد اغراقهم يهتدون الى المعارف والاحكام
وجعلنا ابن مريم وامه اية بولادتها اياه من غير مسيس فالاية امر واحد مضاف
اليهما او وجعلنا ابن مريم اية بان تكلم في المهد وظهر منه معجزات اخر وامه اية بان ولدت
من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها واويناهما الى ربوة ارض بيت
المقدس فانها مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر فان قراها على الربى وقرا
ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر من ارض منبسطة
وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها ومعين وماء معين
ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في الشيء او من الماعون

وهو المنفعة لانتفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره يدرك بالعيون
وصف ماؤها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان يا ايها الرسل كلوا
من الطيبات ندا وخطاب لجميع الانبيا لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا
في ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به في زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا
اوليا ويكون ابتدا الكلام ذكر تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم يكن له خاصة وان
اباحة الطيبات للانبيا شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية في رفض الطيبات حكاية
لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول رزقا وقيل الندا له ولفظ
الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال
ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل
واعملوا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون عليم فاجازيكم عليه
وان هذه اي ولان هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل انه معطوف
على بما تعملون وقرا ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستيناف امتكم امة
واحدة ملتكم ملة واحدة اي متحدة في العقايد واصول الشرايع او جماعتكم جماعة
واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة ونصب امة على الحال وانا ربكم
فاتقون في شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا امرهم بينهم امر دينهم او جعلوه
اديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض او التمييز والضمير
لما دل عليه الامة من اربابها او لها زبرا قطعا جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده
القراءة بفتح البا فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا
فانه يتضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حالا
من امرهم مثل كتب وقرئ بتخفيف البا كرسل في رسل كل حزب من المتحزبين بما
لديهم من الدين فرحون معجبون معتقدون انهم على الحق فذرهم في غمرتهم
في جهالتهم شبهها بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او لاعبون بها
وقرئ في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون انما نمدهم به

انما نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له فانه لا يعاب
عليه وانما المعاب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره نسارع لهم في
الخيرات والراجع محذوف والمعنى ايحسبون ان الذي نمدهم به نسارع به لهم فيما
فيه خيرهم واكرامهم بل لا يشعرون بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا
فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة في الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك
يسارع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم من
خشية ربهم من خوف عذابه مشفقون حذرون والذين هم بآيات ربهم المنصوبة
والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا
ولا خفيا والذين يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون
ما أتوا اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات وقلوبهم وجلة خائفة ان لا يقبل
منهم وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به انهم الى ربهم راجعون لان
مرجعهم اليه او من ان مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى عليهم اولئك يسارعون
في الخيرات يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها او يسارعون في نيل
الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها لقوله فآتاهم الله ثواب
الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفي عن اضدادهم وهم لها سابقون لاجلها فاعلون
السبق او سابقون الناس الى الطاعات او الثواب والجنة او سابقونها اي
ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا كقوله هم لها عاملون ولا نكلف
نفسا الا وسعها قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله
على النفوس ولدينا كتاب يعني اللوح او صحيفة الاعمال ينطق
بالحق بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون بزيادة عقاب او نقصان
ثواب بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة في غفلة غامرة لها من هذا من الذي
وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة ولهم اعمال خبيثة من دون ذلك متجاوزة
لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه من الشرك هم لها عاملون معتادون فعلها

حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر او الجوع حين دعا
عليهم الرسول فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني
يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة اذا هم يجأرون فاجأوا
الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأة بعد حتى ويجوز ان يكون
الجواب لا تجأروا اليوم فانه مقدر بالقول اي قيل لهم لا تجأروا انكم منا لا تنصرون
تعليل للنهي اي لا تجأروا فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا ولا يلحقكم نصر ومعونة
من جهتنا قد كانت آياتي تتلى عليكم يعني القرآن فكنتم على اعقابكم تنكصون
تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى مستكبرين
به الضمير للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه اغنى عن سبق ذكره او
لآياتي فانها بمعنى كتابي والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين او لان استكبارهم
على المسلمين حدث بسبب استماعه او بقوله سامرا اي تسمرون بذكر القرآن والطعن
فيه وهو في الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعافية وقرئ سمرا جمع سامر
تهجرون من الهجر بفتح الهاء اما بمعنى القطيعة او الهذيان اي تعرضون عن القرآن
او تهذون في شأنه والهجر بضم الهاء الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع تهجرون من اهجر
وقرئ تهجّرون على المبالغة افلم يدبروا القول اي القرآن ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز
لفظه ووضوح مدلوله ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين من الرسول والكتاب
او من الامن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسماعيل واعقابه
فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم بالامانة وحسن الخلق
وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء فهم له منكرون دعوته
لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشيء قطعا او ظنا انما يتجه
اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحث عما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم
يوجد ام يقولون به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا
وادقهم نظرا بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون لانه يخالف شهواتهم

واهواؤهم فلذلك انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان
استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق ولو اتبع الحق اهواءهم
بان كان في الواقع الهة شتى لفسدت السموات والارض ومن فيهن كما سبق في
تقرير في قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب
باطلا لذهب ما قام به العالم من فرط غضبه او لو اتبع الله اهواءهم
بان انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي لخرج عن الالوهية ولم يقدر ان يمسك
السموات والارض وهو على اصل المعتزلة بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي هو
ذكرهم او وعظهم او صيتهم او الذكر الذي تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين
وقرئ بذكراهم فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه ام تسألهم قيل انه
قسيم قوله ام به جنة خرجا اجرا على اداء الرسالة فخراج ربك رزقه في الدنيا
او ثوابه في العقبى خير لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج
بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض ففيه اشعار
بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج
وحمزة والكسائي خراجا فخراج للمزاوجة وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه وانك
لتدعوهم الى صراط مستقيم تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه
يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلة في هذه الايات بان
حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة
الفطنة وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط عن الصراط السوي
لناكبون لعادلون عنه فان خوف الاخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك
طريقه ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعني القحط للجوا لثبتوا واللجاج
في الشيء في طغيانهم في افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول
والمؤمنين يعمهون عن الهدى روي انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت

رحمة

رحمة للعالمين قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت ولقد اخذناهم بالعذاب
يعني القتل يوم بدر فما استكانوا لربهم وما يتضرعون بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم
والاستكانة استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون
اشبعت فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله حتى اذا فتحنا
عليهم بابا ذا عذاب شديد يعني الجوع فانه اشد من القتل والاسر اذا هم فيه
مبلسون متحيرون ايسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم يستعطفك وهو الذي
انشأ لكم السمع والابصار لتحسوا بها ما نصب من الايات والافئدة لتتفكروا
فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية قليلا ما تشكرون
تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان
لمانحها من غير اشراك وما صلة للتأكيد وهو الذي ذرأكم في الارض خلقكم وبثكم
فيها بالتناسل واليه تحشرون اي تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي
ويميت وله اختلاف الليل والنهار ومختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون
ردا لنسبته الى الشمس حقيقة او لامره وقضائه تعاقبهما او انتقاص احدهما وازدياد
الاخر افلا تعقلون بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها
وان البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا
اي كفار مكة مثل ما قال الاولون اباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ائذا متنا وكنا
ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون استبعادا ولم يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا
ترابا فخلقوا لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين
الا اكاذيبهم التي كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب
والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون
ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم
حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره
ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال سيقولون لله لان العقل الصريح

فما اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها قل اى بعد ما قالوه افلا تذكرون
فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا فان بدء الخلق
ليس باهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات السبع
ورب العرش العظيم فانها اعظم من ذلك سيقولون لله قرأ ابو عمرو ويعقوب
بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال قل افلا تتقون عقابه فلا
تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت
كل شيء ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا
يجار عليه ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ان
كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون فمن اين تخدعون فتصرفون عن
الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق من التوحيد والوعد
بالنشور وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة
احد وما كان معه من اله يساهمه في الالوهية اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا
بعضهم على بعض جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه اى
لو كان معه آلهة كما تقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه
عن ملك الاخرين ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن
بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على
استناد جميع الممكنات الى واجب واحد سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك
لما سبق من الدليل على فساده عالم الغيب والشهادة خبر مبتدأ محذوف وقد جره
ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفي
الشريك بناء على توافقهم في انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه فتعالى عما يشركون
بالفاء قل رب اما تريني ان كان لا بد ان تريني لان ما والنون للتاكيد ما يوعدون
من العذاب في الدنيا والآخرة رب فلا تجعلني في القوم الظالمين قرينا لهم في
العذاب وهو اما لهضم النفس او لان شؤم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله

واتقوا

واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن الحسن انه تعالى اخبر نبيه ان له في امته
نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط
والجزاء به فضل تضرع وجؤار وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون لكنا نؤخره علما
بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد لانكارهم
الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة ادفع بالتي
هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى
وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هي الامر بالمعروف والسيئة
المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل نحن
اعلم بما يصفون بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف حالك واقدر على
جزائهم فكل الينا امرهم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم
واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة
الدواب على المشي والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ
بك رب ان يحضرون يحوموا حولي في شيء من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة
القرآن وحلول الاجل لانها احرى الاحوال بان يخاف عليه حتى اذا جاء احدهم الموت
متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتاكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان
ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انهم لكاذبون قال تحسرا على ما فرط
فيه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر رب ارجعون ردوني الى الدنيا والواو
لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا واطرقا لعلي اعمل صالحا
فيما تركت في الايمان الذي تركته اي لعلي آتي بالايمان واعمل فيه وقيل في المال او
في الدنيا وعنه عليه السلام اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا انرجعك الى الدنيا
فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تعالى واما الكافر فيقول رب
ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها كلمة يعني قوله رب ارجعون
الى آخره والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض هو قائلها لا محالة

لتسلط الحيرة عليه ومن ورائهم امامهم والضمير للجماعة برزخ حايل بينهم وبين
الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيمة وهو اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه
لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة تكون في الاخرة فاذا نفخ
في الصور لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو به وبكسر الصاد تؤيد ان الصور
ايضا جمع الصورة فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم لفرط الحيرة
واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او يفتخرون
بها يومئذ كما يفعلون اليوم ولا يتساءلون ولا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله
بنفسه وهو لا يناقض قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة
وذلك بعد المحاسبة او دخول اهل الجنة الجنة والنار النار فمن ثقلت موازينه موزونات
عقايده واعماله اي ومن كانت له عقايد واعمال صالحة يكون لها وزن عند الله
وقدر فاولئك هم المفلحون الفايزون بالنجاة والدرجات ومن خفت موازينه ومن لم
يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فاولئك
الذين خسروا انفسهم غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها
لنيل كمالها في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار
تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تاثيرا وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق
والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون الم تكن آياتي تتلى
عليكم على اضمار القول اي يقال لهم الم تكن فكنتم بها تكذبون تانيب وتذكير
لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا بحيث
صارت احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة
وقرئ بالكسر كالكتابة وكنا قوما ضالين عن الحق ربنا اخرجنا منها من النار
فان عدنا الى التكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسؤوا فيها اسكتوا
سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ ولا
تكلمون في رفع العذاب راسا قيل اهل النار يقولون الف سنة ربنا ابصرنا

وسمعنا فيجابون حق القول مني فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون
ذلكم بانه اذا دعي الله فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم
ماكثون فيقولون الفا اخرنا فيجابون اولم تكونوا اقسمتم فيقولون الفا اخرجنا
نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فيقولون الفا رب ارجعون فيجابون اخسؤوا
فيها ثم لا يكون لهم الا زفير وشهيق وعوي كعوي الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون
انه ان الشان وقرئ بالفتح اي لانه كان فريق من عبادي يعني المؤمنين وقيل
الصحابة وقيل اهل الصفة يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير
الراحمين فاتخذتموهم سخريا هزوا وقرأ نافع وحمزة والكسائي ههنا وفي ص بالضم
وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى
الهزو والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية حتى انسوكم ذكري من فرط
تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في اوليائي وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم
اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم انهم هم الفائزون فوزهم بمجامع مراداتهم
مخصوصين به وهو ثاني مفعولي جزيتهم وقرأ حمزة وابن كثير والكسائي بالكسر
استينافا قال اي الله او الملك المامور بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
قل على الامر للملك او لبعض رؤساء اهل النار كم لبثتم في الارض احياء وامواتا في القبور
عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم
فيها بالنسبة الى خلودهم في النار او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار
او لانها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم فاسأل العادين الذين يتمكنون من عد
ايامها ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها
او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف
اي الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعاديين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون
قال وفي قراءة الكوفيين قل ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون تصديق لهم
في مقالهم افحسبتم انما خلقناكم عبثا توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى

عابثين او مفعول له اى لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على
اعمالكم وهو كالدليل على البعث وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم
او عبثا وقرا حمزة والكسائى ويعقوب بفتح التاء ترجعون فتعالى الله الملك الحق الذى
يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون
وجه وفى حال دون حال لا اله الا هو فان ما عداه عبيده رب العرش الكريم الذى
يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم
او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة الرب ومن يدع مع الله
الها آخر يعبده لا برهان له به صفة اخرى لاله لازمة فان الباطل لا برهان به
جئ بها للتاكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا
عما دل الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك فانما حسابه عند
ربه فهو مجاز له مقدار ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون اى الشان وقرئ بالفتح
على التعليل او الخبر اى حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها
بنفى الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال وقل
رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك
الموت وعنه عم انه قال لقد انزلت على عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم
قرا قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروى ان اولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث
آيات من اولها واتعظ باربع من آخرها فقد نجا وافلح

سورة النور مدنية وهى اثنتان واربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة اى هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة انزلناها صفتها
ومن نصبها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل ودونك
او نحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو

لكثرة فرائضها او المفروض عليهم او للمبالغة في ايجابها وانزلنا فيها آيات بينات
واضحات الدلالة لعلكم تذكرون فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال
الزانية والزاني اي فيما فرضنا او انزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا
بالابتداء والخبر فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمنهما معنى
الشرط اذ اللام بمعنى الذي وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو
احسن من نصب سورة لأجل الامر والزان بلا يا وانما قدم الزانية لان الزنا في الاغلب
يكون لتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها
والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص من ليس بمحصن لما دل على ان حد المحصن هو
الرجم وزاد الشافعي عليه تغريب الحر سنة لقوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة
وتغريب عام وليس في الاية ما يدفعه لينسخ احدهما بالآخر نسخا مقبولا او مردودا
وله في العبد ثلاثة اقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة في
نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود برجمه عم يهوديين
ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذي يقتص له
من المسلم ولا تأخذكم بهما رأفة رحمة في دين الله في طاعته واقامة حده
فتعطلوه او تسامحوا فيه ولذلك قال عم لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها
وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة ان كنتم تؤمنون بالله واليوم
الآخر فان الايمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في اقامة احكامه وهو
من باب التهييج وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين زيادة في التنكيل فان
التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول
شيء من الطوف واقلها ثلاثة وقيل واحد واثنان والمراد جمع يحصل به التشهير
الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك اذ
الغالب ان المائل الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها
الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب للنفرة والافتراق

وكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الا من زان او مشرك لكن المراد بيان احوال
الرجال في الرغبة فيهن لان الآية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا
بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم
الزاني وحرم ذلك على المؤمنين لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء
المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم
مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب
الذي ورد فيه او منسوخ بقوله وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات
ويؤيده انه عم سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال
وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول الى نهي الزاني عن الزنا الا بزانية والزانية ان يزني
بها الا زان وهو فاسد والذين يرمون المحصنات يقذفونهن بالزنا لوصف
المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقيب الزواني واعتبار اربعة شهداء بقوله ثم
لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة والقذف بغيره مثل يا فاسق
ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان ههنا بالحرية والبلوغ
والعقل والاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات
لخصوص الواقعة او لان قذف النساء اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود
عند الاداء ولا تعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابي حنيفة وليكن ضربه اخف
من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ولا تقبلوا لهم
شهادة اي شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف ذلك
على استيفاء الجلد خلافا لابي حنيفة رضي الله عنه فان الامر بالجلد والنهي عن
القبول سيان في وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة
كيف وحاله قبل الجلد اسوأ مما بعده ابدا ما لم يتب وعند ابي حنيفة الى آخر عمره
واولئك هم الفاسقون المحكوم بفسقهم الا الذين تابوا من بعد ذلك
عن القذف واصلحوا اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال

عن

من المقذوف والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور ولا
يلزم سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له او الاستحلال ومحل المستثنى
النصب على الاستثناء وقيل الى النهي ومحله الجر على البدل من هم في لهم وقيل الى الاخير
ومحله النصب لانه عن موجب وقيل منقطع متصل بما بعده فان الله غفور رحيم علة
للاستثناء والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم نزلت في
هلال بن امية راى رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا
بمعنى غير فشهادة احدهم اربع شهادات فالواجب شهادة احدهم او فعليهم شهادة
احدهم واربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على انه خبر شهادة
بالله متعلق بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين اي فيما
رماها به من الزنا واصله على انه فحذف الجار وكسرت وعلق العامل عنه باللام تاكيدا
والخامسة والشهادة الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين في الرمي
وقرأ نافع ويعقوب بالتخفيف في الموضعين هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف
عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عم المتلاعنان لا يجتمعان ابدا
وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابي حنيفة ونفي الولد ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنا
على المرأة لقوله ويدرأ عنها العذاب اي الحد ان تشهد اربع شهادات بالله انه
لمن الكاذبين فيما رماني به والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين
في ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها
حفص عطفا على اربع وقرأ نافع ويعقوب ان لعنة الله ان غضب الله بتخفيف النون
فيهما ورفع التاء وكسر الضاد وفتح الباء من غضب ورفع الهاء من اسم الله والباقون
بتشديد النون ونصب التاء وفتح الضاد وجر الهاء ولولا فضل الله عليكم ورحمته
وان الله تواب حكيم متروك الجواب للتعظيم اي لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة
ان الذين جاؤا بالافك بابلغ ما يكون من الكذب من الافك وهو الصرف لانه
قول مأفوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة رض وذلك انه عليه السلام استصحبها

في بعض الغزوات فاذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء الحاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثم احدا فجلست كي يرجع اليها منشد وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس من وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به عصبة منكم جماعة منكم وهي من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهي خبر ان وقوله لا تحسبوه شرا لكم مستانف والخطاب للرسول وابي بكر وعائشة وصفوان والهاء للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله تع بانزال ثماني عشرة آية في براءتكم وتعظيم شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به والذي تولى كبره معظمه وقرأ يعقوب بالضم وهو لغة فيه منهم من الخائضين وهو ابن ابي فانه بدأ به واذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم او هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذي بمعنى الذين له عذاب عظيم في الاخرة او في الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابي مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان اعمى اشل اليدين ومسطح مكفوف البصر لولا هلا اذ سمعتموه ظن المؤمنون بانفسهم خيرا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تع ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة في التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التحضيض على ان لا يخلوا باوله وقالوا هذا افك مبين كما يقول المستيقن المطلع على الحال

لولا جاؤوا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم
الكاذبون من جملة المقول تقريرًا لكونه كذبًا فان ما لا حجة عليه مكذب عند الله
اي في حكمه ولذلك رتب الحد عليه ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا
والآخرة لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا
بانواع النعم التي من جملتها الامهال للتوبة ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدران
لكم لمسكم عاجلا فيما افضتم خضتم فيه عذاب عظيم يستحقر دونه اللوم والجلد
اذ ظرف لمسكم او افضتم تلقونه بالسنتكم يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه
يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه اذا
لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه
من الالق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه
اي تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي تقولون كلامًا مختصًا
بالافواه بلا مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرًا عن علم به في قلوبكم لقوله تع يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينًا سهلا لا تبعة له وهو عند الله عظيم
في الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي
الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم
ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ما ينبغي وما يصح لنا ان نتكلم بهذا يجوز
ان تكون الاشارة الى القول المخصوص وان تكون الى نوعه فان قذف آحاد الناس محرم
شرعًا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صم سبحانك
تعجب ممن يقول ذلك واصله ان يذكر عند كل متعجب تنزيهًا لله تع من ان يصعب عليه
مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب او تنزيه لله من ان تكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها
ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرًا لما قبله وتمهيدًا
لقوله هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها
باعتبار متعلقاتها يعظكم الله ان تعودوا لمثله كراهة ان تعودوا او في ان تعودوا

[illegible]

قوله صفات لموصوف واحد لأنها نزلت في مسطح وهو متصف بها فالعطف لتنزيل تغاير الصفات منزلة تغاير الموصوفات والجمع على ظاهره لما مر وقوله أبلغ أي في إثبات الاستحقاق للإيتاء لهذه الصفات لأن من اتصف بواحدة منها إذا استحقه ففي جمعها بالطريق الأولى والإغماض كالغض عدم فتح البصر وهو كناية عن عدم المبالاة بما صدر منهم وقوله على عفوكم أي قدره بقرينة السياق شهاب

أبداً ما دمتم أحياء مكلفين إن كنتم مؤمنين فإن الإيمان يمنع عنه وفيه تهييج
وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتأدبوا
والله عليم بالأحوال كلها حكيم في تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها
إن الذين يحبون يريدون أن تشيع أن تنتشر الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب
أليم في الدنيا والآخرة بالحد والسعير إلى غير ذلك والله يعلم ما في الضمائر
وأنتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه وتعالى
يعاقب على ما في القلوب من حب الإشاعة ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير
للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله
وأن الله رؤوف رحيم على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو
مستغنى عنه بذكره مرة يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان بإشاعة الفاحشة
وقرأ نافع والبزي وأبو عمرو وأبو بكر وحمزة بسكون الطاء وقرئ بفتح الطاء ومن
يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهي عن اتباعه
والفحشاء ما أفرط قبحه والمنكر ما أنكره الشرع ولولا فضل الله عليكم ورحمته
بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من
دنسها منكم من أحد أبداً آخر الدهر ولكن الله يزكي من يشاء بحمله على التوبة وقبولها
والله سميع لمقالهم عليم بنياتهم ولا يأتل ولا يحلف افتعال من الألية أو لا
يقصر من الألو ويؤيد الأول أنه قرئ ولا يتأل وأنه نزل في أبي بكر وقد حلف أن لا
ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين أولو الفضل منكم
في الدين والسعة في المال وفيه دليل على فضل أبي بكر وشرفه أن يؤتوا على أن لا
يؤتوا أو في أن يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات أولي القربى والمساكين والمهاجرين
في سبيل الله صفات لموصوف واحد أي ناساً جامعين لها لأن الكلام فيمن كان كذلك
أو لموصوفات أقيمت مقامها فيكون أبلغ في تعليل المقصود وليعفوا ما فرط منهم
وليصفحوا بالإغماض عنه ألا تحبون أن يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم وإحسانكم

الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روى انه عم قرأها على ابى بكر فقال بلى احب ان يغفر الله لى ورجع الى مسطح نفقته ان الذين يرمون المحصنات الغافلات عما قذفن به المؤمنات بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعنا فى الرسول والمؤمنين كابن ابى لعنوا فى الدنيا والاخرة لما طعنوا فيهن ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عباس لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما نزل فى افك عائشة رض يوم تشهد عليهم ظرف لما فى لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة والكسائى بالياء للتقدم والفصل السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يعترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم او بظهور اثاره عليها وفى ذلك مزيد تهويل للعذاب يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم المستحق ويعلمون لمعاينتهم الامر ان الله هو الحق المبين الثابت بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه فى ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق البين اى العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اى الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله اولئك يعنى اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم او الرسول وعائشة وصفوان مبرؤن مما يقولون اذ لو صدق لم تكن زوجته صلى الله عليه وسلم ولم تقرر عليه وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير فى يقولون للآفكين اى مبرؤن مما يقولون فيهم او للخبيثين والخبيثات اى مبرؤن من ان يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم يعنى الجنة ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف بشاهد من اهلها وموسى من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة بهذه الايات مع هذه المبالغات وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول واعلاء منزلته يا

يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا
لا يدخلان الا باذن حتى تستأنسوا تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام من
آنس الشيء اذا ابصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله
او يؤذن له او من الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش
خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن له استأنس او تتعرفوا هل ثم انسان من الانس وتسلموا
على اهلها بان تقولوا السلام عليكم أأدخل وعنه عم التسليم ان يقول السلام
عليكم أأدخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع ذلكم خير لكم اي الاستئذان او التسليم
خير لكم من ان تدخلوا بغتة او من تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته
قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي ان
رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أأستأذن على امي قال نعم قال انها ليس لها خادم غيري
أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن لعلكم
تذكرون متعلق بمحذوف اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا
بما هو اصلح لكم فان لم تجدوا فيها احدا يأذن لكم فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم حتى
يأتي من يأذن فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما
يخفيه الناس عادة مع ان التصرف في ملك الغير بغير اذنه محظور واستثني ما
اذا عرض فيه حرق او غرق او كان فيه منكر ونحوها وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا
ولا تلحوا هو ازكى لكم الرجوع اطهر لكم عما لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه
من الكراهة وترك المروءة او انفع لدينكم ودنياكم والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون
وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير
مسكونة كالربط والخانات والحوانيت فيها متاع استمتاع لكم كالاستكنان من الحر
والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله
البيوت المسكونة وغيرها والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا
لفساد او تطلع على عورات قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اي ما يكون نحو محرم

ويحفظوا

ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر
بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة بسترها
ذلك ازكى لهم انفع لهم او اطهر لما فيه من البعد عن الريبة ان الله خبير بما يصنعون
لا يخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما
يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات
يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال و
يحفظن فروجهن بالتستر او التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد
الزنا ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا
يحل له ان تبدي له الا ما ظهر منها عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم
فان في سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن
الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر
ان هذا في الصلاة لا في النظر فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم
النظر الى شيء منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة وليضربن بخمرهن على
جيوبهن سترا لاعناقهن وقرأ نافع وعاصم وابو عمرو وهشام بضم الجيم ولا يبدين زينتهن
كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له الا لبعولتهن فانهم المقصودون بالزينة
ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن
او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة مداخلتهم
عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة
عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم
يذكر الاعمام والاخوال لانهم في معنى الاخوان او لان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا
ان يصفوهن لابنائهم او نسائهن يعني المؤمنات فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن
للرجال والنساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء والعبيد
لما روي انه عم اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ

رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال عم انه ليس عليك باس انما هو ابوك
وغلامك وقيل المراد به الاماء وعبد المراة كالاجنبي او التابعين غير اولي الاربة
من الرجال اى اولى الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب
والخصي خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا
من امور النساء وقرا ابن عامر وابو بكر غير بالنصب على الحال او الطفل الذين لم يظهروا
على عورات النساء لعدم تميزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد
الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف
ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات
خلخال فان ذلك يورث ميلا فى الرجال وهو ابلغ من النهي عن اظهار الزينة وادل
على المنع من رفع الصوت وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون اذ لا يكاد يخلو احد منكم
من تفريط سيما فى الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية فانه
وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما يتذكر لعلكم
تفلحون بسعادة الدارين وقرا ابن عامر ايه المؤمنون وفي الزخرف يا ايه الساحر وفي الرحمن
ايه الثقلان بضم الهاء فى الوصل فى الثلاث والباقون بفتحها ووقف ابو عمرو والكسائي
عليهن بالالف ووقف الباقون بغير الف وانكحوا الايامى منكم والصالحين من
عبادكم وامائكم لما نهى عما عسى ان يفضي الى السفاح المخل بالنسب المقتضي للالفة
وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه
عقبه بامر النكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب
تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها واشعار بان المراة والعبد لا يستبدان
به اذ لو استبدا لما وجب على الولي والمولى وايامى مقلوب ايايم كيتامى جمع ايم وهو
العزب ذكرا كان او انثى بكرا كان او ثيبا قال فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت
افتى منكم اتايم وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام بشانهم اهم
وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا فقراء يغنهم الله

من فضله رد لما عسى يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من
المناكحة فان فى فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح او وعد من الله بالاغناء لقوله
عليه السلام اطلبوا الغنى فى هذه الاية لكنه مشروطة بالمشية لقوله تع وان خفتم
وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء والله واسع ذو سعة لا تنفد
نعمته اذ لا تنتهى قدرته عليم يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته وليستعفف
وليجتهد فى العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا اسبابه ويجوز ان يراد
بالنكاح ما ينكح به او بالوجدان التمكن منه حتى يغنيهم الله من فضله فيجدوا
ما يتزوجون به والذين يبتغون الكتاب المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه
كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال
او لانه مما يكتب لتأجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم
بعضها الى بعض مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة والموصول بصلته مبتدأ خبره
فكاتبوهم او مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه
للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها
واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق لا يعم مع
ان العجز عن الاداء فى الحال يمنع صحتها كما فى السلم فيما لا يوجد عند المحل ان علمتم
فيهم خيرا امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد روى مثله مرفوعا وقيل صلاحا
فى الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه
عدم الجواز وآتوهم من مال الله الذى آتاكم امر للموالى كما قبله بان يبذلوا لهم
شيئا من اموالهم وفى معناه حط شىء من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفى
اقل ما يتمول وعن على رض يحط الربع وعن ابن عباس الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم
بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم
من الزكاة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا يأخذه صدقة كالدائن والمشترى ويدل
عليه قوله عم فى بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم اماءكم على

البغاء على الزنا كانت لعبد الله بن ابي ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب
فشكا بعضهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ان اردن تحصنا تعففا
شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطا للنهي لم يلزم من عدمه جواز
الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي بامتناع المنهي عنه وايثار ان على اذا لان
ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن
فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن او له ان تاب والاول وفق للظاهر
ولما في مصحف ابن مسعود من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة
غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على
المكره القتل واوجب عليه القصاص ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات يعني الآيات
التي بينت في هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة
والكسائي بالكسر لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة
من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام والحدود ومثلا من الذين خلوا من قبلكم
ومثلا من امثال من قبلكم اي وقصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عائشة رض
فانها كقصة يوسف ومريم وموعظة للمتقين يعني ما وعظ به في تلك الآيات و
تخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته
الله نور السموات والارض النور في الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها
سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو
بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم
اي على تجوز بمعنى منور السموات والارض وقد قرئ به فانه تعالى نورها بالكواكب وما
يفيض عنها من الانوار او بالملائكة والانبياء او مدبرها من قولهم للرئيس الفائق في
التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور او موجدها فان النور ظاهر بذاته
مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء هو العدم والله سبحانه وتعالى
موجود بذاته موجد لما عداه او الذي به تدرك او يدرك اهلها من حيث انه يطلق

على الباصرة لتعلقها بها ولمشاكلتها له في توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى
ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات
وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها
والا لما فارقتها فهي اذن من سبب يفيضها عليها وهو الله تع ابتداء او بتوسط الملائكة
والانبياء ولذلك سموا انوارا ويقرب منه قول ابن عباس رض معناه هادي من فيهما فهم بنوره
يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسية
والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما
مثل نوره صفة نوره العجيبة الشان واضافته الى ضميره سبحانه دليل على ان
اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كمشكاة كصفة مشكاة وهي الكوة الغير النافذة
فيها مصباح سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح
الفتيلة المشتعلة المصباح في زجاجة في قنديل من الزجاج الزجاجة كانها
كوكب دري مضيء متلألئ كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل
كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلبت
همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر على الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي
دريء كشريب وقد قرئ به مقلوبا يوقد من شجرة مباركة زيتونة اي ابتداء ثقوب
المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام
الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم لشانها وقرا نافع وابن عامر وحفص
بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائي وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى
الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد بمعنى تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع الزيادتين
وهو غريب لا شرقية ولا غربية تقع الشمس عليها حينا بعد حين بل بحيث تقع عليها
طول النهار كالتي تكون على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى
او لا نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون
او لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها او في مقنأة تغيب عنها دائما

فتركها نبتا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقنأة ولا خير في مضحى يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار أي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه نور
على نور نور متضاعف فان نور المصباح زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط
المشكاة لأشعته وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذي دلت عليه الآيات
البينات في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة او تشبيه
للهدى من حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولي الكاف
المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله
به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده
قراءة أبي مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة
التي نيط بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية
التي تحفظ صور تلك المحسوسات ~~بالحواس الخمس والخيالية تحفظ صور تلك المحسوسات~~
لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعاقلة التي تدرك الحقائق الكلية والمفكرة
وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم تعلم والقوة القدسية التي تتجلى فيها
لوائح الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله تعالى ولكن جعلناه
نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكاة
والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكاة لان محلها كالكوى
ووجهها الى الظاهر لا تدرك ما وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية
كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها
بما تشتمل عليها من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية
والمعارف الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديتها الى ثمرات لا نهاية لها
والزيتونة المثمرة بالزيت الذي هو مادة المصابيح التي لا تكون شرقية ولا غربية
لتجردها عن اللواحق الجسمية او لوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في
القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها

وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تفكر ولا تعليم او تمثيل للقوة العقلية في
مراتبها بذلك فانها في بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش
بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير
كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة
الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالتي يكاد زيتها
يضيء لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي والالهام الذي مثله النار من حيث
ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها
متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور يهدي الله لنوره لهذا
النور الثاقب من يشاء فان الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها ويضرب
الله الامثال للناس ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا والله بكل شيء
عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها
ولمن لم يكترث بها في بيوت متعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت او توقد في
بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا او مبالغة فيه فان قناديل المساجد
تكون اعظم او تمثيلا لصلاة المؤمنين او ابدانهم بالمساجد ولا ينافي جمع البيوت
وحدة المشكاة اذ المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو
يسبح وفيها تكرير مؤكد لا يذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف مثل
سبحوا في بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلاثة
والتنكير للتعظيم اذن الله ان ترفع بالبناء او التعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما
يتضمن ذكره حتى المذاكرة في افعاله والمباحثة في احكامه يسبح له فيها بالغدو
والآصال ينزهونه او يصلون له فيها بالغدوات والعشايا والغدو مصدر
اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وقرئ والايصال وهو الدخول
في الاصيل وقرأ ابن عامر وعاصم يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلاثة و
رفع رجال بما يدل عليه وقرئ بالتاء مكسورا لتأنيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى

الى وقت الغدو رجال لا تلهيهم تجارة لا تشغلهم معاملة رابحة ولا بيع عن
ذكر الله مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو الاهم
من قسمي التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى وقيل المراد بالتجارة الشرى
فانه اصلها ومبدؤها وقيل الجلب لانه الغالب ومنه يقال تجر في كذا اذا جلبه وفيه
ايماء بانهم تجار واقام الصلاة عوض فيه الاضافة عن التاء المعوضة عن العين الساقطة
بالاعلال كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وايتاء الزكاة ما يجب اخراجه
من المال للمستحقين يخافون يوما مع ما هم عليه من الذكر والطاعة تتقلب فيه
القلوب والابصار تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب
ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة
وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله
متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا احسن جزاء ما عملوا الموعود
لهم من الجنة ويزيدهم من فضله اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم تخطر ببالهم
والله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ
المشيئة وسعة الاحسان والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة والذين كفروا
حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها
لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت
الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية
وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات في ديمة يحسبه الظمآن ماء
اي العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة
حتى اذا جاءه جاء ما توهمه ماء او موضعه لم يجده شيئا مما ظنه ووجد الله
عنده عقابه او زبانيته او وجده محاسبا اياه فوفاه حسابه استعراضا
او مجازاة والله سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب روي انها نزلت
في عتبة بن ربيعة تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر او كظلمات

عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب
ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب
او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات
او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات في الدنيا وكالسراب في الآخرة في بحر لجي
عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشاه يغشى البحر موج من فوقه موج
اى امواج مترادفة متراكمة من فوقه من فوق الموج الثاني سحاب غطى النجوم
وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر ظلمات اى هذه ظلمات بعضها فوق
بعض وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى او باضافة السحاب اليها اذا
اخرج يده وهي اقرب ما يرى اليه لم يكد يراها لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها
كقوله ❊ اذا غير النأي المحبين لم يكد ❊ رسيس الهوى من حب مية يبرح ❊ والضماير في
للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ومن لم يجعل الله له نورا ومن لم
يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها فما له من نور خلاف الموفق الذي له نور على
نور الم تر الم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي او الاستدلال
ان الله يسبح له من في السموات والارض ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل
السموات والارض ومن لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال
او دلالة حال والطير على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر
ولذلك قيدها بقوله صافات فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما تقوى به على الوقوف
في الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال
قدرة الصانع ولطف تدبيره كل كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم صلاته وتسبيحه
اى قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله والله عليم بما يفعلون او علم
كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم
ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة في
اسباب تعيشها لا يكاد يهتدي اليها العقلاء ولله ملك السموات والارض فانه

الخالق ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء
الى الواجب والى الله المصير مرجع الجميع الم تر ان الله يزجي سحابا يسوق ومنه البضاعة
المزجاة فانها يزجيها كل احد ثم يؤلف بينه بان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا
الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى
الودق اي المطر يخرج من خلاله من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله
وينزل من السماء من الغمام وكل ما علاك فهو سماء من جبال فيها من قطع عظام
تشبه الجبال في عظمها او جمودها من برد بيان للجبال والمفعول محذوف اي ينزل
مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان يكون من الثانية والثالثة
للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما في
الارض جبال من حجر وليس في العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت
ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهوى وقوي البرد هناك اجتمع وصار
سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل
اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا
وينزل منه المطر والثلج وكل ذلك لا بد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام
الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله
فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء والضمير للبرد يكاد سنا برقه ضوء برقه
وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال في السين وبرقه بفتح الراء وهو جمع برقة
وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع يذهب بالابصار بابصار الناظرين
اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد
من الضد وقرئ على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما
او بنقص احدهما وزيادة الاخر او بتغير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور
بما يعم ذلك ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لاولي الابصار لدلالة على وجود
الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه عن الحاجة

وما

وما يفضى اليها لمن يرجع الى بصيرة والله خلق كل دابة حيوان يدب على الارض وقرأ
حمزة والكسائي خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو
النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لا عن النطفة
وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وانما
سمي الزحف مشيا على الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين
كالطير والانس ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له
اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب
العقلاء والتعبير بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم
ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا
على اختلاف الصور والاعضاء والهيآت والحركات والطبائع والقوى والافعال
مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته ان الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء لقد
انزلنا آيات مبينات للحقائق بانواع الدلائل والله يهدي من يشاء بالتوفيق
للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الموصل
الى درك الحق والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله وبالرسول نزلت في بشر المنافق
خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي عم وقيل في مغيرة
ابن وائل خاصم عليا في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول وأطعنا اي واطعناهما ثم يتولى
بالامتناع عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك بعد قولهم هذا وما اولئك
بالمؤمنين اشارة الى القائلين باسرهم فيكون اعلاما من الله بان جميعهم وان
آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم او الى الفريق منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم
والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون
في الايمان والثابتون عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اي ليحكم
النبي فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في
الحقيقة حكم الله اذا فريق منهم معرضون فاجأ فريق منهم الاعراض اذا كان الحق

علمهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق اي
الحكم لا عليهم يأتوا اليه مذعنين منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم واليه صلة ليأتوا
او لمذعنين وتقديمه للاختصاص افي قلوبهم مرض كفر او ميل الى الظلم ام ارتابوا
بان راوا منك تهمة فزال يقينهم وثقتهم بك ام يخافون ان يحيف الله عليهم
ورسوله في الحكومة بل اولئك هم الظالمون اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق
القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما ان
يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته يمنعه
فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفي
ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله و
رسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون على عادته
تع في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي وقرئ
قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل
الحكم ومن يطع الله ورسوله فيما امراه او في الفرائض والسنن ويخش الله
على ما صدر عنه من الذنوب ويتقه فيما بقي من عمره وقرا يعقوب وقالون
عن نافع بلا ياء وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء وحفص بسكون القاف فشبه
تقه بكتف وخفف فاولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم واقسموا بالله جهد
ايمانهم انكار للامتناع عن حكمه لئن امرتهم بالخروج عن ديارهم واموالهم ليخرجن
جواب لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب طاعة معروفة اي المطلوب
منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة النفاقية المنكرة او طاعة معروفة
امثل منها او ليكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة ان الله خبير بما
تعملون فلا يخفى عليه سرائركم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر بتبليغ ما
خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم فان تولوا فانما عليه اي على محمد
ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه في حكمه

تهتدوا الى الحق وما على الرسول الا البلاغ المبين التبليغ الموضح لما كلفتم
به وقد ادى وانما بقي ما حملتم فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم وعد الله الذين
آمنوا منكم وعملوا الصالحات خطاب للرسول وللامة او له ولمن معه ومن للبيان
ليستخلفنهم في الارض ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الارض تصرف الملوك
في مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد في
تحققه منزل منزلة القسم كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرائيل استخلفهم
في مصر والشام بعد الجبابرة وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام
بالتقوية والتثبيت وليبدلنهم من بعد خوفهم من الاعداء امنا منهم وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا
الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فاظهرهم
على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار
عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه
لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه في الآخرة يعبدونني حال من
الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف
والامن لا يشركون بي شيئا حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين ومن كفر
ارتد او كفر هذه النعمة بعد ذلك بعد الوعد وحصول الخلافة فاولئك هم
الفاسقون الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات او كفروا
تلك النعمة العظيمة واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الرسول في سائر
ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المامور
به فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول للتأكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة هي
فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الهدى لا تحسبن الذين كفروا معجزين في
الارض لا تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفي الارض
صلة معجزين او الذين كفروا فاعل والمعنى لا يحسبن الكفار في الارض احدا

معجز الله فيكون معجزين في الأرض مفعوليه أو لا يحسبنهم معجزين فحذف المفعول
الأول لأن الفاعل والمفعولين لشيء واحد فاكتفى بذكر الاثنين عن الثالث وقرأ ابن عامر
وحمزة بالياء وهو كالأول في الاحتمالات ومأواهم النار عطف عليه من حيث المعنى
كأنه قيل الذين كفروا ليسوا بمعجزين ومأواهم النار لأن المقصود من النهي عن الحسبان
تحقيق نفي الإعجاز ولبئس المصير المأوى الذي يصيرون إليه يا أيها الذين
آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم رجوع إلى تتمة الأحكام السالفة بعد الفراغ
عن الإلهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الأحكام وغيرها والوعد عليها
والوعيد على الإعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما
روي أن غلام أسماء بنت أبي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل أرسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الأنصاري وكان غلاما وقت الظهيرة
ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت أن الله تعالى
نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا هذه الساعات علينا إلا بإذن ثم انطلق
معه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية والذين
لم يبلغوا الحلم منكم والصبيان الذين لم يبلغوا من الأحرار فعبر عن البلوغ
بالاحتلام لأنه أقوى دلائله ثلاث مرات في اليوم والليلة مرة من قبل صلاة
الفجر لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله
النصب بدلا من ثلاث مرات أو الرفع خبرا لمحذوف أي هي من قبل صلاة الفجر وحين
تضعون ثيابكم أي ثيابكم لليقظة للقيلولة من الظهيرة بيان للحين ومن بعد
صلاة العشاء لأنه وقت التجرد من اللباس والالتحاف باللحاف ثلاث عورات
لكم أي هي ثلاث أوقات يختل فيها تستركم ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره ما بعده
وأصل العورة الخلل ومنها أعور المكان ورجل أعور وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر
ثلاث بالنصب بدلا من ثلاث مرات ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد
هذه الأوقات في ترك الاستئذان وليس فيه ما ينافي آية الاستئذان فينسخ بها لأنه

في

في الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك في الاحرار والبالغين طوافون عليكم
اي هم طوافون استيناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستيذان وهو المخالطة
وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلاثة
وغيرها بانها عورات بعضكم على بعض بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم
على بعض كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الآيات اي الاحكام والله عليم
باحوالكم حكيم فيما شرع لكم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما
استأذن الذين من قبلهم الذين بلغوا من قبلهم في الاوقات كلها واستدل به
من اوجب استيذان العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون
الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم كذلك يبين الله لكم آياته
والله عليم حكيم كرره تاكيدا ومبالغة في الامر بالاستيذان والقواعد من
النساء العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحا
لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي الثياب الظاهرة
كالجلباب والقناع فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي ولو صفا به غير متبرجات
بزينة غير مظهرات زينة مما امرن باخفائه في قوله ولا يبدين زينتهن واصل التبرج
التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين
بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه خص بكشف المرأة
زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن خير لهن من الوضع لانه ابعد من التهمة
والله سميع لمقالتهن للرجال عليم بمقصودهن ليس على الاعمى حرج ولا على
الاعرج حرج ولا على المريض حرج نفي لما كانوا يتحرجون من مؤاكلة الاصحاء حذرا
من استقذارهم او كلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا
خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك من طيبة قلب او من اجابة
من يدعوهم الى بيوت آبائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا
كلا عليهم وهذا اذا علم رضى صاحب البيت باذن او قرينة او كان في اول الاسلام

قوله ويجوز الخ فيتعلق بتحية المصدر على معنى مطلوبة من الله فهو ظرف لغو واصل معناها ان يقول حياك الله اي اعطاك الحياة ثم عمم لكل دعاء ...

ثم نسخ بنحو قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام وقيل نفي للحرج عنهم
في القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله وما بعده ولا على انفسكم ان تأكلوا من
بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت
الولد كبيته لقوله عم انت ومالك لابيك وقوله عم ان اطيب ما يأكل المؤمن من كسبه
وان ولده من كسبه او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت
اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم
او ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية
وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ مفتاحه
او صديقكم او بيوت صديقكم فانهم يرضون بالتبسط في اموالهم وسرّ به وهو يقع
على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضى صاحب البيت باذن او قرينة
ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم وكان في اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج
للحنفية به على ان لا قطع بسرقة مال المحرم ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا
او اشتاتا مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان
يأكل الرجل وحده او في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا معه او في قوم تحرجوا
عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطعام في القزازة والنهمة فاذا دخلتم بيوتا من
هذه البيوت فسلموا على انفسكم على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من
عند الله ثابتة بأمره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة لتحية فانها طلب الحياة وهي
من عنده وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم مباركة لانها يرجى بها زيادة الخير
والثواب طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن انس رضي الله عنه انه قال متى لقيت احدا من امتي
فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة
الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الايات كرره ثلثا لمزيد
التأكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصّل الاولين بما هو المقتضى لذلك وهذا
بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اي الحق والخير في الامور انما المؤ

اى الكاملون فى الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم واذا كانوا معه
على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة فى الامور ووصف الامر بالجمع
للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا حتى يستأذنوه يستأذنوا رسول الله فيأذن لهم
واعتباره فى كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان
ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم فى الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال ان الذين يستأذنونك
اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فانه يفيد ان المستأذن مؤمن لا محالة وان
الذاهب بغير اذن ليس كذلك فاذا استأذنوك لبعض شأنهم ما يعرض لهم من المهام
وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر فأذن لمن شئت منهم تفويض للامر الى رأى الرسول
واستدل به على ان بعض الاحكام مفوضة الى رأيه ومن منع ذلك قيد المشيئة بان
تكون تابعة لعلمه بصدقه وكان المعنى فأذن لمن علمت ان له عذرا واستغفر لهم الله
بعد الاذن فان الاستئذان ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين
ان الله غفور لفرطات العباد رحيم بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا فى جواز
الاعراض والمساهلة فى الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة
والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع
الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبى الله ويا رسول الله
مع التوقير والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على
بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب او لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم
كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب قد يعلم الله الذين يتسللون
منكم يتسللون قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل لواذا ملاوذة بان يستتر
بعضهم ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه
على الحال وقرئ بالفتح فليحذر الذين يخالفون عن امره يخالفون امره بترك

مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض او يصدون عن
امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود
بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله فان الامر له في الحقيقة او للرسول فانه
المقصود بالذكر ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة
واستدل به على ان الامر للوجوب فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين
فان الامر بالحذر عنه يدل على حسنه المشروط بقيام المقتضي له وذلك يستلزم الوجوب
الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من المخالفة
والموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتأكيد الوعيد ويوم يرجعون
اليه يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على
طريق الالتفات فينبئهم بما عملوا من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه والله بكل
شيء عليم لا يخفى عليه خافية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطي
من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي ٥

سورة الفرقان مكية وآيها سبع وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير او تزايد
عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على
انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير
على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا لله تعالى
والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين
الحق والباطل بتقريره او المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض
في الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله وامته كقوله تعالى لقد انزلنا اليكم او الانبياء
على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية ليكون العبد او الفرقان للعالمين
للجن والانس نذيرا منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان

قوله البركة كثيرة مجمع الماء الراكد وهي معروفة وصغيره دام ان كان ثمة غير بعينه لقلة فايدته فان
دوامه ظاهر ولعدم مناسبته لما بعده كما قيل وان كان الخير فلان البركة لم تستعمل بهذا المعنى ~~

[illegible]

قوله تكاثر خيره الا تفسير له باعتبار حاصل
معناه لا اشارة الى تقدير مضاف لان البركة في
الاصل ماخوذة من برك البعير وهو صدره ومنه
برك البعير اذا التي بركه على الارض واعتبر فيها
معنى اللزوم فقيل بركا الحرب لمكان يلزمه الابطال
وسمي محبس الماء بركة والبركة ثبوت الخير الالهي في
الشيء ثبوت الماء في البركة والمبارك ما فيه ذلك الخير
ولما كان الخير الالهي لا يحس ولا يحصى ولا يحصر قيل لكل
ما يعرف فيه زيادة محسوسة مبارك وفيه بركة والتزايد
اما باعتبار كمال الذات في نفسها ولذا قيل تباركت
النخلة اذا تعالت او باعتبار كمال الفعل وما نحن فيه
يناسب المعنيين فلذا فسره الزمخشري بالثاني وشبه
المعه واقتصر على الثاني في الكشف لمناسبته بما بعده
كذا في الكشف وفيه بحث لان قوله ليكون للعالمين
نذيرا يناسب تفسيره الثاني لاختصاص الانذار ليكونه
براعة استهلال لذكر المشركين فيناسب الابتداء
بانه تعالى عما يقول الظالمون كما ذكره الطيبي واختاره
الفاضل اليمني وصيغة التفاعل للمبالغة ~~

[illegible]

قوله وهذه الجملة وان لم
تكن معلومة الى اخره جواب عما يقال
على ان جملة الصلة لا بد ان تكون معلومة
قبل التكلم بها لان تعريف الصلة الموصول بما في
الصلة من العهد وفي شرح التسهيل انه غير لازم وان
تعريف الموصول كتعريف الالف واللام يكون
للعهد والجنس وانه قد يكون صلته مبهمة للتعظيم
كقوله فان استطع اغلب وان يغلب الهوى
فمثل الذي لاقيت يغلب صاحبه وعلى تقدير
تسليمه فهذه الجملة معلومة للرسول صلى الله عليه
وسلم وهو المخاطب بها كقوله سبحان الذي اسرى
بعبده ولا يلزم ان تكون معلومة لكل احد وما
اختاره المصنف رحمه الله من تنزيلها منزلة المعلوم
ابلغ لكونها كناية عما ذكر مناسبة للرد على منكر
التوحيد والنبوة واما ابدال الذي بعده فلا يجدي
في دفع السؤال كما سيأتي ~~

[illegible]

قوله كقوله لقد انزلنا اليكم يعني الانزال كما يضاف الى الرسول يضاف الى الامة لانه واصل اليهم
ونزوله لاجلهم فكانه منزل عليهم وان كان انزاله حقيقة عليه وقد قيل انه المراد بالجمع تعظيما ~~

تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة الذي له ملك السموات والارض بدل من الاول او مدح مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا كزعم النصارى ولم يكن له شريك في الملك كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال وخلق كل شيء احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة فقدره تقديرا فقدره وهيأه لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك او فقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا يكون متفاوتا واتخذوا من دونه آلهة لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا وهم يخلقون لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم ولا يملكون لا يستطيعون لانفسهم ضرا دفع ضر ولا نفعا ولا جلب نفع ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا يملكون اماتة احد واحياءه اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء وقال الذين كفروا ان هذا الا افك كذب مصروف عن وجهه افتراه اختلقه واعانه عليه قوم آخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر فقد جاؤا ظلما بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود وزورا بنسبة ما هو بريء منه اليه واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته وقالوا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون اكتتبها كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لان الامي واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف

قوله بدل من الاول فان قيل كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه بقوله ليكون للعالمين نذيرا فالجواب انما فصل بينهما باجنبي عن الكلام لان المبدل منه صلة نزل وقوله ليكون تعليل له فكان المبدل منه لا يتم الا به شيخ زاده

الفاعل وبنى الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه بكرة واصيلا ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر من الكتاب او ليكتب قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه اخبارا عن مغيبات مستقبلة او اشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين انه كان غفورا رحيما فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا وقالوا ما لهذا الرسول ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم يأكل الطعام كما نأكل ويمشي في الاسواق لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه تعالى بقوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ليعلم صدقه بتصديق الملك او يلقى اليه كنز فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش او تكون له جنة يأكل منها هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل من ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائي بالنون وقال الظالمون وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ان تتبعون ما تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرية اي بشرا لا ملكا انظر كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي صلى الله عليه وسلم والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط عشواء فلا يستطيعون سبيلا الى القدح في نبوتك او الى الرشد والهدى تبارك الذي ان شاء جعل لك في الدنيا خيرا من ذلك مما قالوا ولكن اخره الى الآخرة لانه خير وابقى جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا

جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله * وان اتاه خليل يوم مسئلة * يقول لا غائب مالي
ولا حرم * ويجوز ان يكون استينافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه
جواب بالواو بل كذبوا بالساعة فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا
ان الكرامة انما هي بالمال فطعنوا فيك لفقرك او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا
من المطاعن او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله لك في
الآخرة او فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه واعتدنا لمن كذب بالساعة
سعيرا نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان اذا
رأتهم اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه السلام والتحية لا تتراءى ناراهما اي لا تتقاربا
بحيث تكون احديهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار او جهنم من
مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان يرى منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت
تغيظ شبه صوت غليانها بصوت يسمع من جوفه هذا وان الحياة لما لم تكن مشروطة
عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك
لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا في مكان ومنها
بيان تقدم فصار حالا ضيقا لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق
الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها كعرض السموات والارض
مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل دعوا هنالك في ذلك المكان ثبورا
هلاكا اي يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون يا ثبوراه تعال فهذا حينك لا
تدعوا اليوم ثبورا واحدا اي يقال لهم ذلك وادعوا ثبورا كثيرا لان عذابكم
انواع كثيرة وكل نوع منها ثبور لشدته او لانه يتجدد لقوله تعالى كلما نضجت جلودهم
بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب او لانه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور قل
اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الاشارة الى العذاب والاستفهام
والتفضيل والترديد مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف
واضافة الجنة الى الخلد للمدح او الدلالة على خلودها او التمييز عن جنان الدنيا

كانت لهم في علم الله او اللوح او لان ما وعد الله في تحققه كالواقع جزاء على اعمالهم
بالوعد ومصيرا ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم
برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لانهم في مقابلتهم لهم
فيها ما يشاؤون ما يشاؤونه من النعيم ولعله تقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبته
اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك شأو الكامل بالتشهي وفيه تنبيه على ان كل المراد
لا تحصل الا في الجنة خالدين حال من احد ضمائرهم على ربك وعدا مسؤولا الضمير
في كان لما يشاؤون والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب او مسؤولا
يسأله الناس في دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا
وادخلهم جنات عدن وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم
منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز
ويوم نحشرهم للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء وما
يعبدون من دون الله يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك
يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف ولانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام
تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادها او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال
والجواب او الاصنام ينطقها الله او تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الايدي والارجل
فيقول اي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون أأنتم اضللتم
عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد
النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله أأضللتم ام ضلوا فغير النظم
ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دون
لانه لا شبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة قالوا سبحانك
تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة وانبياء معصومون او جمادات لا تقدر على شيء او
اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها
لله عن الانداد ما كان ينبغي لنا ما يصح لنا ان نتخذ من دونك من اولياء للعصمة

قوله خالدين حال من احد ضمائرهم والمعنى الذي يشاؤونه حال كونهم خالدين حاصل لهم او الذي
يشاؤونه حاصل لهم حال كونهم خالدين قوله وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف
في وعده والمعنى كان ذلك الذي يشاؤونه موعدا واجبا على ربك انجازه لكونه وعد
الكريم الذي يمتنع الخلف في وعده وليس المعنى كما ذكره صاحب الكشاف ان ذلك كان
موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا ان يسأل ويطلب لكونه جزاء واجرا مستحقا عليه
تعالى لان العبد لا يستوجب عليه تعالى بل كل ما يصل اليه من الخير فهو تفضل
محض ولما ورد ان يقال لما وجب عليه تعالى انجاز الموعود وان كان ذلك بناء على كرمه وامتناع
الخلف في وعده لزم منه كونه ملجأ الى الفعل غير قادر على تركه فلا يكون مستحقا للمدح والثناء
بذلك والله ذو الفضل العظيم يختص برحمته من يشاء اجاب عنه بقوله ولا يلزم منه
الالجاء الى الانجاز لان وجوب الانجاز انما لزم من الوعد الذي هو الاخبار بالفعل المتوقف
على العلم بالفعل وكل واحد من الاخبار بالفعل والعلم به يوجب الفعل لانه لو لم يفعله
لانقلب خبر الصادق كاذبا وعلمه جهلا والوجوب اللازم من الاخبار والعلم لا يستلزم
كونه تعالى ملجأ الى الفعل غير قادر على الترك لان تعلق الارادة الازلية بالفعل متقدم
على الاخبار به والعلم بوقوعه والفعل الواقع بالارادة لا يكون صادرا على سبيل الالجاء
ويكون تركه مقدورا ويستحق فاعله المدح والثناء قوله او اعتبارا لغلبة عبادها
عطف على تحقيرا قوله او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح عطف على قوله يعم كل معبود
قوله او الاصنام عطف على الملائكة ولما ورد ان يقال الصنم جماد فكيف يخاطبه
الله تعالى ويعقد رجل الجواب اجاب عنه اولا بانه تعالى يخلق فيه الحيوة ويجعله صالحا
لان يسأل ويجيب وثانيا بان ذلك الكلام ليس بلسان المقال بل هو بلسان الحال
كما قيل في تسبيح الموت وكلام الايدي والارجل قوله وهو استفهام تقريع جواب
عما يقال انه تعالى كان عالما في الازل بحال المسؤول عنه فما فائدة هذا السؤال وتقرير
الجواب ان فائدته تقريع العبدة والزامهم كما قيل لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله لانهم اذا سألوا بذلك واجابوا بما هو الحق الواقع تزداد حسرة العبدة وحيرتهم
ويكون تكذيب المعبودين اياهم وتبريهم منهم ومن امرهم بالشرك وعبادة غير الله
قوله تعالى فلذلك سألهم بذلك والا فهو اعلم بجميع المعلومات ومستغن عن السؤال
واصله أأضللتم ام ضلوا لان المعنى ان ضلالهم عن الصراط السوي معلوم الا ان ذلك
الضلال هل هو حاصل من قبل انفسهم او باضلالكم اياهم وبهذا المعنى يحصل
بان يقال اضللتم عبادي ام ضلوا بانفسهم من غير ان يزاد انتم الا انه غير النظم
بزيادة انتم بين فعل الاضلال والهمزة وبزيادة هم بين الضلال وام ليلي حرف
الاستفهام المقصود بالسؤال وهو تعيين من تولى الفعل وباشره لا الاضلال اذ لا
شبهة في تحققه حتى يسأل عنه فان اصل الضلال لو لم يكن مقطوع التحقق لما توجه
العتاب وهو اظهار الغضب وقد توجه ذلك لان هذا الاستفهام للتوبيخ والعتاب
كانه قيل هؤلاء الضالين لا يتبين من مضلهم فان ذلك المضل هل هو انتم ام هم ضلوا
بانفسهم اي اضلوا انفسهم فان الضلال من غير انقياد المضل الخارجي هو الذي
يضل نفسه لا محالة فزيد لفظ انتم وهم ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال

اولعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك وقرئ نتخذ
على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله تع واتخذ الله ابراهيم خليلا
ومفعوله الثاني من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتاكيد النفي ولكن
متعتهم وآباءهم بانواع النعم فاستغرقوا في الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا
عن ذكرك والتذكر لآلائك او التدبر في اياتك وهو نسبة للضلال اليهم من حيث
انه بكسبهم واسناد له الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا
ينهض حجة علينا للمعتزلة وكانوا في قضائك قوما بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك
يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات الى العبدة
بالاحتجاج والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون
في قولكم انهم الهة او هؤلاء اضلونا والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير
وعن ابن كثير بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا فما يستطيعون
اي المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم
وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال ولا نصرا فيعينكم عليه ومن يظلم منكم
ايها المكلفون نذقه عذابا كبيرا هي النار والشرط وان عم كل من كفر او فسق
لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا
وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام
ويمشون في الاسواق اي الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه
واقيمت الصفة مقامه لقوله تع وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان يكون حالا
اكتفى فيها بالضمير وهو جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق
وقرئ يمشون اي تمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض
فتنة ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم
لهم العداوة وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه
بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر اتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا

قوله وهو جواب لقولهم يعني انه احتجاج عليهم في قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام
ونقض له ببيان حال الرسل جميعا كانه قيل لو كان موافقة الرسول الرسل اليه في
الاحوال منافيا للرسالة لوجب ان لا يكون احد من الرسل قبلك رسولا وهو باطل
واذا لم يكن ذلك منافيا لرسالتهم لم يكن منافيا لرسالتك ايضا فانك لا تكون
بدعا منهم وقرئ يمشون بضم الياء وفتح الشين المشددة ولو قرئ يمشون بضم
الشين على بناء الفاعل لتكثير المشي لكان له وجه لولا ان الرواية بالفتح يقال
نصبت لفلان نصبا اذا عاديته وناصبته الحرب مناصبة اي شاركته في المحاربة
والمعاداة قيل قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة تسلية له عليه الصلاة و
السلام على ما قالوه ما لهذا الرسول يأكل الطعام الاية مع احتجاجه عليهم بسائر
الرسل كانه قيل لا تتأذ بقولهم فانا جعلنا بعض الناس بلاء لبعض كما ابتلي اشراف
الناس باسافلهم وذووا انسابهم بمواليهم وسلاطينهم برعاياهم وبالعكس وروي
المشركين بفقراء الصحابة فانه اذا اراد الشريف ان يسلم ورأى الوضيع قد اسلم
قبله انف ان يسلم وقال اسلم بعده فيكون له علي السابقة والفضل فيقيم
على كفره فهو افتتان بعضهم ببعض ودليل قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه
فلا عجب ان يبتلى المرسلون بالمرسل اليهم بانواع اذاهم وان يبتلي المرسل اليهم بالمرسلين
حسدا لهم وتأبيا من كونهم مكلفين بالخدمة وبذل النفس والمال بعد ان كانوا رؤساء
مخدومين قوله علة للجعل يعني ان الفتنة بمعنى الابتلاء والامتحان والاختبار فجعل
البعض فتنة للبعض معناه جعله سببا لامتحان البعض بالبعض الاخر فكان تعلق
اتصبرون بقوله فتنة بمنزلة تعلق قوله ايكم احسن عملا بليبلوكم فكما ان المعنى ثمة ابتليناكم
بالتكليف لنعلم ايكم احسن عملا فكذا المعنى جعلنا بعضكم فتنة لبعض لنعلم
ايكم احسن صبرا فكان خلاصة المعنى فاصبروا ايها المكلفون على اذى بعضكم بعضا
فصبروا فانزل الله فيهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا شيخ زاده

بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله تع ليبلوكم ايكم احسن عملاً وجب عليهم
الصبر على ما افتتنوا به وكان ربك بصيرًا بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلي به فيه
وقال الذين لا يرجون لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث ولا يخافون لقاءنا
بالشر على لغة تهامة واصل اللقا الوصول الى الشيء ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئي
والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول لولا هلا انزل علينا
الملائكة فتخبرنا بصدق محمد وقيل فيكونون رسلًا الينا او نرى ربنا فيامرنا
بتصديقه واتباعه لقد استكبروا في انفسهم اي في شانها حتى ارادوا لها
ما يتفق للافراد من الانبيا الذين هم اكمل خلق الله في اكمل اوقاتها وما هو اعظم من ذلك
وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم عتوًا كبيرًا بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا
المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح
النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الاستيناف بالجملة حسن واشعار
بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة جساس ابأنا بنابها كليبا غلت
ناب كليب بواؤها يوم يرون الملائكة ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب باذكر
او بما دل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه بمعنى يمنعون البشرى ويعدمونها
ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق به اللام او بشرى
ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناولهم
حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت ما
واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلًا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى
والموجب لما يقابلها ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول اي ويقول الكفرة
حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبًا من الله ان يمنع لقاهم وهي مما كانوا يقولون
عند لقاء عدو او هجوم مكروه او تقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة
او البشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير
كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجورا للتاكيد

كفولهم ودلايل وويل ثابت وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
اى وعمدنا الى ما عملوا فى كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلاة الرحم واغاثة
الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم
استعصوا سلطانهم فقدم الى اسبابهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثرا والهباء غبار
يرى فى شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهى الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم
المحبط فى حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه فى انتشاره بحيث لا يمكن نظمه او
تفرقه نحو اغراضهم التى كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر
بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا
يستقرون فيه فى اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا مكانا يؤوى اليه للاسترواح
بالازواج والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه اولانه لا يخلو
من ذلك غالبا اذ لا نوم فى الجنة وفى احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن
الصور وغيره من التحاسين ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى
ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة والتفضيل اما لارادة
الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ما للمترفين فى الدنيا وروى انه يفرغ من الحساب فى نصف
ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار ويوم تشقق السماء
اصله تتشقق فحذفت التاء وادغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب بالغمام
بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور فى قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله
فى ظلل من الغمام والملائكة ونزل الملائكة تنزيلا فى تلك الغمام بصحائف اعمال
العباد وقرأ ابن كثير وننزل وقرئ ونزلت وانزلت وانزل ونزل الملائكة بحذف
نون الكلمة الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ
ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق
لانه متأخر او صفته والخبر يومئذ او للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا
شديدا ويوم يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان

قوله بسبب طلوع الغمام منها يعنى ان الباء فى قوله بالغمام سببية فان طلوع الغمام
منها سبب لانشقاقها كما تقول تشققت الارض بالنبات لكون طلوع النبات
سببا لتشققها وليس طلوع الغمام والنبات آلة للانشقاق لان الآلة
الفعل يتقدم وجودها على وجود الفعل وليس الطلوع متقدما على الانشقاق
فى الوجود حتى يكون آلة له الا انه مشبه بالآلة فى كونه سببا للفعل وللعنوان السماء تنفتح
بغمام يخرج منها وفى الغمام الملائكة عليهم السلام ينزلون وفى ايديهم صحائف
اعمال العباد وقيل الباء فيه للحال اى متلبسة بالغمام وعليها غمام كما يقال
ركب الامير بسلاحه وخرج بثيابه اى وعليه سلاحه وثيابه وقيل الباء هنا بمعنى عن
اى عن الغمام ومعنى انشقت الارض عن النبات ان التربة تفتحت عنه عند طلوعه
وكذا فى قوله تعالى يوم تشقق الارض عنهم فتنشق السماء عن الغمام ان نزول فيبقى الغمام
فوق رؤس الخلائق ثم يظلهم قال الامام النسفى الغمام فوق السموات السبع وهو
سحاب ابيض غلظه كغلظ السموات ويمسكه الله تعالى اليوم بقدرته وثقله
اثقل من ثقل السموات فاذا اراد الله تعالى ان تشقق السموات التى ثقله عليها
فانشقت فذلك قوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام اى بثقل الغمام فيظهر
الى هنا كلامه فعلى هذا يحتمل ان يكون قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى
ظلل من الغمام والملائكة معناه ان يأتيهم بظلل من الغمام فان الباء وفى بمعنى فان
كثيرا وروى فى الخبر انه تشقق السماء الدنيا فتنزل ملائكة السماء الدنيا بمثلى
من فى الارض من الجن والانس فيقول لهم الخلق فيكم ربنا يعنون هل جاء امر ربنا
بالحساب فيقولون لا وسوف يأتى ثم تنزل ملائكة السماء الثانية بمثلى من فى الارض
من الملائكة والانس والجن ثم تنزل ملائكة كل سماء على الارض على هذا التضعيف حتى
تنزل ملائكة سبع سموات فيظهر الغمام وهو كالسحاب الابيض فوق سبع سموات
ثم ينزل الامر بالحساب فذلك قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة
الا انه قد ثبت ان الارض بالقياس الى السماء الدنيا كحلقة فى فلاة فكيف بالقياس الى
الكرسى والعرش فملائكة هذه المواضع باسرها كيف تسع الارض لكل هؤلاء والعلم
عند الله علام الغيوب قوله وقرأ ابن كثير وننزل الملائكة بنونين ثانيهما ساكنة من الانزال
ونصب الملائكة على انه مفعول به وكان من حق المصدر فى هذه القراءة ان يجيء على انزال
الا انه لما كان انزل ونزل بمعنى واحد اقيم مصدر احدهما مقام مصدر الآخر ومثله قوله
تعالى وتبتل اليه تبتيلا اى تبتلا وقرأ الباقون من السبعة ونزل بضم النون وكسر
الزاء المشددة وفتح اللام ماضيا مبنيا للمفعول فرفع الملائكة لقيامه مقام
الفاعل وقرئ ونزلت بالتشديد مبنيا للمفعول وقرئ وانزل ونزل كل واحد منهما
على بناء الفاعل وهو الله تعالى بعدى الفعل تارة بالهمزة وتارة بالتضعيف وقرئ وانزل
على بناء المفعول ايضا وقرئ ونزل بالفتحات الثلث مخففا مبنيا للفاعل وهو
الملائكة وقرئ ونزل الملائكة بضم النون وتشديد الزاء ونصب الملائكة والاصل و
ننزل بنونين حذفت احدهما شيخ زاده

وحرق الاسنان وقرعها ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابي معيط كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه الى ضيافة فابى ان يأكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه فقال صبأت فقال لا ولكن آلى ان لا يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضى منك الا ان تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه السلام لا القاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا بقتله وطعن ابي بن خلف باحد في المبارزة فرجع الى مكة ومات يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة يَا وَيْلَتَى وقرئ بالياء على الاصل لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا يعني من اضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ عن ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول وكلمة الشهادة بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وتمكنت منه وَكَانَ الشَّيْطَانُ يعني الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول وكل من تشيطن من جن وانس لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان وَقَالَ الرَّسُولُ محمد يوم القيامة او في الدنيا بثا الى الله يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي قريشا اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا بان تركوه وصدوا عنه وعنه عليه السلام من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه او هجروا واللغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى الله قومهم عجل لهم العذاب وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ كما جعلنا لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا الى طريق قهرهم وَنَصِيرًا لك عليهم وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ

القرآن

القرآن اى انزل عليه كخبر بمعنى اخبر ليلايناقض قوله جملة واحدة دفعة واحدة
كالكتب الثلاثة وهو اعتراض لاطايل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او متفرقا
مع ان للتفريق فوايد منها ما اشار اليه بقوله كذلك لنثبت به فؤادك اى
كذلك انزلناه مفرقا لنقوى بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال
موسى وداود وعيسى حيث كان اميا وكانوا يكتبون فلو القى اليه جملة تعنى بحفظه
ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى الا شيئا فشيئا ولان نزوله بحسب الوقايع
يوجب مزيد بصيرة وغوص فى المعنى ولانه اذا نزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون
عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا انزل به جبريل حالا بعد حال يثبت به فؤاده
ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القراين الحالية الى الدلالات اللفظية
فانه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا
فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل عليه بقوله لولا انزل عليه القرآن جملة ويحتمل ان يكون
من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة
واللام على الوجهين متعلق بمحذوف ورتلناه ترتيلا وقرأناه عليك شيئا بعد
شيء على تؤدة وتمهل فى عشرين سنة او ثلاث وعشرين سنة واصل الترتيل فى
الاسنان وهو تفليجها ولا يأتونك بمثل سوال عجيب كانه مثل فى البطلان يريدون
به القدح فى نبوتك الا جئناك بالحق الدامغ له فى جوابه واحسن تفسيرا وبما
هو احسن بيانا او معنى من سوالهم او لا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت
هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك فى حكمتنا وما هو احسن كشفا
لما بعثت له الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اى مقلوبين او مسحوبين
اليها او متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وعنه عم يحشر
الناس يوم القيامة على ثلاثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام
وصنف على الوجوه وهو ذم منصوبا ومرفوع او خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ
خبره اولئك شر مكانا واضل سبيلا والمفضل عليه هو الرسول على طريقة

قوله ٥ اى مقلوبين او مسحوبين اليها الفرق بين الوجهين ان معنى الاية على الاول ان الذين يمشون الى جهنم حال كونهم مقلوبين وجوههم الى القفا وارجلهم الى فوق وقد روى ذلك عنه عليه الصلاة والسلام فانه قد ورد فى الاخبار ان رجلا قال يا نبى الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيمة قال ان الذى امشاه على رجليه قادر ان يمشيه على وجهه وعلى الثانى الذين يحشرون اليها حال كونهم مسحوبين اى مجرورين على وجوههم وما ذكره من الحديث يؤيد هذا الوجه وذكر فى اعراب الذين ثلثة اوجه ان يكون منصوبا على الذم بتقدير اعنى ومرفوعا على الذم على انه خبر مبتدأ محذوف اى هم الذين وان يكون مبتدأ خبره اولئك شر مكانا اى منزلا ومصيرا واضل سبيلا اى اخطأ دينا وطريقا قوله والمفضل عليه هو الرسول اشارة الى ان الاية متصلة بقوله ولا يأتونك بمثل فان مقصودهم من اتيان ما هو كالمثل فى البطلان تحقير منزلته ومكانه شيخ زاده

قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل
ان حاملهم على هذه الاسئلة تحقير مكانه بتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا
انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة ولقد آتينا موسى الكتاب
وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافي ذلك
مشاركته في النبوة لان المتشاركين في الامر متوازران عليه فقلنا اذهبا الى القوم
الذين كذبوا يعني فرعون وقومه بآياتنا فدمرناهم تدميرا اي فذهبا اليهم فكذبوهما
فدمرناهم فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة
الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم
فدمراهم فدمرانهم على التاكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا
نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة
الرسل مطلقا كالبراهمة اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او
قصتهم للناس آية عبرة واعتدنا للظالمين عذابا اليما يحتمل التعميم والتخصيص
فيكون وضعا للظاهر موضع الضمير تظليما لهم وعادا وثمودا عطف على هم في
جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود على تاويل القبيلة
واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينا هم
حول الرس وهو البئر الغير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية
بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل
بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم
الله بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن
جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد
ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا
وقيل قوم قتلوا نبيهم ودسوه اي دسوه في بئر وقرونا واهل اعصار قيل القرن

اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك اشارة الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا اهلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيرا فتتناه تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا وحذرنا والثانى بتبرنا لانه فارغ ولقد اتوا يعنى قريشا مروا مرارا فى متاجرهم الى الشام على القرية التى امطرت مطر السوء يعنى سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة افلم يكونوا يرونها فى مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من اثار عذاب الله بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا فى الثواب ولا يخافونه على اللغة التهامية واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا موضع هزو او مهزوا به اهذا الذى بعث الله رسولا محكى بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا فى معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا اهذا الذى يزعم انه بعثه الله رسولا ان كاد ليضلنا عن الهتنا ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده فى الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا فى مثله يفيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفى ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم ارايت من اتخذ الهه هواه بان اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يبصر دليلا وانما قدم المفعول الثانى للعناية به افانت تكون عليه وكيلا حفيظا يمنعه عن الشرك والمعاصى وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب والثانى للانكار ام تحسب بل تحسب ان اكثرهم

قوله مروا مرارا انكر المرورة يفهم من هذه الاية ولعله اخذه من قوله تعالى فى سورة الصافات وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وضم الاتيان بالمرور للاشارة الى وجه تعديته بكلمة على فانه يتعدى بنفسه وكلمة الى الاتية عدى بعلى لتضمنه معنى مروا قوله مطر السوء يحتمل ان يكون مصدرا على حذف الزوائد اى امطارا مثل مطر السوء واضيف المطر الى صفته لتدل على اختصاصه بها وان ليس له صفة غيرها شيخ زاده

قوله ودلالة الاعطف تفسيرى وكلمة ارايت تستعمل تارة للاعلام وتارة للسؤال وههنا استعملت للتعجب من جهل من هذا وصفه ونعته وقوله الهه هواه مفعولا الاتخاذ من غير تقديم ولا تاخير لاستوائهما فى التعريف فان مفعولى اتخذ قبل دخوله عليهما مبتدا وخبر المبتدا الهه والخبر هواه لان كل واحد منهما معرفة والمعرفتان اذا وقعتا مبتدا وخبرا فالمقدم هو المبتدا والمؤخر خبره فيكون الهه مفعولا اول وهواه ثانيا من غير تقديم ولا تاخير الا ان المص جعل تقدير الكلام ارايت من اتخذ هواه الهه وانما قدم المفعول الثانى للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق نظرا الى اصل المعنى فانه لا يشكل ان المعرفتين ايهما قدم فهو المبتدا الا ان النظر الى جانب المعنى وملاحظة اصل المقصود تقتضى ان يكون الهه خبرا فى الاصل ويكون المقصود من الكلام التعجيب من اتخاذ الهوى الها على التشبيه البليغ كانه قيل الا تعجب من جعل هواه بمنزلة الاله فى التزام طاعته وعدم مخالفته اياه ولا معنى لتشبيه الاله بالهوى ولما كان المشبه به ههنا هو الاله والمشبه هو الهوى ومن المعلوم ان حق المشبه ان يكون متاخرا عن المشبه كان مرتبة قوله الهه التاخر عن الهوى كما فى قولك زيد الاسد فلما قدم عليه صار مزالا عن موضعه الاصلى غير قار فيه فلهذا جعل من باب تقديم المفعول الثانى على الاول شيخ زاده

يسمعون او يعقلون فتحدى هم الايات والحجج فتهتم بنائهم وتطمع في ايمانهم وهو اشد
منه مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من امن
ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرياسة ان هم الا كالانعام
في عدم انتفاعهم بقرع الايات اذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل
والمعجزات بل هم اضل سبيلا من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من
يحسن اليها ممن بيئ اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون
لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو
اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا
ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها
لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها غير
متمكنة عن طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون ومستحقون
اعظم العقاب على تقصيرهم الم تر الى ربك الم تنظر الى صنعه كيف مد
الظل كيف بسطه او لم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا
بان المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على
الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي
فكيف بالمحسوس منه او لم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل فيما بين طلوع
الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع
الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود ولو شاء
لجعله ساكنا ثابتا من السكنى وغير متقلص من السكون بان يجعل الشمس
مقيمة على وضع واحد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانه لا يظهر للحس حتى
تطلع فيقع ضوؤها على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها
ثم قبضناه الينا اي ازلناه بايقاع الشعاع موقعه لما عبر عن احداثه بالمد
بمعنى النشر عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذي هو في معنى الكف قبضا

يسيرا قليلا قليلا حسب ما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به
ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل مبادي
اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الارض تحتها فالقت عليها
ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحالة ثم خلق الشمس عليه دليلا اي مسلطا عليه
مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليل الطريق من يهديه فانه يتفاوت بحركتها
ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا الى ان ينتهي غاية نقصانه
او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها
وهو الذي جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس في ستره والنوم سباتا
راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا كقوله وهو الذي يتوفاكم
بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت وجعل النهار نشورا ذا نشور
اي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث من النوم بعث الاموات ويكون اشارة
الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان عم يا بني كما تنام فتوقظ
كذلك تموت فتنشر وهو الذي ارسل الرياح وقرأ ابن كثير على التوحيد ارادة
للجنس نشرا ناشرات للسحاب جمع نشور وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف
وحمزة والكسائي به وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف
بشر جمع بشور بمعنى مبشر بين يدي رحمته يعني قدام المطر وانزلنا من
السماء ماء طهورا مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء
والوقود لما يتوضأ به ويوقد به قال عم التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم
اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا في الطهارة
وفعول وان غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوب وللمصدر كالقبول
وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعارا بالنعمة فيه وتتميما للمنة فيما بعده فان الماء
الطهور اهنى وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيها على ان ظواهرهم لما كانت
مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم بذلك اولى لنحيي به بلدة ميتا بالنبات وتذكير

قوله يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها استيناف لبيان كون الشمس مسلطا عليه
مستتبعا اياه والنوع الثاني من دليل الوحدانية ما ذكره بقوله وهو الذي جعل لكم الليل
لباسا والنشور يحتمل ان يكون بمعنى الانتشار والتفرق في وجوه المصالح ويحتمل ان يكون
بمعنى الحيوة لانه لما كان في النوم معنى الوفاة لانقطاع الانسان به عن التصرف والعمل
كان في اليقظة معنى الحيوة وفي بعض الكتب يا ابن ادم كما تنام تموت وكما تستيقظ تبعث
والنوع الثالث منها ما ذكره بقوله وهو الذي ارسل الرياح قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
نشرا بضم النون والشين وهو جمع نشور كرسل جمع رسول والمعنى ارسلها ناشرات
للسحاب في الجو كما ينشر الشيء المطوي المضبوط وقرأ ابن عامر وابو عمرو في رواية بضم و
سكون الشين والمعنى كالاول وقرأ حمزة والكسائي بفتح النون وسكون الشين وقرأ
عاصم بالباء المضمومة وسكون الشين من البشارة واختار كون طهورا في الاية اسما لما
يتطهر به كالسحور والوقود استدلالا بقوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم
به وضعف كونه مبالغة الطاهر لاستلزامه المخالفة للاية والحديث وخلوه عن بيان
منفعته وهي كونه مطهرا للانسان عن الحدث والنجاسة قوله وللاسم كالذنوب
وهو اسم بمعنى النصيب يقال ايضا للدلو الملائى ماء ذنوب ولا يقال لها وهي فارغة
ذنوب فان قيل طهور مشتق من طهر يطهر طهارة وهو لازم فكيف يجوز تعديته
بتطهيره غيره قلنا انه لا يكون من الصفات المشتقة كالغفور والشكور بل يكون
من قبيل الاسماء الجامدة فان قيل كيف يكون لفظ طهور اسما لما يتطهر به وقد قال
تعالى في صفة شراب اهل الجنة وسقاهم ربهم شرابا طهورا وقال الشاعر عذب
الثنايا ريقهن طهور قلنا كونه اسما له لا ينافي استعماله في مبالغة طاهر شيخ زاده

قوله صرفنا هذا القول يعني ضمير صرفناه اما ان يرجع الى ما ذكره بقوله هو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا كانه قيل ولقد صرفنا ذكر انشاء السحاب وانزال القطر بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب ليتفكروا ويعتبروا او يرجع الى نفس الماء الطهور الذي هو المطر ومعنى تصريفه بين الناس ان لا ينزله على نسق واحد بل ينزله في مكان دون مكان وفي وقت دون وقت وعلى صفة دون اخرى فتقسيمه بين العباد على هذه الوجوه روي عن ابن عباس انه قال ما عام باكثر مطرا من عام ولكن الله يصرفه في الارض ثم قرأ هذه الآية وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس من عام بامطر من عام ولكن اذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافي والمراد بالصفة صفة المطر كونه تارة وابلا وتارة اخرى طلا ومرة ديمة مثلا والوابل المطر الشديد والطل اضعف المطر والديمة الذي يدوم اياما قوله او في الانهار والمنافع عطف على قوله في البلدان المختلفة اي ويجوز ان يكون المراد بتصريف المطر بين الناس اجراؤه في الانهار والمنافع لينتفعوا به بوجوه الانتفاع من الشرب وسقي الزروع ونحوهما شيخ زاده

ميتا لان البلدة في معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا يعني اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانها سبب لحيوتها وتعيشها وقرئ نسقيه وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي بحذف ياء وهو جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت النون ياء وادغم فيها الياء قبلها ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب والمطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من عام امطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية او في الانهار والمنابع ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم فابى اكثر الناس الا كفورا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله والانواء وسائط وامارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين وجاهدهم به بالقرآن او بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد

في

في مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة
الاعداء بالسيف ولان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم
اولانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى وهو الذي مرج البحرين
خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها
هذا عذب فرات قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة
وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا
حاجزا من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للآخر ما يقوله
المتعوذ منه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله
فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر
الملح البحر الكبير والبرزخ ما يحول بينهما من الارض فتكون القدرة في الفصل
واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت
وتشابهت في الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا يعني الذي خمر به طينة
آدم او جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويقبل الاشكال والهيئات بسهولة
او النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم
وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى
وكان ربك قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع
متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توءمين
ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني الاصنام
او كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر
على ربه ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس
او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته
خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك
الا مبشرا ونذيرا للمؤمنين والكافرين قل ما اسألكم عليه على تبليغ

قوله وذلك كدجلة يعني ان المراد بالبحر الماء الكثير الواسع سواء كان عذبا كدجلة
والنيل او ملحا فلا يرد ان يقال لا وجود للبحر العذب فكيف ذكره تعالى ههنا ثم
بين انه تعالى كيف خلط بين بحرين متنافرين غاية التنافر حال كونهما متجاورين لا يتمازجان
حتى يحصل موضع التعجب فقال كدجلة تدخل البحر ومن قال المراد بالبحر العذب النهر
العظيم وبالملح الاجاج البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض بين وجه الاستدلال
على قدرة الصانع بان العذوبة والملوحة ان كانت بسبب طبيعة الارض او الماء
فلا بد من الاستواء وان لم يكن لذلك فلا بد من قادر حكيم يخص كل واحد من الاجسام
بصفة معينة ويفصل بين اجزاء الطبيعة الواحدة بالبرزخ الحاصل بينهما على
حسب مشيئته وارادته مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت
شيخ زاده

الرسالة الذي يدل عليه الا مبشرا ونذيرا من اجر الا فعل من شاء
ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة
فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة
الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانتفاعك عن نفسك بالتعرض للثواب
والتخلص عن العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم
تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن
من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت
في استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون
الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده
ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام
بالشكر على سوابغه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا
مطلعا فلا عليك ان آمنوا او كفروا الذي خلق السموات والارض وما
وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سبق الكلام فيه ولعل
ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف
فيه وتحريض على الثبات والتأني في الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره
في كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج الرحمن خبر للذي ان جعلته مبتدأ
او لمحذوف ان جعلته صفة للحي او بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة
للحي فاسأل به خبيرا فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته
وهو الله تعالى او جبريل او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير
للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب
ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده
والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا واذا قيل
لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لانهم ما كانوا يطلقونه على الله او لانهم

ظنوا انه امر به غيره ولذلك قالوا **انسجد لما تأمرنا** اى للذى تأمرناه بمعنى تأمرنا
بسجوده اولامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرئ يأمرنا
بالياء على انه قول بعضهم لبعض **وزادهم** اى الامر بالسجود للرحمن **نفورا**
عن الايمان **تبارك الذى جعل فى السماء بروجا** يعنى البروج الاثنى عشر
سميت به وهى القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها
واشتقاقه من التبرج لظهوره **وجعل فيها سراجا** يعنى الشمس كقوله وجعل
الشمس سراجا وقرئ سرجا وهى الشمس والكواكب الكبار **وقمرا منيرا** مضيئا بالليل
وقرئ وقمرا منيرا اى ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد
والعرب والعرب **وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة** اى ذوى خلفة يخلف كل
منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغى ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله ان فى اختلاف
الليل والنهار وهى للحالة من خلف كالركبة والجلسة **لمن اراد ان يذكر** ان يتذكر
آلاء الله ويتفكر فى صنعه فيعلم انه لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم
على العباد **او اراد شكورا** ان يشكر الله على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين للذاكرين
والشاكرين من فاته ورده فى احدهما تداركه فى الآخر وقرأ حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر
وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائى **وعباد الرحمن** مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة
او **الذين يمشون على الارض** واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل
او لانهم الراسخون فى عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار **هونا** هينين
او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع **واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما** تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شر او سدادا
من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه آية القتال لتنسخه فان المراد
هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم فى الكلام **والذين يبيتون لربهم
سجدا وقياما** فى الصلاة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل احمز وابعد
من الرياء وتأخير القيام للروى وهو جمع قائم او مصدر اجرى مجراه **والذين يقولون**

قوله اى ذوى خلفة يخلف كل منهما الآخر يعنى ان الخلفة مصدر للنوع فلا يصلح ان يكون مفعولا
ثانيا لجعل الليل ولا حالا من مفعوله فان الخلفة لا تخلو من ان يكون مفعولا ثانيا لجعل الليل
او حالا الاول على ان يكون جعل بمعنى صير والثانى على ان يكون بمعنى خلق فلا بد من تقدير المضاف
اى ذوى خلفة ثم الخلفة تستعمل بمعنيين بمعنى كان خليفته وبمعنى جاء بعده يقال
خلف فلان فلانا اى كان خليفته ويقال خلفه فى قومه خلافة ومنه قوله تعالى قال لاخيه هرون
اخلفنى فى قومى ويقال ايضا خلفته اذا جئت بعده والخلفة فى الآية تحتمل ان يكون من خلفه
بكل واحد من المعنيين وهو قول المصنف يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه او بان يعتقبا
ويؤيد الاول قول ابن عباس اى جعل كل واحد منهما يخلف صاحبه فيما يحتاج ان يعمل فيه فمن
فرط فى عمل احدهما قضاه فى الآخر وما روى عن انس بن مالك رضى الله عنه ان [illegible]
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه لقد نزل الله فيك آية وهى
الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكرها فاتك من النوافل بالليل فاقضه فى نهارك
وما فاتك فى النهار فاقضه فى الليل وان كان المعنى جعلهما ذوى اعتقاب يكون
المقصود بيان انه تعالى جعلهما مختلفين بحيث يجيء هذا ويذهب ذاك ونحو ذلك
ويذهب هذا ولم يجعل واحدا منهما سرمدا نهارا او ليلا لانه [illegible] التعليم
الناس عدد السنين والحساب وليكون للانتشار فى المعاش وقت معلوم ولكل [illegible]
والاستراحة وقت معلوم فيكون فى الآية تذكير لنعمته وتنبيه على كمال حكمته وقدرته

قوله ان يشكر الله يعنى ان الشكور بضم الشين مصدر بمعنى الشكر وبالفتح
مبالغة الشاكر فقولك شكرت شكورا بمعنى شكرته شكرا اى جعلناهما خلفة
ليتفكر المتفكرون فى اختلافهما ويشكروا نعمة الله فى ذلك وقوله او ليكونا وقتين
عطف على هذا المعنى اى جعلناهما خلفة ليكونا وقتى التدارك للمتذكرين والشاكرين
قرأ العامة ان يذكر بالتشديد بناء على ان اصله ان يتذكر فادغمت التاء فى الذال وقرأ حمزة
بالتخفيف قال الفراء وجههما ان يذكر ويتذكر يأتيان بمعنى واحد قال تعالى واذكروا
ما فيه ويجوز ان يكون المعنى ليذكر الله فيهما من اراد ان يذكره ويطيعه بالتسبيح والطاعة
ولعل وجه عطف قوله او اراد شكورا بكلمة او دون الواو والتنبيه على استقلال كل واحد
منهما بكونه مطلوبا من الجعل المذكور ولو عطف بالواو لتوهم ان المطلوب مجموع الامرين
ويحتمل ان يكون المراد بالمعطوف عليه الكافر الذى يريد ان يتفكر فى اختلافهما ويجعلهما
موضع الاعتبار على وحدانيته وقدرته فيستدل به على التوحيد واخلاص العبادة والمعطوف
المؤمن الذى يريد ان يتعظ ويشكر نعم الله تعالى فكانه قيل جعلناهما خلفة ليتفكر
الكافر فى اختلافهما ويجعله معتبرا على قدرته وتوحيده او ليتعظ المؤمن به ويجعله
متسعا لذكره وطاعته شيخ زاده قوله تسلما منكم يعنى ان سلاما منصوب
على انه مصدر فعل محذوف والاصل نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام
التسلم والمعنى اذا خاطبهم السفهاء الخفاف العقول بما يؤذى وكلام قبيح قالوا
نتسلم منكم تسلما اى لا نجاهلكم ولا نلتبس بشيء من امركم وهو الجهل وما ينبغى
على خفة العقل والمتاركة الموادعة قوله او سدادا اى صوابا من القول فعلى هذا الوجه
يكون سلاما اشارة الى ما قالوه من حيث المعنى ولا يكون عين عبارتهم شيخ زاده

نفي عن هو آه

قوله نفى عنهم امهات المعاصي بعد ما اثبت لهم اصول الطاعات كالجواب
عما يقال ما الفائدة في نفي هذه القبائح عن الموصوفين بالخصائل المرضية السابقة
مع انه يبعد منهم ارتكاب هذه القبائح فلا وجه لنفيها عنهم لانه يحسن نفي صفة عن
احد اذا كانت الصفة المنفية مما يتوهم ثبوتها له وتقرير الجواب ان الاتصاف بالخصائل
السابقة لا يستلزم الاجتناب عن هذه القبائح فان الموصوف بتلك الصفات
قد يتدين بالشرك ويقتل النفس بغير حق ويزني فبين تعالى ان المرء لا يصير بتلك
الخصائل وحدها من عباد الرحمن حتى يجتنب الكبائر ايضا الا انه خص من الكبائر امهاتها
واشعر بذلك ان الاجر المذكور بقوله اولئك يجزون الغرفة بما صبروا الآية موعود للجامع
بين التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل وفي هذا النفي ايضا تعريض بما كان عليه الكفار كانه قيل
وعباد الرحمن هم الذين لا يدعون مع الله الها آخر وانتم تدعون ولا يقتلون نفسا
بغير حق وانتم تقتلون ولا يزنون وانتم تزنون وحسن النفي تعريضا وان لم يكن المنفي عنه
مظنة لثبوت المنفي له وروي عن ابن عباس رضي ان ناسا من اهل الشرك قتلوا وزنوا
فاكثروا ثم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تدعونا اليه لحسن ولو تخبرنا
ان لما عملناه كفارة فنزلت شيخ زاده

ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما لازما ومنه الغريم
لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة
الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم
ووثوقهم على استمرار احوالهم انها ساءت مستقرا ومقاما اى بئست مستقرا
وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة
باسم ان او اخزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال وتمييز والجملة تعليل
للعلة الاولى وتعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله والذين
اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق
الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم والتقتير منع الواجب وقرأ ابن كثير
وابو عمرو بفتح الياء وكسر التاء ونافع وابن عامر والكوفيون بضم الياء ولم يقتروا من
اقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد وكان بين ذلك قواما وسطا وعدلا سمي
به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة
لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر وبين
ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه
بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه والذين لا يدعون مع الله الها
آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اى حرمها بمعنى حرم قتلها الا بالحق
متعلق بالفعل المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون نفى عنهم امهات المعاصي
بعد ما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور
موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه الوعيد تهديدا
لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق اثاما جزاء اثم او اثاما باضمار الجزاء وقرئ اياما
اى شدائد يقال يوم ذو ايام اى صعب يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من
يلق لانه في معناه كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا
وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستيناف او الحال وكذلك ويخلد فيه مهانا وابن كثير

ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف في
يضعف وابو عمرو ويخلد على بناء المفعول مخففا وقرئ مثقلا وتضعيف العذاب
مضاعفته لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله الا من تاب وامن وعمل عملا
صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة
ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة
وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وكان
الله غفورا رحيما فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات ومن تاب عن
المعاصي بتركها والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصي
ودخل في الطاعة فانه يتوب الى الله يرجع الى الله بذلك متابا مرضيا عند الله
ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذي يحب التائبين ويصطنع
بهم او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين
لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب
فان مشاهدة الباطل شركة فيه واذا مروا باللغو ما يجب ان يلغى ويطرح
مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن
ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به
والذين اذا ذكروا بايات ربهم بالوعظ او بالقراءة لم يخروا عليها صما وعميانا
لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها
سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل
كقولك لا يلقاني زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين يقولون
ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل
فان المؤمن اذا شاركه اهله في طاعة الله سر بهم قلبه وقرت بهم عينه لما يرى
من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة ومن ابتدائية او بيانية
كقولك رايت منك اسدا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر وذريتنا وقرة

قوله لا يقيمون الشهادة الباطلة على ان يشهدون من الشهادة وان انتصاب الزور على
المصدرية والاصل لا يشهدون شهادة الزور باضافة العام الى الخاص فحذف واقيم
المضاف اليه مقامه وقوله او لا يحضرون على ان يكون يشهدون من الشهود وهو الحضور وانتصاب
انتصاب الزور على انه مفعول به والاصل لا يشهدون مجالس الزور فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه والشهادة هي الاخبار بصحة الشيء عن مشاهدة وعيان والزور
الكذب واصله تمويه الباطل بما يوهم انه حق قوله فان مشاهدة الباطل شركة فيه
من حيث ان الحضور والنظر دليل الرضى به بل هو سبب لوجوده والزيادة فيه لان الذي حمل
اهله استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه قوله معرضين بعنوان كراما جمع
كريم ومنصوب على الحالية والمعنى مروا مر الكرماء الذين لا يرضون باللغو وينزهون
عن الدخول فيه والاختلاط باهله يقال تكرم فلان عما يشينه اذا تنزه واكرم نفسه
عنها قال تعالى في حقهم اذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه ومن وجوه الاعراض عنه ان يكنى عما
يستهجن التصريح به بان يكنى عنه قوله بالوعظ او القراءة متعلق بقوله تعالى ذكروا اي اذا
وعظوا بالقرآن او اذا تلي عليهم القرآن لم يقعوا عليها صما لم يسمعوها وعميا
لم يبصروها ولكنهم اذا سمعوا وابصروا واستنفعوا بها واداة النفي وان دخلت على فعل
الخرور الا ان المقصود ليس نفي الخرور بل اثبات الخرور ونفي ما جعل قيدا له وهو
الصمم والعمى على ما تقرر من نفي المقيد يرجع الى القيد والمعنى انهم اذا ذكروا بها
اكبوا عليها واقبلوا على المذكر بها حرصا على استماعها وسمعوها باذان واعية وابصروها
بعيون راعية قوله بتوفيقهم للطاعة يعني ان المراد بالقرة المسؤول بها تفضلهم
بالفضائل الدينية لا بالمال والجمال ونحوهما فان المتقين هم الذين تقر عينهم بصلاح
ازواجهم واولادهم كما قيل ليس شيء اقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته واولاده مطيعين
لله تعالى واما غير المتقين فانهم يحبون الدنيا وزينتها فلا تقر اعينهم الا بما يحبونه
وقرة اعين منصوب على انه مفعول هب وهو مصدر تقول قرت عينه قرة وقرورا وصيغة
الاعيان الموهوبة على ان يكون كلمة من في قوله من ازواجنا ابتدائية كانه قيل هب لنا قرة اعين
اي ما تقر به عيوننا ثم فسرت القرة وبينت بقوله من ازواجنا وذرياتنا والمعنى
اجعلهم قرة اعين وهو من قبيل قولهم رايت منك اسدا اي انت اسد ويجوز ان
يكون من ابتدائية بمعنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح يقال
قررت به عينا وقرت به عينا قرة وقرورا فيهما وهو اما من القرار اي رضيت حتى تقرت
عيني فلم تطمح الى ما فوقه او من البرد من قولهم قر يومنا من القر بالضم وهو البرد وقرور
العين عبارة عن هذه كناية من الفرح والسرور فان للسرور دمعة باردة وللحزن دمعة حارة بين
تعالى اولا معاملتهم مع الخلق بانهم يمشون على الارض هونا ولا يؤذون احدا وانهم اذا
اذاهم اهل الجهل والسفه لا يقابلونهم بالاذى ولكن احتملوا ذلك عنهم وتجاوزوا
عنهم وقالوا سدادا ثم بين معاملتهم مع الحق ودعاءهم بالليل بقوله والذين يبيتون لربهم سجدا
وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ثم اخبر عن
صنيعهم في اموالهم بانهم ينفقونها قواما ثم بين مع تحليهم بهذه الفضائل التي هي
الطاعات يجتنبون عن امهات المعاصي ثم بين معاملتهم مع اهليهم ودعاءهم في
حقهم وحق انفسهم بان قولهم واجعلنا يعنون به انفسهم وذرياتهم ومن قرا ذريتنا
على التوحيد نظر الى ان اسم الذرية يطلق على الواحد والجمع ومن قراه على لفظ الجمع
قصد زيادة الكثرة كما يجمع لفظ القوم والرهط لذلك فيقال اقوام وارهط
شيخ زاده

قوله نعم لزاما خبر يكون واسمه مضمر والمعنى يكون جزاء التكذيب لازما
على ان يكون اللزام مصدرا كالقتال فيه مقام الفاعل كما يقام
العدل مقام العادل ويحتمل ان يكون الاسم المضمر اثر التكذيب وهو
الافعال المتفرعة على التكذيب قوله حتى يكبكم بفتح الياء من
كبه لا بضمها من اكبه لانه لازم يقال كبه لوجهه اي صرعه فاكب
هو على وجهه وهو من النوادر وقرئ لزاما بفتح اللام بمعنى اللزوم
كالثبات بمعنى الثبوت والاول بمعنى الملازمة وكلاهما من قبيل
الوصف بالمصدر بمعنى ملازما او لازما شيخ زاده

ابن عامر والحرميان وحفص وذرياتنا بلا الف وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة
تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم
واجعلنا للمتقين اماما يقتدون في امر الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل و
توحيده للدلالة على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا ولانه مصدر
في اصله او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم
واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم
اولئك يجزون الغرفة اعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع لقوله وهم في
الغرفات آمنون والقراءة بها بالتعريف وقيل هي من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم
على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون
فيها تحية وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة اي يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم
او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او بتبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة
والكسائي وابو بكر يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون فيها ولا يخرجون حسنت
مستقرا ومقاما مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا قل ما يعبؤ بكم ربي
ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته او لا يعتد بكم لولا دعاؤكم لولا عبادتكم
فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سواء
وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وما ان جعلت استفهامية
فمحلها النصب على المصدر كانه قيل اي عبء يعبؤ بكم فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث
خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ
فقد كذب الكافرون اي الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد
في جنسهم من العبادة والتكذيب فسوف يكون لزاما يكون جزاء التكذيب
لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير
ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر
وانه لوزم بين القتلى وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي صلعم لزاما

من قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية إلا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون إلى آخرها وهي مائتان وست أو سبع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالإمالة ونافع بين بين كراهة العود إلى الياء المهروب منها وأظهر نونه حمزة لأنه في الأصل منفصل عما بعده تلك آيات الكتاب المبين الظاهر إعجازه وصحته والإشارة إلى السورة أو القرآن على ما في أول البقرة لعلك باخع نفسك قاتل نفسك وأصل البخع أن يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالإضافة ولعل للإشفاق أي أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة ألا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا أو خيفة أن لا يؤمنوا إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية دلالة ملجئة إلى الإيمان أو بلية قاسرة عليه فظلت أعناقهم لها خاضعين منقادين وأصله فظلوا لها خاضعين فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على أصله وقيل لما وصفت الأعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء أو الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة فظلت عطف على ننزل عطف وأكن على فأصدق لأنه لو قيل أنزلنا بدله لصح وما يأتيهم من ذكر موعظة أو طائفة من القرآن من الرحمن بوحيه إلى نبيه محدث مجدد إنزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير إلا كانوا عنه معرضين إلا جددوا إعراضا عنه وإصرارا على ما كانوا عليه فقد كذبوا أي بالذكر بعد إعراضهم وأمعنوا تكذيبه بحيث أدى بهم إلى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا في قوله فسيأتيهم أي إذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة أنباء ما كانوا به يستهزئون من أنه كان حقا أم باطلا وكان حقيقا بأن يصدق ويعظم قدره أو يكذب

فيستخفا منهم أولم يروا إلى الأرض ولم ينظروا إلى عجائبها كم أنبتنا فيها
من كل زوج صنف كريم محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى
وهنا يحتمل أن تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وأن تكون
مبينة على أنه ما من نبت إلا وله فائدة إما وحده أو مع غيره وكل للإحاطة بالأزواج
وكم لكثرتها إن في ذلك إن في إنبات تلك الأصناف أو في كل واحد لآية على أن منبتها
تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة وما كان أكثرهم مؤمنين في علم
الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم أمثال هذه الآيات العظام وإن ربك لهو
العزيز الغالب القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم حيث أمهلهم أو العزيز
في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن وإذ نادى ربك موسى مقدر باذكر أو
ظرف لما بعده أن ائت أي ائت أو بأن ائت القوم الظالمين بالكفر واستعباد بني إسرائيل
وذبح أولادهم قوم فرعون بدل من الأول أو عطف بيان له ولعل الاقتصار على
القوم للعلم بأن فرعون كان أولى بذلك ألا يتقون استئناف أتبعه إرساله
إليهم للإنذار تعجيبا له من إفراطهم في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء
على الالتفات إليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وإن كانوا غيبا أجروا مجرى
الحاضرين في كلام المرسل إليهم من حيث إنه مبلغه إليهم وإسماعه مبدأ
إسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده وقرئ
بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الإضافة ويحتمل أن يكون بمعنى ألا يا ناس اتقون
كقوله ألا يا اسجدوا قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا
ينطلق لساني فأرسل إلى هارون رتب استدعاء ضم أخيه إليه وإشراكه له
في الأمر على الأمور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد
الحبسة في اللسان بانقباض الروح إلى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق
لأنها إذا اجتمعت الثلاثة مست الحاجة إلى معين يقوي قلبه وينوب منابه متى
تعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا

في

في تلقي الأمر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه وقرئ ويضيق
ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما خاف عنه ولهم
علي ذنب أي تبعة ذنب فحذف المضاف أو سمي باسمه والمراد قتل القبطي وإنما سماه
ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة في مواضع فأخاف أن يقتلون
به قبل أداء الرسالة وهو أيضا ليس تعللا وإنما هو استدفاع للبلية المتوقعة
كما أن ذلك استمداد واستظهار في أمر الدعوة وقوله قال كلا فاذهبا بآياتنا
إجابة له إلى الطلبتين بوعده لدفع اللازم ردعه عن الخوف وضم أخيه إليه في الإرسال
والخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر لأنه معطوف على الفعل الذي يدل عليه
كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت والذي طلبته إنا معكم
يعني موسى وهارون وفرعون مستمعون سامعون لما يجري بينكما وبينه فأظهركما
عليه مثل نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجري بينهم وترقبا لإمداد
أوليائه منهم مبالغة في الوعد بالإعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى
الإصغاء للسمع الذي هو مطلق إدراك الحروف والأصوات وهو خبر ثان أو الخبر
وحده ومعكم لغو فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين أفرد الرسول
لأنه مصدر وصف به فإنه مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد كذب
الواشون ما فهت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول ولذلك ثني تارة وأفرد
أخرى ولاتحادهما للأخوة أو لوحدة المرسل والمرسل به أو لأنه أراد أن كل واحد منا أن
أرسل معنا بني إسرائيل أي أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال المتضمن معنى
القول والمراد خلهم يذهبوا معنا إلى الشام قال أي فرعون لموسى بعدما أتياه
فقالا له ذلك ألم نربك فينا في منازلنا وليدا طفلا سمي به لقربه من الولادة
ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج إلى مدين
عشر سنين ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله ثلاثين ثم بقي بعد الغرق خمسين
وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي وبخه به معظما إياه بعد ما

عدّد عليه نعمته وقرئ فِعلتك بالكسر لانها كانت قتله بالوكز وانت من
الكافرين بنعمتي حتى عمدت لقتل خواصي او ممن تكفرهم الآن فانه عم كان يعايشهم
بالتقية فهو حال من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من
الكافرين بالهيته او بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة او من الذين كانوا يكفرون
في دينهم قال فعلتها اذا وانا من الضالين من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى
من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله او الذاهلين
عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التاديب او الناسين من قوله ان تضل احداهما
ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما حكمة وجعلني من المرسلين
رد اولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عد عليه من النعمة
ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على انه كان في
الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت
بني اسرائيل اي وتلك التربية نعمة تمنها علي ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك
بني اسرائيل وقصدهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي اليك وحصولي في
تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي او تلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت
ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة او الجر باضمار الباء
او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت
عطف بيانها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وانما وحد الخطاب
في تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه
ومن ملائه قال فرعون وما رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به فيه
وراى انه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدا بالاستفسار
عن حقيقة المرسل قال رب السموات والارض وما بينهما عرفه باظهر
خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه
اشار بقوله ان كنتم موقنين اي ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها

علمتم

علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها فلها مبدأ واجب لذاته
وذلك المبدأ لا بد وان يكون مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا
يمكن والا لزم تعدد الواجب واستغناء بعض الممكنات عنه ~~وكلاهما محال عنه~~
وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف
بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركب في ذاته قال لمن حوله الا تستمعون
جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم انه رب السموات وهي واجبة
متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية او غير معلوم افتقارها الى مؤثر قال ربكم
ورب آبائكم الاولين عدولا الى ما لا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره
الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند التامل قال ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون اسأله عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولا
على السخرية قال رب المشرق والمغرب وما بينهما تشاهدون كل يوم انه
ياتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها
الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات ان كنتم تعقلون ان كان
لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم اولا ثم لما راى شدة شكيمتهم
خاشنهم وعارضهم بمثل مقالهم قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من
المسجونين عدولا الى التهديد عن المحاجة وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل
به على ادعائه الالوهية وانكاره للصانع وان تعجبه ان يقول الا تستمعون من
الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا اعتقد ان من ملك قطرا وتولى امره لقوة
طالعه استحق العبادة من اهله واللام في من المسجونين للعهد اي ممن عرفت
حالهم في سجوني فانه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ
من لاسجننك قال اولو جئتك بشيء مبين اي افتفعل ذلك ولو جئتك بشيء
مبين صدق دعواي يعني المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته
والدلالة على صدق مدعي نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل

قال فأت به ان كنت من الصادقين في ان لك بينة او في دعواك فان مدعي النبوة
لا بد له من حجة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر ثعبانيته واشتقاق
الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين
روي ان فرعون لما رأى الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال ما فيها فادخلها
في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق قال للملأ حوله
مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق في علم
السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان المعجزة
حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى
واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه قالوا ارجه واخاه
اي أخر امرهما وقيل احبسهما وابعث في المدائن حاشرين شرطا يحشرون السحرة
يأتوك بكل سحار عليم يفضلون عليه في هذا الفن وامالها ابن عامر وابو عمرو
والكسائي وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم لما وقت به من ساعات
يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة وقيل للناس هل انتم مجتمعون فيه
استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تأبط شرا هل انت باعث
دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق اي ابعث احدهما الينا سريعا
لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا
والترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلي ان لا يتبعوا
السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى فلما
جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم و
انكم اذا لمن المقربين التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا
فاذا لما تقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان قال لهم موسى
القوا ما انتم ملقون اي بعدما قالوا له اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين
ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة

توسلا به الى اظهار الحق فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا
لنحن الغالبون اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في انفسهم
واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف
تبتلع وقرأ حفص تلقف بالتخفيف ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه
بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك
به مبالغة فالقي السحرة ساجدين لعلمهم بان مثله لا يتأتى بالسحر وفيه دليل
على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئا لا حقيقة له وان التبحر في كل فن
نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم لما رأوا ما رأوا لم
يتمالكوا انفسهم كانهم اخذوا فطرحوا على وجوههم وانه تعالى القاهم بما خولهم
من التوفيق قالوا آمنا برب العالمين بدل للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على
ان الموجب لايمانهم ما اجراه على يديهما قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم
الذي علمكم السحر فعلمكم شيئا دون شيء ولذلك غلبكم او فواعدكم على ذلك و
تواطأتم عليه واراد به التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور
حق وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر وروح آمنتم بهمزتين فلسوف تعلمون وبال
ما فعلتم لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين
قالوا لا ضير لا ضرر علينا في ذلك انا الى ربنا منقلبون بما توعدنا
به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله تعالى او بسبب
من اسباب الموت والقتل انفعها وارجاها انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا
ان كنا اول المؤمنين بان كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون او من اهل المشهد
والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا
على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل بأمره
ان احسنت اليك فلا تنس حقي واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي
وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم

يريدوا الا عتوا وفسادا وقرأ ابن كثير ونافع ان اسر بكسر النون ووصل
الالف من سرى وقرئ ان سر من السير انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده
وهو علة الامر بالاسراء اي اسر بهم حتى اذا اتبعكم مصبحين كان لكم تقدم
عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حتى تلجوا
البحر فيدخلون مداخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر
بسراهم في المدائن حاشرين العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون
على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة الى
جنوده اذ روي انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة
القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط
كل سبط منهم قليل وانهم لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا وانا لجميع
حذرون وانا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الامور اشار اولا الى
عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعو اليه من فرط عداوتهم
ووجوب التيقظ في شأنهم حثا عليه او اعتذر بذلك الى اهل المدائن كيلا يظن به
ما يكسر سلطانه وقرأ ابن عامر والكوفيون حاذرون والاول للثبات والثاني
للتجدد وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وهو ايضا من الحذر لان ذلك انما يفعل
حذرا وقرئ حادرون بالدال اي اقوياء قال احب الصبي السوء من اجل امه
وابغضه من بغضها وهو حادر او تام السلاح فان ذلك يوجب حدارة في
اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه
من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية
كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم فهو مصدر او مثل ذلك الاخراج الذي اخرجنا فهو
مصدر او مثل ذلك المقام الذي كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون
خبر المحذوف واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين
داخلين في وقت شروق الشمس فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث رأى كل منهما

الامر

الآخر وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون لملحقون وقرئ
لمدّركون من ادرك الشيء اذا تتابع ففني اي لمتتابعون في الهلاك على ايديهم
قال كلا لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم ان معي ربي بالحفظ و
النصر سيهدين طريق النجاة منهم روي ان مؤمن آل فرعون كان بين يدي
موسى فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر
ولعلي اومر بما اصنع فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم
او النيل فانفلق اي فضرب فانفلق وصار اثني عشر فرقا بينها مسالك فكان
كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها
كل سبط في شعب وازلفنا وقربنا ثم الآخرين فرعون وقومه حتى دخلوا
على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على
تلك الهيئة الى ان عبروا ثم اغرقنا الآخرين باطباقه عليهم ان في ذلك
لآية واية آية وما كان اكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن
بها احد ممن بقي في مصر من القبط وبنو اسرائيل بعدما نجوا بقرة يعبدونها
واتخذوا العجل وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه واتل
عليهم على مشركي العرب نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون
سألهم ليريهم ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة قالوا نعبد اصناما فنظل
لها عاكفين فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا وافتخارا ونظل ههنا
بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم يسمعون
دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة اذ تدعون عليه وقرئ يسمعونكم
اي يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية الحال الماضية
استحضارا لها او ينفعونكم على عبادتكم لها او يضرون من اعرض عنها قالوا
بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اضربوا عن ان يكون لهم سمع او يتوقع منهم
ضر او نفع والتجأوا الى التقليد قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم

لاتقدمون فان التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا فانهم
عدو لي يريد انهم اعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق ما
يتضرر الرجل من جهة عدوه او ان المغري لعبادتهم اعدى اعدائهم وهو الشيطان
لكنه صور الامر في نفسه تعريضا لهم فانه انفع لهم في النصح من التصريح
واشعارا بانها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون ادعى الى القبول وافراد العدو لانه
في الاصل مصدر او بمعنى النسب الا رب العالمين استثناء منقطع او متصل
على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله الذي خلقني
فهو يهدين لانه يهدي كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد كما قال
والذي قدر فهدى هداية مدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها
من جلب المنافع ودفع المضار مبدأها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين الى
امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذاتها
والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ وللعطف ان جعل صفة رب العالمين
فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله والذي هو يطعمني
ويسقين على الاول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده
وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحد من الصلات مستقلة
باقتضاء الحكم واذا مرضت فهو يشفين عطفه على يطعمني ويسقين لانه من
روادفهما من حيث ان الصحة والمرض في الاغلب يتبعان المأكول والمشروب وانما
لم ينسب المرض اليه لان المقصود تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة
اليه فان الموت من حيث انه لا يحس به لا ضرر فيه وانما الضرر في مقدماته
وهي المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التي يستحقر دونها الحياة
الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبليات ولان المرض في غالب الامر انما يحدث
بتفريط الانسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط والاركان من التنافي
والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها

قهرا

قهرا وذلك بتقدير العزيز الحكيم والذي يميتني ثم يحيين في الآخرة والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة ان
يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلبا لان يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفارا
لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث اني سقيم
بل فعله كبيرهم هي اختي ضعيف لانها معاريض وليست خطايا رب هب لي حكما
كمالا في العلم والعمل استعد به خلافة الحق ورياسة الخلق والحقني بالصالحين
ووفقني للكمال في العمل لانتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا
يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره واجعل لي لسان صدق في الآخرين
جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك ما من امة الا وهم
محبون له مثنون عليه او صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس
الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم واجعلني من ورثة
جنة النعيم في الآخرة وقد مر معنى الوراثة فيها واغفر لابي بالهداية والتوفيق
للايمان انه كان من الضالين طريق الحق وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله
كان لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود ولذلك وعده به او لانه لم يمنع
بعد من الاستغفار للكفار ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي
عن رتبة بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا او
بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون
الضمير للعباد لانهم معلومون او للضالين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا
من اتى الله بقلب سليم اي لا ينفعان احدا الا مخلصا سليم القلب عن الكفر
وميل المعاصي وسائر آفاته او لا ينفعان الا مال من هذا شأنه وبنوه حيث انفق
ماله في سبيل البر وارشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا
عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيامة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال
والبنون اي لا ينفع غنى الا غناه وقيل منقطع والمعنى لكن سلامة من اتى الله

بقلب سليم تنفعه وأزلفت الجنة للمتقين بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بأنهم
المحشورون إليها وبرزت الجحيم للغاوين فيرونها مكشوفة ويتحسرون على
أنهم المسوقون إليها وفي اختلاف الفعلين وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من
دون الله أي آلهتكم الذين تزعمون أنهم شفعاؤكم هل ينصرونكم بدفع العذاب
عنكم أو ينتصرون بدفعه عن أنفسهم لأنهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال
فكبكبوا فيها هم والغاوون أي الآلهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير
معناه كأن من ألقي في النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها وجنود إبليس
متبعوه من عصاة الثقلين وشياطينه أجمعون تأكيد للجنود إن جعل مبتدأ
خبره ما بعده وللضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود
إليه في قوله قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين على أن الله
تعالى ينطق الأصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب في قوله إذ نسويكم برب
العالمين أي في استحقاق العبادة ويجوز أن تكون الضمائر للعبدة كما في قالوا
والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى أنهم مع تخاصمهم في مبدأ ضلالهم
معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها وما أضلنا إلا المجرمون
فما لنا من شافعين كما للمؤمنين من الملائكة والأنبياء ولا صديق حميم
إذ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين أو فما لنا من شافعين ولا صديق
ممن نعدهم شفعاء وأصدقاء أو وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق
وجمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ولأن
الصديق الواحد يسعى أكثر مما تسعى الشفعاء أو لإطلاق الصديق على الجمع
كالعدو لأنه في الأصل مصدر كالحنين والصهيل فلو أن لنا كرة تمن للرجعة
وأقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير أو شرط حذف جوابه فنكون
من المؤمنين جواب التمني أو عطف على كرة أي لو أن لنا أن نكر فنكون إن
في ذلك فيما ذكر من قصة إبراهيم لآية لحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها

ويعتبر

ويعتبر فإنها جاءت على أنظم ترتيب وأحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه
لما فيها من الإشارة إلى أصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته
للقوم وحسن مخالقته وكمال إشفاقه عليهم وتصوير الأمر في نفسه وإطلاق
الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وإيقاظا لهم ليكون أدعى لهم إلى الاستماع
والقبول وما كان أكثرهم أكثر قومه مؤمنين به وإن ربك لهو العزيز القادر
على تعجيل الانتقام الرحيم بالإمهال لكي يؤمنوا هم أو أحد من ذريتهم كذبت
قوم نوح المرسلين القوم مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة وقد مر الكلام في
تكذيبهم المرسلين إذ قال لهم أخوهم نوح لأنه كان منهم ألا تتقون الله
فتتركوا عبادة غيره إني لكم رسول أمين مشهور بالأمانة فيكم فاتقوا الله
وأطيعون فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله وما أسألكم عليه على
ما أنا عليه من الدعاء والنصح من أجر إن أجري إلا على رب العالمين فاتقوا
الله وأطيعون كرره للتأكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من أمانته وحسم
طمعه لوجوب طاعته فيما يدعوهم إليه فكيف إذا اجتمعا وقرأ نافع وابن عامر
وأبو عمرو وحفص بفتح الياء في أجري في الكلمات الخمس قالوا أنؤمن لك و
اتبعك الأرذلون الأقلون جاها ومالا جمع الأرذل على الصحة وقرأ يعقوب وأتباعك
وهو جمع تابع كشاهد وأشهاد أو تبع كبطل وأبطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور
رأيهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وإيمانهم
بما يدعوهم إليه ودليلا على بطلانه وأشاروا بذلك إلى أن اتباعهم ليس عن نظر و
بصيرة وإنما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون
إنهم عملوه إخلاصا أو طمعا في طعمة وما علي إلا اعتبار الظاهر إن حسابهم إلا
على ربي ما حسابهم على بواطنهم إلا على الله فإنه المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم
ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون وما أنا بطارد المؤمنين جواب
لما أوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف إيمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم

المانع عنه وقوله ان انا الا نذير مبين كالعلة له اى ما انا الا رجل مبعوث
لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق بي
طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما على الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح
فلا على ان اطردهم لاسترضائكم قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن
من المرجومين من المشتومين او المضروبين بالحجارة قال رب ان قومي كذبون
ظاهرا لما ادعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه
فافتح بيني وبينهم فتحا فاحكم بيني وبينهم من الفتاحة ونجني ومن معي
من المؤمنين من قصدهم او شوم عملهم فانجيناه ومن معه في الفلك
المشحون المملوء ثم اغرقنا بعد بعد انجائه الباقين من قومه ان في ذلك لاية
شاعت وتواترت وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت
عاد المرسلين انثه باعتبار القبيلة وهو في الاصل اسم ابيهم اذ قال لهم اخوهم
هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم
عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين تصدير القصص بها دلالة على
ان البعثة مقصورة على الدعا الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى
ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الانبيا متفقين على ذلك وان اختلفوا في بعض
التفاريع مبرئين عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية اتبنون بكل ريع
بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها اية علما للمارة تعبثون ببنائها
اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او
بنيانا يجتمعون اليها للعبث بمن يمر عليهم او قصورا يفتخرون بها وتتخذون
مصانع ماخذ الماء او قيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون فتحكمون
بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم جبارين متسلطين غاشمين
بلا رافة ولا قصد تاديب ونظر في العاقبة فاتقوا الله بترك هذه الاشيا
واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما

تعلمون

تعلمون كرره مرتبا على امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها
على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك
النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار في الا تتقون مبالغة
في الايقاظ والحث على التقوى امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون ثم
اوعدهم فقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا والاخرة فانه كما
قدر على الانعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من
الواعظين فانا لا نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما تقتضيه المقابلة
للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه ان هذا الا خلق الاولين ما هذا الذي
جئتنا به الا كذب الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى ونموت مثلهم ولا
بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق بضمتين اى ما هذا
الذي جئت به الاعادة الاولين كانوا يلفقون مثله او ما هذا الذي نحن عليه
من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن
عليه من الحياة والموت الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وما نحن بمعذبين
على ما نحن عليه فكذبوه فاهلكناهم بسبب التكذيب بريح صرصر ان
في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود
المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا
الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
اتتركون فيما هاهنا امنين انكار لان يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة في
تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم امنين ثم فسره بقوله في جنات وعيون
وزروع ونخل طلعها هضيم لطيف لين للطف التمر او لان النخل انثى
وطلع اناث النخل الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ
القنو او لان المراد بها غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين
بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب

قلب وقرأ فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين
استعير الطاعة التي هي انقياد الامر لامتثال الامر ونسبه حكم الآمر له مجازا
الذين يفسدون في الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون
على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم قالوا انما انت من المسحرين الذين سحروا
كثيرا حتى غلب على عقولهم او من ذوي السحر وهي الرئة اي من الاناسي فيكون
ما انت الا بشر مثلنا تأكيدا له فأت بآية ان كنت من الصادقين في دعواك
قال هذه ناقة اي بعد ما اخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها لها شرب
نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم
شرب يوم معلوم فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها ولا تمسوها
بسوء كضرب وعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما
يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر الى كلهم لان عاقرها
انما عقر برضاهم ولذلك اخذوا جميعا فاصبحوا نادمين على عقرها خوفا من
حلول العذاب لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم فاخذهم
العذاب اي العذاب الموعود ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء
بانه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من
مثله ببركة من آمن منهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط
الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه
من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتأتون الذكران من العالمين
اي اتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم
او اتأتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كأنهن
قد اعوزنكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثاني الناس وتذرون
ما خلق لكم لاجل استمتاعكم ربكم من ازواجكم لبيان ما ان اريد به

جنس

جنس الاناث او للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم
كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون متجاوزون عن حد
الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات ومفرطون في المعاصي وهذا
من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة قالوا لئن
لم تنته يا لوط عما تدعيه او عن نهينا او تقبيح امرنا لتكونن من المخرجين من
المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء حال
قال اني لعملكم من القالين من المبغضين غاية البغض لا اقف على الانكار عليه
بالايعاد وهو ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال لدلالته على انه معدود في زمرتهم
مشهور بانه من جملتهم رب نجني واهلي مما يعملون اي من شؤمه وعذابه
فنجيناه واهله اجمعين اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم
وقت حلول العذاب بهم الا عجوزا هي امرأة لوط في الغابرين مقدرة في الباقين
في العذاب اذ اصابها حجر في الطريق فاهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية
بفعلهم وقيل كانت فيمن بقي في القرية فانها لم تخرج مع لوط ثم دمرنا الآخرين
اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم
فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء
والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة
غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين سكنها طائفة فبعث الله
اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك قال اذ قال لهم شعيب
الا تتقون ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم
وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام
وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهي اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفي ص
بغير الالف اتباعا للفظها اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما

وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل اتموه
ولا تكونوا من المخسرين حقوق الناس بالتطفيف وزنوا بالقسطاس
المستقيم بالميزان السوي وهو ان كان عربيا فان من القسط ففعلاس بتكرير
العين والا ففعلال وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ولا تبخسوا الناس
اشياءهم ولا تنقصوا شيئا من حقوقهم ولا تعثوا في الارض مفسدين
بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين
وذوي الجبلة الاولين يعني من تقدمهم من الخلائق قالوا انما انت من المسحرين
وما انت الا بشر مثلنا اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين للرسالة
مبالغة في تكذيبه وان نظنك لمن الكاذبين في دعواك فاسقط علينا كسفا
من السماء قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرأ
حفص بفتح السين ان كنت من الصادقين في دعواك قال ربي اعلم بما
تعملون وبعذابه المنزل عليكم ما اوجبه لكم عليه في وقته المقدر له لا محالة
فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة على نحو ما اقترحوا بان سلط الله عليهم
الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم واظلتهم سحابة فاجتمعوا اليها فامطرت
عليهم نارا فاحترقوا انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص السبع
المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا
للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم
له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية
او كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم وانه لتنزيل رب العالمين نزل به
الروح الامين على قلبك تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز
القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون
الا وحيا من الله تعالى والقلب ان اراد به العضو فتخصيصه لان المعاني الرو

انما

انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد
منه الى الدماغ فينتقش بها اللوح المتخيلة والروح الامين جبريل فانه امين الله
على وحيه وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي بتشديد الزاي ونصب الروح
الامين لتكون من المنذرين عما يؤدي الى عذاب من فعل او ترك بلسان عربي
مبين واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق بنزل ويجوز ان
يتعلق بالمنذرين اي لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسماعيل
وشعيب ومحمد صلى الله عليه وسلم وانه لفي زبر الاولين وان ذكره او معناه
لفي الكتب المتقدمة اولم يكن لهم آية على صحة القرآن او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
ان يعلمه علماء بني اسرائيل ان يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه
دليلا وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه
بدل لهم حال او ان الاسم ضمير القصة وآية خبر ان يعلمه والجملة خبر تكن ولو
نزلناه على بعض الاعجمين كما هو زيادة في اعجازه او بلغة العجم فقرأه عليهم
ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم
من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة كذلك
سلكناه ادخلناه في قلوب المجرمين والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما
كانوا به مؤمنين فتدل الاية على انه بخلق الله وقيل للقرآن اي ادخلناه فيها
فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا لا يؤمنون به حتى يروا العذاب
الاليم الملجئ الى الايمان فيأتيهم بغتة في الدنيا والاخرة وهم لا يشعرون باتيانه
فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا وتأسفا افبعذابنا يستعجلون فيقولون
امطر علينا حجارة فائتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة
افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم
ما كانوا يمتعون لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه وما
اهلكنا من قرية الا لها منذرون انذروا اهلها الزاما للحجة ذكرى تذ

ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار او الرفع على انها صفة
منذرين باضمار ذووا او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر محذوف والجملة
اعتراضية وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار وما تنزلت
به الشياطين كما زعمه المشركون انه من قبيل ما تلقي الشياطين على الكهنة
وما ينبغي لهم وما يصح لهم ان يتنزلوا به وما يستطيعون وما يقدرون
انهم عن السمع لكلام الملايكة لمعزولون لانه مشروط بمشاركة في صفاء
الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة
ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقايق لا يمكن تلقيها
الا من الملايكة فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين تهييج لازدياد
الاخلاص ولطف لساير المكلفين وانذر عشيرتك الاقربين الاقرب منهم
فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم
فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي
قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد واخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين لين جانبك لهم مستعار من خفض الطاير جناحه اذا اراد ان
ينحط ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد
من المؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان فان عصوك ولم
يتبعوك فقل اني بريء مما تعملون مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل على العزيز
الرحيم الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم
ومن غيرهم وقرأ نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط الذي يراك
حين تقوم الى التهجد وتقلبك في الساجدين وترددك في تصفح احوال المتهجدين
كما روي انه عليه السلام لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر
ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع بها من
دندنتهم بذكر الله والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود
والقعود

اذا تهجّدتهم وانما وصفه الله تع بعلمه بحاله التي بها يستأهل ولايته بعد وصفه
بان من شانه قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه انه
هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على
كل افاك اثيم لما بين ان القرآن لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك
بان بين ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يصلح لان يتنزلوا عليه من وجهين احدهما
انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما
من التناسب والتواد وحال محمد صلى الله عليه وسلم على خلاف ذلك وثانيهما قوله
يلقون السمع اي الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا
وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق اكثرها
كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر
من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلى الله عليه وسلم فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى
وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك والاظهر ان الاكثرية باعتبار
اقوالهم على معنى ان هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وقيل الضمائر للشياطين
اي يلقون السمع الى الملأ الاعلى قبل ان رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون
به الى اوليائهم او يلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون
به الى اوليائهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور
فهمهم او ضبطهم او افهامهم والشعراء يتبعهم الغاوون واتباع محمد ليسوا كذلك وهو
استئناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقوله الم تر انهم في كل واد يهيمون لان
اكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها واغلب كلماتهم في النسيب بالحرم والغزل
والابتهار وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل
ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه واليه اشار بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون
وكأنه لما كان اعجاز القران من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا في المعنى بانه مما تنزلت
به الشياطين وفي اللفظ بانه من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة

القرآن لها ومضادة لحال الرسول لحال اربابها وقرأ نافع يتبعهم بالتخفيف وقرئ بالتشد
وتسكين العين تشبيها لتبعه بعضد الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا
الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا استثنا للشعرا المومنين الصالحين
الذين يكثرون ذكر الله ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثنا على الله والحث على
طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله
ابن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان عليه السلام يقول لحسان قل وروح
القدس معك وعن كعب بن مالك انه عم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد
عليهم من النبل وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تهديد شديد لما
في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون
اي بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلاها ابو بكر لعمر رض حين عهد اليه وقرئ اي
منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا
من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الشعرا كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به
وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النمل مكية وهي ثلاث واربع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين الاشارة الى آي السورة والكتاب المبين
اما اللوح وابانته انه خط فيه ما هو كاين فهو يبينه للناظرين فيه وتأخيره باعتبار
تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود او القرآن وابانته لما اودع فيه من الحكم
والاحكام او لصحته باعجازه وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى
وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
هدى وبشرى للمومنين حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان
منها او خبران آخران او خبران لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويوتون الزكاة

الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون من
تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم
وثباته وانهم الاوحدون فيه او جملة اعتراضية كانه قيل وهولاء الذين
يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون
لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص ان الذين لا
يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم زين اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة
للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التي وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات
عليها فهم يعمهون عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر او نفع اولئك الذين لهم
سوء العذاب كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الآخرة هم الاخسرون اشد
الناس خسرانا لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة وانك لتلقى القرآن لتؤتاه
من لدن حكيم عليم اي حكيم واي عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل في الحكمة
لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرآن منها
ما هي حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات
ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا
اي اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم سآتيكم منها بخبر اي عن حال
الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى
عنها عن امرأته بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة او الوعد بالاتيان
وان ابطأ او آتيكم بشهاب قبس شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب
اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل
منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما
بصيغة الترجي في طه والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما
بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده لعلكم
تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها

قوله زين اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع اسناد تزيينها اليه تعالى بهذا
الوجه لا ينافي اسناده الى الشيطان في قوله تعالى فزين لهم الشيطان اعمالهم فانه زينها
لهم بان دعاهم الى ما تشتهيه طباعهم وتميل اليه نفوسهم قوله ما يتبعها
من ضر على تقدير ان يكون المزين اعمالهم القبيحة وقوله او نفع على تقدير ان يكون المزين
اعمالهم الحسنة فهو من قبيل اللف والنشر المرتب والعمه التحير والتردد كما
حال الضلال عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها قط فقال
رأيت الناس عمهين اراد انهم مترددون في اعمالهم واشغالهم قوله كالقتل
والاسر يوم بدر حمل سوء العذاب على عذاب الدنيا لعطف قوله وهم في الآخرة
هم الاخسرون على قوله اولئك لهم سوء العذاب قوله لتؤتاه فقال تعالى وما
يلقاها الا الذين صبروا اي وما يؤتاها وقيل لتلقى كذا اي لتأخذه من فوقهم
تلقيته لقيته اي اخذته قوله اي حكيم واي عليم اشار الى ان التنكير فيهما
للتعظيم قوله مع ان العلم داخل في الحكمة فان الحكمة اتقان الفعل بان يفعله على
وفق العلم فان من يعلم امرا ولا يأتي بما يناسب علمه لا يقال له حكيم فلما وصف الله تعالى
نفسه بانه حكيم علم منه انه عليم فما وجه الجمع بينهما وتقرير الجواب ان العلم الذي يدخل
في الحكمة هو العلم العملي وهو الذي يتعلق بكيفية العمل والعلم اعم منه لانه يتناول العلمي
النظري ايضا وهو الذي يقصد لذاته لا للعمل به فذكر الحكيم لا يغني عن ذكر العليم
فلذلك وصف نفسه بالحكمة المشتملة على العلوم العملية ثم اتبعه بقوله عليم اي بالغ
في كمال العلم كانه قيل مصيب في افعاله لا يفعل شيئا فيها الا على وفق علمه عليم
بكل شيء احواله سواء كان ذلك العلم مؤديا الى العمل ام لا ثم اشار الى جواب آخر مبني
على ان يكون الحكمة نفس العلم بالمعنى الاعم المتناول للعلوم النظرية والعملية فيكون
تقرير السؤال ان الحكمة نفس العلم فلم ذكر العلم بعد ذكر الحكمة ويكون تقرير الجواب
ح ان الحكمة التي هي نفس العلم هي الحكمة المنقسمة الى العملية والنظرية كالعلم المتعلق
بالشرائع والاحكام والعلم المتعلق بالاعتقادات والعلم اعم من الحكم بهذا المعنى
حيث يطلق على ما لا يسمى حكمة كعلم القصص والعلم بالمغيبات فان شيئا منهما غير
مندرج تحت الحكمة بالمعنى المذكور فلو اقتصر على قوله حكيم لما فهم انه تعالى عالم
بما يتعلق بافعال المكلفين ومعاشهم وان علوم القرآن ليست الا ما هي حكمة فلما
اتبع ذلك قوله عليم فهم منه ان علوم القرآن منها ما هي حكمة ومنها ما ليس كذلك

نودي ان بورك اي بورك فان النداء فيه معنى القول وبان بورك على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره في احكام كثيرة من في النار ومن حولها من في مكان النار وهو البقعة المباركة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر انه عام في كل من في تلك الوادي وحواليها من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبيا وكفاتهم احياء وموتى وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم تنتشر بركته في اقطار الشام وسبحان الله رب العالمين من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجيب من عظمة ذلك الامر او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته يا موسى انه انا الله الهاء للشان وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له العزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير والق عصاك عطف على بورك اي نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك ويدل عليه قوله ان يا موسى اني انا الله بتكرير ان فلما رآها تهتز تتحرك باضطراب كانها جان حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا ولم يعقب ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه قوله يا موسى لا تخف اي من غيري ثقة بي ومطلقا لقوله اني لا يخاف لدي المرسلون حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم اخوف الناس اي من الله او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافون منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها

وبنجون

عص

قوله والتعجيب عطف على قوله لئلا يتوهم يعني انه تعجيب لموسى عليه السلام مما شاهده في تلك البقعة المباركة وايذان بان ذلك الامر بديع ويكون من رب العالمين كانه قيل ما اعظم امر بديع من هو رب العالمين فيكون قوله وسبحان الله رب العالمين كالتذييل والتاكيد لما تضمنه قوله بورك الخ او هو تعجب من موسى عليه السلام بتقدير القول وهو معطوف على قوله من تمام ما نودي به قوله او للمتكلم عطف على قوله للشان اي ويحتمل ان يكون ضميرا راجعا الى ما دل عليه ما قبله والمعنى اني انا مكلمك ولفظ الجلالة بيان لانا قوله استثناء منقطع وانما جعله كذلك لان المستثنى منه وهو من ظلم اي بنزلة من المرسلين غير مخرج عن الحكم المذكور وهو عدم الخوف لانه كما لا يخاف الرسل المعصومون من الزلات لا يخاف ايضا من فرط منه ما غفر له ثم رحم عليه لان المغفور له والمرحوم عليه كيف يخاف الله عن الذنب الذي يغفر له فاذا تعين انه لا يخاف احد من المرسلين من سوء العاقبة البتة فلما لم يكن المستثنى مخرجا من الحكم المذكور لم يكن الاستثناء متصلا وكانت كلمة الا بمعنى لكن التي للاستدراك لانه لما نفى الخوف عن المرسلين كلهم اختلج في الصدور وهم وهو ان يقال كيف يصح نفي الخوف عن ظلم المرسلين كلهم فدفعه بان يقال الا من ظلم يعني لكن من ظلم ثم بدل حسنا اي توبة وندما بعد سوء اي بعد زلة كائنة ما كانت وهو فائدة التنكير فاني غفور رحيم وقيل انه متصل والمعنى لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم منهم فانه يخاف فيتم الكلام عند قوله الا من ظلم ويكون قوله ثم بدل حسنا مستانفا معطوفا على محذوف واعلم ان الناس اختلفوا في جواز الذنب على الانبياء وعدمه فقالت الحشوية يجوز صدور الكبائر عنهم عمدا وقالت المعتزلة لا يجوز صدور الكبائر عنهم ويجوز صدور الصغائر عنهم الا ما ينفر كالكذب وسرقة لقمة وتطفيف حبة وقال الجبائي لا يجوز عليهم الصغيرة ولا الكبيرة على جهة العمد بل على التاويل وقالت الرافضية لا يقع منهم ذنب قط لا قبل البعثة ولا بعدها بل هم معصومون من ابتداء ولادتهم قال المحققون وعندنا انه لا يصدر عنهم ذنب حال النبوة لا صغيرة ولا كبيرة وفي اثناء كلامه اشارة بان ترك الاولى منهم كالصغيرة منا لان حسنات الابرار سيئات المقربين فتاويل الاية على راينا الا من ظلم قبل النبوة ثم بدل بعده حسنا ويؤيده لفظة ثم فانها للتراخي قال الحسن كان والله موسى ممن ظلم بقتل القبطي ثم بدل حسنا فانه عليه السلام قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فلذلك قال المص وقصد تعريض موسى عليه السلام بوكزه القبطي شيخ زاده

ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي وقيل متصل

وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف اي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة وادخل

يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كم له وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي

اي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء آفة كبرص في تسع آيات في جملتها او

معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم

والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عدّ العصا واليد من التسع

ان يعدّ الاخيرين واحدا ولا يعدّ الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع

آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاولين يتعلق بنحو

مبعوثا ومرسلا انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال فلما جاءتهم آياتنا

بان جاءهم موسى بها مبصرة بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط

اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما تبصر او ذات تبصر من

حيث انها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا ان تهدي ومبصرة كل من نظر اليها

وتأمل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح

سحريته وجحدوا بها وكذبوا بها واستيقنتها انفسهم وقد استيقنتها لان

الواو للحال ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا من الايمان وانتصابهما على العلة

من جحدوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق في الدنيا

والاحراق في الاخرى ولقد آتينا داود وسليمان علما طائفة من العلم وهو علم

الحكم والشرائع او علما اي علم وقالا الحمد لله عطفه بالواو اشعارا بان

ما قالاه بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعمة كانه قال ففعلا شكرا له ما فعلا

وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين يعني من لم يؤت

علما او مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم

وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما

وتحريض للعالم على ان يحمد الله على ما آتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد انه

قوله او اذهب في تسع آيات عطف على قوله في جملتها اي ويجوز ان يكون في تسع آيات

متعلقا باذهب المقدر وجعل ذهابه فيها عبارة عن كونه محفوظا بها متحصنا

عن بأس الاعداء بسببها كما يتحصن من هو داخل الحصن المحيط به من سوء من يعاديه

قوله او ذات تبصر على ان يكون صيغة اسم الفاعل للنسب كلابن ولابن بكون اثبات

البصر لها تخييلا للاستعارة المكنية بان تشبه الآيات بالحصن الحاوي ونسبة

الابصار على وجه التخييل قرينتها لان الاعمى لا يهتدي وعلى الاهتداء فضلا عن ان يهدي

قوله تعالى حتى اذا اتوا متعلق بيوزعون لانه يتضمن معنى فهم يسيرون عنوما بعضهم من مفارقة بعض ليجتمعوا فيمتنعوا في سيرهم فانه احسن في الهيئة واهيب في الرؤية حتى اذا ويجوز ان يتعلق بمحذوف اي فساروا حتى قوله ويتعدية الفعل اليه بعلى انه قد يتعدى بنفسه ويكلمه الى يقال اتيته واتيت اليه اما لانهم اتوا اليه مستعلين فوقه لانهم كانوا محمولين على الريح وقيل هو من قولهم اتيت عليه اذا قطعته وبلغت اخره والمعنى اذا قطعوا الوادي كله وبلغوا اخره قوله كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهوى لا تخاف النملة حطمهم قوله كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادي اي لما لم يكن النملة من العقلاء والناصحين الذين يعبرون عما في ضمائرهم بتراكيب ملفوظة تدل عليه دلالة وضعية لم يكن حمل الاية على الحقيقة ظاهرا فلذلك حمل المصنف على الاستعارة التمثيلية بان شبهت الحالة الواقعة بينها وبين قومها بما يقع بين العقلاء الناصحين فعبر عن الحالة المشبه بما يعبر عن الحالة المشبهة بها فقيل قالت نملة الى الاية والظاهر ان الكلام محمول على حقيقته بناء على انه لا يمتنع ان يخلق الله تعالى فيها العقل والنطق الم تر انه تعالى سخر الريح والشياطين والطير لسليمان عليه السلام وجعل جميع ذلك جنوده واعوانا منقادين له لا يخالفون في شيء مما امرهم به وذلك لا يكون الا بجعلهم عقلاء مميزين وقد روي ان سليمان عليه السلام لما سمع قول النملة قال ائتوني بها فاتوا بها فقال لها لم حذرت النمل ظلمي اما علمت اني نبي عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده فقالت النملة اما سمعت قولي وهم لا يشعرون ومع ذلك اني لم ارد حطم النفوس وانما اردت حطم القلوب خشيت ان يروا ما انعم الله به عليك من الجاه والملك العظيم فيقعوا في كفران النعم فلا اقل من ان يشتغلوا بالنظر عن التسبيح فقال لها سليمان عظيني فقالت النملة اعلمت لم سمي ابوك داود قال لا قالت لانه داوى جراحة قلبه وهل تدري لم سميت سليمان قال لا قالت لانك سليم القلب والصدر ثم قالت اتدري لم سخر الله لك الريح قال لا قالت اخبرك ان الله تعالى ان الدنيا كلها ريح فمن اعتمد عليها فكانما اعتمد على الريح وقول النملة وهم لا يشعرون يدل على انها عرفت ان النبي معصوم فلا يقع منه قتل وايذاء بغير ذنب الا على سبيل السهو وهذا تنبيه عظيم على وجوب الجزم بعصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولفظ النملة في قوله تعالى قالت نملة مؤنث حقيقي بدليل لحوق علامة التأنيث فعلها لان النملة تطلق على الذكر والانثى فاذا اريد تمييز

وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير وورث سليمان داود النبوة او العلم او الملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء تشهير لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق في التعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما هو من جنسه ولعل سليمان مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك ما حكي انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير في علمنا واوتينا له ولابيه او له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شيء كثرة ما اوتي كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين الذي لا يخفى على احد وحشر وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون يحبسون بحبس اولهم على اخرهم ليتلاحقوا حتى اذا اتوا على وادي النمل واد بالشام كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من عال او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ اخره كانهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادي قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع ان خلق الله فيها العقل والنطق

لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا أرينك هٰهنا فهو استئنافا وبدل من الامر لا جواب له فان النون لا تدخله في السعة وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استئنافا اي فهم سليمان والقوم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه الله من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك اي اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اي اكفه وارتبطه لا ينفلت عني بحيث لا انفك عنه وقرأ البزي وورش بفتح ياء اوزعني التي انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية وان اعمل صالحا ترضاه تماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين في عدادهم الجنة وتفقد الطير وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين ام منقطعة كانه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال ما لي لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غايب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غايب كانه يسأل عن صحة ما لاح له لاعذبنه عذابا شديدا كنتف ريشه والقائه في الشمس او حيث النمل يأكله او جعله مع ضده في قفص او لاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه او ليأتيني بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما وقرأ ابن كثير او ليأتينني بنونين الاولى مفتوحة مشددة فمكث غير بعيد زمانا غير بعيد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف فقال احطت بما لم تحط به يعني حال سبأ وفي مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على ان في ادنى خلق الله من احاط علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر

ذلك احتيج الى مميز خارج نحو نملة ذكر ونملة انثى وكذا لفظ حمامة ويمامة من المؤنثات اللفظية ذكر الامام ان قتادة دخل الكوفة فالتفت اليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة رضي الله عنه حاضرا وهو غلام حديث السن فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فانقحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله تعالى وهو قوله تعالى قالت نملة ولو كان ذكرا لقيل قال نملة وذلك لان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فتميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى انتهى يعني ان التانيث لفظي ومعنوي واللفظي لا يعتبر في لحوق علامة التانيث بالفعل البتة بدليل انه لا يجوز قامت طلحة ولا حمزة علم مذكر فتعين ان يكون اللحوق انما هو للتانيث المعنوي شيخ زاده

قوله ادرج ذكر والديه اي ادرج ذكر النعمة الواصلة اليهما في ذكر النعمة المستدعية لشكر نفسه قوله فان النعمة عليهما نعمة عليه ضرورة ان انتساب الابن الى اب شريف نعمة من الله تعالى على الابن فيشكر بتلك النعمة الواصلة منه تعالى الى الابن قوله والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية فان الابن اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله تعالى عنك وعن والديك فاشتغل بشكر نعم الله على والديه ايضا اشعارا بان نعمتهما بانا رما انعم به قوله في عدادهم الجنة لفظ الجنة بدل من العداد المقدر يعني ان المراد من ادخاله في العباد ادخاله في عدادهم والمقصود منه ادخاله فيما هو لهم وهو الجنة لانه قد سأل ان يوفقه الله تعالى للاعمال الصالحة ودخوله في زمرة الصالحين بقوله وان اعمل صالحا ترضاه فلو حمل قوله وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين على طلب التوفيق للاعمال الصالحة لكان تكرارا وفي الاية دليل على ان دخول الجنة انما يكون برحمة الله وفضله لا باستحقاق العبد وصلاحه والصالح الكامل هو الذي لا يعصي الله ولا يهتم بمعصية وهي درجة عالية يطلبها كل نبي وولي قوله تعرف الطير اي طلبه وبحث عنه والتفقد طلب ما فقد وغاب عنه قوله ام منقطعة لان قوله ما لي لا ارى الهدهد تعجب من عدم رؤية الهدهد وهو يستدعي كون حضور الهدهد مجزوما به عنده فلا وجه لكون الاستفهام لطلب اليقين بل يجب ان يكون للاضراب عن ظن كونه حاضرا عنده شيخ زاده

لتبير علمه وقرئ بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق وجئتك من سبا وقرأ ابن كثير برواية البزي وابو عمرو غير مصروف على تاويل القبيلة او البلدة والقواس بهمزة ساكنة بنبأ يقين بخبر محقق روي انه عم لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام بها ما شاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه يحس طلب الماء ففقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقفا فانحط اليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل في عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده اشياء اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها اني وجدت امرأة تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير لسبأ او لاهلها واوتيت من كل شيء يحتاج اليه الملوك ولها عرش عظيم عظمه بالنسبة اليها او الى عروش امثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا في ثلاثين عرضا وسمكا او ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله كانهم كانوا يعبدونها وزين لهم الشيطان اعمالهم عبادة الشمس وغيرها من مقابح افعالهم فصدهم عن السبيل سبيل الحق والصواب فهم لا يهتدون اليه الا يسجدوا لله فصدهم لان لا يسجدوا او زين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم او لا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائي ويعقوب الا بالتخفيف على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كقوله وقالت الا يا اسمع اعظك بخطة فقلت سميعا فانطق واصيبي وعلى هذا صح ان يكون استينافا من الله او من سليمان والوقف على لا يهتدون ويكون امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء والا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما يخفون

قوله فصدهم لئلا يسجدوا قرأ الجمهور الا بالتشديد بناء على ان اصلها ان لا فان ناصبة للفعل بعدها فلذلك سقطت نون الرفع من الفعل ولا بعدها حرف نفي وان مع ما بعدها في موضع المفعول له لقوله فصدهم اي فصدهم عن سبيل الحق لاجل ان لا يسجدوا فحذفت لام الاجل وادغمت النون في اللام فصارت الا يسجدوا والوجه الثاني ان يكون ان مع ما بعدها بدلا من اعمالهم وما بينهما اعتراض تقديره وزين لهم الشيطان عدم السجود لله والوجه الثالث ان وما بعدها في موضع مفعول يهتدون على اسقاط الخافض اي الى ان لا يسجدوا ويكون لا مزيدة كزيادتها في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب فالمعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا لله وان قرئ الا مخففا يكون الا حرف تنبيه يستفتح بها الكلام وما بعدها حرف نداء واسجدوا فعل امر فحق الخط على هذه القراءة ان يكون على صورة يا اسجدوا الا ان الصحابة اسقطوا الف يا وهمزة الوصل من اسجدوا خطا كما يسقطان لفظا ووصلوا الياء بسين اسجدوا فصارت على صورة يسجدوا كما ترى فاتحدت القرائتان لفظا وخطا واختلفتا تقديرا ونقل بحذف المنادي مع بقاء حرف النداء بقوله « الا يا اسمع اعظك بخطة » فقلت سميعا فانطق واصيبي اي الا يا هذا اسمع والخطة الخصلة المهمة قوله فقلت سميعا اي ناديت سميعا قوله وعلى هذا اي على قراءة التخفيف لا يجوز ان ينتهي كلام الهدهد عند قوله رب العرش العظيم يجوز ان ينتهي عند قوله لا يهتدون ويوقف عليه ويكون قوله الا يسجدوا استينافا خطابا من الله تعالى للمشركين او من قبل سليمان عليه السلام لا يوقف الا على العرش العظيم قوله وقرئ هلا بقلب الهمزة هاء مع تشديد لا و تخفيفها وقرئ الا تسجدون وهلا تسجدون بالتخفيف فيهما وتاء الخطاب واثبات نون الرفع فمن اثبت نون الرفع جعل الا حرف تحضيض او لا عرض كما في الاية عند ناجح

وما يعلنون وصفه له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبء ما خفي في غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائي ما تخفون وما تعلنون بالتاء الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون عظيم قال سننظر سنتعرف من النظر بمعنى التأمل اصدقت ام كنت من الكاذبين اي ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر ماذا يرجعون ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول قالت اي بعد ما القي اليها يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم لكرم مضمونه او مرسله او لانه كان مختوما او لغرابة شانه اذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد من كوة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به انه من سليمان استيناف كانه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه اي الكتاب او العنوان من سليمان وانه وان المكتوب او المضمون وقرئ بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا علي ان مفسرة او مصدرية فيكون بصلته خبر محذوف اي هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل من كتاب وأتوني مسلمين مؤمنين او منقادين وهذا كلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا او التزاما والنهي عن الترفع الذي هو ام الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الدلالة قالت يا ايها الملأ افتوني في امري اجيبوني في امري الفتي واذكروا ما تستصوبون

قوله لكرم مضمونه اي ما في ضمنه من اللفظ والمعنى قوله او مرسله وعرفت كرم مرسله بناء على انها لما رأت الخاتم ارتعدت فرائصها وخضعت لان ملك سليمان كانت في خاتمه وعرفت ان الذي ارسل الكتاب اعظم ملكا منها لطاعة الطير اياه وهيبة الخاتم قوله او لانه كان مختوما فان ختم الكتاب يكفي لصحة توصيفه بالكرم لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه وكان عليه السلام يكتب الى العجم كتابا فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاتخذ لنفسه خاتما نقشه محمد رسول الله وقال مقاتل اتاها الهدهد وهي جالسة في عرشها فرفرف على رأسها ساعة والناس ينظرون فرفعت رأسها فالقاه اليه فالقاه في حجرها وكانت عربية من قوم تبع قوله استيناف يعني انه من كلام بلقيس اجابت به لقائل من هو او ممن هو اي وما صفته وليس مما كتبه سليمان في كتابه حتى يقال كيف قدم سليمان اسمه على قوله بسم الله الرحمن الرحيم فاذا بلقيس ذكرت ان هذا الكتاب من سليمان ثم حكت ما في الكتاب بانه كيت وكيت لم يرد ذلك ثم ان العامة قرأوا ان بكسر الهمزة فيهما من الاستيناف جوابا للسؤال فوقها كانه قالوا ممن الكتاب وما فيه فاجابتهم بالجوابين وقرئ بفتح الهمزة فيهما اما انه بدل من الكتاب بدل اشتمال او بدل كل من كل كانه قيل القي الي انه من سليمان وانه كذا وكذا واما على اسقاط لام العلة والتقدير لانه من سليمان ولانه كذا وكذا كانها عللت كرمه بكونه من سليمان وبكونه مصدرا ببسم الله الرحمن الرحيم
قوله في امري الفتي اي الحادث من قريب والمعنى اشيروا علي بما عندكم من الرأي والتدبير فيما حدث لي من الامر يقال فتي بكسر التاء ويفتى فتى فهو فتي السن من الفتا يقال قد ولد له في فتا سنه اولاد والفتى الشاب والفتاة الشابة والفتي هي الجواب والحادثة ولفظ الحادثة اشارة الى اعتبار معنى الفتا في السن في مفهوم الفتوى حيث عبر عما يشير به فيما حدث من الامر بلفظ مشتق من الفتا في السن وهو لفظ الفتوى بجامع الحداثة شيخ زاده

فيه ما كنت قاطعة أمراً ما أبت أمراً حتى تشهدون إلا بمحضركم استعطفتهم
بذلك ليمالئوها على الإجابة قالوا نحن أولو قوة بالأجساد والعدد وأولو بأس
شديد نجدة وشجاعة والأمر إليك موكول فانظري ماذا تأمرين من المقاتلة
والصلح نطعك ونتبع رأيك قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها
تزييف لما أحست منهم من الميل إلى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية
وإشعار بأنها ترى الصلح مخافة أن يتخطى سليمان خططهم فيسرع إلى إفساد
ما يصادفه من أموالهم وعماراتهم ثم إن الحرب سجال لا يدرى عاقبتها وجعلوا
أعزة أهلها أذلة بنهب أموالهم وتخريب ديارهم إلى غير ذلك من الإهانة والأسر
وكذلك يفعلون تأكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بأن ذلك من عادتهم الثابتة
المستمرة أو تصديق لها من الله عز وجل وإني مرسلة إليهم بهدية بيان لما
ترى تقديمه في المصالحة والمعنى إني مرسلة رسلاً بهدية أدفعه بها عن ملكي
فناظرة بم يرجع المرسلون من حاله حتى أعمل بحسب ذلك روي أنها بعثت منذر
بن عمرو في وفد وأرسلت معهم غلماناً على زي الجواري وجواري على زي الغلمان
وحقاً فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت إن كان نبياً ميز بين الغلمان
والجواري وثقب الدرة ثقباً مستوياً وسلك في الخرزة خيطاً فلما وصلوا إلى
معسكره ورأوا عظمة شأنه تقاصرت إليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد
سبقهم جبريل بالحال فطلب الحق وأخبر عما فيه فأمر الأرضة فأخذت شعرة
ونفذت في الدرة وأمر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء
فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما
يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية فلما جاء سليمان أي الرسول وما أهدت
إليه وقرئ فلما جاؤوا قال أتمدونن بمال خطاب للرسول ومن معه أو للرسول
والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ حمزة ويعقوب بالإدغام وقرئ بنون واحدة وبنونين
وحذف الياء فما آتاني الله من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه وقرأ نافع وأبو عمرو

وحفص

وحفص بفتح الياء وأسكنها الباقون وأمالها الكسائي وحده خير مما آتاكم فلا
حاجة لي إلى هديتكم ولا وقع لها عندي بل أنتم بهديتكم تفرحون لأنكم
لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى إليكم حباً لزيادة أموالكم
أو بما تهدونه افتخاراً على أمثالكم والإضراب عن إنكار الإمداد بالمال عليهم
وتعليله إلى بيان ما حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة
بالدنيا والزيادة فيها ارجع أيها الرسول إليهم إلى بلقيس وقومها
فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة على مقابلتها
وقرئ بهم ولنخرجنهم منها من سبأ أذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز وهم
صاغرون أسراء مهانون قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها أراد
بذلك أن يريها بعض ما خصه الله من العجائب الدالة على عظيم القدرة وصدقه
في دعوى النبوة أو يختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم تنكره قبل
أن يأتوني مسلمين فإنها إذا أتت مسلمة لم يحل أخذه إلا برضاها قال عفريت
خبيث مارد من الجن بيان له لأنه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر أقرانه
وكان اسمه ذكوان أو صخر أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك مجلسك
للحكومة وكان يجلس إلى نصف النهار وإني عليه على حمله لقوي أمين لا
أختزل منه شيئاً ولا أبدله قال الذي عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا
وزيره أو الخضر أو جبريل أو ملك أيده الله به أو سليمان نفسه فيكون التعبير
عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وأن هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب
في أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك للعفريت كأنه استبطأه فقال
له ذلك أو أراد إظهار معجزة في نقله فتحداهم أولاً ثم أراهم أنه يتأتى له ما لا يتهيأ
لعفاريت الجن فضلاً عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة أو اللوح
وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الأجفان
للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بإرسال الطرف كما في قوله

وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر، ووصف برد الطرف
والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شئ فقبل ان ترده احضر عرشها
بين يديك وهذا غاية فى الاسراع ومثل فيه فلما رآه اى العرش مستقرا عنده
حاصلا بين يديه قال تلقيا النعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله
هذا من فضل ربى تفضل به على من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من
احضار العرش فى مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام
فى امكان مثله قد مر فى آية الاسرى ليبلونى أأشكر بان اراه فضلا من الله بلا حول
منى ولا قوة واقوم بحقه ام اكفر بان اجد نفسى فى البين او اقصر فى اداء
مواجبه ومحلهما النصب على البدل من اليا، ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه
به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة
الكفران ومن كفر فان ربى غنى عن شكره كريم بالانعام عليه ثانيا قال
نكروا لها عرشها بتغيير هيئته وشكله ننظر جواب الامر وقرئ بالرفع على
الاستيناف أتهتدى الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة
عليه الابواب موكلة عليه الحراس فلما جاءت قيل أهكذا عرشك تشبيها عليها
زيادة فى امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل قالت كأنه هو ولم
تقل هو هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها واوتينا العلم من
قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها كانها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها
واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه
الحالة او المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل انه كلام سليمان وقومه عطفوه على
جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك
عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات التى لا يقدر عليها غير الله ولا
يظهر الا على الانبياء، اى واوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها

وكى

وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم في التحدث بما انعم الله عليهم
من التقدم في ذلك شكراً له وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ اي وصدها
عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام او صدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان
إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صدّ على الاول اي
صدها نشوها بين اظهر الكفار او التعليل له قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ القصر
وقيل عرصة الدار فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا روي انه امر قبل
قدومها فبني قصر صحنه من زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقي فيه حيوانات
البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكداً فكشفت
عن ساقيها وقرأ ابن كثير برواية قنبل سأقيها بالهمزة حملاً على جمعه سؤوق واسؤق
قَالَ إِنَّهُ ان ما تظنينه ماء صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مملس مِّن قَوَارِيرَ من الزجاج قَالَتْ رَبِّ
إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي بعبادتي الشمس وقيل بظني بسليمان فانها حسبت انه يغرقها في اللجة
وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فيما امر به عباده وقد اختلف في انه تزوجها
او زوجها من ذي تبع ملك همدان وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا
أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ بان اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها الباء فَإِذَا هُمْ
فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ففاجؤا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق
والواو لمجموع الفريقين قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ بالعقوبة
فتقولون ائتنا بما تعدنا قَبْلَ الْحَسَنَةِ قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول العقاب
فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ قبل
نزوله لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ بقبولها فانها لا تقبل حينئذ قَالُوا اطَّيَّرْنَا تشاءمنا بِكَ
وَبِمَن مَّعَكَ اذ تتابعت علينا الشدائد او وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم
دينكم قَالَ طَائِرُكُمْ سببكم الذي جاء منه شركم عِندَ اللَّهِ وهو قدره او عملكم
المكتوب عنده بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ تختبرون بتعاقب السراء والضراء
والاضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه

قوله وقد اختلف في انه تزوجها والمشهور انه تزوجها واحبها حباً شديداً واقرها
على ملكها وكان يزورها كل شهر مرة يقيم عندها ثلثة ايام وولدت له داود بن سليمان
وامر الجن فبنوا لها مدينة سيلحين وقصر غمدان بصنعاء وقيل زوجها ذا تبع
ملك همدان فانه قد روي ان بلقيس لما اسلمت قال لها سليمان اختاري رجلا
من قومك حتى ازوجك اياه فقالت ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال وقد كان في قومي
الملك والسلطان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحرمي ما
احل الله لك قالت فان كان لا بد فزوجني ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه وردها
الى اليمن وملك زوجها ذا تبع على اليمن ودعى زوبعة ملك جن اليمن فقال له اعمل
لذي تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما اراد الى ان مات سليمن فلما علمت الجن
موته نادى زوبعة يا معشر الجن قد مات سليمان فارفعوا رؤسكم فرفعوا وتفرقوا
وانقضى ملك ذا تبع وملك بلقيس مع انقضاء ملك سليمان فسبحان من لا انقضاء
لدوام لا هو نبيه وملكه روي ان سليمان ملك وهو ابن ثلثة عشر سنة ومات
وهو ابن ثلث وخمسون سنة وقد تمت هنا قصة داود وسليمان عليهما السلام وقد
ذكر قبل قصتهما قصة موسى عليه السلام فقال ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم
قوله الى ذكر ما هو الداعي اليه وهو الاخبار انهم هل ينتبهون ان اصابهم من
حسنة فبفضل الله تعالى ورحمته وان اصابهم من سيئة فبشؤم كسبهم قال ابن
عباس رضي الله عنهما بل انتم قوم تفتنون اي تختبرون بالخير والشر كقوله تعالى و
نبلوكم بالشر والخير فتنة وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى يعني ان تمييز
ما فوق الثلثة الى العشرة يجب ان يكون جمعا والرهط مفرد اللفظ ومع ذلك وقع
تمييزا للتسعة لكونه في معنى الجماعة كانه قيل تسعة انفس شيخ زاده

قوله صح ونحلف انا لصادقون بعنوان الجملة انا لصادقون في محل النصب على نزع الخافض المتعلق بفعل محذوف معطوف على قوله لنقولن اي ثم لنقولن كذا ونحلف على انا لصادقون فيما قلنا او على انه حال من فاعل لنقولن ولما ورد ان يقال كيف يكونون صادقين فيما قالوا وهو خبر غير مطابق للواقع ومجحود لما فعلوه عمدا اجاب عنه بوجهين الاول ان الكذب انما يلزمهم لو انكروا المباشرة ليلزم الكذب والثاني انهما انكروا شهود مهلك اهله وحده وهم صادقون فيه سمى الله تعالى مواضعتهم على قتل صالح واهله خفية مكرا لكونها مكرا في الحقيقة لان المكر قصد الاضرار على طريق الغدر والحيلة وسمي تدميره واهلاكه اياهم وهم لا يشعرون على سبيل المجازاة على مكرهم مكرا ايضا تشبيها له بالمكر من حيث كونه اضرارا خفية لقوله وهم لا يشعرون او للمشاكلة قوله في الحجر وهو اسم مدينة ثمود قال تعالى كذب اصحاب الحجر المرسلين الراغب الحجر ما اسود من الحجارة وبه سمي حجر الكعبة والشعب بالكسر ما انفرج بين الجبلين وقيل الطريق في الجبل شيخ زاده

وكان في المدينة تسعة رهط تسعة انفس وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة او السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة يفسدون في الارض ولا يصلحون اي شأنهم الافساد الخالص عن شوب الصلاح قالوا اي بعضهم لبعض تقاسموا بالله امر مقول او خبر وقع بدلا او حالا باضمار قد لنبيتنه واهله لنباغتن صالحا واهله ليلا وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر ثم لنقولن فيه القراآت الثلاث لوليه لولي دمه ما شهدنا مهلك اهله فضلا ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع وقرأ ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا وانا لصادقون ونحلف انا لصادقون او والحال انا لصادقون فيما ذكرنا لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثم رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا بان جعلنا سببا لاهلاكهم وهم لا يشعرون بذلك روي انه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلاث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون في اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه قوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استئناف او خبر محذوف لا خبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب انا دمرناهم بالفتح على انه خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال فتلك بيوتهم خاوية خالية من خوى البطن اذا خلا او ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهي حال عمل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في ذلك لآية لقوم يعلمون فيتعظون وانجينا

الذين آمنوا صالحا ومن معه وكانوا يتقون الكفر والمعاصي فلذلك خصوا
بالنجاة ولوطا واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه اذ قال
لقومه بدل على الاول ظرف على الثاني اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون تعلمون
فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من
بعض لانهم كانوا يعلنون بها فتكون افحش ائنكم لتاتون الرجال شهوة بيان
لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة
في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر من دون النساء اللاتي خلقن لذلك
بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن
والقبيح او تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب فما كان
جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون
عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها
من الغابرين قدرنا كونها من الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا فساء
مطر المنذرين مر مثله قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى امر رسوله
صلى الله عليه وسلم بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شانه
وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام
على المصطفين من عباده شكرا على ما انعم عليهم وعلمه ما جهل من احوالهم
وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين اولوطا بان يحمد على
هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة
من الهلاك آلله خير اما تشركون الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم
اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه راسا حتى يوازن بينه وبين من هو
مبدأ كل خير وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء امن بل امن خلق
السموات والارض التي هي اصول الكائنات ومبادي المنافع وقرئ امن
بالتخفيف على انه بدل من الله وانزل لكم لاجلكم من السماء ماء فانبتنا

به حدائق ذات بهجة عدل به عن الغيبة الى التكلم لتاكيد اختصاص الفعل بذاته
والتنبيه على ان انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من
المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله ما كان لكم ان تنبتوا
شجرها شجر الحدائق وهي البساتين من الاحداق وهو الاحاطة أإله مع الله
أغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ أإلها
باضمار فعل مثل تدعون او تشركون وبتوسيط مدة بين الهمزتين واخراج الثانية
بين بين بل هم قوم يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد أمن جعل الارض
قرارا بدل من أمن خلق السموات وجعلها قرارا ابدا بعضها من الماء وتسويتها
بحيث يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها وجعل خلالها وسطها
انهارا جارية وجعل لها رواسي جبالا تتكون فيها المعادن وتنبع من حضيضها
المنابع وجعل بين البحرين العذب والمالح او خليجي فارس والروم حاجزا برزخا
وقد مر بيانه في الفرقان أإله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون الحق فيشركون
به أمن يجيب المضطر اذا دعاه المضطر الذي احوجه شدة ما به الى اللجاء
الى الله من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق
فلا يلزم منه اجابة كل مضطر ويكشف السوء ويدفع عن الانسان ما يسوؤه
ويجعلكم خلفاء الارض خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن
قبلكم أإله مع الله الذي خصكم بهذه النعم العامة والخاصة قليلا ما تذكرون
اي تذكرون آلاءه تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم او الحقارة
المزيحة للفائدة وقرأ ابو عمرو وروح وهشام بالياء وحمزة والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف
الذال أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر بالنجوم وعلامات الارض والظلمات
ظلمات الليالي اضافها الى البر والبحر للملابسة او مشتبهات الطرق يقال
طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته
يعني المطر ولو صح ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة

من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتمويجها الهواء فلا شك ان اسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله والفاعل للسبب فاعل للمسبب أاله مع الله يفعل على مثل ذلك تعالى الله عما يشركون تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق أمن يبدأ الخلق ثم يعيده والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ومن يرزقكم من السماء والارض اى باسباب سماوية وارضية أاله مع الله يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم على ان غيره يقدر على شيء من ذلك ان كنتم صادقين في اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على انه تع ان كان ممن في السموات والارض ففيها من يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم او متصل على ان المراد ممن في السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تع واولى العلم من خلقه وهو موصول او موصوف وما يشعرون ايان يبعثون متى ينشرون مركبة من اي وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير للكفرة بل ادرك علمهم في الآخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه بان اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والآيات وهو ان القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي بل هم في شك منها كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا بل هم منها عمون لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم وقيل الاول اضراب عن نفي الشعور بوقت القيمة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في امر الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لانها غايتها التي عندها تعدم وقرئ

قوله لما نفى عنهم اي عن اهل السموات والارض علم الغيب ويجيء ان قراءة ابي بكر ادرك بتشديد الدال وفي تيسير القراءة ابن كثير وابو عمرو بل ادرك بقطع الالف واسكان الدال من غير الف بعدها والباقون بوصل الالف وتشديد الدال والالف بعدها وهذا صريح في انها ما توافق من قرأ ادرك من غير خلاف عنه فيكون من قرأ خمسة نفر والله اعلم اختار قراءة ابن كثير وابي عمرو فانهم قرؤا بل ادرك بقطع الهمزة كاكرم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص ادارك بهمزة الوصل وتشديد الدال المفتوحة بعدها الف اصله تدارك ابدلت التاء دالا وادغمت في الدال واجتلبت همزة الوصل للابتداء فصار ادارك كاثاقل وجعل ادرك بمعنى بلغ وانتهى من قولهم ادركت الفاكهة اذا بلغت وتكاملت نضجا وقد رمضنا فابعد قوله ادرك حيث قال وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج وبين وجه الاضراب في قوله بل ادرك علمهم بمعنى ان ارتباط بما قبله خفي من حيث ان مدلول الآية المتقدمة انه تعالى وحده هو الذي يعلم الغيب ويعلم متى الساعة وبعضهم المناسبة بينه وبين الآية الدالة على ان اسباب علمهم بان الآخرة والقيمة كائنة قد تكاملت واستحكمت حتى يتوسط بينهما كلمة الاضراب ومحصول ما ذكر من المناسبة ان خلاصة ما سبق ما ذكر في بيان عجزهم عن علم ما لا دليل عليه اصلا وهو مطلق الغيب خصوص وقت قيام الساعة وخلاصة قوله بل ادرك علمهم في الآخرة بيان عجزهم عن علم ما تعاضدت الادلة على وقوعه لا محالة حيث لا يعلمون كما ينبغي فهو وجه المناسبة بينهما وصحة اضراب الثاني عن الاول قوله والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم من حالة البعث سيئة دنية الى ما هو اسوء وادنى منها فانه تعالى وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث اي لا يعلمون متى يكون يوم القيمة ثم بين انحطاطهم ادون واسوء من هذا بان قال بل ادرك علمهم في الآخرة اي تكاملت اسباب علمهم بان القيمة ستكون وستقع وهم مع ذلك لا يعلمون وهذه المرتبة اسوء وانزل من الحالة الاولى لان اصل البعث ليس بغيب من حيث انه تعاضدت الادلة على حقيقته ووقوعه فكانه قيل لا يعلمون الغيب بل ولا ما ليس بغيب ولا شك ان الجهل بمثل هذا اسوء حالا من الجهل بما هو غيب ثم بين انحطاطهم اسوء من هذه المرتبة اي من الجهل بان القيمة ستكون بقوله بل هم في شك منها اي مستغرقون في جهلهم لا يطلبون النفي عنه بالتفكر في الدلائل المنجية عن ظلمات الشكوك والاوهام فحالهم اسوء من حال الجاهل المتردد الذي يطلب الحق والتوصل الى الصواب ثم بين انهم اسوء من هذا ايضا بقوله بل هم منها عمون بمعنى انهم ليس لهم

نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بل ادّارك بمعنى تتابع حتى استحكم
او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا فى الهلاك وابو بكر ادرك
واصله تفاعل وافتعل وقرئ أأدرك بهمزتين وآأدرك بالف بينهما وبل ادّرك
وبل تدارك وبلى ادرك وبلى أأدرك وأم تدارك وام ادرك وما فيه استفهام
صريح او مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم بها وتفسير له
بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة فى نفيه ودلالة
على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون اورد لشعورهم وانكار
وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون كالبيان لعمههم والعامل
فى اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام
مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة فى الانكار والمراد بالاخراج الاخراج
من الاجداث او من حال الفناء الى الحياة وقرأ نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة
وقرأ ابن عامر والكسائى اننا لمخرجون بنونين على الخبر لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا
من قبل من قبل وعد محمد صلى الله عليه وسلم وتقديم هذا على نحن لان المقصود
بالذكر هو البعث وحيث أخر فالمقصود به المبعوث ان هذا الا اساطير الاولين
التى هى كالاسمار قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين
تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم و
التعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين فى ترك الجرائم ولا تحزن عليهم على
تكذيبهم واعراضهم ولا تكن فى ضيق فى حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد
وهما لغتان وقرئ ضيّق اى امر ضيق مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك
من الناس ويقولون متى هذا الوعد العذاب الموعود ان كنتم صادقين قل
عسى ان يكون ردف لكم تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد او الفعل مضمن
معنى فعل يعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه بعض الذى تستعجلون
حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف فى مواعيد الملوك كالجزم

بها وانما يطلعونه اظهارا لوفاقهم واشعارا بان الزعم منهم كالنصيح من عنيهم
وعليه جرى وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس بتاخير عقوبتهم
على المعاصى والفضل والفاضلة الافضال وجمعها فضول وفواضل ولكن
اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم
وقوعه وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم ما تخفيه وقرى بفتح التاء من كننت
اى سترت وما يعلنون من عداوتك فيجازيهم عليه وما من غائبة فى
السماء والارض خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة
كما فى الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء فى عاقبة وعافية الا فى كتاب
مبين بين او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة
ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون كالتشبيه
والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح وانه لهدى ورحمة للمؤمنين
فانهم المنتفعون به ان ربك يقضى بينهم بين بنى اسرائيل بحكمه بما يحكم
به وهو الحق وبحكمته ويدل عليه انه قرى بحكمه وهو العزيز فلا يرد قضاؤه
العليم بحقيقة ما يقضى فيه وحكمه فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم انك على
الحق المبين وصاحب الحق حقيق بحفظ الله ونصره انك لا تسمع الموتى تعليل آخر
للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا وانما
شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم فى قوله
ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين فان اسماعهم فى هذه الحالة ابعد وقرأ
ابن كثير ولا يسمع الصم وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم حيث الهداية
لا تحصل الا بالبصر وقرأ حمزة وحده وما انت تهدى العمى ان تسمع اى ما يجدى
اسماعك الا من يؤمن باياتنا من هو فى علم الله كذلك فهم مسلمون مخلصون
من اسلم وجهه لله واذا وقع القول عليهم اذا دنى وقوع معناه وهو ما وعدوا
به من البعث والعذاب اخرجنا لهم دابة من الارض وهى الجساسة روى ان

٥٠٠

طولها ستون ذراعا ولها قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها
طالب وروى انه عم سئل عن مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعنى المسجد
الحرام تكلمهم من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروى انها تخرج ومعها
عصى موسى وخاتم سليمان فتنكت بالعصى فى مسجد المؤمن نكتة بيضا فيبيض
وجهه وبالخاتم فى نف الكافر نكتة سودا فيسود وجهه ان الناس كانوا باياتنا
خروجها وساير احوالها فانها من آيات الله وقيل القرآن وقرأ الكوفيون ان الناس
بالفتح لا يوقنون لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول الله او
علة خروجها او تكلمها على حذف الجار ويوم نحشر من كل امة فوجا يعنى يوم
القيمة ممن يكذب باياتنا بيان للفوج اى فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض
لان امة كل نبى واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين فهم يوزعون يحبس
اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم حتى
اذا جاؤ الى المحشر قال اكذبتم باياتى ولم تحيطوا بها علما الواو للحال اى
اكذبتم بها بادى الرأى غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة
بالتصديق او التكذيب او للعطف اى اجمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان
لتحققها ام ماذا كنتم تعملون ام اى شئ كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت
اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك
ووقع القول عليهم حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم فى النار بعد ذلك
بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فهم لا ينطقون باعتذار لشغلهم
بالعذاب الم يروا ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل
لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا
بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور فى مادة واحدة قدر على
ابدال الموت بالحياة فى مواد الابدان وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا
من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم فى معاشهم ومعادهم

إِنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ بالنوم والقرار وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا فان اصله
لتبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها بحيث لا
ينفك عنها إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ لدلالتها على الامور الثلاثة
وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ في الصور او القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث
الجيش اذا نفخ في البوق فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ من الهول وعبر
عنه بالماضي لتحقق وقوعه إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ اى ان لا يفزع بان يثبت قلبه قيل
هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل
الشهداء وقيل موسى لانه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك وَكُلٌّ أَتَوْهُ حاضرون
الموقف بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره وقرأ حمزة وحفص اتوه على الفعل
وقرئ اتاه لتوحيد لفظ الكل دَاخِرِينَ صاغرين وقرئ دخرين وَتَرَى الْجِبَالَ
تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ثابتة في مكانها وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ في السرعة وذلك
لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتبين حركتها صُنْعَ اللَّهِ
مصدر مؤكد لنفسه وهو لمضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله الَّذِي أَتْقَنَ
كُلَّ شَيْءٍ احكم خلقه وسواه على ما ينبغي إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ عالم بظواهر الافعال
وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا اذ ثبت له
الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحد وقيل خير منها اى خير حاصل
من جهتها وهو الجنة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء
وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ يعني به خوف عذاب يوم القيمة وبالاول ما يلحق الانسان
من التهيب لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقيل
وقرأ الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وآمن
يعدى بالجار وبنفسه كقوله افامنوا مكر الله وقرأ الكوفيون ونافع يومئذ بفتح
الميم والباقون بكسرها وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ قيل بالشرك فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي
النَّارِ فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت بالايدي

صط

قوله وقيل الشهداء. قال ابن عباس رضي الله عنهما هم الشهداء لانهم احياء عند ربهم يرزقون روي
انه عليه السلام قال ما اعطي آدمي بعد النبوة افضل من الشهادة لا يسمع الشهداء
الفزع يوم القيمة قوله شهداء الموقف اختار قراءة آتوه على لفظ اسم الفاعل
المضاف الى مفعوله فان حمزة وحفصا قرءا اتوه فعلا ماضيا والهاء في محل النصب على
المفعولية والباقون اتوه اسم فاعل مضاف الى الهاء قوله ثابتة في مكانها يقال جمد
في مكانه اذا لم يبرح قوله تحسبها جامدة جملة حالية من فاعل ترى ومفعوله لان الرؤية
بصرية وقوله وهي تمر جملة حالية من مفعول تحسبها والمعنى انك اذا رأيت الجبال
لوقت النفخة الاولى ظننتها ثابتة في مكان واحد لعظمتها وان النظر لا يحيط بها
وهي في الحقيقة تسير سيرا سريعا على نهج واحد في السمت والكيفية يظن من نظر اليها
انها واقفة الا ترى السماء لا تحس حركتها قال تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها
ربي نسفا اي يقلعها عن اماكنها ويسيرها كما يسير السحاب بالريح حتى تقع على
الارض فتستوي بها قوله مصدر مؤكد يعني ان قوله صنع الله مفعول مطلق وجب حذف
عامله لكونه تاكيدا لمضمون الجملة المتقدمة التي لا تحتمل غيره فان قوله تمر مر السحاب بل
جميع ما تقدمه من نفخ الصور المؤدي الى الفزع العام وحضور الكل الموقف وما فعل
بالجبال انما هو من صنع الله تعالى لا يحتمل لها غيره فلما كان هذا المصدر تاكيدا
لمضمون تلك الجملة ولم يكن لها محتمل غيره صار كانه مؤكد لنفسه ووجب حذف ناصبه
لكون الجملة المتقدمة كالنائب عنه والاصل صنع ذلك صنعا فلما حذف العامل
اضيف المصدر الى فاعله لانه لم يذكر في الجملة المتقدمة وهذا التقرير يقتضي ان يقال
وهو مضمون الجملة المتقدمة بدون اللام الجارة والمعنى ان المؤكد بهذا التقرير هو
مضمون الجملة كما وجد في بعض النسخ الا ان الموجود في اكثر النسخ وهو لمضمون الجملة
بالذات فالمعنى على هذا انه مصدر مؤكد لنفسه الذي هو الحدث المدلول عليه
بلفظ عامله المحذوف وهو المؤكد مع مؤكده المحذوف مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة
قوله وقرأ الكوفيون بالتنوين للافراد او التعظيم وقرأ الآخرون بالاضافة وعلى قراءة التنوين
يكون يومئذ منصوبا بالمصدر لكونه مؤولا بان مع الفعل تقديره وهم من ان يفزعوا يومئذ
او بآمنون اي آمنون يومئذ وعلى الاضافة يكون يومئذ مبنيا على الفتح لكونه مضافا
الى اذ وهو غير متمكن وآمن يتعدى بالجار كما في هذه الآية فان من فيها صلة آمنون قوله
فكبوا فيها لان ما يكب ويلقى في النار ليس وجوههم وحدها الا انه اسند الكب اليها ايذانا

في قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الحكاية
وباضمار القول اي قل لهم ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها
امر الرسول صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم بعد ما بين المبدأ والمعاد وشرح احوال
القيمة اشعارا بانه قد اتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشانه و
الاستغراق في عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريفا لها وتعظيم لشانها
وقرئ التي حرمها وله كل شيء خلقا وملكا وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين
او الثابتين على ملة الاسلام وان اتلوا القرآن وان اواظب على تلاوته لينكشف لي
حقايقه في تلاوته شيئا فشيئا او اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل فمن اهتدى
باتباعه اياي في ذلك فانما يهتدي لنفسه فان منافعه عائدة اليه ومن ضل
بمخالفتي فقل انما انا من المنذرين فلا علي من وباله شيء اذ ما على الرسول
الا البلاغ وقد بلغت وقل الحمد لله على نعمة النبوة او على ما علمني ووفقني
للعمل به سيريكم اياته القاهرة في الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض
او في الاخرة فتعرفونها فتعرفون انها ايات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة وما
ربك بغافل عما تعملون فلا تحسبوا ان تأخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم
وقرئ بالتسعة بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من
الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وصالح وابرهيم وشعيب
ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية الا قوله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله الجاهلين وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك نقرأه بقراءة جبريل ويجوز
ان يكون بمعنى ننزله مجازا من نبأ موسى وفرعون بعض نبأهما مفعول نتلوا
بالحق محقين لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به ان فرعون علا في الارض
استيناف مبين لذلك البعض والارض ارض مصر وجعل اهلها شيعا فرقا

يشيعونه

يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه استعمل
كل صنف في عمل واحزابا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه يستضعف
طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل او صفة لشيعا او
استيناف وقوله يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك لان
كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من
غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه انه كان من
المفسدين فلذلك اجترى على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد ونريد
ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ان نتفضل عليهم بانقاذهم من بأسه
ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث انهما واقعان تفسير
للنبأ او حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة
المراد له لجواز ان يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع ان منة الله
بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز ان يجري مجرى المقارن ونجعلهم
ائمة مقدمين في امر الدين ونجعلهم الوارثين لما كان في ملك فرعون وقومه
ونمكن لهم في الارض ارض مصر والشام واصل التمكين ان يجعل للشيء
مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر ونري فرعون وهامان
وجنودهما منهم من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون من ذهاب ملكهم وهلاكهم
على يد مولود منهم وقرئ ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع
واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه
فاذا خفت عليه بان يحس به فالقيه في اليم في البحر يريد النيل ولا تخافي
عليه ضيعة ولا شدة ولا تحزني بفراقه انا رادوه اليك عن قريب بحيث
تأمني عليه وجاعلوه من المرسلين روي انه لما ضربها الطلق دعت قابلة
من الموكلات بحبالى بني اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الارض هالها
نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها من السعاية

فارضعته ثلاثة اشهر ثم الح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في
تفحصها فاخذت له تابوتا فقذفته في النيل فالتقطه آل فرعون ليكون
لهم عدوا وحزنا تعليلا لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها
له بالغرض الحامل عليه وقرأ حمزة والكسائي حزنا ان فرعون وهامان و
جنودهما كانوا خاطئين في كل شئ فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله
ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم
الله بان ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراض لتاكيد خطائهم او لبيان
الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين او خاطين الصواب الى الخطا وقالت
امرأة فرعون اى لفرعون حين اخرجته من التابوت قرة عين لي ولك
هو قرة عين لنا لانهما لما رأياه اخرج من التابوت احباه او لانه كانت لهما ابنة
برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحري شبيه الانسان فلطخت برصها بريقه
فبرأت وفي الحديث قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها لا تقتلوه
خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى ان ينفعنا فان فيه مخائل اليمن ودلايل النفع
وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه
او نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل له وهم لا يشعرون حال من الملتقطين
او من القائلة والمقول له اى وهم لا يشعرون انهم على الخطا في التقاطه او
في طمع النفع منه والتبني له او من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اى
وهم لا يشعرون انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا
من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله
وافئدتهم هواء اى خلاء لا عقول فيها ويؤيده انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم
بينهم فرغ اى هدرا او من الهم لفرط وثوقها بوعد الله او لسماعها ان فرعون عطف
عليه وتبناه ان كادت لتبدي به انها كادت لتظهر بموسى اى بامره وقصته
من فرط الضجرة او الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات

قوله او من احد ضميري نتخذه فيكون الجملة من كلام امرأة فرعون وعلى تقدير كونه
حالا من آل فرعون او من القائلة والمقول يكون من كلام الباري تعالى قوله صفرا
عن العقل حتى ذهل عن الوحي الذي اوحي اليها ان القيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني
انا رادوه اليك وروي انه جاءها الشيطان وقال لها كرهت ان يقتل فرعون ابنك
فيكون لك اجر فتوليت اهلاكه فالقيتيه في البحر فاوقعه البحر في يد عدوه قوله
او من الهم عطف على قوله من العقل والفزع بكسر الفاء والغين المعجمة الهدر شيخ زاده

لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله او الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون
وعطفه وقرئ مومنى اجراء للضمة في جار الواو مجرى ضمتها في استدعاء همزها همز
واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقالت لاخته
مريم قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت به عن جنب عن بعد وقرئ عن
جانب وجنب وهو بمعناه وهم لا يشعرون انها تقص وانها اخته وحرمنا عليه
المراضع ومنعناه ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع او مرضع وهو الرضاع
او موضعه يعني الثدي من قبل من قبل قصها اثره فقالت هل ادلكم على اهل
بيت يكفلونه لكم لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون في رضاعه وتربيته
روي ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه واهله خذوها حتى تخبر بحاله فقالت
انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تاتي بمن يكفله فاتت بامها وموسى
على يد فرعون يبكي وهو يعلله فلما وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال لها
من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك قالت اني امرأة طيبة الريح طيبة
اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت الى بيتها من يومها
وهو قوله فرددناه الى امه كي تقر عينها بولدها ولا تحزن بفراقه ولتعلم
ان وعد الله حق علم مشاهدة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان وعده حق فيرتابون فيه
او ان الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها
حين سمعت بوقوعه في يد فرعون ولما بلغ اشده مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوه
وذلك من ثلاثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث نبي الا
على رأس الاربعين واستوى قده او عقله اتيناه حكما نبوة وعلما بالدين او علم
الحكما والعلما وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق
لنظم القصة لان استنباءه بعد الهجرة في المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا
بموسى وامه نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة ودخل مصر اتيا من قصر
فرعون وقيل منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها

قوله علم المشاهدة اي علمها بمشاهدة الموعود فانها كانت عالمة قبل ذلك بطريق
الوحي ان ما وعده الله تعالى اياها من انه يرده اليها حق لكن ليس الخبر كالمعاينة وصاحب
الكشاف حمل الوعد على الوعد بجعله من المرسلين حيث قال انجز اليه وعده في الرد
فعندها ثبت واستقر في علمها انه سيكون نبيا فانه تعالى وعدام موسى عليه السلام
امرين رد موسى اليها وجعله من المرسلين ففي تحقق الامر الاول استمر في علمها
انه تعالى يحقق الثاني ايضا تخ

قوله او علم الحكماء عطف على قوله نبوة يعني قوله حكما وعلما يحتمل ان يراد به النبوة
وما يعرف بها من العلم والاخلاق ويحتمل ان يراد به علم الحكماء واخلاقهم بعلم
موسى عليه السلام وحكم قبل ان يبعث نبيا ويدل عليه قوله وكذلك نجزي المحسنين
لانه تعالى جعل ايتاء الحكم والعلم مجازاة على احسانه والنبوة لا يكون جزاء على
العمل على تقدير ان يراد به النبوة وليس في الاية دليل على ان هذه النبوة كانت قبل قتل
القبطي او بعده لان الواو في قوله ودخل المدينة لا تفيد الترتيب وقد روي انه قيل
لبث فيهم ثلثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله تعالى
ثلثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين سنة تخ

في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه احدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرآئيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدي بعلى وقرئ استعانه فوكزه موسى فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اي به صدره فقضى عليه فقتله واصله فانهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة قال رب اني ظلمت نفسي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له لاستغفاره انه هو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم قال رب بما انعمت علي قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك علي بالمغفرة وغيرها لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف اي بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون معينا لمن ادت معاونته الى جرم وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة اخرى وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك فاصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه يستغيثه مشتق من الصراخ قال له موسى انك لغوي مبين ضال مبين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما لموسى والاسرائيلي لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرآئيل قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس قاله الاسرائيلي لانه لما سماه غويا ظن انه يبطش عليه او القبطي وكانه توهم من قوله انه الذي قتل القبطي بالامس لهذا الاسرائيلي ان تريد ما تريد الا ان تكون جبارا في الارض تطاول على الناس ولا تنظر العواقب وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس

حطا

قوله او استعطاف عطف على قوله قسم جعل الاستعطاف قسيما للقسم مع ان النحاة صرحوا بان القسم على قسمين قسم للاستعطاف وقسم لغير الاستعطاف وقالوا جملة انشائية تؤكد بها جملة اخرى فان كانت الاخرى خبرية كان القسم لغير الاستعطاف وان كانت طلبية فهو للاستعطاف ولم يجعله المص والزمخشري قسما لان القائل اذا قال بالله لا افعلن كذا انعقد اليمين على القائل واما لو قال بالله افعل كذا لا ينعقد اليمين لا على المتكلم ولا على المخاطب فلذلك لم يجعلاه من القسم ومن جعله قسما من القسم حتى الظاهر نظر الى ان صورته صورة القسم من حيث انه يؤكد الطلب على المستعطف وليس بقسم على الحقيقة لان شرطه ان يؤكد به جملة خبرية موجبة او منفية ومن امثلة قسم الاستعطاف قوله ابرأ عمرة بالذي يأتي ان دخلت فقيل له هذا ابن عمرة واقف بالباب وعلى تقدير كون قوله بما انعمت على استعطاف مؤكدا بجملة طلبية مقدرة وهي ما مضى يكون قوله اكون جوابا للامر المقدر وسببا منه قوله او القبطي عطف على الاسرائيلي يعني يجوز ان يكون القائل يا موسى اتريد ان تقتلني الى آخره القبطي وكان قد عرف القصة من الاسرائيلي او توهم من قول موسى عليه السلام انك لغوي مبين انه الذي قتل القبطي لاجله بالامس قال الامام هذا هو الظ لقوله فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى فان الظ ان ضمير قال هو عدو لهما وايضا فقوله ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض لا يليق الا بالقبطي الجافي والجبار هو الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل ظلما لا نظرا في العاقبة وقيل هو المتعظم الذي لا يتواضع لامر احد شيخ

فتدفع التخاصم بالتي هي احسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملائه
فهموا بقتله فخرج مؤمن آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال وجاء رجل من
اقصى المدينة يسعى يسرع صفة لرجل وحال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة
له لا صلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف قال يا موسى ان الملأ يأتمرون
بك ليقتلوك يتشاورون بسببك وانما سمي التشاور ايتمارا لان كلا من المتشاورين
يأمر الاخر ويأتمر فاخرج اني لك من الناصحين اللام للبيان وليس صلة للناصحين
لان معمول الصلة لا يتقدم الموصول فخرج منها من المدينة خائفا يترقب لحوق
طالب قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني من لحوقهم
ولما توجه تلقاء مدين قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم
يكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان قال عسى ربي ان
يهديني سواء السبيل توكلا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق فعن له
ثلاث طرق فاخذ في وسطها وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا في الاخريين ولما ورد
ماء مدين وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه وجد فوق شفيرها
امة من الناس جماعة كثيرة مختلفين يسقون مواشيهم ووجد من دونهم في
اسفل من مكانهم امرأتين تذودان تمنعان اغنامهما الماء كيلا تختلط باغنامهم
قال ما خطبكما ما شأنكما تذودان قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء يصرف
الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان الغرض
هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعو الى السقي لهما ثم دونه وقرأ ابو عمرو وابن عامر
يصدر اي ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال وابونا شيخ كبير
كبير السن لا يستطيع ان يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا فسقى لهما مواشيهما
رحمة عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال
او اكثر فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت
بئر اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت

الى لاى شئ انزلت من خير قليل وكثير وحاله انه كثرون على الطعام فقير محتاج سايل ولذلك عدى باللام وقيل معناه انى لما انزلت الى من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك فجاءته احداهما تمشى على استحياء اى مستحية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفورا او صفرا وهى التى تزوجها موسى قالت ان ابى يدعوك ليجزيك ليكافيك اجر ما سقيت لنا جزاء سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا في الاجر بل روى انه لما جاء قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وان من فعل معروفا واهدى بشئ لم يحرم اخذه فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون وقومه قالت احداهما يعنى التى استدعته يا ابت استأجره لرعى الغنم ان خير من استأجرت القوى الامين تعليل شايع يجرى مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة فيه جعل خيرا اسما وذكر الفعل بلفظ الماضى للدلالة على انه امين مجرب معروف روى ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب راسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشى خلفه قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تاجرنى ان تاجر نفسك منى او تكون لى اجيرا او تثيبنى من آجرك الله ثمانى حجج ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث باضمار مضاف اى رعية ثمانى حجج فان اتممت عشرا عمل عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك تفضلا لا من عندى الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لا نفسه فلعله جرى على معينة وبمهر اخر او برعية الاجل الاول ووعد له ان يوفى الاخير ان تبرع قبل العقد وكانت الاغنام للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرايع في ذلك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر والمناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان

قوله وللمبالغة فيه ابان لوجه العدول عن مقتضى الظاهر فان الظاهر ان يجعل القوى الامين اسم ان وخير من استأجرت خبرها وان يؤتى بلفظ المضارع بدل استأجرت فعكس جميع ذلك وجعل خير من استأجرت اسما وهو نكرة والقوى الامين خبرا وهو معرفة وعبر عن الآتي بلفظ الماضي للمبالغة في الدلالة على انه حقيق بالاستيجار وذلك لان ما هو عمدة فهو بالتقديم اولى فان شدة العناية والاهتمام لما كانت متعلقة بالخيرية قدمت وجعلت اسم ان ونظيره قول الشاعر ان خير الناس مرجعا اسير تقيف عندهم بالسلاسل قوله تعليل شايع يعنى ان المناسب للمقام بيان ان موسى عليه السلام بخصوصه حقيق بالاستيجار لقوته وامانته لكونها في صدد تعليل طلبها الاستيجار موسى عليه السلام بخصوصه وذكرت في تعليل ما يدل على مطلق من يجد فيه القوة والامانة حقيق بالاستيجار فيستدل بهذه المقدمة الكلية المسلمة على مدعاها وهو استحقاق موسى عليه السلام الاستيجار قوله على ان تاجر نفسك منى على ان تكون المفعول الثاني محذوفا اى تاجرني نفسك من قولهم آجرت داري ومملوكي غير ممدود وآجرت ممدودا كلاهما جائز بمعنى اكريتهما والاول اكثر قوله او تكون لى اجيرا من قولهم آجرته اذا كنت له اجيرا او تاجرني اى تصير اجيري كما اذا قيل ابوته اذا كنت له ابا وعلى التقديرين يكون ثماني حجج منصوبا على الظرفية وعلى ان تاجرني في محل النصب على الحال من انكحك قوله او تثيبني على ان يكون تاجرني من آجرك الله يعني اثابك فان اصل الاجر الثواب والعوض وكان عليه السلام يعني بان يقول اجركم الله و المفعول الثاني فيه محذوف اي اجركم الله تعالى الجنة او العوض الجميل فيكون على ان تاجرني ايضا حالا وثماني حجج مفعولا به بتقدير رعية ثماني حجج لان العمل هو الذي يقع به الاثابة لا نفس الزمان قوله فاتمامه من عندك اشارة الى ان قوله فمن عندك خبر مبتدأ محذوف والجملة جواب الشرط والتزوج على رعي الغنم جائز بالاجماع لانه من باب القيام بامور الزوجية فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة فانه لا يجوز عندنا لما فيه من الهوان والذل والزوج قوام عليها بالنص والمراد بالقوامية المالكية وكونه مستخدما لها لو جاز لصارت مالكة ومستخدمة وصار مولى لو كان خادما فعاد على موضعه بالنقض شيخ

يصعب عليك اعتقادك فى طاقته ورايك فى مزاولته ستجدني ان شاء الله
من الصالحين فى حسن المعاملة ولين الجانب والوفا بالمعاهدة قال ذلك
بيني وبينك اى ذلك الذى عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه أيما الأجلين
اطولهما او اقصرهما قضيت وفيتك اياه فلا عدوان علي لا نعتدى على بطلب
الزيادة فكما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثمانى او فلا
اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم علي وهو ابلغ فى اثبات الخيرة و
تساوى الاجلين فى القضا من ان يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان علي
وقرى أيما كقوله تنظرت نصرا والسماكين ايهما على من الغيث استهلت مواطره
واي الاجلين ما قضيت فتكون ما مزيدة لتأكيد الفعل اى اي الاجلين جردت
عزمى لقضائه وعدوان بالكسر والله على ما نقول من المشارطة وكيل شاهد
حفيظ فلما قضى موسى الاجل وسار باهله بامرأته روى انه قضى اقصى الاجلين
ومكث بعد ذلك عنده عشرا آخر ثم عزم على الرجوع آنس من جانب الطور
نارا ابصر من الجهة التى تلى الطور قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى
آتيكم منها بخبر بخبر الطريق او جذوة عود غليظ سواء كانت فيه نار
او لم يكن قال كثير باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر
وقال والقى على قيس من النار جذوة شديدا عليه حرها والتهابها ولذلك بينه بقوله
من النار وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات لعلكم تصطلون تستدفئون
بها فلما اتاها نودى من شاطئ الواد الايمن اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى
فى البقعة المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودى من الشجرة بدل من شاطئ
بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى اى يا موسى انى انا
الله رب العالمين هذا وان خالف ما فى طه والنمل لفظا فهو طبقه فى المقصود
وان الق عصاك فلما رآها تهتز اى فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما
رآها تهتز كأنها جان فى الهيئة والجثة او فى السرعة ولى مدبرا منهزما

عط

قوله تنظرت نصرا والسماكين ايهما استظرت مطر الاسمى نصر والسماكين طلبا
لمعرفتها ولم افرق بين النصر وبين السماكين فى الجود ولم اعلم ايهما استهلت مواطره على
من الغيث والسماكان نجمان وهو الذى لا شئ بين يديه والرامح وهو الذى بين يديه
الكواكب وهل السحاب فاستهل اى انصب شديدا ونصر اسم ممدوح بالجود وايهما
بسكون الثانى باصله ايهما فسكن الياء للضرورة ومن فى من الغيث للبيان والمواطر جمع ماطرة
اى سحابة ماطرة وقوله ايهما اى فيه حذف تقديره لا نعلم ايهما انصب على ولما رضى موسى عليه
السلام ان يرعى غنم شعيب هذه المدة باجرة معلومة وعلق شعيب نكاح ابنته اياه
بالرعى المذكور وبايعه على ان ينكح هو ابنته اياه وتم العقد الذى جرى بينهما امر شعيب ابنته ليلا
ان تعطى موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه وكان عصا الانبياء عنده فدخلت واخذت عصا
فاتته بها فلما رآها شعيب قال لها ردى هذه العصو واتيه بغيرها فدخلت والقتها واردت
ان تاخذ غيرها فلا تقع فى يدها الا هى حتى فعلت ذلك سبع مرات فعلم شعيب ان لموسى شأنا
واختلفوا فى تلك العصا فقيل كانت من آس الجنة هبط بها آدم فتوارثتها الانبياء وكان لا
يأخذها غير نبى الا اكلته ولم يزل الانبياء يتوارثونه حتى وصلت الى شعيب عليه السلام وقيل
كانت تلك العصى مستودعا ملك اياها فى صورة رجل ولذلك لم يرض ان يعطيها موسى وامر
ابنته ان تردها الى موضعها وتأتى بغيرها وقيل ما كانت الا ما اخذها موسى عليه السلام من
عرض واحد من جنس الشجر اى من جانب الشجر وعلى القولين الاولين لما اخذها موسى من شعيب
اصبح قال له شعيب سق هذه الانعام الى مفترق الطريق ثم خذ جانب يمينك وليس بها عشب
كثير ولا تأخذ جانب يسارك وفيها عشب كثير ولكن فيها تنين اخاف منه عليك وعلى
مغلتك من المواشى فساق موسى المواشى الى مفترق الطريق فاخذ نحو اليسار ولم يقدر موسى عليه
السلام على ضبطهن ولتشربن فى الكلأ ونام موسى عليه السلام فخرج التنين فقامت العصا
فصارت ثعبانا مدبرا وحاربت التنين حتى قتلته وعادت الى موسى عليه السلام فلما
انتبه موسى عليه السلام راى العصا مخضوبة بالدم والتنين مقتولة فارتاح لذلك وعاد الى
شعيب عليه السلام فمشى الاغنام فاذا هى امثال حالها فسأله عن القصة فاخبره عليه السلام
ففرح بذلك شعيب واراد ان يجزى موسى عليها فقال له كلما ولدت الاغنام فى هذه
السنة من اولاد سود فهو لك فكانت الاولاد كلها فى تلك السنة سود لحا ذهب
كلها وفى السنة الثانية شرط ذلك فى البيض فولدت كلها بيضا لحا رها جميعا وفى الثالثة

قال الكل بلق فولدن سودا وبيضا مزوال ولكن كانت كذلك غالبا كلها فعلم شعيب عليه السلام ان ذلك من الله عناية منه

من الخوف ولم يعقب ولم يرجع يا موسى نودي يا موسى أقبل ولا تخف إنك
من الآمنين عن المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك أدخلها
تخرج بيضاء من غير سوء عيب واضمم إليك جناحك يديك المبسوطتين
تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس
او بادخالها في الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك في وجه العدو
اظهار جرأة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يكون المراد بالضم التجلد والثبات
عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا
امن واطمأن ضمهما اليه من الرهب من اجل الرهب اي اذا عراك الخوف فافعل ذلك
تجلدا او ضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر بضم الراء وسكون
الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات فذانك اشارة
الى العصا واليد وشدده ابن كثير وابو عمرو ورويس برهانان حجتان وبرهان
فعلان لقولهم أبره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال
برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن من ربك مرسلا الى
فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين فكانوا احقاء بان يرسل اليهم
قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بها واخي هارون
هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا معينا وهو في الاصل اسم ما يعان به كالدف
وقرأ نافع ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة
اني اخاف ان يكذبون ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق
القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرأ عاصم
وحمزة يصدقني بالرفع على انه صفة والجواب محذوف قال سنشد عضدك
باخيك سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك
يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا غلبة او حجة
فلا يصلون اليكما باستيلاء او حجاج بآياتنا متعلق بمحذوف اي اذهبا

بآياتنا او بنجعل اى نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون اى تمتنعون منهم او قسم جوابه
لا يصلون او بيان للغالبون فى قوله أنتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه
صلة لما بيّنه او صلة له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذى فلما جاءهم موسى
بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله او
سحر تعمله ثم يفترى على الله او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وما سمعنا
بهذا يعنون السحر او ادعاء النبوة فى آبائنا الاولين كائنا فى ايامهم وقال موسى
ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده فيعلم انى محق وانتم مبطلون وقرأ ابن كثير
قال بغير واو لانه قال جوابا لمقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن
الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة
فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هى الجنة لانها خلقت مجازا الى الاخرة
والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب وانما قصدت بالعرض وقرأ حمزة
والكسائى يكون بالياء انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى فى الدنيا وحسن
وحسن العاقبة فى العقبى وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله
غيرى نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضى الجزم بعدمه
ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد اليه ويطلع على الحال بقوله فاوقد لى يا هامان
على الطين فاجعل لى صرحا لعلى اطلع الى اله موسى كانه توهم انه لو كان
لكان جسما فى السماء يمكن الترقى اليه ثم قال وانى لاظنه من الكاذبين او اراد
ان يبنى له رصدا يترصد منها اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة
رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفى العلم نفى المعلوم كقوله اتنبئون الله بما لا
يعلم فى السموات ولا فى الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية
فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم
الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن
تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيمه ولذلك نادى هامان باسمه بيا فى وسط

حط

قوله وقرأ حمزة والكسائى يكون بالياء من تحت للفصل بينه وبين اسمه فيكون تأنيث
العاقبة غير حقيقى وقرأ العامة تكون بالتاء الفوقانية ورفع العاقبة فانه اسم كان وله خبرها

قوله نفى علمه باله غيره دون وجوده اى لم ينف وجود اله غيره قال ليس لكم اله غيرى
بناء على انه لم يكن عنده ما يقتضى الجزم بانتفائه واثبت الهية نفسه حيث قال الله
غيرى وكان عندها ما يقتضى الجزم بالهيته والظاهر انه لا يريد بالالهية لنفسه كونه
خالقا للسموات والارض وما فيهما من الذوات والصفات فان العلم بامتناع ذلك
مما لا يخفى على احد فالشك فى ذلك يقتضى زوال العقل بالكلية فالحق انه كان يظن
ان هذه الكواكب والافلاك كافية فى اختلاف احوال هذا العالم السفلى فلا حاجة
الى اثبات صانع فلهذا قال ما علمت لكم من اله غيرى وكان يقول لا يجب على الناس الا
ان يطيعوا ملكهم وينقادوا لامره كما قيل لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة
اذا جهالهم سادوا وهذا هو المراد من ادعائه الالهية لا كما يظن انه يدعى كونه خالقا
للسموات والارض لان قوله هذا فيه نوع مناقضة لقول اصحابه فى حق موسى عليه السلام
ويذرك والهتك فان من زعم تفرده فى الالوهية كيف يكون له الالهة فكانه قال هذا الكلام
للملأ واشراف قومه بخصوصهم وانه كان اتخذ للاتباع والسفلة اصناما يعبدونها
وجعل للملأ عبادة نفسه فانه لما لم ير الاتباع اهلا لعبادة نفسه جعل لهم عبادة
الاصنام ورآهم اهلا لها فلذلك خصهم بها وجعل نفسه الها لهم ومن هذا
اتخذ المشركون عبادة الاصنام دون الله تعالى من حيث انهم لم يروا انفسهم اهلا
لعبادة الله تعالى شيخ زاده

الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق بغير استحقاق وظنوا انهم
الينا لا يرجعون بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح اليا وكسر الجيم فاخذناه
وجنوده فنبذناهم في اليم كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشان الاخذ واستحقار
للماخوذين كانه اخذهم مع كثرتهم في كف فطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر
يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها وجعلناهم ايمة قدوة
للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصادفة عنه يدعون الى النار الى موجباتها من
الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واتبعناهم
في هذه الدنيا لعنة طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين تلعنهم الملائكة والمؤمنون
ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين او ممن قبح وجوههم ولقد اتينا موسى
الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اقوام نوح وهود
وصالح ولوط بصائر للناس انوار القلوبهم يتبصر بها الحقائق ويميز بين الحق
والباطل وهدى الى الشرايع التي هي سبيل الله ورحمة لانهم لو عملوا بها نالوا
رحمة الله لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة
وفيه ما عرفت وما كنت بجانب الغربي يريد الوادي او الطور فانه كان في شق
الغرب من مقام موسى او الجانب الغربي منه والخطاب للرسول اي ما كنت حاضرا
اذ قضينا الى موسى الامر اذ اوحينا اليه الامر الذي نريده وما كنت من الشاهدين
للوحي اليه او على الموحى اليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد
الدلالة على ان اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التي لا تعرف
الا بالوحي ولذلك استدرك عنه ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم
العمر اي ولكنا اوحينا اليك لانا انشانا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاول
عليهم المدة فحرفت الاخبار وتغيرت الشرايع واندرست العلوم فحذف

قوله انوار القلوبهم يعني ان بصائر جمع بصيرة وهي نور القلب الذي يبصر به الرشد و
السعادة كما ان البصر نور العين يبصر به المحسوسات وبصائر حال من الكتاب اي بيناه
الكتاب انوارا للقلوب اي مشبها بانوار القلوب من حيث ان القلوب لما كانت خالية
عن نور به علومها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل فلما وقع بصائر حالا
من الكتاب يوذن بشدة احتياج القوم الى ما ينفتح به قلوبهم العميا قوله ليكونوا
على حال يرجى منهم التذكر يعني ان لعل للترجي الا انه لما كان مستحيلا منه تعالى صرف
الى من يعرف حال الكتاب ويمكنهم بسببه من ادراك الحق وقبوله ومنهم من شبه الارادة
بالترجي من حيث ان كل واحد منهما متعلق بالممكن فاستعار الترجي للارادة اصالة
ثم لعل تبعا فقسر قوله تعالى لعلهم يتذكرون بقوله ارادة ان يتذكروا قال القاضي
عبد الجبار وهذا يدل على ارادة التذكر من كل مكلف سواء اختار ذلك او لم يختره
ففيه ابطال مذهب المجبرة الذين يقولون ما اراد التذكر الا ممن يتذكر فاما من لا يتذكر
فقد كره ذلك منه فنص القران دافع لهذا القول وهذا الكلام مبنية على كون الترجي
مستعارا للارادة وهو غير مسلم واشار المصنف بقوله وفيه ما عرفت الى ان تعالى لو اراد
من كل مكلف ان يتذكر بما فيه من المواعظ والبصائر لوجب ان لا يموت احد على الكفر و
لئلا يلزم تخلف المراد عن ارادة الله تعالى قوله يريد الوادي يعني ان الغربي صفة
موصوف محذوف وهو الوادي او الطور والتقدير ما كنت بجانب الوادي الغربي
من مقام موسى عليه السلام او بجانب الطور الغربي منه والوجه في ارتكاب الحذف ان الغربي
لو جعل صفة الجانب وكان اصل الكلام وما كنت بالجانب الغربي لزم ان يكون اضافة
الجانب الى الغربي اضافة الموصوف الى صفته وهي ليست بجائزة عند البصريين لكونها
في قوة اضافة الشيء الى نفسه فان الصفة هو الموصوف في المعنى فانك اذا قلت جاني
زيد الظريف فلفظ الظريف يدل على شيء متعين في نفسه حصلت له الظرافة الا
انه مجهول من حيث كونه مدلول هذا اللفظ فان قرنته على زيد ولم ترتب هذا اللفظ
عليه علم ان ذلك الشيء الذي حصلت له الظرافة هو زيد فلو اضيف زيد الى الظريف لزم
اضافة زيد الى زيد فلذلك ذهب البصريون الى امتناع اضافة الموصوف الى صفته والمجاز الدار
في قوله تعالى بجانب الغربي وقوله تعالى وذلك دين القيمة وقوله تعالى حق اليقين وقوله تعالى ولدار
الاخرة الى تقدير موصوف محذوف وقالوا التقدير بجانب المكان الغربي ودين الملة القيمة وحق
الشيء اليقين ودار الساعة الاخرة ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه والكوفيون
جوزوا اضافة الموصوف الى الصفة مطلقا و... الصفة ... الغربي ... حصل الغربي ... صح

قوله لعل المراد به يعني انه تعالى لما بين قصة موسى عليه السلام قال لرسوله صلى الله عليه وسلم وما كنت بجانب الغربي ثم قال وما كنت ثاويا في اهل مدين ثم قال وما كنت بجانب الطور للدلالة على انه عليه السلام لما لم يكن حاضرا في هذه المواضع التي جرى على موسى عليه السلام ما جرى من الاحوال العظيمة ثم اخبر بتلك الاحوال على ما جرت ووقعت من غير ان يشاهدها ويتعلمها من احد ثبت بانه رسول بعثه الله تعالى وعرفه هذه الاحوال رحمة من ربه وتفضلا منه عليه فوجب ان يكون المواضع المذكورة وما جرى فيها من الاحوال امورا متغايرة فان القصص في وجه مغايرتها ان يكون المراد بالاول حين استنباه في اثناء رجوعه من مدين الى مصر وبالثاني ما تقدم عليه من اقامته في مدين مع شعيب عليه السلام وبالثالث وقت ابطائه وناداه بقوله يا موسى خذ الكتاب بقوة وقد اشار اولا بقوله او على الوجه الحجوازان يكون المراد بالاول حين انزل عليه التورية فيكون المراد بالثالث حين استنباه في ليلة المناجاة والله اعلم قوله متعلق بالفعل المحذوف ولكن علمناك اياه وارسلناك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وهم العرب على رجاء انذارهم اي ولكن ايقاظهم فان دعوة عيسى عليه السلام ان كانت مختصة ببني اسرائيل يكون العرب واقعة في فترة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اسمعيل عليه السلام وان تناولت العرب ايضا يكون في فترة بينه وبين عيسى عليه السلام فقوله ما اتيهم من نذير في موضع النصب على انه صفة لقوما وما فيه نافية قوله لولا الاولى امتناعية هي التي تدل على امتناع القصة الثانية لوجود القصة الاولى والقصة الثانية وجوابها محذوف ههنا وهو ما ارسلناك اليهم وهي ههنا دلت على امتناع عدم الارسال لوجود فعلهم اذا اصابتهم مصيبة اي عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم على تقدير عدم الارسال ربنا ما ارسلت الينا رسولا قوله ان تصيبهم في موضع رفع بالابتداء وقوله فيقولوا عطف على خبر ان اي لولا ان اصابتهم مصيبة بسبب ما قدمت ايديهم من الشرك والمعاصي فقولهم ربنا لولا ارسلت الخ فارسلناك لمعنى ان الحاصل على ارسال الرسل ارادة علمهم بهذا القول وكما كان اكثر الاعمال تزاول بالايدي جعل كل عمل معبرا عنه باكتساب اليد وان كان من اعمال القلوب وهذا من الاتساع في الكلام وجعل الاقل تابعا للاكثر وعطف المعاصي على الكفر في قوله بسبب كفرهم ومعاصيهم اشارة الى ان الكفار كما يعذبون بترك الايمان يعذبون بارتكاب ما عرفته بالدلالة العقلية من القبائح والفاء في قوله فيقولوا عاطفة وفي قوله فنتبع فاء جواب لولا التحضيضية فانها انما اجيبت بالفاء لكونها في حكم الامر من حيث ان الامر

بعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والفاء تدخل في جواب الامر فكذا في جواب لولا ... معقود بجزم ... لفوله والثاني (نسخ)

المستدرك واقام سببه مقامه وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين شعيب والمؤمنين به تتلوا عليهم تقرأ عليهم تعلما منهم آياتنا التي فيها قصتهم ولكنا كنا مرسلين اياك ومخبرين لك بها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا لعل المراد به وقت ما اعطاه التورية وبالاول حينما استنباه لانهما المذكورات في القصة ولكن رحمة من ربك ولكن علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة لتنذر قوما متعلق بالفعل المحذوف ما اتاهم من نذير من قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل على ان دعوة موسى وعيسى مختصة ببني اسرائيل وما حواليهم لعلهم يتذكرون يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة في سياقها لانها لما اجيبت بالفا تشبيها لها بالامر مفعول فيقولوا المعطوف على تصيبهم بالفا المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وانه لا يصدر عنهم حتى يلجيهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا اياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم فنتبع اياتك يعني الرسول المصدق بنوع من المعجزات ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرهما اقتراحا وتعنتا اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل يعني ابناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون عربيا من اولاد عاد قالوا ساحران يعنون موسى وهارون او موسى ومحمدا عليهما السلام تظاهرا تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون سحران بتقدير مضاف وجعلهما سحرين مبالغة او اسناد تظاهرهما الى

اي فقالوا ارسلنا الخ

فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ تظاهرا على الادغام وقالوا انا بكل كافرون
اى بكل منهما او بكل الانبياء قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما
مما نزل على موسى وعلى واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين
موسى ومحمد اتبعه ان كنتم صادقين انا ساحران مختلفان وهذا من الشرط
التى يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجئ حرف الشك للتهكم بهم فان لم
يستجيبوا لك دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم
به ولان فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعى فاذا عدى
اليه حذف الدعاء غالبا كقوله ؎ وداع دعا يا من يجيب الى الندا . فلم يستجبه
عند ذاك مجيب فاعلم انما يتبعون اهواءهم اذ لو تبعوا الحجة لاتوا بها
ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام بمعنى النفى بغير هدى من الله فى موضع
الحال للتوكيد او التقييد فان هوى النفس قد يوافق الحق ان الله لا يهدى القوم
الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالانهماك فى اتباع الهوى ولقد وصلنا لهم
القول اتبعنا بعضه بعضا فى الانزال ليتصل التذكير او فى النظم لتقرر الدعوة
الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر لعلهم يتذكرون فيؤمنون
ويطيعون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون نزلت فى مؤمنى
اهل الكتاب وقيل فى اربعين من اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر
من الحبشة وثمانية من الشام والضمير فى من قبله للقرآن كالمستكن فى واذا يتلى عليهم
قالوا آمنا به اى بانه كلام الله انه الحق من ربنا استيناف لبيان ما اوجب
ايمانهم به انا كنا من قبله مسلمين استيناف آخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس
مما احدثوه حينئذ وانما هو امر تقادم عهده لما رأوا ذكره فى الكتب المتقدمة وكونهم
على دين الاسلام قبل نزول القرآن او تلاوته عليهم باعتقادهم صحته فى الجملة
اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن
قبل النزول او بعده او على اذى المشركين ومن هاجرهم من اهل دينهم ويدرؤن بالحسنة

البينة

السيئة ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عم اتبع السيئة الحسنة تمحها
ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه تكرما
وقالوا للاغين لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا
او دعاء لهم بالسلامة عما هم فيه لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها
إنك لا تهدي من أحببت لا تقدر ان تدخله في الاسلام ولكن الله يهدي
من يشاء فيدخله في الاسلام وهو أعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور
على انها نزلت في ابي طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك
لصادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت وقالوا إن نتبع الهدى معك
نتخطف من أرضنا نخرج منها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف
اتى النبي عم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا
العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله عليهم بقوله
أولم نمكن لهم حرما آمنا اولم نجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت الذي
يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه يجبى إليه يحمل اليه ويجمع فيه وقرأ نافع
ويعقوب في رواية بالتاء ثمرات كل شيء من كل اوب رزقا من لدنا فاذا كان
حالهم وهم عبدة الاصنام فكيف نعرضهم للخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة
البيت حرمة التوحيد ولكن أكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكروا
ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك
رزق من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى
يجبى او الحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس فانهم
احقاء بان يخافوا من بأس الله على ما هم عليه بقوله وكم أهلكنا من قرية
بطرت معيشتها اي وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالكم في الامن وخفض العيش
حتى اشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم فتلك مساكنهم خاوية لم تسكن

من بعدهم من السكنى اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم ولا يبقى من يسكنها
الا قليلا من شوم معاصيهم وكنا نحن الوارثين اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم
في ديارهم وساير متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها
ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او مفعولا على
تضمين بطرت معنى كفرت وما كان ربك وما كانت عادته مهلك القرى حتى
يبعث في امها في اصلها التي هي اعمالها الان اهلها يكون افطن وانبل رسولا يتلوا
عليهم اياتنا لالزام الحجة وقطع المعذرة وما كنا مهلكي القرى الا واهلها
ظالمون بتكذيب الرسل والعتو في الكفر وما اوتيتم من شيء من اسباب الدنيا
فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها تتمتعون وتتزينون به مدة حياتكم المنقضية
وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة
وابقى لانه ابدي افلا تعقلون فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير
وقرئ بالياء وهو ابلغ في الموعظة افمن وعدناه وعدا حسنا وعدا بالجنة
فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه لا محالة لامتناع الخلف في
وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية كمن متعناه متاع الحياة
الدنيا الذي هو مشوب بالالام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع
ثم هو يوم القيامة من المحضرين للحساب والعقاب وثم للتراخي في الزمان
او الرتبة وقرا نافع في رواية والكسائي ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل
بالمتصل وهذه الاية كالنتيجة للتي قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم
عطف على يوم القيامة او منصوب باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون
اي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما قال
الذين حق عليهم القول بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من ايات الوعيد ربنا هؤلاء الذين
اغوينا اي هؤلاء الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول اغويناهم

قوله وهو ابلغ في الموعظة لان الالتفات من الخطاب الى الغيبة يدل على ان حقهم ان يتولى عنهم وان لا يتوجه اليهم بالخطاب فيكون ابلغ في الزجر والموعظة ثم انه تعالى لما رجح ثواب الاخرة على المنافع الدنيا وبين واشار بقوله افلا يعقلون الى ان من لا يرجح منافع الاخرة على الدنيا فهو كانه سلك الجانبين الخارجين عن حد العقل بالكلية العقل الترجيح بقوله افمن وعدناه على ايمانه وعدا حسنا هو الجنة في ثوابها فهو لاقيه اي مصيبه ومدركه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين والفاء في قوله افمن وعدناه للتعقيب والتقدير بعد هذا التفاوت العظيم بين منافع الدنيا والاخرة والمقصود انهم قالوا تركنا الدين للدنيا قال الله تبارك وتعالى لهم لو لم يحصل عقيب دنياكم غير مضرة العقاب فان العقل يقتضي ترجيح منافع الاخرة على منافع الدنيا فكيف وحد الدنيا يحصل بعدها العقاب الدائم ثم انه تعالى بين انه يسأل الكفار يوم القيمة عن ثلثة اشياء اولها قوله يوم يناديهم فيقول اين شركائي و ثانيها قوله تعالى وقيل ادعوا شركاءكم وثالثها قوله تعالى ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فان الكفار يعرفون يوم القيمة بطلان ما كانوا عليه وصحة التوحيد والنبوة بالضرورة فيقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ اين شركائي فظنهم انهم يعتذرون بان الشياطين والرؤساء دعونا الى عبادتها وحملونا على الغواية فحكى الله تعالى عنهم ما يقوله الشياطين والرؤساء فيجيبهم فقال الذين حق عليهم القول الاية فانهم اختلفوا في ان الذين حق عليهم القول من هم فقال بعضهم هم الرؤساء الدعاة الى الضلالة وقال اخرون هم الشياطين شيخ زاده

كما غوينا اى اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استيناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم وانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فافاده زيادة على الصفة وهو وان كان فضلة لكنه صار من اللوازم تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العواطف وكذا ما كانوا ايانا يعبدون اى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا اى تبرأنا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة ورأوا العذاب لازما بهم لو انهم كانوا يهتدون بوجه من الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على الاول فانه تع يسأل اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء كالعمى عليهم لا تهتدى اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ما اجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل يتتعتعون فى الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون الامر الى علم الله تع فما ظنك بالضلال من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا وجمع بين الايمان والعمل فعسى ان يكون من المفلحين عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار لا موجب عليه ولا مانع له ما كان لهم الخيرة اى التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفى الاختيار عنهم رأسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل المراد انه ليس لاحد

قوله فان اختيار

قوله تعالى فهم لا يتساءلون كما يتساءلون الناس فى المشكلات اما لفرط الدهشة او لانهم يتساوون جميعا العباد مخلوق باختيار الله تعالى لدخول اختيارهم فى عموم قوله تعالى يخلق ما يشاء فان قوله ما يشاء يتناول الاعيان والاعراض وقد اتفق المسلمون على انه تعالى يشاء جميع ما يفعل العباد من جميع الخيرات والطاعات التى من جملتها اختيار الطاعات فلما كان جميع ذلك ما يشاء الله تعالى لزم ان يوجد بخلق الله تعالى لان اخبر انه يخلق ما يشاء فالاية حجة لنا على المعتزلة فى مسئلة خلق افعال العباد لانه اذا كانت الخيرات بمشيئة الله تعالى وجب كونها مخلوقة لله تعالى بحكم هذه الاية شيخ زاده

من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روى انه نزل فى قولهم
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصولة مفعول ليختار والراجع
اليه محذوف والمعنى ويختار الذى كان لهم فيه الخيرة اى الخير والصلاح سبحان
الله تنزيها له ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيار وتعالى عما يشركون عن
اشراكهم او مشاركة ما يشركون به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة
الرسول صلى الله عليه وسلم وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله المستحق
للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد فى الاولى والآخرة لانه المولى
للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه فى الدنيا بقولهم
الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده ابتهاجا بفضله
والتذاذا بحمده وله الحكم القضاء النافذ فى كل شىء واليه ترجعون بالنشور
قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة
والميم مزيدة كميم دلامص الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها
حول الافق الغائر من اله غير الله يأتيكم بضياء كان حقه هل اله فذكر بمن على
زعمهم ان غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين أفلا تسمعون سماع تدبر واستبصار
قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها فى وسط
السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون
فيه استراحة عن متاعب الاشغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء
نعمة فى ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله
ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل افلا تبصرون لان استفادة العقل
من السمع اكثر من استفادته من البصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه فى الليل ولتبتغوا من فضله بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون
ولكى تعرفوا نعمة الله فى ذلك فتشكروه عليها ويوم يناديهم فيقول اين
شركائى الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شىء اجلب لغضب الله

من الاشراك والاول لتقرير فساد رأيهم والثانى لبيان انه لم يكن عن سند وانما
كان محض تشهٍّ وهوى ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد
عليهم بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون
به فعلموا حينئذ ان الحق لله فى الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم
وغاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يفترون من الباطل ان قارون كان
من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوى وكان ممن آمن به فبغى
عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم قيل
وذلك حين ملكه فرعون على بنى اسرائيل وحسدهم لما روى انه قال لموسى
لك الرسالة ولهارون الحبورة وانا فى غير شىء الى متى اصبر وآتيناه من الكنوز
من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه مفاتح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما
يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح لتنوء بالعصبة اولى القوة خبر ان
والجملة صلة ما وهو ثانى مفعولى آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله
والعصبة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على
اعطاء المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب بتنوء لا تفرح
لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول
عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح
كما قال اشد الغم عندى فى سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال
تع ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهى ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال
ان الله لا يحب الفرحين اى بزخارف الدنيا وابتغ فيما آتاك الله من الغنى
الدار الآخرة بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها
ولا تنس ولا تترك ترك المنسى نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها
آخرتك او تأخذ منها ما يكفيك واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك
فيما انعم عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام

ولا تبغ الفساد في الارض بامر يكون علة للظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال انما اوتيته على علم عندي فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم في موضع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيميا وقيل علم التجارة والدهقنة وساير المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي اي في ظني واعتقادي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قراه في التورية وسمعه من حفاظ التواريخ او رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه اي عنده مثل ذلك العلم الذي ادعى ولم يعلم هذا حتى يقي نفسه مصارع الهالكين ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام فانه تع مطلع عليها او معاتبة فانهم يعذبون بغتة كانه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن ما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه في زينته كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه قال الذين يريدون الحياة الدنيا على ما هو عادة الناس من الرغبة يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون تمنوا مثله لا عينه حذرا من الحسد انه لذو حظ عظيم من الدنيا وقال الذين اوتوا العلم باحوال الاخرة للمتمنين ويلكم دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى ثواب الله في الاخرة خير لمن امن وعمل صالحا مما اوتي قارون بل من الدنيا وما فيها ولا يلقاها الضمير فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او للايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة الا الصابرون على الطاعات وعن المعاصي فخسفنا به وبداره الارض روي انه كان يؤذي موسى عم كل وقت وهو يداريه

حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان
يفضح موسى بين بني اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان
يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه
ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل
يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالله ان تصدق فقالت
جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى شاكيا عنه الى ربه فاوحى الله
اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الى ركبته ثم قال خذيه
فاخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه في هذه الاحوال
فلم يرحمه فاوحى الله اليه ما افظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتي وجلالي
لو دعاني مرة لاجبته ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف
بداره وامواله **فما كان له من فئة** اعوان مشتقة من فاوت راسه اذا ميلته
ينصرونه من دون الله فيدفعوا عنه عذابه **وما كان من المنتصرين** الممتنعين
منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع **واصبح الذين
تمنوا مكانه** منزلته **بالامس** منذ زمان قريب **يقولون ويكأن الله
يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر** يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته
لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض وويكأن عند البصريين
مركب من وي للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط الرزق
وقيل من ويك بمعنى ويلك وان وتقديره ويك اعلم ان الله **لولا ان من الله
علينا** فلم يعطنا ما تمنينا **لخسف بنا** لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف به لاجله
ويكأنه لا يفلح الكافرون لنعمة الله او المكذبون برسله وبما وعدوا لهم
من ثواب الاخرة **تلك الدار الاخرة** اشارة تعظيم كأنه قال تلك التي سمعت
خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر **نجعلها للذين لا يريدون علوا
في الارض** غلبة وتسلطا **ولا فسادا** ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون **والعاقبة** المحمودة **للمتقين** ما لا يرضاه الله **من جاء بالحسنة فله خير منها** ذاتا وقدرا ووصفا

٥١٠

واعنا فيها ولا فساد على ان ارادة ما ليس من العلو والرفعة ما ينقص هذا المؤمن
سعادة الاخرة لما روي عن علي رضي الله عنه انه قال ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك
نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحت الاية وعن الفضيل بن عياض انه قرأها
ثم قال ذهب الاماني ههنا يعني ان الاية تدل على وجوب ترك التمني وارادة ما
ليس له من العلو والرفعة كما تدل على وجوب ترك ارادة الفساد وكرر كلمة لا في قوله ولا
فسادا ليفيد ان كل واحد من الخصلتين على حيالها تمنع سعادة الاخرة وان لم تجامع
الاخرى ثم انه تعالى لما بين ان الدار الاخرة ليست الا لمن اتقى عذاب الله تعالى باداء
فرائضه واجتناب معاصيه بين بعد ذلك ما يحصل لهم فقال من جاء بالحسنة
فله خير منها اي ذاتا وقدرا ووصفا فان ثواب المعرفة النظرية الحاصلة له في الدنيا
هي المعرفة الضرورية الحاصلة في العقبى ولذة النظر الى الوجه الكريم جل جلاله
ولا شك ان هذه خير من الاولى ذاتا وكذا خير منها قدرا لان الثواب دائم والعمل
منقض وكذا وصفا لان العمل فعل العبد والثواب فعل الله تعالى وقيل قوله
خير حاصل من جهة ما جاء به من الحسنة لئلا يرد ما يقال الحسنة التي جاء
بها العبد تدخل فيها معرفة الله تعالى والاخلاص في العمل والثواب انما هو الاكل
والشرب فكيف يجوز ان يقال الاكل والشرب خير من معرفة الله تعالى وقد مر هذا
البحث في اخر سورة النمل شيخ زاده

ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الظاهر موضع الضمير
تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون اى الا مثل ما كانوا
يعملون فحذف المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة فى المماثلة ان الذى فرض
عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك الى معاد
اى معاد وهو المقام المحمود الذى وعدك ان يبعثك فيه او مكة التى اعتدت بها
على اثر من العادة رده اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان العاقبة للمتقين واكد ذلك
بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى فى الدارين روى انه
لما بلغ جحفة فى مهاجره اشتاق الى مولده ومولد ابائه فنزلت قل ربى اعلم
من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل
يفسره اعلم ومن هو فى ضلال مبين وما استحقه من العذاب والاذلال يعنى
به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله وما كنت ترجوا ان
يلقى اليك الكتاب اى سيردك الى معاد كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه
الا رحمة من ربك ولكن القاه رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على
المعنى كانه قال وما القى اليك الكتاب الا رحمة فلا تكونن ظهيرا للكافرين
بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك عن آيات الله
عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك وقرئ يصدنك من اصده وادع الى
ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم ولا تدع مع الله
الها آخر هذا وما قبله للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم لا اله الا
هو كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك فى حد ذاته معدوم
له الحكم القضاء النافذ فى الخلق واليه ترجعون للجزاء بالحق عن النبى صلى
الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى
وكذب ولم يبق ملك فى السموات والارض الا شهد له يوم القيامة انه كان صادقا

سورة العنكبوت مكية وهى تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله دليل استقلاله بنفسه بان يكون حروفا مسرودة على وجه التعداد لا محل لها من الاعراب لكونها جارية مجرى الاصوات المنبهة فان الحكيم اذا خاطب من هو في محال الغفلة او هو مشغول البال بشيء من المهمات فانه يقدم على الكلام المقصود شيئا ليلتفت المخاطب بسببه اليه ويقبل بقلبه عليه وذلك الشيء المقدم على المقصود قد يكون كلاما له معنى مفهوم كقول القائل اسمع مني واجعل بالك الي وانظر الي وقد يكون شيئا هو في معنى الكلام المفهوم كقوله ازيد ويا زيد والا يا زيد وقد يكون ذلك المقدم على المقصود صوتا غير مفهوم كمن يصفر خلف انسان ليلتفت اليه وقد يكون ذلك الصوت بغير الفم كما يصفق الانسان بيديه ليقبل السامع عليه ثم ان توقع الغفلة كلما كان اتم والمقصود كان المقدم على المقصود اكثر ولهذا ينادي القريب بالهمزة فيقال ازيد والبعيد بيا فيقال يا زيد والغافل بالا فيقال الا يا زيد ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم وان كان يقظان الجنان لكنه انسان يشغله شان عن شان فكان يحسن من الحكيم تلك الحروف اذا لم يكن بحيث يفهم معناها يكون اتم في افادة المقصود الذي هو التنبيه من تقديم الحروف التي لها معنى لان تقديم الحروف ان كان لاقبال السامع على المتكلم لسماع ما بعده فان كان ذلك المقدم كلاما مفهوم المعنى فربما يظن السامع ان مدلوله هو كل المقصود ولا كلام له بعد ذلك فيقطع الالتفات عنه واما اذا سمع منه صوتا بلا معنى فانه يقبل عليه ولا يقطع نظره عنه ما لم يسمع غيره لجزمه بان ما سمعه ليس هو المقصود فيقول ان تقديم الحروف التي لا معنى لها في الموضع الذي ذكرت فيه على الكلام المقصود فيه حكمة بالغة ثم اعلم ان حروف التهجي التي ذكرت في اوائل السور ذكر بعدها الكتاب او التنزيل او القرآن كقوله تعالى الم ذلك الكتاب الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب المص كتاب انزل اليك يس والقرآن الحكيم ص والقرآن ذي الذكر الم تنزيل الكتاب حم تنزيل الكتاب ولم يذكر بعدها شيء من ذلك في ثلث سور كهيعص الم احسب الناس الم غلبت الروم والحكمة في افتتاح السور التي ذكر فيها حروف التهجي والقرآن او التنزيل او الكتاب بتلك الحروف المنبهة ان القرآن عظيم الشان وكذا الانزال والكتاب وانزال الوحي له ثقل عظيم لا تطيق القوة الحيوانية نقله قال تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا فكل سورة في اوائلها ذكر القرآن او الكتاب او التنزيل قدم عليها منبه يوجب ثبات المخاطب لاستماعه ثم اعلم ان التنبيه قد يحصل في القرآن بغير الحروف التي لا يفهم معناها كما في قوله يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم

وقوله تعالى يا ايها النبي اتق الله [illegible] يا ايها المزمل [illegible] عظيم [illegible] صح زاده

قوله او بلا يفتنون بان يكون حالا من فاعله لبيان ان لا وجه لتخصيصهم بعدم الافتتان والمعنى المقصود احسبوا لئلا يكونوا كغيرهم ولا يسلك بهم مسالك الامم السالفة فيكون داخلا في حيز متعلق الحسبان المنكر تخطئة لهم قوله فليتعلق علمه بالامتحان تميز بهم بمشاق التكاليف وبانواع السراء والضراء ليبلو بذلك صبرهم بثبات اقدامهم وصحة عقائدهم وخلوص نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ في الدين من القلق والمتمكن في العبادة من العابد على حرف تعلق علمه بوجود كل طائفة على ما هي عليه من الحال كما علم قبل ذلك بانه سيوجد موصوفا بتلك الحال ومقصود المص بهذا الكلام ان يجيب عما يقال انه تعالى عالم بجميع الكائنات فيما لم يزل فكيف قيل وليعلمن الله وهو بظاهره يقتضي ان يكون علمه تعالى حادثا متجددا عند الامتحان لا قبله قال الامام الاية محمولة على ظاهرها وذلك لان علم الله تعالى صفة يظهر فيها كل ما هو واقع كما هو واقع فقبل التكليف كان الله سبحانه وتعالى يعلم ان زيدا مثلا سيطيع وعمرا سيعصي ثم وقت التكليف والاتيان يعلم انه مطيع وان الاخر عاص وبعد الاتيان يعلم انه اطاع والاخر عصى ولا يتغير علمه في شيء من الاحوال واما المتغير المعلوم ويتبين بهذا مثال من الحسيات وهو ان المراة الصافية الصقيلة اذا علقت في موضع وقوبل وجهها بجهة ثم عبر عليها زيد لابسا ثوبا ابيض فظهر فيها زيد في ثوب ابيض ثم عبر عليها عمرو في لباس اصفر فظهر فيها كذلك فهل يقع في ذهن احد ان المراة في كونها حديدا تغيرت او كونها صقيلة صافية مدورة مقابلة الى جهة فلانية تحولت وتبدلت لا يقع في ذهن احد تغيرها في شيء من هذه الاحوال والاوصاف بل يقطع كل احد بان المتغير الامور الخارجة عنها فعلم الله تعالى في عدم تغيره وتجدده من هذا القبيل بل علمه تعالى اعلى واجل فان المراة مخلوقة وعلمه تعالى ازلي قديم لكن يتجدد تعلقه على حسب تجدد المعلوم قوله فليعلمن الله الذين صدقوا معناه انه يقع ممن يعلم انه مطيع الطاعة فيعلم انه مطيع بذلك قوله وليعلمن الكاذبين يعني من قال انا مؤمن وكان كاذبا فيعرض العبادة يظهر منه ذلك لانه ممن علم الله تعالى انه سيعصي ولا يطيع للمخالفة والعصيان ليعلم بشواهد كذبه فيها فان اللسان ترجمان القلب والاعضاء شهود على ما يدعيه المرء باللسان فمن ادعى بلسانه الايمان واستعمل الاركان على حسب ما

يقتضيه الايمان فقد صدقه شهوده في دعواه وتحقق ما في علمه تعالى من انه سيطيع
فعلم بانه قد اطاع ومن لم يستعمل الاركان حسبما يقتضيه ايمانه فقد كذبه شهوده
وتحقق ما في علمه تعالى انه لا يطيع وعلمه تعالى بانه من العصاة الكاذبين وفي قوله
الذين صدقوا بصيغة الفعل وقوله الكاذبين بلفظ اسم الفاعل فائدة مع ان
الاختلاف في اللفظ ادل على الفصاحة وهي ان اسم الفاعل يدل في كثير من المواضع
على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضي لا يدل عليه كما يقال فلان
يشرب الخمر وفلان شارب الخمر وفلان نفذ امره وفلان نافذ الامر لا يفهم من صيغة
الفعل التكرار والرسوخ ويفهم ذلك من اسم الفاعل اذا ثبت هذا فنقول وقت نزول
الاية كانت الحكاية عن قوم قريبي العهد بالاسلام في اوائل ايجاب التكليف وعن قوم مستديمين
الكفر مستمرين عليه فقال في حق المؤمنين صدقوا بلفظ الفعل اي وجد منهم الصدق
وقال في حق الكافرين الكاذبين بالصيغة المنبئة على الثبات والدوام **قوله** تعالى
ان يسبقونا لما اشتمل على المسند والمسند اليه فسد مسد مفعولي حسب والمعنى
اظن المسيئون انهم يفوتونا فلا نقدر على الانتقام منهم وهو في قوة قولنا احسبوا
انفسهم فائتين وام منقطعة مقدرة ببل والهمزة والاضراب بعجل الانتقال لا الابطال
السابق لان انكار الحسبان الاول ليس بباطل الا ان الحسبان الثاني ابطل واولى
بالانكار وذلك لان صاحب الحسبان الاول يعتقد انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه
لا يجازى بمعاديه والثاني ابطل لانه خلاف ما يقتضيه العقل والنقل والاول مما يخالف
النقل فقط ولم يجعل ام هذه متصلة معادلة لهمزة الاستفهام في نحو قوله احسب
بوجهين احدهما ان ما بعدها ليس مفردا والثاني انه لم يكن ههنا ما يجاب بما احد
الشيئين او الاشياء **قوله** اي بئس الذي يحكمونه يريد ان ساء بمعنى بئس وان ما يجوز
ان تكون موصولة بمعنى الذي ويحكمون صلتها والعائد محذوف والموصول مع صلته في محل
الرفع على انه فاعل بئس فيكون فاعل بئس كالمعرف باللام ويكون المخصوص بالذم محذوفا
اي بئس الحكم الذي يحكمون حكمهم هذا ويجوز ان يكون الفاعل مضمرا مفسرا بما وهي في محل
النصب على التمييز ويحكمون صفتها بحذف العائد والمخصوص ايضا محذوف والتقدير بئس
الحكم حكما يحكمونه حكمهم هذا حين ظنوا ذلك قال الامام لما بين حسن التكليف بقوله
احسب الناس ان يتركوا بين ان من كلف بشيء ولم يات به يعذب وان لم يعذب في الحال
يعذب في الاستقبال ولا يفوت الله تعالى شيئا لا في الحال ولا في الاستقبال

بسم الله الرحمن الرحيم

الم سبق القول فيه وفي وقوع الاستفهام بعده دليل استقلاله بنفسه او بما يضمر
معه **احسب الناس** الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك
اقتضى مفعولين متلازمين او ما يسد مسدهما كقوله **ان يتركوا ان يقولوا امنا**
وهم لا يفتنون فان معناه احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم امنا فالترك
اول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه وبقولهم امنا هو الثاني كقولك حسبت ضربه للتأديب
او انفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم امنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف
كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وانواع المصائب في الانفس
والاموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت في الدين من المضطرب فيه ولينالوا
بالصبر عليها عوالي الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير
الخلاص من الخلود في العذاب روي انها نزلت في ناس من الصحابة جزعوا من
اذى المشركين وقيل في عمار وقد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رماه
عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته **ولقد فتنا**
الذين من قبلهم متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة
جارية في الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافه **فليعلمن الله الذين صدقوا**
وليعلمن الكاذبين فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين
صدقوا في الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك
قيل المعنى وليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الناس
او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها **ام حسب**
الذين يعملون السيئات الكفر والمعاصي فان العمل يعم افعال القلوب
والجوارح **ان يسبقونا** ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم
وهو ساد مسد مفعولي حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان
ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله **ساء ما يحكمون** اي بئس الذي يحكمونه

او حكما يحكمون حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان يرجوا لقاء الله
في الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث
والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد
اطلع السيد على احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضي من افعاله او بسخط لما سخط
منها فان اجل الله فان الوقت المضروب للقائه لات لجاء وان كان وقت اللقاء
آتيا كان اللقاء كاينا لا محالة فليبادر ما يحقق امله ويصدقه رجاه وما يستوجب
القربة والرضى وهو السميع لاقوال العباد العليم بعقايدهم وافعالهم ومن
جاهد نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات فانما يجاهد
لنفسه لان منفعته لها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة به الى طاعتهم
وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم والذين امنوا وعملوا
الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها
من الطاعات ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء
اعمالهم ووصينا الانسان بوالديه حسنا بايتائه فعلا ذا حسن وكانه
في ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو
قال اي وقلنا له احسن بوالديه حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على
تقدير قول مفسر للتوصية اي قلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو فوق ما
بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا وان جاهداك
لتشرك بي ما ليس لك به علم بالاهيته عبر عن نفيها بنفي العلم بها اشعارا
بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه
فلا تطعهما في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من
اضمار القول ان لم يضمر قبل الي مرجعكم مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن
بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه والاية نزلت في سعد بن
ابي وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت ان لا تنتقل من الضح

قوله على مضض الطاعة اي على تعبها وفي الصحاح المضض وجع المصيبة يقال مض
مضني الجرح امضاضا اذا اوجعك وفيه لغة اخرى مضني الجرح لما بين الله تعالى
ان التكليف والامتحان حسن واقع بين ان نفعه يعود على المكلف وانه تعالى غني
عن العالمين والحصر المذكور في الاية اضافي معناه ان جهاده لا يصل منه الى الله
تعالى نفع فلا يرد ان يقال كيف يستقيم الحصر المذكور مع ان جهاد المؤمن ينتفع
به غيره كما ينتفع الاباء بصلاح الاولاد وينتفع من سن سنة حسنة بفعل من استن
بها ثم انه تعالى لما بين اجمالا ان من عمل صالحا فانما يعمل لنفسه فصل ذلك النفع
بعد التفصيل فقال والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن والذين مبتدا
خبره جملة القسم المحذوفة وجوابها اي والله لنكفرن والتكفير اذهاب السيئة
بالحسنة والمعنى لنذهبن سيئاتهم حتى يصير بمنزلة من لم يعمل والصالح عندنا
كل ما امر الله تعالى فانه صار صالحا بامره ولو نهي عنه لما كان صالحا فليس الصلاح
والفساد من لوازم الفعل في نفسه قالت المعتزلة ذلك من صفات الفعل
ويترتب عليه الامر والنهي فالصدق عمل صالح في نفسه يامر الله تعالى به لذلك فعندنا
الصلاح والفساد والحسن والقبح يترتب على الامر والنهي وعندهم الامر والنهي يترتب
على الحسن والقبيح قوله بايتائه حسنا اي بايتائه والديه فعلا ذا حسن
وحذف المضاف الذي هو المامور به واقيم المضاف اليه مقامه وان حسنا منصوب على انه
لمفعول المصدر المحذوف بناء اما بتقدير ذا او بجعل نفس ذلك الفعل حسنا للمبالغة
لما بين الله تعالى حسن التكليف وجزاء المكلف على طاعة مولاه فيما فعله بقوله انما
يجاهد لنفسه وانه يجزي باحسن جزاء اعماله حرضه على طاعة والديه لكونهما سببي
بحسب الظاهر لوجوده وتربيته فقال ووصينا الانسان قوله وقرئ حسنا بفتحتين
وهما لغتان كالبخل والبخل وقرئ احسانا كما في قوله وبالوالدين احسانا قيل نزلت الاية
في سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه وامه حمنة فانه لما اسلم وكان من السابقين الاولين قالت
امه ما هذا الذي احدثته والله لا اكل ولا اشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه او اموت
فتعير بذلك ابد الدهر ويقال لك يا قاتل امه ثم انها مكثت يوما وليلة لم تاكل ولم
تشرب فجاء سعد اليها فقال يا اماه لو كان لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت
ديني فكلي وان شئت فلا تاكلي فلما ياست منه اكلت وشربت فانزل الله تعالى هذه الاية
وامره بالبر لوالديه والاحسان اليهما وان لا يطيعهما في الشرك امر الله تعالى بالاحسان الى

ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا التي في لقمان و
الاحقاف والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين
في جملتهم والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله المرسلين
او في مدخلهم وهي الجنة ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله بان
عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس ما يصيبهم من اذيتهم في الصرف
عن الايمان كعذاب الله في الصرف عن الكفر ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة
ليقولن انا كنا معكم في الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون او قوم ضعف
ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد الاول اوليس الله باعلم بما في صدور
العالمين من الاخلاص والنفاق وليعلمن الله الذين آمنوا بقلوبهم وليعلمن
المنافقين فيجازي الفريقين وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا
الذي نسلكه في ديننا ولنحمل خطاياكم ان كان ذلك خطيئة او ان كان بعث
ومؤاخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة في
تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت ثم تشجيعا لهم
عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم
من شيء انهم لكاذبون من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وما
هم بحاملين شيئا من خطاياهم وليحملن اثقالهم اثقال ما اقترفته انفسهم
واثقالا مع اثقالهم واثقالا اخر معها لما تسببوا له بالاضلال والحمل على
المعاصي من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شيء وليسألن يوم القيمة
تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون من الاباطيل التي اضلوا بها ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما بعد المبعث اذ روي انه بعث
على رأس اربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين ولعل
اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على
ما يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود

قوله من الاولى للتبيين والثانية زائدة يعني ان قوله من شيء مفعول لقوله حاملين ومن
خطاياهم حال من شيء لانه لما قدم عليه انتصب حالا والتقدير وما هم بحاملين شيئا
من خطاياهم وهو المراد من قوله من الاولى للتبيين قوله من غير ان ينقص من اثقال
من تبعهم شيء ان قيل الجواب ما يقال انه تعالى نفى الحمل اولا حيث قال وما هم بحاملين
من خطاياهم من شيء ثم اثبت ثانيا حيث قال وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فما وجه
الجمع بينهما وتلخيص الجواب انه ليس فيه اثبات ما نفي اولا لانهم لا يحملون من اوزار اتباعهم
شيئا لانه اذا حمل احد عن غيره شيئا لزم ان يخف حمل الآخر فاذا لم يخف حمله فلا يكون قد حمل
عنه شيئا بل يحملون اثقال ما اقترفوه بانفسهم واثقالا اخر بسبب اضلال غيرهم
لقوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها
من غير ان ينقص من وزره شيء ونظيره قوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن
اوزار الذين يضلونهم بغير علم شيخ زاده

من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما يكابد من الكفرة
واختلاف المميزين لما في التكرير من البشاعة فأخذهم الطوفان طوفان الماء وهو لما
طاف بكثرة من سيل وظلام او نحوهما وهم ظالمون بالكفر فأنجيناه اي نوحا
وأصحاب السفينة ومن ركب معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية
وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اي السفينة او
الحادثة آية للعالمين يتعظون ويستدلون بها وإبراهيم عطف على نوحا او نصب
باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم إذ قال لقومه اعبدوا
الله ظرف لأرسلنا اي ارسلنا حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وامر الناس
به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر واتقوه ذلكم خير لكم مما انتم عليه
إن كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون ما هو خير مما هو شر او كنتم تنظرون
في الامور بنظر العلم دون نظر الجهل إنما تعبدون من دون الله أوثانا و
تخلقون إفكا وتكذبون كذبا في تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها عند الله او
وتعملونها وتنحتونها للإفك وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور و
باطل وقرئ تخلقون من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق للتكليف وافكا على
انه مصدر كالكذب او نعت بمعنى خلقا ذا افك إن الذين تعبدون من دون
الله لا يملكون لكم رزقا دليل ثان على شرارة ذلك من حيث انه لا يجدي بطائل
ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره
للتعميم فابتغوا عند الله الرزق كله فانه المالك له واعبدوه واشكروا له
متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره او مستعدين للقائه
بهما فانه إليه ترجعون وقرئ بفتح التاء وإن تكذبوا وان تكذبوني فقد كذب أمم
من قبلكم من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر انفسهم وما على
الرسول إلا البلاغ المبين الذي زال معه الشك وما عليه ان يصدق ولا
يكذب فالآية وما بعدها من جملة قصة ابراهيم الى قوله فما كان جواب قومه

ويحتمل ان يكون اعتراضا بذكر شان النبي صلى الله عليه وسلم وقريش وهدم
مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفي قصة من حيث ان
مساقها لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنفيس عنه بان اباه خليل الله
كان ممنوا بنحو ما منى به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال
ابراهيم في قومه **اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق** من مادة ومن غيرها وقرأ حمزة
والكسائي وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ **ثم يعيده** اخبار بالاعادة
بعد الموت معطوف على اولم يروا لا على يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه
ويجوز ان يأول الاعادة بان ينشئ في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة
من النبات والثمار ونحوها ويعطف على يبدئ **ان ذلك** الاشارة الى الاعادة
او الى ما ذكر من الامرين **على الله يسير** اذ لا يفتقر في فعله الى شيء **قل سيروا
في الارض** حكاية كلام الله لابراهيم او محمد عليهما السلام **فانظروا كيف
بدأ الله الخلق** على اختلاف الاجناس والاحوال **ثم الله ينشئ النشأة
الآخرة** بعد النشأة الاولى التي هي الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث
ان كلا اختراع واخراج من العدم والافصاح باسم الله مع ايقاعه مبتدأ
بعد اضماره في بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان المقصود بيان
الاعادة وان من عرف بالقدرة على الابداء ينبغي ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها اهون والكلام في
العطف ما مر وقرئ النشاءة كالرآفة ابن كثير وابو عمرو **ان الله على كل شيء قدير** لان قدرته
لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى
كما قدر على النشأة الاولى **يعذب من يشاء** تعذيبه **ويرحم من يشاء** رحمته
واليه تقلبون تردون **وما انتم بمعجزين** ربكم عن ادراككم **في الارض ولا
في السماء** ان فررتم من قضائه بالتواري في الارض او الهبوط في مهاويها او التحصن
في السماء او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء كقول حسان ؎ امن
يهجو رسول الله منكم ۞ ويمدحه وينصره سواء **وما لكم من دون الله من ولي**

قوله حكاية كلام الله تعالى وليس من مقالة ابراهيم عليه السلام لقومه من عند نفسه على تقدير
ان يكون الايات المذكورة من قوله وان تكذبوا الى قوله فما كان جواب قومه الاية من قصة ابراهيم
عليه السلام ولا من مقالة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم من عند نفسه على تقدير
كونها معترضة واقعة في اثناء قصة ابراهيم عليه السلام تذكيرا وانذارا لقريش اذ
لا وجه لهما ان يقولا من عند انفسهما قل سيروا بل الظاهر ان كلام احدهما لقومه على
حكاية كلام الله تعالى لهم ومقصود المصنف ان يجيب عما يقال كيف يكون هذا من كلام
احدهما ولا يصح لواحد منهما ان يقول ذلك ومحصول الجواب ان لا يصح ان يقول من عند نفسه
لانه يصح ان يقول على حكاية كلام الله تعالى حكاه ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام
لقومه اي قال الله تعالى لي قل لهم وقد يحكي رسولنا كلام الله تعالى على هذا المنهاج
والمعنى قل لمنكري البعث سيروا في الارض تشاهدوا كيف انشأ الله تعالى جميع
الكائنات بدأ ومن قدر على انشائها بدأ اما يقدر على اعادتها لما قال ابراهيم عليه
الصلاة والسلام لقومه اليه ترجعون ثم قال لهم وان تكذبوني فيما اخبرتكم من البعث
والجزاء فلا علي في تكذيبكم ثم التفت عن خطابهم وقال على طريق التعجب من جهالة
منكري البعث اولم يروا منكري البعث ما يدل على صحته وهو انه تعالى انشأ الكائنات
باسرها على وجه الابداء ثم اخبر بانه يعيدهم لا محالة امره الله تعالى بان يحتج على هؤلاء
المنكرين بما ذكره من الدليل فقال له قل سيروا وهذا على تقدير كون الايات المذكورة
من قصة ابراهيم عليه السلام وقس على هذا كونها معترضة في اثناء قصته **قوله**
وقرئ بالمد قرأه ابن كثير وابو عمرو والباقون بالقصر وسكون الشين وهما لغتان كالرأفة
والرآفة وانتصاب النشأة على انه مصدر محذوف الزوائد والاصل الانشاءة اي على
العامل اي ينشئ المنشئون النشأة وفي الصحاح انشأه الله اي خلقه والاسم النشأة
والنشاءة بالمد ثم انه تعالى لما ذكر النشأة الاخرة الواقعة بعد الموت ذكر ما يكون فيها
وهو تعذيب اهل التكذيب والمعصية عدلا وحكمة واثابة اهل الانابة فضلا ورحمة فقال
يعذب من يشاء ويرحم من يشاء ثم قال واليه تقلبون مع ان هذه المسئلة قد سبق اثباتها
وتقريرها تقويرا لامر المجازاة فكانه قيل ان تاخر عنكم جزاء اعمالكم فلا تظنوا انه فات
اذ اليكم ايابكم وعليه حسابكم وعنده مدخر ثوابكم وعقابكم ثم قال وما انتم بمعجزين من
ارادة تعذيبكم وتنفيذ قضائه فيكم بالعزوب عنه في الارض ولا في السماء والخطاب لبني آدم
وهم من اهل الارض ليس في وسعهم العزوب في السماء والمقصود بيان امتناع الفوات على

ولا نصير يحرسكم من بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء و يدفعه عنكم
والذين كفروا بآيات الله بدلائل وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك
اولئك يئسوا من رحمتي اى ييأسون منها يوم القيمة فعبر عنه بالماضي للتحقيق
والمبالغة او يئسوا في الدنيا لانكار البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم
بكفرهم فما كان جواب قومه قوم ابراهيم له وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر
الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم ورضي
به الباقون اسند الى كلهم فانجاه الله من النار اى فقذفوه فانجاه منها بان جعلها
بردا وسلاما ان في ذلك في انجائه منها لآيات هي حفظه من اذى النار واخمادها
مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض مكانها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون
بالفحص عنها والتأمل فيها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم
في الحياة الدنيا اى لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثاني
مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون مودة المفعول الثاني بتقدير
مضاف او بتأويلها بالمودودة اى اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقرأها
نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق وابن كثير وابو
عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اى هي مودة او
بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد
محذوف وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة مضافة بفتح بينكم كما قرئ
لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة بينكم ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض
ويلعن بعضكم بعضا اى يقوم التناكر والتلاعن بينكم او بينكم وبين الاوثان
على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدا ومأواكم النار وما
لكم من ناصرين يخلصونكم منها فآمن له لوط هو ابن اخته واول من
امن به وقيل امن به حين رأى النار لم تحرقه وقال اني مهاجر من قومي الى
ربي الى حيث امرني ربي انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي

وقيل في كيفية النجاة منها انه تعالى خلق في ابراهيم كيفية استبرد معها النار وقال
بعضهم ترك ابراهيم على ما هو عليه وترك النار على ما كانت عليها ومنع اذى النار عنه
والكل ممكن والله قادر عليه والبعد بحسب العادة لا ينافي الوقوع لان المعجز لا بد ان يكون
خارقا للعادة الا ان قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم يؤيد ما ذكره
المصنف حتى روي انه لم ينتفع بالنار احد يوم القي ابراهيم في النار لذهاب حرها
ثم انه تعالى قال في سفينة نوح عليه السلام جعلناها آية وقال في انجاء ابراهيم عليه
السلام ان في ذلك لآيات لان الانجاء في السفينة شيء يسع له العقول ولم يكن
فيها من الآية الا انه تعالى اعلمه باتخاذها لوقت الحاجة فانه لولاه لما اتخذها لعدم
علمه بالغيب واما الانجاء من النار ففيه آيات ذكرها المص وقال تعالى في حق السفينة
آية للعالمين وقال ههنا آيات لقوم يؤمنون لان السفينة بقيت اعواما ومر عليها
طوائف الناس ورأوها فحصل العلم بها للكل احد بخلاف تبريد النار فانه لم يبق
فلم يظهر لمن بعده الا بطريق الايمان به بالفحص عنه والتأمل فيه قوله اى لتتوادوا
بينكم اشارة الى ان مودة منصوب على انه مفعول له للاتخاذ فيكون ما كافة واوثانا
مفعولا اول لاتخذتم ومفعوله الثاني محذوف ومن دون الله حال من فاعل
اتخذتم والمعنى انما اتخذتم اوثانا آلهة من دون الله ليكون سبب التواد بينكم
لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب ويجعلون ذلك
سببا لتحابهم وتصادقهم قوله ويجوز ان يكون مودة المفعول الثاني عطف
من حيث المعنى على قوله اى لتتوادوا فانه في معنى انها مفعول له والمعنى انما اتخذتم
اوثانا سبب المودة بينكم او مودة بينكم من دون الله عز وجل قوله والوجه ما
سبق اي وجه انتصاب مودة كونها مفعولا له او مفعولا ثانيا بتقدير المضاف او
بتأويلها بالمودودة وبينكم ح يكون منصوبا على الظرفية فان من اضاف مودة
جعل بينكم اسما لا ظرفا ومن نون جعل مودة منصوبة او مرفوعة جعل بينكم ظرفا
للمودة ومن قرأ مودة بالرفع فلا يخلو اما ان يجعل ما كافة اولا فان جعلها كافة
رفع مودة على انها خبر مبتدأ محذوف اى هي مودة بينكم او سبب مودة بينكم
ان جعلها موصولة بمعنى الذي منصوبة المحل على انها اسم ان واتخذتم صلتها
حذف العائد الذي هو مفعول اول لاتخذتم واوثانا مفعوله الثاني وجعل مودة جواب
والتقدير ان الذي اتخذتموهم اوثانا مودة او سبب مودة بينكم او جعل نفس المودة

لم يأمرنا الا بما فيه صلاحي دوى انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط ومع
سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا
له إسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس عن الولادة من عجوز عاقر ولذلك
لم يذكر اسمعيل وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبيا والكتاب يريد
به الجنس ليتناول الكتب الاربعة وآتيناه أجره على هجرته الينا في الدنيا بإعطاء
الولد في غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل
اليه والثناء والصلوة عليه اخر الدهر وانه في الآخرة لمن الصالحين لفي عداد الكاملين
في الصلاح ولوطا عطف على ابراهيم وعلى ما عطف عليه إذ قال لقومه
أئنكم لتأتون الفاحشة الفعلة البالغة في القبح وقرأ الحرميان وابن عامر
بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام واجمعوا على الاستفهام في الثاني
ما سبقكم بها من احد من العالمين استيناف مقرر لفحاشتها من حيث انها
مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى قدموا عليها لخبث طينتهم
أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة بالقتل
واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق او تقطعون سبيل النسل
بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وتأتون في ناديكم في مجالسكم
العامة ولا يقال النادي الا لما فيه اهله المنكر كالجماع والضراط وحل
الازرار وغيرها من القبائح عدم مبالاة بها وقيل الخذف ورمي البنادق
فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين
في استقباح ذلك او في دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ قال رب انصرني
بانزال العذاب على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنّها فيمن بعدهم
ووصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء بان يعجل
لهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى بالبشارة بالولد والنافلة
قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى

قوله عطف على ابراهيم او على ما عطف عليه يجوز عطفه على ابراهيم سواء كان
ابراهيم معطوفا على نوحا او منصوبا باذكر واما كون قوله ولوطا معطوفا على نوحا
فانما يجوز على تقدير ان يكون ابراهيم منصوبا باذكر لانه لو كان منصوبا باذكر لزم
ان يكون اذكر مع ما في حيزه فاصلا بين المعطوف والمعطوف عليه ويحتمل ان يكون
قول المصنف اشارة الى الاختلاف في المعطوف الثاني انه هل هو معطوف على
الاول او على ما عطف عليه المعطوف الاول وجه الاول قرب المعطوف عليه من العامل
قوله الفعلة البالغة في القبح وذلك لان كل واحد من الشهوة والغضب صفتان
قبيحتان لولا المصلحة الداعية الى خلقهما لما خلقهما الله تعالى في الانسان
والمصلحة في خلق الشهوة الفرجية هي بقاء النوع بتعاقب الاشخاص وذلك انما
يكون بوجود الولد وبقائه بعد الاب فظهر ان كل واحد من الزنا واللواطة فاحشة
فان الزنا وان كان مؤديا الى وجود الولد لكنه لا يؤدي الى بقائه لان المياه اذا اشتبهت
لا يعرف الوالد ولده فلا يقوم لتربيته والانفاق عليه فيضيع الولد ويهلك فتبين
ان الزنا ليس فيه مصلحة البقاء ولذلك قال تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة
فاذا كان الزنا بشهوة قبيحة خالية عن المصلحة مع انه يفضي الى وجود الولد
تبين كون اللواطة فاحشة بطريق الاولى شيخ زاده

الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم لهم باصرارهم وتمادي
في ظلمهم الذي هو الكفر وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا اعتراض عليهم
بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي بين اظهرهم
قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به
وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهل بمن عداه واهله او
تاقيت الاهلاك باخراجهم عنها وفيه تاخير البيان عن الخطاب الا امرأته
كانت من الغابرين الباقين في العذاب والقرية ولما ان جاءت رسلنا لوطا
سيء بهم جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة
لتاكيد الفعلين واتصالهما وضاق بهم ذرعا وضاق بشانهم وتدبير امرهم
ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا
له وذلك ان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع وقالوا لما راوا فيه
اثر الضجرة لا تخف ولا تحزن على تمكنهم منا انا منجوك واهلك الا امرأتك
كانت من الغابرين وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف
ووافقهم ابو بكر وابن كثير في الثاني وموضع الكاف جر على المختار ونصب اهلك
باضمار فعل وبالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه
القرية رجزا من السماء عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم
ارتجز اذا ارتجس اي اضطرب وقرأ ابن عامر منزلون بالتشديد بما كانوا
يفسقون بسبب فسقهم ولقد تركنا منها اية بينة هي حكايتها الشائعة
او اثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعده وقيل بقية
انهارها المسودة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار
وهو متعلق بتركنا او اية والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا
الله وارجوا اليوم الاخر وافعلوا ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام
السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين

فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبريل لان القلوب
ترجف لها فاصبحوا في دارهم في بلدهم او دورهم ولم يجمع لامن اللبس جاثمين
باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا منصوبان باضمار اذكر او فعل دل عليه
ما قبله مثل اهلكنا وقرأ حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير مصروف على تاويل
القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم اي تبين لكم بعض مساكنهم واهلاكهم
من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وزين لهم الشيطان
اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل السوي الذي بين الرسل
لهم وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا
او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا
وقارون وفرعون وهامان معطوفون على عاد وتقديم قارون لشرف
نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا
سابقين فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا من المذكورين
اخذنا بذنبه عاقبنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ريحا عاصفا
فيها حصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة
كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا
كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم
فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالتعريض
للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا
كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك اوهن فان
لهذا حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى
رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة واعكب
وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لا بيت اوهى واقل وقاية للحر والبرد

منه لو كانوا يعلمون يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم وان دينهم اوهى
من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا
للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما
تدعون من دونه من شيء على اضمار القول اى قل للكفرة ان الله يعلم وقرأ
البصريان ويعقوب بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بتدعون
ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول تدعون
او مصدرية وشيء مصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول تدعون عائده
المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الاخرين وعيد لهم
وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك
ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على
كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا صفته
قدر على مجازاتهم وتلك الامثال يعني هذا المثل ونظايره نضربها للناس
نقربها لما بعد من افهامهم وما يعقلها ولا يعقل حسنها وفايدتها الا العالمون
الذين يتدبرون الاشياء على ما ينبغي وعنه عم انه تلا هذه الاية فقال العالم
من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض
بالحق محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقها افاضة الخير
والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله ان في ذلك لاية للمؤمنين
لانهم المنتفعون بها اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله تعالى
بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القارئ المتامل
قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اول ما قرع سمعه واقم الصلاة
ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر بان تكون سببا للانتهاء عن
المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث
للنفس خشية منه روى ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله

قوله نضربها يجوز ان تكون خبر تلك والامثال صفة او بدل لها او عطف بيان وان يكون
خبرا ونضربها حالا او خبرا ثانيا ثم انه تعالى لما بين اصرار الامم السالفة على
الكفر والضلال بين انا اصرارهم ذلك ليس لانعدام الاية الدالة على وحدانية
الاله وكمال قدرته وحكمته لان خلق السموات والارض ملتبسا بالحق والحكمة
البالغة اية دالة على ما ذكر انه اية الا ان هذه الايات العظمى لا يجعلها مشرح
النظر ومطروح الفكر ليستدل على وجود صانع حكيم يستحق لان يعبد ويطاع
في جميع ما امر به ونهى عنه الا من علم الله تعالى انه يؤمن ويتقي فانه هو المنتفع بها لا
من اعرض عنها وابى واستكبر واتبع هواه واثر اللذات العاجلة على السعادات
الابدية ثم انه تعالى لما بين ان من خالف الحق انما خالفه عنادا واستكبارا لا لقصور
في البرهان والبيان امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالمواظبة على تلاوة ما اوحي
اليه وباقام الصلاة حضا وتنبيها سائر العبادات بالامر بها لان العبادات المختصة
بالعبد ثلث قلبية وهو اعتقاد الحق ولسانية وهو الذكر الحسن وبدنية خارجية
وهو العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتكرر لان من اعتقد شيئا لا يمكنه ان يعتقده
مرة اخرى بل يبقى ويمتد ذلك الاعتقاد ويستمر الى ان يطرا عليه ضده فلما لم يمكن
تكرير العبادة القلبية امر بتكرير التلاوة التي الجامعة لجميع الاذكار وبتكرير اقام
الصلاة التي هي معظم العبادات البدنية شيخ زاده

صلى الله عليه وسلم الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف
له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب ولذكر الله اكبر وللصلوات اكبر
من ساير الطاعات وانما عبر عنها به للتعليل فان اشتمالها على ذكره هو العمدة
في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات او ولذكر الله اياكم برحمته
اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن ساير الطاعات
فيجازيكم بها احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن
الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم
والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ باية السيف اذ لا مجادلة اشد منه
وجوابه انه اخر الدواء وقيل المراد به ذوو العهد منهم الا الذين ظلموا منهم
بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة او
بنبذ العهد ومنع الجزية وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم هو من
المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب
ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم
وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون مطيعون
له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب وحيا مصدقا لسائر الكتب
الالهية وهو تحقيق لقوله فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به هم عبد الله
بن سلام واضرابه او من تقدم عهد الرسول من اهل الكتاب ومن هؤلاء
ومن العرب واهل مكة او ممن في عهد الرسول من اهل الكتابين من يؤمن به بالقرآن
وما يجحد باياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها الا الكافرون الا المتوغلون
في الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التامل فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة
بالاضافة الى الرسول كما اشار اليه بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة

تتمة حاشية هو
وقال الاخرون المراد بالاول مؤمنوا اهل الكتاب وبقوله ومن هؤلاء العرب او اهل
مكة ثم انه تعالى لما وصف القرآن بكونه كتابا كاملا عجيبا الانزال وبين ان آمن به
ذكر ان منهم من يؤمن به انما لا يؤمن به لتوغله في الكفر من حيث ان توغله في الكفر يمنعه
عن التامل في دلائل الحقيقة والمجاز ثم بين كونه معجزة بالاضافة اليه عليه السلام
بقوله وما كنت تتلو من قبله اي من قبل انزال القرآن عليك من كتاب وهو مفعول
تتلو ومن زائدة في المفعول اي ما كنت قادرا كتابا قبل ذلك ولا تخطه بيمينك
ولا تكتب لان بيمينك كتابا وكذا كان صفته في التوراة والانجيل انه امي لا يقرأ ولا يكتب
شيخ زاده

على امي لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفي
ونفي للتجوز في الاسناد اذاً لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا
لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين وانما سماهم مبطلين لكفرهم او
لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب اهل
الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع
دون المقدر بل هو بل القرآن آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم يحفظونه
لا يقدر احد على تحريفه وما يجحد باياتنا الا الظالمون الا المتوغلون
في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلايل اعجازها حتى لم يعتدوا بها وقالوا
لولا انزل عليه آية من ربه مثل ناقة صالح وعصى موسى ومائدة عيسى
وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات قل انما الآيات عند الله
ينزلها كما يشاء لست املكها فآتيكم بما تقترحونه وانما انا نذير مبين ليس من
شاني الا الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات اولم يكفهم آية مغنية عما
اقترحوه انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم تدوم تلاوته عليهم متحدين
به فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل بخلاف ساير الآيات او يتلى عليهم يعني
اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك ان في ذلك الكتاب الذي
هو آية مستمرة وحجة مبينة لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى لقوم يؤمنون
وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان ناساً من المسلمين اتوا رسول
الله صلى الله عليه بكتف كتب فيها بعض ما يقوله اليهود فقال كفى بها ضلالة
قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً
بصدقي وقد صدقني بالمعجزات بتبليغي ما ارسلت به اليكم ونصحي ومقابلتكم
اياي بالتكذيب والتعنت يعلم ما في السموات والارض فلا يخفى عليه
حالي وحالكم والذين آمنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله وكفروا
بالله منكم اولئك هم الخاسرون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر

كط

قوله بل هو القرآن بل فيه للاضراب عن بيان كونه آيات بينات الاعجاز محفوظات في
صدور العلماء وكل واحد من كونه آية بينات الاعجاز وكونه محفوظاً في صدور حفاظه
بحيث يتلوه كثير من الامة عن ظهر القلب من خصائص القرآن فان سائر الكتب لم تكن
الفاظها معجزات وما كانت تقرأ الا من المصاحف نظراً فاذا انطبقت لم يقرأ الامة
من كتابهم شيئاً وقد ورد في صفة هذه الامة قرابينهم نفوسهم واناجيلهم صدورهم
والاناجيل جمع انجيل وهو اسم كتاب عيسى عليه السلام والمعنى انهم يقرؤون كتاب
الله تعالى عن ظهر قلوبهم وهو مثبت محفوظ في صدورهم كما كان كتاب النصارى
مثبتاً في اناجيلهم قال تعالى قبيل بيان كون الآيات القرآنية معجزة بالاضافة اليه
عليه السلام ببيان كونه امياً وما يجحد باياتنا الا الكافرون وقال بعد بيان
ذلك الا الظالمون مع انه لا تنافي بين الكلامين لان الكافر ظالم الا ان المناسب في
مقام ارشاد اهل الكتاب تنفيراً من تكذيب القرآن لفظ الكافرين لان اهل
الكتاب غير وامن المشركين بان آمنوا بجميع ما يجب الايمان به من التوحيد
وارسال الرسل وانزال الكتب والحشر والجزاء سوى الايمان برسالة سيد
المرسلين وحقية كتابه فهم يدعون الايمان ويستنكفون عن الكفر فالمناسب في
دعوتهم الى الايمان ان يقال لهم انكم قد حصل لكم ما حصل لكم من الايمان فلا
تبطلوها بانكار آيات الله تعالى مع ظهور حجيتها بقيام الحجة عليها فتكونوا
كافرين بخلاف التقريع عليهم باصرارهم بذلك المقام لفظ يفهم عن الشرك لقوله
تعالى ان الشرك لظلم عظيم فكانه قيل ان جحدتم بالآيات القرآنية بعد ما
تبين كونها معجزة لمبلغها لزمكم انكار الرسالة والكتب المنزلة باسرها اذ لا
طريق الى الاقرار بها سوى الاعتداد بالمعجزة فمن لم يعتد بالمعجزة لزمه ان يلحق
بالمشركين ويكون من جملة الظالمين بالاشراك ثم انه تعالى لما بين طريق المجادلة
معاهل الكتاب في دعوتهم الى الايمان عاد الى حكاية ما لغب به تعالى قريش مكة
باقتراح آيات كما جاءت بها الانبياء عليهم السلام الى اممهم فقال وقالوا يعني كفار
مكة لولا انزل عليه آية من ربه فارشد نبيه عليه السلام الى ان يقول في جوابهم انما
الآيات عند الله وليس من شاني الا انذار اهل المعصية بالنار بما اعطيت من الآيات
ثم انكر عليهم ذلك الاقتراح ببيان ان القرآن آية فوق الكفاية واتم من كل معجزة تقدمها
فان تلك المعجزات وجدت وما دامت كانقلاب العصا حية واحياء الموتى واخراج

بالايمان ويستعجلونك بالعذاب بقولهم امطر علينا حجارة من السماء
ولولا اجل مسمى لجل عذابا وقوم لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم بغتة
فجأة فى الدنيا كوقعة بدر والاخرة عند نزول الموت بهم وهم لا يشعرون
باتيانه يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ستحيط
بهم يوم يأتيهم العذاب وهى كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصى التى
توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب
الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم يوم يغشاهم
العذاب ظرف لمحيطة او بمقدر مثل كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت
ارجلهم من جميع جوانبهم ويقول الله او بعض ملائكته بامره لقراءة ابن
كثير وابن عامر والبصريين بالنون ذوقوا ما كنتم تعملون اى جزاءه يا عبادى
الذين امنوا ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون اى اذا لم يتسهل لكم
العبادة فى بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك
وعنه عم من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة
وكان رفيق ابراهيم ومحمد والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضى واسعة
ان لم تخلصوا العبادة لى فى ارض فاخلصوها فى غيرها كل نفس ذائقة
الموت تناله لا محالة ثم الينا ترجعون للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغى
ان يجتهد فى الاستعداد له وقرأ ابو بكر بالياء والذين امنوا وعملوا الصالحات
لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالى وقرأ حمزة والكسائى لنثوينهم اى
لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع
الخافض او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم تجرى من تحتها الانهار خالدين
فيها نعم اجر العاملين وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه
ما قبله الذين صبروا على اذية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن
والمشاق وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون الا على الله وكاين من دابة

قوله تعالى وكاين من دابة كاين كلمة مركبة من كاف التشبيه واين التى تستعمل استعمال
من وقد اركب جعل المركب بمعنى كم الخبرية وكاين مبتدأ ولا تحمل صفتها والله
يرزقها خبره ومن دابة تمييز كم اى وكم من نفس دبت على وجه الارض عقلت
او لم تعقل لا تطيق ان تحمل رزقها لضعفها عن حملها مع احتياجها الى
الغذاء مثلكم ولا تدخر شيئا من الرزق لغد الصحيح تيرزقها الله تعالى
من حيث لا تحتسب وقيل لا تدخر شيئا من الحيوان قوتا الا ابن آدم والفار
والنملة ويقال للعقعق مخابى الا انه خبيثة شيخ زاده

لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها او لا يدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم هذا العليم بضميركم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر المسؤول عنهم اهل مكة ليقولن الله لما تقرر في العقول وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود فانى يؤفكون يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض على التعاقب وان لا يكون على وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم ان الله بكل شيء عليم يعلم مصالحهم ومفاسدهم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك قل الحمد لله على ما عصمك من مثل هذه الضلالة او على تصديقك واظهار حجتك بل اكثرهم لا يعقلون فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدئ لكل ما عداه ثم انهم يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة الا لهو ولعب الا كما يلهى ويلعب به الصبيان ويجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين وان الدار الآخرة لهي الحيوان لهي دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها او هي في ذاتها حياة للمبالغة والحيوان مصدر حيي سمي به ذو الحياة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ من الحياة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة ولذلك اختير عليها هاهنا لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا التي

قوله ويقدر له اي يضيق فان القدر والضيق بمعنى واحد وهو التضييق قوله يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا هذا الاحتمال هو الظاهر لان من في قوله من يشاء موصولة يريد بها من افراد الانسان من تعين بكونه يشاء الله تعالى التوسيع له ولما رجع ضمير يقدر له وعليه ولما كان التوسيع والتضييق متضادين لا يجتمعان في محل واحد في زمان واحد وجب ان يكون اجتماعهما فيه على سبيل التعاقب واما احتمال تعددهما ذاتا مع وجوب كون الضمير راجعا الى ما ذكر اولا وهو من تعلق به مشيئة التوسيع فبعيد لان مفهوم من يشاء البسط له وان كان مبهما من حيث يتناول الافراد المندرجة تحته لكن لا ابهام فيه من حيث تناوله الموسع له والمضيق عليه المختلفين ذاتا حتى يكون الضمير الراجع اليه مبهما مثله متناولا لهما الا ان يراد ان المراد بقوله لان من يشاء مبهم ان مفهوم من يشاء مع قطع النظر من تعلقه المفعول المحذوف مبهم يتناول الموسع له والمضيق عليه فانه كما تعلق به المشيئة كما يصدق على من تعلق المشيئة بالتوسيع له يصدق ايضا على من تعلقت بالتضييق عليه فيكون الضمير الراجع اليهما فيختلف الموسع له والمضيق عليه ذاتا مع رجوع الضمير الى من يشاء كما اذا قيل يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فانه اذا قيل ويقدر لمن يشاء يشتبه عند احد ان المبسوط له غير المقدور عليه فكذا اذا قيل ويقدر له لانه في قوة ذلك لان من يشاء مبهم بالتوجيه الذي ذكرنا فيكون ضميره ايضا كذلك فصح لابهامه ان يراد به غير الاول ثم انه تعالى لما قال الله يبسط الرزق ذكر اعترافهم بذلك فقال ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء الاية لان تنزيل الماء سبب لوجود الرزق فالاعتراف بانه موجد السبب هو الله تعالى اعتراف بان موجد المسبب ايضا هو الله تعالى فهو اعتراف بان الرزق هو الله تعالى قوله على ما عصمك من هذه الضلالة وهي ضلالة المناقضة بين اعترافهم بانه موجد الكائنات باسرها اصولها وفروعها هو الله عز وجل وبين اشراكهم به تعالى ما لا يقدر على شيء قوله او على تصديقك من اضافة المصدر الى مفعوله اي وعلى تصديق الله تعالى اياك بحملهم على الاعتراف بما هو حجة عليهم المستلزم لتكذيبك اياهم قوله فيتناقضون معنى انه كلمة بل للاضراب عن الاول والاخذ فيما هو اهم فانه تعالى ذكر اولا انهم اقروا بما يدل على التوحيد وينافي سلوكهم طريق الشرك ثم انتقل الى ما هو اهم وهو بيان انهم مسلوبوا العقول فلا يبعد منهم هذه الجهالة والمناقضة فهو اضراب عن اظهار جهلهم الخاص الى بيان ان شأنهم الجهل مطلقا فعلى هذا يكون قوله قل الحمد لله اعتراضا بين المنتقل عنه والمنتقل اليه وعلى الثاني يكون

اصلها عدم الحياة والحياة فيها عارضة سريعة الزوال فاذا ركبوا في الفلك
متصل بما دل عليه شرح حالهم اى هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر
دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من خلص دينه من المؤمنين
حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم انه لا يكشف الشدايد الا هو فلما
نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاجؤا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم
اللام فيه لام كى اى يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة وليتمتعوا
باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادّهم عليها او لام الامر على التهديد ويؤيده
قراءة ابن كثير وحمزة والكسائى وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون فسوف
يعلمون عاقبة ذلك حين يعاقبون اولم يروا يعنى اهل مكة انا جعلنا حرما
آمنا اى جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدى آمنا اهله عن القتل والسبى
ويتخطف الناس من حولهم يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في
تغاور وتناهب افبالباطل يؤمنون ابعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها
مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم او الشيطان يؤمنون وبنعمة الله يكفرون
حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص على طريق
المبالغة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان له شريكا وكذب
بالحق لما جاءه يعنى الرسول او الكتاب وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا
ولم يتاملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه اليس
في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم كقوله الستم خير من ركب المطايا
اى الا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق
مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اى الم يعلموا ان في جهنم مثوى للكافرين
حتى اجترؤا هذه الجراءة والذين جاهدوا فينا في حقنا فاطلاق المجاهدة
ليعم جهاد الاعادى الظاهرة والباطنة بانواعه لنهدينهم سبلنا سبل
السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا

جملة الاضراب من تتمة قوله الحمد لله ومعنى الاضراب انهم لم يتفطنوا لتلك الحجة الظاهرة فالاولى ان لا يتفطنوا الى الكلام حمدته الله تعالى عند اعترافهم بتلك
شيخ زاده

لسلوكها لقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وفى الحديث من عمل بما علم ورثه
الله علم ما لم يعلم وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ بالنصر والاعانة قال عليه السلام من
قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله الآية وهى ستون او تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم
او فى ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ من
اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالحلب سَيَغْلِبُونَ فِي
بِضْعِ سِنِينَ فيما روى ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى
وقيل بالجزيرة وهى ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة
ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن
وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت فقال
لهم ابو بكر رضى الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع
سنين فقال له ابى بن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على
عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزده فى الخطر وماده
فى الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابى من جرح رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد قفوله من احد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية
فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة ابى وجاء به الى رسول الله فقال تصدق به واستدل
به الحنفية على جواز العقود الفاسدة فى دار الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم القمار
والآية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون
بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم وفى
السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا يكون

اضافة الغلب الى الفاعل لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ من قبل كونهم غالبين وهو
وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اى له
الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شئ منهما الا بقضائه وقرئ من قبلٍ ومن
بعدٍ من غير تقدير مضاف اليه كانه قيل قبلاً وبعداً اى اولاً واخراً وَيَوْمَئِذٍ
ويوم يغلب الروم يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه
من انقلاب التفاول وظهور صدقهم فيما اخبر به المشركون وغلبتهم فى رهانهم
وازدياد يقينهم وثباتهم فى دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم او
بان ولى بعض اعدائهم بعضا حتى تفانوا يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ فينصر هؤلاء تارة
وهؤلاء اخرى وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل
عليهم بنصرهم اخرى وَعْدَ اللَّهِ مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله فى معنى الوعد
لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ لامتناع الكذب عليه وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وعده
ولا صحته وعده لجهلهم وعدم تفكرهم يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ما يشاهدونه
منها والتمتع بزخارفها وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ التى هى غايتها والمقصودة منها هُمْ غَافِلُونَ
لا يخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى ومبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر
الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة
المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون تقرير لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور
ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها
وخصائصها وافعالها واسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها
ولذلك نكر ظاهرا واما باطنها فانها مجاز الى الآخرة ووصلة الى نيلها وانموذج
لاحوالها واشعار بانه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذى يختص بظاهر الدنيا
أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ اولم يحدثوا التفكر فيها او اولم يتفكروا فى امر انفسهم
فانها اقرب اليهم من غيرها ومرآة يتجلى فيها للمستبصر ما يتجلى له فى الممكنات
باسرها ليتحقق له قدرة مبدعها على اعادتها من قدرته على ابدائها مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ

والارض وما بينهما الا بالحق متعلق بقوله او علم محذوف يدل عليه الكلام واجل
مسمى ينتهي عنده ولا يبقى بعده وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم بلقاء جزائه
عند انقضاء قيام الاجل المسمى او قيام الساعة لكافرون جاحدون يحسبون
ان الدنيا ابدية وان الاخرة لا تكون اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم في اقطار الارض ونظرهم الى آثار المدمرين
قبلهم كانوا اشد منهم قوة كعاد وثمود واثاروا الارض وقلبوا وجهها لاستنباط
المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وعمروها وعمروا الارض
اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط
لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم
اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتصرف
في اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤن الى واد لا نفع لها وجاءتهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم ليفعل بهم ما يفعل
الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عملوا
ما ادى الى تدميرهم ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى اي ثم كان عاقبتهم العقوبة
السوأى او الخصلة فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى ان تكون
تلك عاقبتهم وانهم جاؤا بمثل افعالهم والسوأى تانيث الاسوء كالحسنى او مصدر
كالبشرى نعت بها ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن علة او بدل
او عطف بيان للسوأى او خبر كان والسوأى مصدر اساؤا او مفعوله بمعنى ثم
كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا بالآيات
واستهزؤا بها ويجوز ان يكون السوأى صلة الفعل وان كذبوا تابعها والخبر
محذوفا للابهام والتهويل وان تكون ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة
بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون
عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى وان كذبوا على الوجوه المذكورة الله

يبدأ الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم ثم اليه ترجعون للجزاء والعدول الى الخطاب
للمبالغة في المقصود وقرأ ابو بكر وابو عمرو وروح بالياء على الاصل ويوم
تقوم الساعة يبلس المجرمون يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس
اذا سكت وآيس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ بفتح اللام
من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء ممن اشركوهم بالله
شفعاء يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه وكانوا بشركائهم
كافرين يكفرون بآلهتهم حيث يئسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم
وكتب في المصحف شفعوا وعلموا بني اسرائيل بالواو والسوأى بالالف اثباتا
للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون
اي المؤمنون والكافرون لقوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم
في روضة ارض ذات ازهار وانهار يحبرون يسرون سرورا تهللت له وجوههم
واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون
مدخلون لا يغيبون عنه فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله
الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اخبار في معنى الامر
بتنزيه الله تع والثناء عليه في هذه الاوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها
نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه
الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح
لان آثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر
النهار من عشي العين اذا نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد
النعم فيها اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد
في السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس رضي ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون
صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون
صلاة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين

فى اى وقت اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة
وعنه عليه السلام من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون الآية
حين تمسون الى قوله تخرجون ادرك ما فاته فى ليلته ومن قال حين يمسى
ادرك ما فاته فى ليلته ومن قال حين يصبح ادرك ما فاته فى يومه وقرئ حينا
تمسون وحينا تصبحون اى تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحى من الميت
كالانسان من النطفة والطاير من البيضة ويخرج الميت من الحى النطفة
والبيضة او يعقب الحياة الموت وبالعكس ويحيى الارض بالنبات بعد
موتها بيبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم فانه
ايضا يعقب الحياة الموت وقرأ حمزة والكسائى بفتح التاء ومن اياته ان خلقكم
من تراب اى فى اصل الانسان لانه خلق اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون
ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين فى الارض ومن اياته ان خلق لكم
من انفسكم ازواجا لان خلق حوا من ضلع ادم وسائر النساء خلقن من نطف
الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس آخر لتسكنوا اليها لتميلوا اليها
وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر وجعل
بينكم اى بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس مودة ورحمة بواسطة
الزواج حال الشبق وغيرها بخلاف ساير الحيوانات نظما لامر المعاش او
ان كان خطاب بينكم للرجال والنساء
لان تعيش الانسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التوادد
والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد لقوله ورحمة منا ان
فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيعلمون ما فى ذلك من الحكم ومن اياته
خلق السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم بان علم كل صنف لغته
او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانك لا تكاد تسمع
منطقين
مستويين فى الكيفية والوانكم بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء
وهيآتها والوانها وحلاها بحيث يقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين

مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء
من ذلك لا محالة إنّ في ذلك لآياتٍ للعالِمين لا تكاد تخفى على عاقل من ملك او
انس او جن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون ومن
آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله منامكم في الزمانين
لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او
منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين
بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما صالح للآخر عند الحاجة
ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يسمعون سماع تفهم
واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة ومن آياته يريكم البرق مقدر بان كقوله
الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي او الفعل
منزلة المصدر كقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره
آية يريكم بها البرق كقوله وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى اطلب
العيش اكدح خوفاً من الصاعقة وللمسافر وطمعاً في الغيث وللمقيم ونصبهما
على العلة لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم او له على تقدير
نحو ارادة خوف وطمع او تاويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته
رغما للشيطان او على الحال مثل كلمته شفاها وينزّل من السماء ماءً وقرئ
بالتشديد فيحيي به الأرضَ بالنبات بعد موتها يبسها إنّ في ذلك لآياتٍ
لقومٍ يعقلون يستعملون عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية تكونها
ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته ومن آياته أن تقوم السماءُ والأرضُ
بأمره قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما في حيزهما المعينين من غير مقيم
محسوس والتعبير بالامر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة ثمّ إذا
دعاكم دعوةً من الأرض إذا أنتم تخرجون عطف على ان تقوم على
تاويل مفرد كانه قيل ومن آياته قيام السموات والارض بامره ثم خروجكم من القبور

قوله على تاويل مفرد فان قلت نص علماء النحو على جواز عطف الجملة على المفرد فيما له محل من الاعراب فلا حاجة الى التاويل قلت الحاجة انما نشأ من عطفه على المبتدأ فان المبتدأ لا يكون الا اسما مفردا او ما هو في تاويله سعدي

اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول ايها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول
ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعى
المطاع على دعائه وثم اما لتراخى زمانه او لعظم ما فيه من الارض متعلق بدعا
كقوله دعوته من سفل الوادى فطلع الىّ لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما
قبله واذا الثانية للمفاجاة ولذلك ناب مناب الفا فى جواب الاولى وله من
فى السموات والارض كل له قانتون منقادون لفعله فهم لا يمتنعون عليه
وهو الذى يبدا الخلق ثم يعيده بعد هلاكهم وهو اهون عليه والاعادة
اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما عليه
سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون
او لان الاعادة بمعنى ان يعيد وله المثل الاعلى الوصف العجيب الشان كالقدرة العامة
والحكمة التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية
الاعلى الذى ليس لغيره ما يساويه او يدانيه فى السموات والارض يصفه به
ما فيهما دلالة ونطقا وهو العزيز القادر الذى لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته الحكيم
الذى يجرى الافعال على مقتضى حكمته ضرب لكم مثلا من انفسكم منتزعا
من احوالها التى هى اقرب الامور اليكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من مماليككم من
شركاء فيما رزقناكم من الاموال وغيرها فانتم فيه سواء فتكونون انتم
وهم فيه شرعا يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة
لكم ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام
الجارى مجرى النفى تخافونهم ان يستبدوا بتصرف فيه كخيفتكم انفسكم
كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض كذلك مثل ذلك التفصيل نفصل الايات
نبينها فان التمثيل مما يكشف المعانى ويوضحها لقوم يعقلون يستعملون
عقولهم فى تدبر الامثال بل اتبع الذين ظلموا بالاشراك اهواءهم بغير علم جاهلين
لا يكفهم شىء فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه فمن يهدى من اضل

قوله فطر الناس عليها فان قلت فما جاء في الخبر الصحيح ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا قلت لعل معناه انه قُدّر اوكتب في بطن امه انه لو نشأ تربص كافرا باضلال شياطين الانس والجن فلا مخالفة قوله لا يقدر احد ان يغيره بان يجعل طفلا في اول امره خبيث الفطرة غير قابل للحق وغير متمكن عن ادراكه قوله او الفطرة فتذكير الاشارة باعتبار ذكر الخبر

الله فمن يقدر على هدايته وما لهم من ناصرين يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن آفاتها فاقم وجهك للدين حنيفا فقومه له غير ملتفت او ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به فطرة الله خلقته نصب على الاغراء او المصدر لما دل عليه ما بعدها التي فطر الناس عليها التي خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وقيل العهد الماخوذ من آدم وذريته لا تبديل لخلق الله لا يقدر احد ان يغيره ذلك اشارة الى الدين المامور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم منيبين اليه راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في فاقم لان الاية خطاب للرسول والامة لقوله واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين غير انها صدرت بخطاب الرسول تعظيما له من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به وكانوا شيعا فرقا تشايع كل امامها الذي اضل دينها كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا واذا مس الناس ضر شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين اليه من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجأ فريق منهم الاشراك بربهم الذي عافاهم ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد كقوله فتمتعوا غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ وليتمتعوا بالياء على ان تمتعوا ماض ام انزلنا عليهم سلطانا حجة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو

يتكلم تكلم دلالة كقوله كتابنا ينطق عليكم بالحق ونطق بما كانوا به يشركون
باشراكهم وصحته او بالامر الذي بسببه يشركون في الوهيته واذا اذقنا الناس
رحمة نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها وان تصبهم سيئة شدة
بما قدمت ايديهم بشوم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجأوا القنوط من رحمته
وقرأ ابو عمرو والكسائي بكسر النون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين ان في
ذلك لايات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فات
ذا القربى حقه كصلة الرحم واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو
غير مشعر به والمسكين وابن السبيل ما وظف لهما من الزكاة والخطاب
للنبي عم او لمن بسط له ولذلك رتب على ما قبله بالفاء ذلك خير للذين يريدون
وجه الله ذاته او جهته اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة التقرب
الى الله لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم
المقيم وما اتيتم من ربا زيادة محرمة في المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد
مكافاة وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربا ليربوا في
اموال الناس ليزيد ويزكوا في اموالهم فلا يربوا عند الله فلا يزكو عند
ولا يبارك فيه وقرأ نافع ويعقوب لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذوي ربا
وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله تبتغون به وجهه خالصا فاولئك
هم المضعفون ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذوي
القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم ببركة الزكاة وقرئ بفتح
العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم
كانه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كانه قال فمن فعل ذلك
فاولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره
المضعفون به او فمؤتوه اولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم

ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له
له لوازم الالوهية ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها
مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج
من ذلك تقدسه عن ان يكون له شركاء فقال سبحانه وتعالى عما يشركون
ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم
لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة
بالتاكيد لتعجيز الشركاء وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ظهر الفساد في البر والبحر
كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة
المضار والضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرى والبحور بما
كسبت ايدي الناس بشوم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد في
البر بقتل قابيل اخاه وفي البحر بان جلندى كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم
بعض الذي عملوا بعض جزائه فان تمامه في الاخرة واللام للعلة او للعاقبة وعن
ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما هم عليه قل سيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا مصداق
ذلك وتحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين استيناف للدلالة على ان
سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك في اكثرهم
ولما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم البليغ
الاستقامة من قبل ان ياتي يوم لا مرد له لا يقدر ان يرده احد وقوله
من الله يتعلق بياتي ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده
الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون يتصدعون اى يتفرقون
فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال من كفر فعليه كفره اى وباله وهو
النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون منزلا في
الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين

آمنوا وعملوا الصالحات من فضله علة ليهدون او ليصدعون والاقتصار
على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله
انه لا يحب الكافرين فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتاكيد
اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له وقوله
من فضله دال على ان الاثابة تفضل محض وتاويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول
عن الظاهر ومن آياته ان يرسل الرياح الشمال والصبا والجنوب فانها
رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عم اللهم اجعلها رياحا
وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر
وليذيقكم من رحمته يعني المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول
المطر المسبب عنها او الروح الذي هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل
عليها مبشرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه
ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله يعني تجارة البحر ولعلكم تشكرون
ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم
بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير وكان حقا علينا نصر
المؤمنين اشعار بان الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين
على الله ان ينصرهم وعنه عم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا
على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على انه متعلق
بالانتقام الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة
في السماء في سمتها كيف يشاء سائرا او واقفا مطبقا وغير مطبق من جانب
دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى وقرأ ابن عامر بالسكون
على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من
خلاله في التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده يعني بلادهم واراضيهم
اذا هم يستبشرون بمجيء الخصب وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من

قبله تكرير للتاكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم وقيل
الضمير للمطر او السحاب او الارسال لمبلسين لآيسين فانظر الى آثار رحمة
الله اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة
والكسائي وحفص كيف يحيي الارض بعد موتها وقرئ بالتاء على اسناده
الى ضمير الرحمة ان ذلك يعني الذي قدر على احياء الارض بعد موتها لمحيي
الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا
ومن المحتمل ان يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من مواد ما تفتت وتبدد
من جنسها في بعض الاعوام السالفة وهو على كل شيء قدير لان نسبة قدرته
الى جميع الممكنات على السواء ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا فرأوا الاثر او
الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر
واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده يكفرون
جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآيات ناعية على
الكفار بقلة تدبرهم وعدم تثبتهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء
رأيهم فان النظر السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله ويلتجئوا اليه بالاستغفار
اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته وان يبادروا الى الشكر والاستدامة
بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا بالاستبشار وان يصبروا على بلائهم
اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه فانك لا تسمع الموتى وهم
مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين
قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام
تفطن منه بواسطة الحركات شيئا وقرأ ابن كثير بالياء مفتوحة ورفع الصم
وما انت بهاد العمي عن ضلالتهم سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقي
من الابصار او لعمي قلوبهم وقرأ حمزة وحده تهدي العمي ان تسمع الا من يؤمن
بآياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن

المشارف للايمان فهم مسلمون لما تامرهم به الله الذي خلقكم من ضعف
اي ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم لقوله خلق الانسان ضعيفا
او خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة
وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا
وشيبة اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد في جميعها والضم اقوى
لقول ابن عمر قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني
من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتأخر ليس
عين المتقدم يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشيبة وهو العليم القدير
فان الترديد في الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل على العلم والقدرة
ويوم تقوم الساعة القيامة سميت بها لانها تقوم في اخر ساعة من ساعات
الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة يقسم
المجرمون ما لبثوا في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع
عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات
والايام والاعوام غير ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم في
الاخرة او نسيانا كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا يؤفكون
يصرفون في الدنيا وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة والانس
لقد لبثتم في كتاب الله في علمه او قضائه او ما كتبه لكم اي اوجبه او اللوح
او القران وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه
وحلفوا عليه فهذا يوم البعث الذي انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه
حق لتفريطكم في النظر والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين
البعث فهذا يومه اي فقد تبين بطلان انكاركم فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا
معذرتهم وقرأ الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر ولان تأنيثها
غير حقيقي وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم

الى ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني
فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من
كل مثل ولقد وصفناهم فيه بانواع الصفات التي هي في الغرابة كالامثال مثل صفة
المبعوثين يوم القيمة فيما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع
بالمعذرة والاستعتاب او بينا لهم من كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث
وصدق الرسول ولئن جئتهم باية من ايات القرآن ليقولن الذين كفروا
من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم ان انتم يعنون الرسول والمؤمنين الا
مبطلون مزورون كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين
لا يعلمون لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها فان الجهل
المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على اذاهم ان وعد الله
بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك
ولا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم
شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ
ولا يستحقنك اي لا يزيغونك فيكونوا احق بك من المؤمنين عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له عشر حسنات بعدد كل ملك
يسبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

سورة لقمان مكية وقيل الا الاية وهي الذين يقيمون الصلاة ويؤتون
الزكاة فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف لانه لا ينافي شرعيتهما
بمكة وقيل الا ثلاثا من قوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وهي
اربع او ثلاث وثلاثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك ايات الكتاب الحكيم سبق بيانه في يونس هدى ورحمة للمحسنين
حالان عن الايات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد
الخبر او الخبر لمحذوف الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالاخرة

هم يوقنون بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلاثة من شعبه لفضل
اعتداد بها وتكرير الضمير للتأكيد ولما حيل بينه وبين خبره اولئك على
هدى من ربهم واولئك هم المفلحون لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل
الصالح ومن الناس من يشتري لهو الحديث ما يلهي عما يعني كالاحاديث
التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتبار فيها والمضاحك وفضول الكلام
والاضافة بمعنى من وهي تبيينية ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضية ان
اراد به الاعم منه وقيل نزلت في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان
يحدث بها قريشا وقال ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم
بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القينات ويحملهن على
معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله دينه او قراءة
كتابه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه بغير
علم بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن ويتخذها
هزوا ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائي ويعقوب وحفص عطفا
على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق باستيثار الباطل عليه
واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا متكبرا لا يعبأ بها كأن لم يسمعها مشابها
حاله حال من لم يسمعها كأن في اذنيه وقرا مشابها من في اذنيه ثقل لا
يقدر ان يسمع والاولى حال من المستكن في ولى او في مستكبرا والثانية بدل
منها او حال من المستكن في لم يسمعها ويجوز ان يكونا استئنافين فبشره
بعذاب اليم اعلمه بان العذاب يحيقه لا محالة وقرأ نافع في اذنيه وذكر البشارة
على التهكم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم لهم نعيم جنات
فعكس للمبالغة خالدين فيها حال من الضمير في لهم او من جنات النعيم والعامل
ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني
لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء

فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده الحكيم الذي لا يفعل الا ما تستدعيه حكمته
خلق السموات بغير عمد ترونها قد سبق في الرعد والقى في الارض رواسي
جبالا شوامخ ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم فان بساطة اجزائها تقتضي تبدل
احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء من لوازمه بحيز
ووضع معينين وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا
فيها من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنفعة وكأنه استدل بذلك على عزته
التي هي كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله هذا خلق الله فاروني
ماذا خلق الذين من دونه هذا الذي ذكر مخلوقه فماذا خلقت آلهتكم حتى استحقوا
مشاركته وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني معلق
عنه بل الظالمون في ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال
الذي لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون
باشراكهم ولقد اتينا لقمان الحكمة يعني لقمان بن باعوراء من اولاد آزر ابن
اخت ايوب او خالته وعاش حتى ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه
والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس
الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة
على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله
عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله
وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يد غيري وانه امر بان يذبح
شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امر بان يأتي
باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا
واخبث شيء اذا خبثا ان اشكر لله لان اشكر او اي اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى
القول ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة
واستحقاق مزيدها ومن كفر فان الله غني لا يحتاج الى الشكر حميد حقيق

قوله يابني تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير يا بنيْ لا تشرك بالله باسكان اليآء وقنبل يا بنيْ
اقم الصلاة باسكان اليآء وقنبل يا بني اقم الصلاة باسكان اليآء وحفص فيهما
وفي يا بني انها ان تك بفتح اليآء والبزي مثله في الاخير وقرأ الباقون في الثلثة بكسر اليآء
كتبت هذه النسخة لكونها غير موجودة في نسخة مطالعتي وكانت موجودة في اكثر
النسخ وتوضيحها ان قوله تعالى يا بني مذكور في القرآن في ستة مواضع يا بني اركب معنا
في هود يا بني لا تقصص في يوسف يا بني لا تشرك يا بني انها يا بني اقم في لقمان
يا بني اني ارى في الصافات فقرأ حفص بفتح اليآء في المواضع الستة وقرأ شعبة
بفتح الاول وكسر الخمسة الباقية وقرأ البزي باسكان اول لقمان وفتح اخر لقمان
وكسر الاربعة الباقية وقرأ قنبل باسكان اول لقمان واخرها وكسر الاربعة الباقية
وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي بكسر اليآء مشددة في الجميع قوله
تفسير لوصينا لان التوصية في معنى القول الا ان الموصى به هو بر الوالدين والنظم
ان تفسير التوصية ببرهما بالترغيب في شكرهما بان يقال اشكر لوالديك لكونهما
سببا ظاهرا لوجودك وتربيتك لانه تعالى لما كان سببا حقيقيا لوجود الكائنات
وتربيتها وكان شكر الوالدين والاعتراف بحقهما عليه من حيث ان نعمة الله عليه ظهرت
من جهتهما كانت التوصية ببر الوالدين في الحقيقة عبارة عن الحث على شكره تعالى
بالتوحيد والعبادة له وشكر الوالدين ببرهما بمقابلة احسانهما اليه فلذلك فسرت
التوصية ببر الوالدين بقوله ان اشكر لي ولوالديك قوله اراد بنفي العلم نفيه
والمعنى على ان تشرك بي ما ليس بشيء عبر عن هذا المعنى بنفي العلم به لان العلم
بوجود الشيء لازم لوجوده في نفسه من حيث ان ما لا يكون موجودا لا يعلم بكونه
موجودا فعبر بنفي اللازم عن نفي الملزوم ولم يرض المصنف به لان علم المخلوق بوجود الشيء
ليس بلازم لوجوده في نفسه بل اللازم له هو العلم الفعلي شيخ زاده

بالجحود ان لم يحمدوا ومحمود نطق بحمده جميع مخلوق فانه بلسان الحال وإذ قال
لقمان لابنه انعم او اشكر او ماثان وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق وقرأ ابن
كثير يا بني لا تشرك بالله باسكان اليآء وحفص فيهما وفي يا بني انها ان تك
بفتح اليآء ومثله البزي في الاخير وقرأ الباقون في الثلاثة بكسر اليآء لا
تشرك بالله قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل
بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا
نعمة منه ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا ذات وهن او تهن وهنا
على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتزايد ضعفها والجملة
في موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا
وفصاله في عامين وفطامه في انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة
وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان ان اشكر لي ولوالديك
تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال
في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ومن ثم قال عم لمن قال
له من ابر امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي المصير فاحاسبك على شكرك
وكفرك وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم باستحقاقه الا
تقليدا لهما وقيل اراد بنفي العلم به نفيه فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في
الدنيا معروفا صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم واتبع
في الدين سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي
مرجعكم مرجعك ومرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازيك على
ايمانك واجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان
تأكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كانه قال وقد وصينا بمثل ما وصى به
وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلوا الباري في استحقاق التعظيم
والطاعة لا يجوز ان يستحقا في الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما في

سعد بن ابی وقاص مکثت لاسلامه ثلاثا لم تطعم فیها شیئا ولذلك قیل من
اناب الیه ابو بکر فانه اسلم بدعوته یا بنی انها ان تك مثقال حبة من خردل
ای ان الخصلة من الاساءة او من الاحسان ان تك مثلا فی الصغر کحبة الخردل
ورفع نافع مثقال علی ان الهاء ضمیر القصة وکان تامة وتانیثها لاضافة
المثقال الی الحبة کقول الشاعر کما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد
به الحسنة والسیئة فتکن فی صخرة او فی السموات او فی الارض فی اخفی
مکان واحرزه کجوف صخرة او اعلاه کمحدب السموات او اسفله کمقعر
الارض وقری بکسر الکاف من وکن الطائر اذا استقر فی وکنته یات بها الله
یحضرها فیحاسب علیها ان الله لطیف یصل علمه الی کل خفی خبیر عالم
بکنهه یا بنی اقم الصلاة تکمیلا لنفسك وامر بالمعروف وانه عن المنکر
من الشدائد سیما فی ذلك ان ذلك الاشارة الی الصبر او الی کل ما امر به من
عزم الامور مما عزمه الله من الامور ای قطعه قطع ایجاب مصدر اطلق
للمفعول ویجوز ان یکون بمعنی الفاعل من قوله فاذا عزم الامر ای جد ولا تصعر
خدك للناس لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك کما یفعله المتکبرون من
الصعر وهو الصید داء یعتری البعیر فیلوی عنقه وقرا نافع وابو عمرو وحمزة والکسائی
ولا تصاعر وقری ولا تصعر والکل واحد مثل علاه واعلاه وعالاه ولا تمش
فی الارض مرحا ای فرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح
وهو البطر ان الله لا یحب کل مختال فخور علة للنهی وتاخیر الفخور وهو مقابل
للمصعر خده والمختال للماشی مرحا لیوافق رؤس الآی واقصد فی مشیك
توسط فیه بین الدبیب والاسراع وعنه علیه السلام سرعة المشی تذهب بهاء المؤمن
وقول عائشة کان اذا مشی اسرع فالمراد ما فوق دبیب المتماوت وقری بقطع
الهمزة من اقصد الرامی اذا سدد سهمه نحو الرمیة واغضض من صوتك
واقصر منه او انقص ان انکر الاصوات اوحشها لصوت الحمیر والحمار

قوله کجوف صخرة واعلاها او اسفلها اشارة الی دفع ما یقال من ان الصخرة لا بد وان تکون
فی السموات او فی الارض فما یکون فی الصخرة لا بد وان یکون فی احدهما لا محالة فما وجه
عطفهما علیها بکلمة او وتقریر الجواب ان المراد بالصخرة ما یکون علی وجه الارض وما
فی السموات ما یکون فی محدبها وما فی الارض ما یکون فی مقعرها فیتحقق الانفصال
وقیل هذه الصخرة لیست فی السموات ولا فی الارض بل هی تحت سبع ارضین علیها
ملك قائم وقیل علیها الثور وقیل خلق الله تعالی فی قوله تعالی ن والقلم
وما یسطرون والحوت فی الماء والماء علی ظهر صفاة والصفاة علی ظهر ملك
والملك علی صخرة وهی الصخرة التی ذکرها لقمان لیست فی السموات ولا فی الارض
والصخرة علی الریح ثم انه لما نهی ابنه عن الشرك وخوفه بعلم الله تعالی وقدرته امره
بما یتفرع علی الایمان بالله وحده وابتدأ بالامر باقام الصلاة وعلم منه ان الصلاة
کانت فی سائر الملل غیر انه هیئاتها اختلفت قوله مصدر اطلق للمفعول فیکون
العزم بمعنی المعزوم ای المقطوع الذی قطعه الله تعالی واوجبه ثم اضیف الی الامور
اضافة بمعنی من التبعیضیة ای المقطوع من الامور وان جعل العزم بمعنی العازم
ای الموجب القاطع یکون اسناد العزم الی الامر مع ان العازم هو الشارع لا الامر
المشروع للمبالغة فی وجوبه ولا اشتغاله لکونه متضمنا الحکم والمصالح الجمة
کانه اوجب نفسه وذکر لانتصاب مرحا ثلاثة اوجه الاول انه مصدر وقع موقع الحال
ای لا تمش مرحا فرحا والثانی انه مفعول مطلق لفعله المحذوف ای لا تمش تمرح مرحا
والجملة حال من فاعل تمش والثالث انه مفعول له والمعنی لا یکن غرضك فی المشی البطالة
والفرح کما یمشی کثیر من الناس لذلك لا لکفایة مهم دینی او دنیاوی کقول عمر رضی الله عنه
لا ارینك فارغا سبهللا لا فی امر دنیا ولا فی امر آخرة ویشهد بصحة هذا التوجیه قوله
ولا تکونوا کالذین خرجوا من دیارهم بطرا ورئاء الناس ای لرؤیة الناس ایاهم سعدی

مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفي تمثيل
الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد
الصوت لان المراد تفضيل الجنس في النكير دون الاحاد ولانه مصدر في الاصل
الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم
وما في الارض بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او بغير وسط واسبغ عليكم
نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر
شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار في كل سين
اجتمع مع الغين او الخاء او القاف كصلخ وسقر وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه
بالجمع والاضافة ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد
من دليل ولا هدى راجع الى الرسول ولا كتاب منير انزله الله بل بالتقليد كما قال
واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا وهو منع
صريح من التقليد في الاصول اولو كان الشيطان يدعوهم يحتمل ان يكون
الضمير لهم ولابائهم الى عذاب السعير الى ما يؤول اليه من التقليد او الاشراك
وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجب ومن يسلم وجهه
الى الله بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمت المتاع الى الزبون
ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدى باللام فلتضمن معنى الاخلاص وهو
محسن في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل
للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى
الحبل المتدلي منه والى الله عاقبة الامور اذ الكل صائر اليه ومن كفر فلا
يحزنك كفره فانه لا يضرك في الدنيا والاخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن وليس
بمستفيض الينا مرجعهم في الدارين فننبئهم بما عملوا بالاهلاك والتعذيب
ان الله عليم بذات الصدور فمجاز عليه فضلا عما في الظاهر نمتعهم قليلا
تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم

٥٢٨

تا به صنا

ونعم الله تعالى وان كانت لا تحصى انواعها لكنها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان
موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه
من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات
العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق
والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول
الجاه والمال والثاني ان يعفو عما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين مع الملائكة
ابد الابدين هذا ما ذكره المصنف في سورة الفاتحة واسباغ النعم توسيعها واتمامها
يقال اسبغنا النعمة سبوغا اذا تمت روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة
فقال يا ابن عباس اما ما ظهر فالاسلام وما سوى الله من خلقك وما افضل
عليك من الرزق واما ما بطن فستره مساوي عملك ولم يفضحك بها يا ابن عباس
ان الله تعالى يقول ثلثة جعلتهن للمؤمن ولم تكن له صلاة المؤمنين عليه من بعد
انقطاع عمله وجعلت له ثلث ماله اكفر به عنه خطاياه والثالث سترت عليه
مساوي عمله فلم افضحه بشيء منه ولو ابديتها عليه لنبذه اهله فمن سواهم وقيل
الظاهرة شهادة ان لا اله الا الله باللسان والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة
وقيل الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته قوله وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه
بفتح العين على انه جمع نعمة مضافا الى هاء الضمير فقوله ظاهرة حال منها وقرأ الباقون
نعمة بسكون العين وتنوين تاء التأنيث على انه اسم جنس في معنى الجمع كقوله تعالى وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها فقوله ظاهرة نعت لها ثم انه تعالى لما بين ما انعم
على عباده واسبغ عليهم نعمه ظاهرة ذكر بعده ان منهم من يجادل في توحيده واخلاص
طاعته فقال ومن الناس من يجادل في الله بغير علم قيل نزلت في النضر بن الحارث
وابي بن خلف واشباههم الذين كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في وحدانيته
تعالى وصفاته من غير علم مستفاد من دليل العقل ومن غير هداية حاصلة من قبل
صاحب الوحي ومن غير كتاب منزل من رب العالمين ثم اذا قيل لهؤلاء المجادلين الذين
لا مستمسك لهم اصلا هلموا الى الكتاب الله تعالى واتبعوه تهتدوا اعرضوا عن كلام الله
تعالى وقالوا بل نتبع كلام اباءنا ومن المعلوم ان بين كلام الله تعالى وكلام العقلاء
بون عظيم فكيف ما بين كلام الله تعالى وكلام الجهال قوله من التقليد

إلى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الأجرام الغلاظ أو يضم إلى الإحراق الضغط
ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله لوضوح الدليل المانع
من إسناد الخلق إلى غيره بحيث اضطروا إلى إذعانه قل الحمد لله على إلزامهم
وإلجائهم إلى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم بل أكثرهم لا يعلمون أن
ذلك يلزمهم لله ما في السموات والأرض لا يستحق العبادة فيهما غيره إن الله
هو الغني عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد وإن لم يحمد ولو أن ما في الأرض
من شجرة أقلام ولو ثبت كون الأشجار أقلاما وتوحيد شجرة لأن المراد تفصيل
الآحاد والبحر يمده من بعده سبعة أبحر والبحر المحيط بسعته مداد ممدود
بسبعة أبحر فأغنى عن ذكر المداد بيمده لأنه من مد الدواة وأمدها ورفعه للعطف
على محل أن ومعمولها ويمده حال أو للابتداء على أنه مستأنف والواو للحال
ونصبه البصريان بالعطف على اسم أن أو إضمار فعل يفسره يمده وقرئ تمده
ويمده بالتاء والياء ما نفدت كلمات الله بكتبها بتلك الأقلام بذلك المداد
وإيثار جمع القلة للإشعار بأن ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير إن الله عزيز
لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته أمر والآية جواب لليهود سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمروا وفد قريش أن يسألوه عن قوله وما
أوتيتم من العلم إلا قليلا وقد أنزل التوراة وفيها علم كل شيء ما خلقكم ولا
بعثكم إلا كنفس واحدة إلا كخلقها وبعثها إذ لا يشغله شأن عن شأن لأنه يكفي
لوجود الكل تعلق إرادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال إنما أمرنا لشيء إذا أردناه
أن نقول له كن فيكون إن الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر
لا يشغله إدراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق ألم تر أن الله يولج الليل في
النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري كل من النيرين
يجري في فلكه إلى أجل مسمى إلى منتهى معلوم الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى
آخر الشهر وقيل إلى يوم القيمة والفرق بينه وبين قوله لأجل مسمى أن الأجل

قوله ممدود بسبعة أبحر بأن تكون سبعة أبحر مدادا للبحر المحيط الذي فرض كونه بسعته
مدادا فقوله يمده معناه يصير مدادا له يزيده وينصب فيه من بعده أي من خلفه
والمقصود كما يتوقف على أن يفرض كون أشجار الأرض أقلاما يتوقف أيضا على أن يفرض
كون البحر المحيط الممدود بسبعة أبحر مدادا فعلى هذا كان النظم أن يقال والبحر مداد يمده
من خلفه سبعة أبحر لكن لم يذكر المداد واكتفى بذكر ما يدل عليه وهو قوله يمده
فإنه من مد الدواة وأمدها إذا أصب فيها المداد فيكون البحر الأعظم بمنزلة الدواة
والأبحر التي خلفه بمنزلة المداد له وفي الآية اختصار يسمى حذفا إيجازيا لدلالة السياق
على المحذوف وتقدير الكلام ولو أن أشجار الأرض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر
وكتبت بتلك الأقلام وبتلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الأقلام
والمداد ونظير هذه الآية في اشتمالها على إيجاز الحذف قوله تعالى أو به أذى من
رأسه ففدية أي فحلق رأسه لدفع ما به من الأذى ففدية قال الإمام قوله سبعة
أبحر ليس لحصر الأبحر في سبعة بل المراد الإشارة إلى كثرة العدد ولو كان ألف بحر و
خصت السبعة بالذكر من بين سائر أسماء الأعداد لكونها عددا يحصر كثرة المعدودات
ألا يرى أن كل أحد لا يخرج عن زمان ومكان والزمان منحصر في سبعة أيام والمكان
منحصر في سبعة أقاليم وأن الكواكب السيارة سبعة وكانت السموات سبعا والأرضون
سبعا وأبواب جهنم سبعا وكانت أبواب الجنة ثمانية لأنها الحسنى وزيادة فالزيادة
هي الثامن ولما كانت السبعة عددا يحصر معظم الموجودات وعظمها الكثرة
عبر عنها عن مجرد الكثرة من غير اعتبار انحصار المعدود في مرتبة حتى أن العرب يجعلون
السبعة نهاية العدد ويزيدون عند الثامن واوا ويقول القراء لها واو الثمانية
ويزعمون أن العدد تم بالسبعة وأن الواو المذكور بعدها للاستئناف والمراد
بالكلمات عند المفسرين معلومات الله تعالى ولما كانت معلوماته لا يتناهى كانت الكلمات
التي يعبر بها عنه لا تتناهى أيضا قوله ورفعه للعطف يعني أن قوله تعالى والبحر يمده
قرأه أبو عمرو ويعقوب بالنصب والباقون بالرفع وفي الرفع وجهان الأول كونه معطوفا
على محل أن ومعمولها فإن أن مع اسمها وخبرها في محل الرفع على أنه فاعل فعل مقدر
يقتضيه ويدل عليه كلمة لو فيجوز أن يرفع البحر أيضا بالعطف عليه وقوله يمده جملة
حالية من البحر وتقدير الكلام ولو ثبت كون الأشجار أقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة
والثاني أن يكون البحر مبتدأ ويمده الخبر والنظم أن الواو حالية والمعنى ولو أن الأشجار أقلام

ههنا منتهى الجرى وثمة غرضه حقيقة او مجاز وكلا المعنيين حاصل فى الغاية
وان الله بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك اشارة الى الذى ذكر من سعة العلم
وشمول القدرة وعجايب الصنع واختصاص البارى بها بان الله هو الحق بسبب انه
الثابت فى ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته وان ما يدعون من دونه
الباطل المعدوم فى حد ذاته لا يوجد ولا يتصف الا بجعله او الباطل الالهية
وقرأ البصريان والكوفيون غير ابى بكر بالياء وان الله هو العلى الكبير مترفع
عن كل شئ ومتسلط عليه الم تر ان الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله باحسانه
فى تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال الحكمة وشمول انعامه
والباء للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون العين
وقد جوز فى مثله الكسر والفتح والسكون ليريكم من آياته دلائله ان فى ذلك
لآيات لكل صبار على المشاق فيتعب نفسه بالتفكر فى الآفاق والانفس شكور
يعرف النعم ويتعرف مانحها او للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف
شكر واذا غشيهم علاهم وغطاهم موج كالظلل كما يظل من جبل وسحاب
او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين
لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد فلما
نجاهم الى البر فمنهم مقتصد مقيم على الطريق القصد الذى هو التوحيد
او متوسط فى الكفر لانزجاره بعض الانزجار وما يجحد بآياتنا الا كل ختار
غدار فانه نقض للعهد الفطرى ولما كان فى البحر والختر اشد الغدر كفور للنعم
يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده لا يقضى عنه
وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف اى لا يجزى فيه
ولا مولود عطف على والد او مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم
للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزى وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع
اباه الكافر فى الآخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا

قوله مقيم على الطريق القصد اى العدل السوى فقوله تعالى فمنهم مقتصد اى عدل فى الوفاء
فى البر بما عاهد الله عليه فى البحر من التوحيد له فالمعنى فمنهم من ثبت على ايمانه وههنا
مضمر وهو قوله ومنهم من نقض العهد اكتفى عنه بقوله وما يجحد بآياتنا الا كل ختار
كفور والختار والكفور موازن للصبار الشكور لفظا ومقابل له معنى فان الصبار
الشكور يتذكر بما فيه من الآيات حالة الرخاء من غير ان يلجئه اليه شئ من الشدائد والختار
الكفور وان اضطر الى الاعتراف بالحق حال الضرورة الا انه تعالى اذا نجاه الله تعالى
من الغرق وانتهى الى البر ينقض العهد ويعود الى ضلاله القديم روى عن مصعب بن سعد
عن ابيه انه قال لما كان يوم فتح مكة آمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الا اربعة نفر
وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة عكرمة بن ابى جهل وعبد الله
بن خطل ومقيس بن صبابة وعبد الله بن ابى سرح فاما عكرمة فركب البحر فاصابتهم ريح
عاصف فقال اهل السفينة اخلصوا فان آلهتكم لا تغنى عنكم شيئا ههنا فقال
عكرمة لئن لم ينجنى فى البحر الا الاخلاص ان آتى محمدا حتى اضع يدى فى يده فلاجدنه
عفوا كريما فسكنت الرياح فجاء واسلم وحسن اسلامه ثم انه تعالى لما ذكر الدلائل
من اول السورة الى هنا ختم السورة بما يحملهم على التفكر فى تلك الدلائل والاهتداء
بها الى ما يؤديهم الى حسن العاقبة وينجيهم من شدائد يوم القيمة فقال يا ايها الناس
اتقوا ربكم ولا تخالفوا شيئا مما امر به ونهى عنه واكد الامر بتقواه بقوله واخشوا
يوما اى عقاب يوم وقوله لا يجزى والد عن ولده صفة لقوله يوما والعائد محذوف
اى فيه وقوله لا يجزى عن ولده اى لا يقضى عنه شيئا من الحقوق الثابتة عليه
ولا ينفعه بشئ لما كان بعض الاقرباء يتحمل عن البعض الآخر ما يتوجه اليه من المكاره
والشدائد بالوصلة التى كانت بينهم فى الدنيا والمنافع التى كان ينفع بعضهم بعضا
بها فى الدنيا اخبر الله تعالى ان ذلك كله ينقطع فى الآخرة لهول ذلك اليوم واشتغال
كل امرئ بنفسه ولا ينفع احد صاحبه وخاصة ما ذكر من الولد لوالده والوالد
لولده فانهما بينهما من القرابة القريبة تستدعى ان يجتهد كل واحد منهما ويبذل
وسعه وطاقته فى دفع ما يلحق الآخر من المكاره للشفقة والمحبة التى جعلت فيما
بينهم ومع ذلك فقد اخبر الله تعالى انه لا ينفع احدهما صاحبه لاشتغاله بنفسه
كما روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال كل نسب وسبب فهو منقطع الا نسبى
وسببى ونسبه دينه الذى دعانا اليه وعلمناه وسببه شفاعته يوم القيمة

فاضرانّ ذلك كلّه منقطع الا هذين فانّه من تمسّك بدينه فانه يشفع له يوم القيمة
فيما افرط وقصر واما من لم يقبل دينه ولم يجبه الى ما دعاه فانه ليس له شيء من
هذين وقد انقطع عنه باقي الانساب والاسباب ايضا وقال بعضهم هذه الاية في
الكفار واما المؤمنون فينفع الوالد ولده والولد والده في الاخرة يرفع الاب الابن
بفضل عمله وكذلك الولد الى ابيه لقوله تعالى آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب
لكم نفعا قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقد روي في
الاحاديث الشفاعة للاخيار ويجيء ان يشفع للاحباب دون الاقارب والله اعلم
شيخ زاده

تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يرجيكم التوبة
والمغفرة فيجسركم على المعاصي ان الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها
لما روي ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام
الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي ذكر ام انثى
وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه السلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وينزل
الغيث في ابانه المقدر له والمحل المعين له في علمه تع وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
بالتشديد ويعلم ما في الارحام ذكر ام انثى تام ام ناقص وما تدري نفس
ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم على شيء وتفعل خلافه وما تدري
نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت روي ان ملك الموت مر على
سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا فقال
ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني بالهند ففعل فقال الملك
كان دوام نظري تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما
جعل العلم لله والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين
ويدل على انه ان عمل حيلة وانفذ فيها وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه
وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه باية ارض وشبه سيبويه
تانيثها بتانيث كل في كلتهن ان الله عليم يعلم الاشياء كلها خبير يعلم
بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عم من قرأ سورة لقمن كان له لقمان رفيقا
يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ان جعل اسما للسورة او القرآن فمبتدأ خبره تنزيل الكتاب على ان التنزيل
بمعنى المنزل وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر محذوف او مبتدأ خبره
لا ريب فيه فيكون من رب العالمين حالا من الضمير في فيه لان المصدر

قوله لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر
وقد يقال يتسع في الظرف ما لا
يتسع في غيرها سعدي

لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب
او اعتراض والضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله أم يقولون افتراه
فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله بل هو الحق من ربك فانه تقرير
له ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله
من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى ما يقولون فيه
على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب عنه الى اثبات
انه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله فقال لتنذر قوما ما
أتاهم من نذير من قبلك اذ كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك
اياهم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم
استوى على العرش مر بيانه في الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع
ما لكم اذا جاوزتم رضى الله احد ينصركم ويشفع لكم او ما لكم سواه ولي
ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم على ان
الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر أفلا تتذكرون
بمواعظ الله يدبر الامر من السماء الى الارض يدبر امر الدنيا باسباب سماوية
كالملائكة وغيرها نازلة آثارها الى الارض ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه
ويثبت في علمه موجودا في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون في
برهة من الزمان متطاولة يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل
يدبر الامر باظهاره في اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه في زمان كالف سنة
لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة فان ما بين السماء والارض مسيرة
خمسمائة سنة وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف
لالف آخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله يوم القيمة وقيل
يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه
خالصا كما يرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وقرئ

يعرج ويعدون ذلك عالم الغيب والشهادة فيدبر امرهما على وفق الحكمة العزيز
الغالب على امره الرحيم على العباد في تدبيره وفيه ايماء بانه يراعي المصالح تفضلا
واحسانا الذي احسن كل شيء خلقه خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق به على
وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه
من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان وقرا نافع
والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشيء على الاول مخصوص بمنفصل وعلى
الثاني بمتصل وبدا خلق الانسان يعني آدم من طين ثم جعل نسله ذريته
سمي به لانها تنسل منه اي تنفصل من سلالة من ماء مهين ممتهن ثم
سواه قومه بتصوير اعضائه على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه الى
نفسه تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب وان له شانا له مناسبة ما الى الحضرة
الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون تشكرون
شكرا قليلا وقالوا ائذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا
نتميز منه او غبنا فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل
اللحم اذا انتن وقرا ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه ائنا لفي خلق
جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا وقرا نافع والكسائي ويعقوب انا على الخبر
والقائل ابي بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به بل هم بلقاء ربهم
بالبعث وبتلقي ملك الموت وما بعده كافرون جاحدون قل يتوفاكم
يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئا او لا يبقي منكم احدا والتفعل والاستفعال
يلتقيان كثيرا كتقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته ملك الموت
الذي وكل بكم بقبض ارواحكم واحصاء آجالكم ثم الى ربكم ترجعون
للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الحياء
والخزي ربنا قائلين ربنا ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا منك تصديق

قوله فالشيء على الاول اي الشيء العام الشامل له تعالى ولغيره من الموجودات على تقدير
كون خلقه بدلا منه بدل الاشتمال مخصوص بمنفصل اي بدلالة العقل وعلى الثاني
اي على تقدير كونه وصفا له على قراءة نافع والكوفيين مخصوص بمتصل اي الصفة
فان المخصص ينقسم الى قسمين متصل ومنفصل لانه اما ان لا يستقل بنفسه
او يستقل والاول المتصل والثاني المنفصل فالمتصل على ما ذكره ابن الحاجب
في مختصر الاصول خمسة الاستثناء المتصل نحو اكرم الناس الا الجهال بخلاف
المنقطع فانه لا تخصيص والشرط نحو اكرم القوم ان كانوا علماء والصفة
نحو اكرم الناس العلماء والغاية نحو اكرم الناس الى ان يجهلوا وبدل البعض
من الكل نحو اكرم الناس العلماء منهم فما نحن فيه من مخصص مخصص بالصفة واما
المخصص المنفصل فما عدا الخمسة المذكورة من الدلالات العقلية والحسية وغيرهما

من عرف نفسه فقد عرف ربه
قال رضي الله عنه ان الاشياء تعرف
بالامثلة المناسبة ولولا المضاهاة المذكورة
لم يقدر الانسان الترقي من معرفة نفسه الى معرفة
ربه ولولا ان الله تعالى جمع في الآدمي ما هو مثال جملة
العالم حتى كانه نسخة مختصرة من العالم وكانه رب في عالمه
متصرف لما عرف العالم من التصرف والربوبية والفعل والعلم
والقدرة وسائر الصفات الالهية فصارت النفس بمضاهاتها و
موازنتها مرقاة الى معرفة خالق النفس في استكمال المعرفة وبالتثلية الى قد مثاما هي
معنى قوله عليه السلام خلق الله آدم على صورة الرحمن يكشف عن وجه هذه المسئلة انتهى

هو

ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها مقدر بقول معطوف على ما قدر قبل فيقال ربنا ابصرنا الى آخره اي ونقول لو شئنا اي لو تعلقت مشيئتنا تعلقا فعليا بان نعطي كل نفس من النفوس البرة والفاجرة ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح ولاعطيناها في الدنيا التي هي دار الكسب وما اخرناه الى دار الجزاء ولكن حق القول مني اي سبقت كلمتي حيث قلت لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعنى بقوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب ذلك القول لم نشأ اعطاء الهدى على العموم بل منعناه من اتباع ابليس الذين انتم من جملتهم حيث صرفتم اختياركم الى الغي باغوائه ومشيئتنا لافعال العباد منوطة باختيارهم اياها فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلالة لم نشأ اعطاءه لكم وانما اعطيناه الذين اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سيأتي من قوله تعالى انما يؤمن باياتنا الآية فيكون مناط عدم مشيئة اعطاء الهدى في الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول وانما قيدنا المشيئة بما مر من التعلق الفعلي بافعال العباد عند حدوثها لان المشيئة الازلية من حيث تعلقها بما سيكون من افعالهم اجمالا متقدمة على تحقق كلمة العذاب فلا يكون عدمها منوطا بتحققها وانما مناطه علمه تعالى ازلا بصرف اختيارهم فيما سيأتي الى الغي وايثارهم على الهدى فلو اريدت هي من تلك الحيثية لاستدرك بعدمها وبنيط ذلك بما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم فمن توهم ان المعنى ولو شئنا لاعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختاروه لاهتدوا ولكن لم نعطهم لما علمنا منهم اختيار الكفر وايثاره فقد اشتبه عليه الشؤون من تفسير المولى ابي السعود عليه الرحمة والغفران

قوله فانه من الوسائط والاسباب المقتضية له اي لذوق العذاب يعني من الاسباب المقتضية له من غير توقف عليه فان السبب الحقيقي هو سبق الحكم الازلي فيندفع الخبر بمعارضة القدرة لفعل العبد على رأي الاشاعرة ومنهم المصنف سعدي

وسلك فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرايت امرا فظيعا ويجوز ان تكون للتمني والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك رؤية في هذا الوقت او يقدر ما دل عليه صلة اذ والخطاب للرسول او لكل احد ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له ولكن حق القول مني ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشيئة المسببة عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولا يدفعه جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فانه من الوسائط والاسباب المقتضية له انا نسيناكم تركناكم من الرحمة او في العذاب ترك المنسي وفي استينافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون كرر الامر للتاكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبر امر العاقبة والتفكر فيها دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذاب الله وسبحوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم حامدين له شكرا على ما وفقهم للاسلام وآتاهم الهدى وهم لا يستكبرون عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى عن المضاجع الفرش ومواضع النوم يدعون ربهم داعين اياه خوفا من سخطه وطمعا في رحمته وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عم اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي

ليقم

ليتم الذين كانوا يجهدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون
جميعًا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان ناس من الصحابة يصلون من المغرب
الى العشاء فنزلت فيهم ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم لا ملك مقرب ولا نبي مرسل من قرة اعين مما تقر به عيونهم
وعنه عم يقول الله عددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين وقرأ حمزة ويعقوب اخفي لهم على انه مضارع اخفيت وقرئ نخفي
واخفي والفاعل للكل هو الله وقرات اعين لاختلاف انواعها وما موصولة
او استفهامية معلق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي جزوا جزاء واخفي
للجزاء فان اخفاءه لعلو شانه وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوا
افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا عن الايمان في الشرف والمثوبة لا
يستوون تأكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى اما الذين امنوا وعملوا
الصالحات فلهم جنات المأوى فانها المأوى الحقيقي والدنيا منزل
مرتحل عنها لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنان نزلا سبق في آل عمران بما
كانوا يعملون بسبب اعمالهم او على اعمالهم واما الذين فسقوا فمأواهم
النار مكان جنة المأوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا
فيها عبارة عن خلودهم فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم
به تكذبون اهانة لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم من العذاب الادنى
عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون
العذاب الاكبر عذاب الاخرة لعلهم لعل من بقي منهم يرجعون يتوبون عن الكفر
روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليًّا يوم بدر فنزلت هذه الايات ومن
اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد
الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير

بها عقلاً كما في بيت الحماسة ولا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت
ثم يزورها إنا من المجرمين منتقمون فكيف بمن كان اظلم من كل ظالم
ولقد آتينا موسى الكتاب كما آتيناك فلا تكن في مرية في شك من لقائه
من لقائك الكتاب كقوله وانك لتلقى القرآن فانا آتيناك من الكتاب مثل
ما آتيناه منه فليس ذلك ببدع مما لم يكن قط حتى ترتاب فيه او من لقاء
موسى وعنه عم رأيت ليلة اسري بي موسى عم رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنه
من رجال شنوءة وجعلناه اي المنزل على موسى هدى لبني اسرائيل وجعلنا
منهم ائمة يهدون الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام بأمرنا اياهم به
او بتوفيقنا له لما صبروا وقرأ حمزة والكسائي ورويس لما صبروا اي لصبرهم
على الطاعة او عن الدنيا وكانوا بآياتنا يوقنون لامعانهم فيها النظر ان
ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق
من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين أولم يهد لهم الواو للعطف
على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه كم اهلكنا من قبلهم
من القرون اي كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية او ضمير الله بدليل
القراءة بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم
وقرئ يمشّون بالتشديد ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون سماع تدبر واتعاظ
أولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز التي جرز نباتها اي قطع وازيل
لا التي لا تنبت لقوله فنخرج به زرعاً وقيل اسم موضع باليمن تأكل منه من
الزرع انعامهم كالتبن والورق وانفسهم كالحب والثمر أفلا يبصرون
فيستدلون به على كمال قدرته وفضله ويقولون متى هذا الفتح النصر او
الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا ان كنتم صادقين في الوعد به
قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون وهو يوم القيمة
فانه يوم نصر المسلمين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح

مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فانه لا ينفعهم ايمانهم حال القتل ولا يمهلون
وانطباقه جواباً على سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم فانهم
لما ارادوا به الاستعجال تكذيباً واستهزاءً اجيبوا بما يمنع الاستعجال فأعرض
عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وانتظر النصرة عليهم
انهم منتظرون الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم
او ان الملائكة ينتظرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك
الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر وعنه عم من قرأ الم
تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام .

سورة الاحزاب مدنية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ثلاث وسبعون آية

يا ايها النبي اتق الله ناداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيماً له وتفخيماً لشأن التقوى
والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعاً له عما نهى عنه بقوله ولا تطع
الكافرين والمنافقين فيما يعود بوهن في الدين روي ان ابا سفيان وعكرمة
ابن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم
وقام معهم ابن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل
ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت ان الله كان عليماً بالمصالح والمفاسد
حكيماً لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة واتبع ما يوحى اليك من ربك كالنهي
عن طاعتهم ان الله كان بما تعملون خبيراً فموح اليك ما يصلح به اعمالك
ويغني عن الاستماع الى الكفرة وقرأ ابو عمرو بالياء على ان الواو ضمير الكفرة
والمنافقين اي ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك وتوكل على الله وكل
امرك الى تدبيره وكفى بالله وكيلاً موكولاً اليه الامور كلها ما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه اي ما جمع قلبين في جوف لان القلب معدن الروح الحيواني
المتعلق للنفس الانساني اولاً ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد وما
جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم

أبناءكم وما جمع الزوجية والأمومة في امرأة ولا الدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك
رد ما كانت العرب تزعم أن اللبيب الأريب له قلبان ولذلك قيل لأبي معمر أو جميل
ابن أسد الفهري ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها كالأم ودعي الرجل ابنه
ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابن محمد والمراد نفي الأمومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفي القلبين
لتمهيد أصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لأدائه إلى التناقض وهو
أن يكون كل منهما أصلا لكل القوى وغير أصل لم يجعل الزوجة والدعي الذي
لا ولادة بينهما وبينه أمه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرأ أبو عمرو اللاي
بالياء وحده على أن أصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما
وعن يعقوب بالهمز وحده وأصل تظهرون تتظهرون فأدغمت التاء الثانية
في الظاء وقرأ ابن عامر تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى
ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من الظهور ومعنى الظهار أن يقول للزوجة
أنت علي كظهر أمي مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن
لتضمنه معنى التجنب لأنه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الإسلام يقتضي الطلاق أو
الحرمة إلى أداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية
عن البطن الذي هو عموده فإن ذكره يقارب ذكر الفرج أو للتغليظ في التحريم
فإنهم كانوا يحرمون إتيان المرأة وظهرها إلى السماء والأدعياء جمع دعي على
الشذوذ وكأنه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم إشارة إلى ما ذكر أو
إلى الأخير قولكم بأفواهكم لا حقيقة له في الأعيان كقول الهاذي والله
يقول الحق ماله حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدي السبيل سبيل الحق
ادعوهم لآبائهم انسبوهم إليهم وهو إفراد للمقصود من أقواله الحقة وقوله
هو أقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا وأقسط أفعل تفضيل
قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق

فإن

فإن لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم إليهم فإخوانكم في الدين فهم إخوانكم في الدين
ومواليكم وأولياؤكم فيه فقولوا هذا أخي ومولاي بهذا التأويل وليس عليكم
جناح فيما أخطأتم به ولا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي
أو بعده على النسيان أو سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما
تعمدت قلوبكم أو ولكن ما تعمدت فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن
المخطئ واعلم أن التبني لا عبرة به عندنا وعند أبي حنيفة رضي الله عنه يوجب
عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذي يمكن إلحاقه به النبي أولى بالمؤمنين
من أنفسهم في الأمور كلها فإنه لا يأمرهم ولا يرضى منهم إلا بما فيه صلاحهم
ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك أطلق عليهم فيجب أن يكون أحب إليهم من أنفسهم
وأمره أنفذ فيهم من أمرها وشفقتهم عليه أتم من شفقتهم عليها روي أنه
عم أراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج فقال أناس نستأذن أمهاتنا وآباءنا
فنزلت وقرئ وهو أب لهم أي في الدين فإن كل نبي أب لأمته من حيث أنه أصل
فيما به الحياة الأبدية ولذلك صار المؤمنون إخوة وأزواجه أمهاتهم منزلات
منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالأجنبيات ولذلك
قالت عائشة لسنا أمهات النساء وأولو الأرحام وذوو القرابات في كتاب الله
في اللوح أو فيما أنزل وهو هذه الآية أو آية المواريث أو فيما فرض الله من المؤمنين
والمهاجرين بيان لأولي الأرحام أو صلة لأولى أي أولو الأرحام بحق القرابة
أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة إلا أن تفعلوا
إلى أوليائكم معروفا استثناء من أعم ما يقدر الأولوية فيه من النفع والمراد
بفعل المعروف التوصية أو منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا كان
ما ذكر في الآيتين ثابتا في اللوح أو القرآن وقيل في التوراة وإذ أخذنا من
النبيين ميثاقهم مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء
إلى الدين القيم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم

خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب الشرائع وقدم نبينا تعظيما له واخذنا
منهم ميثاقا غليظا عظيم الشان او موكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف
ليسأل الصادقين عن صدقهم اى فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيمة الانبيا
الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم وتصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين
لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق وليسأل المومنين الذين صدقوا
عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم وشهاداتهم فيشهد لهم
الانبيا بانهم صدقوا عهدهم وشهاداتهم وكانوا مومنين واعد للكافرين
عذابا اليما عطف على اخذنا من حيث ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة
المومنين او عطف على ما دل عليه ليسأل كانه قال فاثاب المومنين واعد للكافرين
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعنى الاحزاب وهم
قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر الفا فارسلنا
عليهم ريحا ريح الصبا وجنودا لم تروها الملائكة روى انه عم لما سمع باقبالهم
ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم فى ثلاثة الآف والخندق بينه وبينهم
ومضى على الفريقين قريب شهر لا حرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى بعث الله
عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب فى وجوههم واطفأت
نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها فى بعض وكبرت الملائكة فى جوانب
العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدى اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجا النجا
فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وقرأ البصرى
بالياء اى بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة بصيرا رائيا اذ جاؤكم بدل
من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادى من قبل المشرق بنو غطفان ومن
اسفل منكم من اسفل الوادى من قبل المغرب قريش واذ زاغت الابصار
مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر رعبا
فان الرية تنتفخ من شدة الروع فترتفع بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهى منتهى

الحلقوم مدخل الطعام والشراب وتظنون بالله الظنونا الانواع من الظن
فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز وعده فى اعلاء دينه او ممتحنهم
فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكى عنهم
والالف مزيدة فى امثاله تشبيها للفواصل بالقوافى وقد اجرى نافع وابن عامر
وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا
وهو القياس هنالك ابتلى المومنون اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت
من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح واذ
يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله
ورسوله من الظفر واعلاء الدين الا غرورا وعدا باطلا قيل قائله معتب بن
قشير قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا
الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم يعنى اوس بن قيظى واتباعه يا اهل
يثرب اهل المدينة وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة فى ناحية منها لا مقام
لكم لا موضع قيام لكم ههنا وقرأ حفص بالضم على انه مكان او مصدر من
اقام فارجعوا الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا
الى الشرك واسلموه لتسلموا او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم
المقام بها ويستأذن فريق منهم النبى للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة غير
حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف العورة من عورت الدار اذا
اختلت وقد قرئ بها وما هى بعورة بل هى حصينة ان يريدون الا فرارا وما
يريدون بذلك الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت المدينة
او بيوتهم من اقطارها من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء
المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان فى اقتضاء الحكم المترتب
عليه ثم سئلوا الفتنة اى الردة ومقاتلة المسلمين لآتوها لاعطوها وقرأ
الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة او باعطائها

الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب وقيل وما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا
يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار يعني بني حارثة عاهدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله
وكان عهد الله مسؤولا مسؤولا عن الوفاء به مجازى عليه قل لن ينفعكم
الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل
في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اي
وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا او زمانا
قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة
اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما في قوله متقلدا
سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون
لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضر عنهم قد يعلم الله
المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون
والقائلين لاخوانهم من ساكني المدينة هلم الينا قربوا انفسكم الينا
وقد ذكر اصله في الانعام ولا ياتون البأس الا قليلا الا اتيانا او زمانا
او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم ويخرجون مع المؤمنين
ولكن لا يقاتلون الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا ياتي اصحاب
محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم بخلاء عليكم
بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبها
على الحال من فاعل ياتون او المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رايتهم
ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه كنظر المغشي
عليه او كدوران عينه او مشبهين به او مشبهة بعينه من الموت من معالجة
سكرات الموت خوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم
ضربوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد

او اللسان اشحة على الخير نصب على الحال او الذم ويؤيده قراءة الرفع وليس
بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه اولئك لم يؤمنوا اخلاصا فاحبط الله
اعمالهم فاظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم
ونفاقهم وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا لتعلق الارادة به وعدم
ما يمنعه عنه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي هؤلاء لجبنهم يظنون ان
الاحزاب لم ينهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يات الاحزاب كرة ثانية
يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو وحاصلون
بين الاعراب يسألون كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم عما جرى عليكم
ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا
قليلا رياء وخوفا من التعيير لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد او هو في
نفسه قدوة يحسن التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في
نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان
يرجو الله واليوم الآخر اي ثواب الله او لقاءه ونعيم الآخرة او ايام الله واليوم
الآخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر يوم الله
بحسب الحكم والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة او صفة
لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرا
وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسي بالرسول من كان
كذلك ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله
بقوله تع ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الاية
وقوله عم سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم
وقوله عم انهم سائرون اليكم بعد تسع او عشر وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الراء
وفتح الهمزة وصدق الله ورسوله وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا

في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم فيه
ضمير لما راوا او الخطب والبلاء الا ايمانا بالله ومواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره
من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول و
المقاتلة لاعداء الدين من صدقني اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى
بعهده فقد صدق فمنهم من قضى نحبه نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب
ابن عمير وانس بن النضر والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة
كل حيوان ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد ولا
غيروه تبديلا شيئا من التبديل روي ان طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال عم اوجب طلحة وفيه تعريض
لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله ليجزي الله الصادقين بصدقهم
ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم تعليل للمنطوق والمعرض به
فكان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات
والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم والمراد به التوفيق
للتوبة ان الله كان غفورا رحيما لمن تاب ورد الله الذين كفروا يعني الاحزاب
بغيظهم متغيظين لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب
وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وكان الله قويا على احداث ما
يريده عزيزا غالبا على كل شيء وانزل الذين ظاهروهم ظاهروا الاحزاب من
اهل الكتاب يعني قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهي ما
يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك وقذف في قلوبهم
الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وقرئ بضم
السين روي ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي
انهزم فيها الاحزاب فقال اتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح ان الله
يامرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا العصر

الا ببني قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين حتى جهدهم الحصار
فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد
بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال
لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر منهم
سبعمائة واورثكم ارضهم وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم
واثاثهم روي انه عم جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال
انكم في منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال انما جعلت هذه لي
طعمة وارضا لم تطؤها كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كل ارض تفتح
الى يوم القيمة وكان الله على كل شيء قديرا فيقدر على ذلك يا ايها النبي
قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا السعة والتنعم فيها وزينتها
وزخارفها فتعالين امتعكن اعطكن المتعة واسرحكن سراحا جميلا
طلاقا من غير ضرار وبدعة روي انهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة
فنزلت فبدأ بعائشة رضي الله عنها فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت
الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل الله لا يحل لك النساء من بعد
وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل على
ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى
الروايتين عن علي ويؤيده قول عائشة رض خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم
وحسن الخلق وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانها
طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف في وجوبه للمدخول بها
وليس فيه ما يدل عليه وقرئ امتعكن واسرحكن بالرفع على الاستيناف وان
كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن
اجرا عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن كن محسنات

يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة بكبيرة مبينة ظاهر قبحها على قراءة
ابن كثير وابي بكر والباقون بكسر الباء يضاعف لها العذاب ضعفين عذاب
غيرهن اى مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب
والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الانبياء بما لم يعاتب
به غيرهم وقرأ البصريان يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء
الفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف
كونهن نساء النبي وكيف وهو سببه ومن يقنت منكن ومن يدم على الطاعة
لله ورسوله ولعل ذكر الله للتعظيم لقوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين
مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضى النبي صلى الله عليه وسلم فكيف هو
سببه بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائى ويعمل بالياء ايضا حملا
على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله واعتدنا لها رزقا كريما في الجنة
زيادة على اجرها يا نساء النبي لستن كاحد من النساء اصل احد وحد بمعنى
الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير
والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل ان اتقيتن مخالفة
حكم الله ورضى رسوله فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا
لينا قول المريبات فيطمع الذي في قلبه مرض فجور وقرئ بالجزم عطفا
على محل النهي على انه نهى مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع
وقلن قولا معروفا حسنا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن من وقر يقر
او من قر فحذفت الاولى من راءى قررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغني
عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت اقر وهو لغة فيه
ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا اجتمع ولا تبرجن ولا تتبخترن في مشيكن
تبرج الجاهلية الاولى تبرجا مثل تبرج النساء في ايام الجاهلية القديمة
وقيل هي ما بين ادم ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم كانت المرأة

تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية
الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر
قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام يعضده قوله
عليه السلام لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام قال بل جاهلية كفر واقمن
الصلاة واتين الزكاة واطعن الله ورسوله في سائر ما امركن به ونهاكن
عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل
لامرهن ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم اهل البيت نصب على
النداء او المدح ويطهركم عن المعاصي تطهيرا واستعارة الرجس للمعصية
والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة
وعلي وابنيهما رضى الله عنهم لما روى انه عم خرج ذات غدوة وعليه مرط
مرجل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه
ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص
بهم لا يناسب ما قبل الاية وما بعدها والحديث يقتضي انهم اهل البيت لا انه
ليس غيرهم واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة من الكتاب
الجامع بين الامرين وهو تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة
ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص
على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به ان الله كان لطيفا
خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك خيركن ووعظكن او يعلم من
يصلح لنبوته ومن يصلح ان يكون اهل بيته ان المسلمين والمسلمات الداخلين
في السلم المنقادين لحكم الله في القول والعمل والمؤمنين والمؤمنات المصدقين
بما يجب ان يصدق به والقانتين والقانتات المداومين على الطاعات
والصادقين والصادقات في القول والعمل والصابرين والصابرات

بما أوجب فيما لهم والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين
فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم
والسنتهم أعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات وأجرا
عظيما على طاعاتهم والآية وعد لهن ولأمثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال
روي أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن
بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين
فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو
ضروري وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين وليس بضروري
ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على أن اعداد المعد لهم
للجمع بين هذه الصفات وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ما صح له إذا قضى الله ورسوله
أمرا أي قضى رسول الله وذكر الله لتعظيم أمره والاشعار بأن قضاءه قضاء الله
لأنه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله
صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فأبت هي وأخوها عبد الله وقيل في أم كلثوم بنت
عقبة وهبت نفسها للنبي فزوجها من زيد أن تكون لهم الخيرة من أمرهم
أن يختاروا من أمرهم شيئا بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله
ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الأول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث إنهما
في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرأ الكوفيون بالياء ومن يعص الله
ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب وإذ تقول
للذي أنعم الله عليه بتوفيقه للإسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه و
أنعمت عليه بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة أمسك عليك زوجك
زينب وذلك أنه عم أبصرها بعد ما أنكحها إياه فوقعت في نفسه فقال سبحان
الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقع
في نفسه كراهة صحبتها فأتى النبي صلى الله وسلم وقال أريد أن أفارق صاحبتي

فقال

فقال مالك ارابك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها
تتعظم علي فقال له امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها ضرارا
او تعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها
او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه ان
كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانه حسن
بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال
ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه فلما قضى زيد منها وطرا حاجة بحيث
ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقيل قضاء
الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه
امر بتزويجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول
لسائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن
وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه
لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن
وطرا علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه
الدليل وكان امر الله امره الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج
زينب ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر من قولهم
فرض له في الديوان ومنه فروض العسكر لارزاقهم سنة الله سن ذلك
سنة في الذين خلوا من قبل من الانبياء وهو نفي الحرج عنهم فيما اباح لهم
وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون
رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة
الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله تعريض بعد تصريح وكفى بالله
حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغي ان لا يخشى الا منه ما كان محمد
ابا احد من رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد والولد

من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والقاسم وابراهيم
لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم ولكن رسول
الله وكل رسول ابو امته لا مطلقا من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير
والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر اي ولكن رسول الله
من عرفتم انه لم يعش له ولد ذكر وخاتم النبيين واخرهم الذي ختمهم او
ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا
كما قال عليه السلام في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده
لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه اخر من نبئ وكان الله بكل شيء عليما
فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شانه يا ايها الذين امنوا
اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو اهله من التقديس
والتحميد والتهليل والتمجيد وسبحوه بكرة واصيلا اول النهار واخره
خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على ساير الاوقات لكونهما
مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقيل الفعلان
موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلاة هو الذي يصلي عليكم بالرحمة
وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلاة المشترك
وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلو وقيل الترحم والانعطاف
المعنوي ماخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع
والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب
للرحمة من حيث انهم مجابو الدعوة ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمات
الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة وكان بالمؤمنين رحيما حيث
اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين
تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه

عند الموت والخروج عن القبر ودخول الجنة سلام اخبار بالسلامة عن كل
مكروه وافة واعد لهم اجرا كريما هي الجنة ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل
والمبالغة فيما هو اهم يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم
بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته باذنه
بتيسيره واطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب
لا يتاتى الا بمعونة من جناب قدسه وسراجا منيرا يستضاء به عن ظلمات
الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر وبشر المؤمنين بان لهم من الله
فضلا كبيرا على ساير الامم او على اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف
مثل فراقب احوال امتك ولا تطع الكافرين والمنافقين تهييج له على ما
هو عليه من مخالفتهم ودع اذاهم ايذاهم اياك ولا تحتفل به او ايذاءك اياهم
مجازاة ومؤاخذة على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ وتوكل على الله فانه يكفيكهم
وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامر في الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس
صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة
لان ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي
عن مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل
عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من اناره الله برهانا على جميع خلقه كان
حقيقا بان يكتفى به عن غيره يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم
طلقتموهن من قبل ان تمسوهن تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائي بالف
وضم التاء فما لكم عليهن من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها
تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله ووزنته
فاتزنه او تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر
به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالتاء او

علة من الاعتداد بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد
الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على ان من شان المؤمن ان لا ينكح
الا مؤمنة تخيرا للنطفة وفائدة ثم ازاحة ما عسى ان يتوهم ان تراخي الطلاق
ريثما يمكن الاصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة فمتعوهن اي ان لم يكن
مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة ويجوز
ان يؤول التمتيع بما يعمهما والامر بالمشترك بين الوجوب والندب فان المتعة
سنة للمفروض لها وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة
سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني
لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا
لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد
الاحلال له باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال
المملوكة بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة
لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله
وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن
معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت
ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم
انزل الله هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامراة مؤمنة
ان وهبت نفسها للنبي نصب بفعل مضمر يفسره ما قبله او عطف على ما
سبق ولا يدفعه التقييد بان التي للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام
بالحل اي اعلمناك حل امراة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق
ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر اربعا ميمونة بنت الحارث
وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ
ان بالفتح اي لان وهبت او مدة ان وهبت كقولك اجلس ما دام زيد جالسا ان

اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها
منه لا يوجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن
الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك
من دون المؤمنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه
الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان
اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه السلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح
طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد اي خلص احلالها او احلال
ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير في وهبت
او صفة لمصدر محذوف اي هبة خالصة قد علمنا ما فرضنا عليهم في
ازواجهم من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطء حيث لم يسم وما
ملكت ايمانهم من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغي ان يفرض عليهم اعترض
بين قوله لكيلا يكون عليك حرج ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على
ان الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل
لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة والعكس اخرى وكان
الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في مظان الحرج ترجي من
تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشاء وتضم
اليك وتضاجعها او تطلق من تشاء وقرأ حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء
والمعنى واحد ومن ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح
عليك في شيء من ذلك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين
بما آتيتهن كلهن ذلك التفويض الى مشيئتك اقرب الى قرة عيونهن وقلة
حزنهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن
ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن
وقرئ تقر بضم التاء واعينهن بالنصب وتقر على البناء للمفعول وكلهن

قوله حال من فاعل لا تدخلوا وفي الكشاف انه وقع الاستثناء على الوقت والحال معا كأنه قيل لا تدخلوا بيوت النبي صلى الله عليه وسلم الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين ورده ابو حيان بانه لا يقع بعد الا المستثنى او صفته اذ لا يتعدد الاستثناء باداة الا عند الجمهور ولجازه الكسائي والاخفش فيجوز ما قام القوم الا يوم الجمعة ضاحكين وللمانعين له يأولون ما ورد منه بتقدير فيقدرون هنا ادخلوها غير ناظرين فالحال يحتمل ان يكون متعددا واذا كان ان يؤذن حال فهو مترادفة

تاكيد نون برضين وقرئ بالنصب تاكيدا لهن والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في احسانه وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى لا يحل لك النساء بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقي وقرأ البصريان بالتاء من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا ومن بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح اخرى ولا ان تبدل بهن من ازواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق ولو اعجبك حسنهن حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف في ان الآية محكمة او منسوخة بقوله ترجي من تشاء وتؤوي اليك من تشاء على المعنى الثاني فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد لكم يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الا وقت ان يؤذن لكم او الا ماذونا لكم الى طعام متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر به قوله غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا او المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة والكسائي اناه لانه مصدر اني الطعام اذا ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا تمكثوا والآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته

بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم ولا مستأنسين لحديث
لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او
مقدر بفعل اى ولا تدخلوا او ولا تمكثوا مستأنسين ان ذلكم ان اللبث
كان يؤذى النبى لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشغاله فيما لا يعنيه فيستحيى
منكم من اخراجكم لقوله والله لا يستحيى من الحق يعنى ان اخراجكم حق فينبغى
ان لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيى فامركم بالخروج وقرئ لا يستحى
بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء واذا سألتموهن متاعا شيئا ينتفعون به
ينتفع به فاسألوهن المتاع من وراء حجاب ستر روى ان عمر رض قال يا رسول
الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل
انه عم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عايشة فكره النبى
صلعم ذلك فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر الشيطانية
وما كان لكم وما صح لكم ان تؤذوا رسول الله ان تفعلوا ما يكرهه ولا
ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من بعد وفاته او فراقه وخص التى لم يدخل
بها لما روى ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة فى ايام عمر فهم برجمهما فاخبر
بانه عم فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير ان ذلكم يعنى ايذاءه ونكاح
نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب
لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ فى الوعيد عليه فقال ان تبدوا شيئا كنكاحهن
على السنتكم او تخفوه فى صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيعلم
ذلك فيجازيكم وفى التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة
فى الوعيد لا جناح عليهن فى آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن
ولا ابناء اخواتهن استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روى انه لما نزلت آية الحجاب
قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء حجاب
فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمى العم ابا فى

قوله عن الاماء والقينات اما من عطف احد المترادفين او المراد بالقينات البغايا واما الاماء العفيفة فلا وجه له وقوله يتميزن فالمراد المعرفة التمييز مجازا لانه المقصود ولو ابقي على معناه صح قال السبكي في طبقاته واستنبط احمد بن عيسى من فقهاء الشافعية من هذه الآية ان ما يفعله العلماء والسادات من تغيير لباسهم وعمائمهم امر حسن وان لم يفعله السلف لان فيه تمييزا لهم حتى يعرفوا فيعمل باقوالهم شهاب

قوله واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحاق ولانه كره الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفا لابنائهما ولا ابنائهن يعني نساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله فيما امرتن به ان الله كان على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه خافية ان الله وملائكته يصلون على النبي يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره والاية تدل على وجوب الصلاة والسلام في الجملة وقيل تجب الصلاة كلما جرى ذكره لقوله عم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويجوز الصلاة على غيره تبعا ويكره استقلالا لانه في العرف صار شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا ان الذين يؤذون الله ورسوله يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي ويؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين لعنهم الله ابعدهم من رحمته في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا يهينهم مع الايلام والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا بها فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا قيل انها نزلت في منافقين كانوا يؤذون عليا رض وقيل في اهل الافك وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فان المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض ذلك ادنى ان يعرفن يميزن عن الاماء والقينات فلا يؤذين فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن وكان

الله غفورا لما سلف رحيما بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات
منها لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض
ضعف ايمان وقلة ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم في الدين او فجورهم
والمرجفون في المدينة يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها
من ارجافهم واصله التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذب
لكونه متزلزلا غير ثابت لنغرينك بهم لنأمرنك بقتالهم واجلائهم او
ما يضطرهم الى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك وثم للدلالة
على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول صلى الله عليه وسلم اعظم ما يصيبهم
فيها في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ملعونين نصب على الشتم
او الحال والاستثناء شامل له ايضا اي لا يجاورونك الا ملعونين ولا يجوز
ان ينتصب عن قوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة
الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل مصدر مؤكد
اي سن الله ذلك في الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا
في وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لانه لا
يبدلها ولا يقدر احد ان يبدلها يسألك الناس عن الساعة عن وقت قيامها
استهزاء وتعنتا او امتحانا قل انما علمها عند الله لم يطلع عليها ملكا ولا
نبيا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او تكون الساعة
عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة في
معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنتين ان الله لعن
الكافرين واعد لهم سعيرا نارا شديدة الايقاد خالدين فيها
ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم
تقلب وجوههم في النار تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او
من حال الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب وتقلب ومتعلق الظرف يقولون

قوله وسماها اي الطاعة امانة ظاهر انه الامانة مستعارة هنا للطاعة وليس بمراد بل هو بيان لحاصل المعنى على الوجهين وسيأتي الكلام عليهما وقوله والمعنى شروع في بيان معنى الآية وما فيها من الاستعارة وقد قرره الزمخشري على وجهين وله ولشراحه فيه كلام طويل الذيل والذي ارتضاه المدقق في الكشف ان فيه وجهين الاول انه اريد بالامانة الطاعة المجازية ليتناول اللائق بالجماد والمكلفين والعرض والاشفاق والاباء عن الحمل الى الخيانة وعدم الاداء مجازات متفرعة على التمثيل الذي مداره على تشبيه الجماد بمأمور مبادر الى الامتثال تعريضا للانسان بانه كان احق بذلك وفيه تفخيم لشأن الطاعة بان مثلها يتسارع له الجماد لعظمة شأنه فكيف بها ونظيره ما مر في قوله ائتيا طوعا او كرها وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل كما نص عليه ثمة وان اختلف الغرض فيهما اريد فيه بالامانة الطاعة الحقيقية لما كلفه الانسان والعرض والاشفاق والاباء حقيقة والحمل بمعنى الاحتمال للخيانة وحقيقة التمثيل انه مثل حال التكليف في صعوبته وثقل محمله او الغرض تصوير عظم الامانة وهو المراد بقوله ثمة ويجوز ان يكون تخييلا ومنه ظهر ان التخييل تمثيل خاص والتصوير لا ينافي كونه تمثيلا وما لهج به بعضهم من الكناية الايمائية واخذ الزبدة من غير نظر لحقيقة التمثيل لا يطابق الحقيقة والاصطلاح ولا يغني عن الرجوع لما مر مع انا قد فصلناه في مواضع وهذا البسط موضع حقق المصنف فيه التمثيل والمحققون على مثاله فيما يرد من امثاله وهذا زبدته للناظر بعد محضه وتنبيه خالصه وتحصيله وفيه مجال ولكن لكل مقام مقال شهاب

يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلن نبتلي بهذا العذاب وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا ربنا آتهم ضعفين من العذاب مثلي ما آتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا كثير العدد وقرأ ابن عاصم بالباء اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا فاظهر براءته من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه وذلك ان قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص واتهمه ناس بقتل هارون لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا بهم به حتى رأوه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءته او قذفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انه بريء منه يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله وقولوا قولا سديدا قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي فقد فاز فوزا عظيما يعيش في الدنيا حميدا وفي الآخرة سعيدا انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى انها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فان الراعي لها والقائم بحقوقها بخير الدارين انه كان ظلوما حيث لم يف بها ولم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها وهذا وصف

قوله فاظهر براءته صلى الله عليه وسلم من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه يعني ان ... هنا بمعنى المقول سواء كانت ما موصولة او ... والمصدر بما وليا المفعول والمراد بالقول ... في الخارج وبرأه بمعنى ظهر براءته وكذبهم ... واما اول الفعل باظهار لان المرتب على ... تبرئته لا تبرئته لانها مقدمة عليه واستعمال الفعل مجاز عن اظهاره والقول بمعنى المضمون كما يقال بالة للسنة وهي ما سبب ... لا بكاد ذكرته تعينا ولا ... تعالى لما اظهر براءته مما افتروه عليه انقطعت كلماتهم فيه ... على ان براءة بمعنى ... عنه مع تكلفه لان قطع ... بالذات حتى لو انقطع ... طائفة ... لظهور خلافه فلا بد من ملاحظة ما ذكره المصنف وما كون البراءة لا تكون الا من الذنب والعيب ... الفائل ... شراح الكشاف ... البراءة مما ذكره شهاب

باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية

وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره

وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها

لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته فيكون الاباء عنها اتيانا بما يمكن ان يتاتى منه والظلم

والجهالة الخيانة والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما

وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني

فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبتغي ثوابا ولا عقابا ولما

خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها

جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل والتكليف وعرضها عليهن

اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وباباءهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم

اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما

جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون

علة للحمل عليه فان من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما

عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما

ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله

على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتاديب للضرب

في ضربته تاديبا وذكر التوبة في الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا في جبلتهم

ولا يخليهم عن فرطات وكان الله غفورا رحيما حيث تاب على فرطاتهم واثاب

بالفوز على طاعاتهم قال عم من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت

يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة سبا مكية وقيل الا ويرى الذين اوتوا العلم الاية وآيها خمس وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا ونعمة فله الحمد

لكمال قدرته وعلى تمام نعمته ولهُ الحمدُ في الآخرةِ لان ما في الآخرة ايضا كذلك وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية فقيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الآخرة وهو الحكيمُ الذي احكم امور الدارين الخبيرُ ببواطن الاشياء يعلمُ ما يلجُ في الأرضِ كالغيث ينفذ في موضع وينبع في آخر وكالكنوز والدفائن والاموات وما يخرجُ منها كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون وما ينزلُ من السماءِ كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق والانداء والصواعق وما يعرجُ فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيمُ الغفورُ للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها او في الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعةُ انكار لمجيئها واستبطاء استهزاء بالوعد به قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه وربي لتأتينكم عالمِ الغيبِ تكرير لايجابه موكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفي استبعاده على ما مر غير مرة وقرأ حمزة والكسائي علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالمُ الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لا يعزبُ عنه مثقالُ ذرةٍ في السمواتِ ولا في الأرضِ وقرأ الكسائي لا يعزب بالكسر ولا اصغرُ من ذلك ولا اكبرُ الا في كتابٍ مبينٍ جملة موكدة لنفي العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير في عنه للغيب وجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزيَ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضي

اثباتها اولئك لهم مغفرة ورزق كريم لاتعب فيه ولامن عليه والذين
سعوا في اياتنا بالابطال وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين كي
يفوتونا وقرا ابن كثير وابو عمرو معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده
اولئك لهم عذاب من رجز من سيئ العذاب اليم مولم ورفعه ابن كثير
ويعقوب وحفص ويرى الذين اوتوا العلم ويعلم اولوا العلم من الصحابة
ومن شايعهم من الامة او مسلمي اهل الكتاب الذي انزل اليك من ربك
القران هو الحق ومن رفع الحق جعل هو ضميرا مبتدا والحق خبره والجملة
ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع مستانف للاستشهاد باولي العلم على
الجهلة الساعين في الايات وقيل منصوب معطوف على ليجزي اي ليعلم
اولوا العلم عند مجي الساعة انه الحق عيانا كما علموه الان برهانا ويهدي
الى صراط العزيز الحميد الذي هو الايمان والتدرع بلباس التقوى وقال
الذين كفروا قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله
عليه وسلم ينبئكم يحدثكم باعجب الاعاجيب اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي
خلق جديد انكم تنشاون خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل تمزيق وتفريق
بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة منه وعامله
محذوف دل عليه ما بعده فان ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه
او محجوب بينه وبينه بان وممزق يحتمل ان يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم
وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل
من جد فهو جديد كحد فهو حديد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب
اذا قطعه افترى على الله كذبا ام به جنة جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه
واستدل بجعلهم اياه قسيم الافترا غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق
والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين
لان الافترا اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب

والضلال البعيد رد من الله عليهم ترديدهم واثبات ما هو اقطع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلاله في الوقوع ومقدما عليه في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم له والبعد في الاصل صفة الضال ووصف الضلال به على الاسناد المجازي افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم الاحياء حتى جعلوه افتراء وهزوا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وانا ان نشأ نخسف بهم او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائي يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله والكسائي وحده بادغام الفاء في الباء وحفص كسفا بالتحريك ان في ذلك النظر والفكر فيهما وما يدلان عليه لآية لدلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه فانه يكون كثير التأمل في امره ولقد آتينا داود منا فضلا اي على سائر الانبياء وهو ما ذكر بعد او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن يا جبال اوبي معه رجعي معه التسبيح على الذنب والنوح على ذلك اما بخلق صوت مثل صوته او بحملها اياه على التسبيح اذا تأمل فيها او سيري معه حيث سار وقرئ اوبي من الاوب اي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا او من آتينا باضمار قولنا او قلنا والطير عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بحركة الاعراب او على فضلا او مفعول معه لاوبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الاصل ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيئته فيهما والنا له الحديد

جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بآلاته او بقوته أن
اعمل امرناه ان اعمل وأن مفسرة او مصدرية سابغات دروعا واسعات
وقرئ صابغات وهو ابدال الصاد من السين لاجل الغين وقدر في السرد وقدر في نسجها بحيث
يتناسب حلقها او قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا
فتخرق ورد بان دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله والنا له الحديد واعملوا
صالحا الضمير فيه لداود واهله اني بما تعملون بصير فاجازيكم عليه
ولسليمان الريح اي وسخرنا له الريح وقرئ الريح بالرفع اي ولسليمان
الريح مسخرة غدوها شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة
شهر وبالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها واسلنا له عين
القطر النحاس المذاب اساله من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع
ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن ومن الجن من يعمل بين يديه
عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة او جملة من مبتدأ وخبر باذن
ربه بامره ومن يزغ منهم ومن يعدل منهم عن امرنا عما امرناه من
طاعة سليمان وقرئ يزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير عذاب الآخرة
يعملون له ما يشاء من محاريب قصورا حصينة ومساكن شريفة
سميت بها لانها يذب عنها ويحارب عليها وتماثيل وصورا وتماثيل للملائكة
والانبيا على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة
التصاوير شرع مجدد وروي انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين
فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران
باجنحتهما وجفان وصحاف كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية وهي من
الجباية وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقدور راسيات ثابتات على
الاثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا
نصب على العلة اي اعملوا له واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل له شكر او

قوله ولذلك قيل اه اشارة الى ما ذكره الامام الغزالي في الاحياء من ان داود عليه الصلاة والسلام قال في مناجاته يارب اذا كان الهامك لشكرها نعمة منك علي فكيف اتى لي شكرك فقال يا داود اذا عرفت هذا فقد شكرتني

له او الحال والمفعول به وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان توفيقه نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ اي على سليمان مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ ما دل الجن وقيل آله إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ اي الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح الاسنان فاكلت اكلا تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين ومنساءة على مفعالة كميضاة في ميضأة ومن سأته اي طرف عصاه مشتقا من سأة القوس وفيه لغتان كما في قحة وقحة وقرأ نافع وابو عمرو منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة في ذكوان بهمزة ساكنة وحمزة اذا وقف جعلها بين بين فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ علمت الجن بعدما التباس الامر عليهم أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن وان بما في حيزه بدل منه اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وذلك ان داود عليه السلام اسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات عليه السلام قبل تمامه فوصى الى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا اجله واعلم به فاراد ان يعمى عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك حتى اكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ

عمارة بيت المقدس لا يدع مضين من ملكه لقد كان لسبأ لأولاد سبأ بن يشجب
بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة
وعن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب
في مساكنهم في مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة
ثلاث وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائي بالكسر حملا على ما شذ من
القياس كالمسجد والمطلع آية علامة دالة على وجود الصانع المختار وانه قادر
على ما يشاء من الامور العجيبة مجازٍ للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق
كما في قصتي داود وسليمان جنتان بدل من آية او خبر محذوف تقديره الآية
جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين عن يمين
وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شمالها كل واحدة منها في تقاربها
وتضامها كأنها جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله
كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال
او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استئناف
للدلالة على موجب الشكر اي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم
الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب
على المدح قيل كانت اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة
فأعرضوا عن الشكر فأرسلنا عليهم سيل العرم سيل الامر العرم اي
الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد
او الجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا ضربته بلقيس فحقنت به ماء
الشجر وتركت فيه نقبا على مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة التي عقدت
على انه جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل اسم وادٍ جاء السيل من قبله
وكان ذلك بين عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما وبدلناهم بجنتيهم
جنتين ذواتي أكل خمط ثمر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة وقيل

الاراك وكل شجر لا شوك له والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه في كونه بدلا او عطف بيان واثل وشيء من سدر قليل معطوفا
على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفا ولا ثمر له وقرئا بالنصب عطفا على
جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك
يغرس في البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم وقرأ ابو عمرو
ذواتي اكل بغير تنوين اللام وقرأ الحرميان بتخفيف اكل ذلك جزيناهم
بما كفروا بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روي انه بعث اليهم ثلاثة
عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص وهل نجازي
الا الكفور وهل يجازى بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ في الكفران او الكفر
وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص نجازي بالنون والكفور بالنصب
وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها بالتوسعة على اهلها وهي قرى الشام
قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض وراكبة متن الطريق ظاهرة
لابناء السبيل وقدرنا فيها السير بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح
في قرية الى ان يبلغ الشام سيروا فيها على ارادة القول بلسان المقال او الحال
ليالي واياما متى شئتم من ليل ونهار امنين لا يختلف الامن فيها باختلاف
الاوقات او سيروا آمنين وان طالت مدة سفركم فيها او سيروا فيها ليالي
اعماركم واياما لا تلقون فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا
اشروا النعمة وملوا العافية كبني اسرائيل فسالوا الله ان يجعل بينهم و
بين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد
فاجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام بعّد
ويعقوب ربنا باعَدَ بلفظ الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا
في الترفه وعدم الاعتداد بما انعم الله عليهم فيه ومثله قراءة من قرأ ربنا
بعُد او بعّد على النداء واسناد الفعل الى بين وظلموا انفسهم حيث بطروا

النعمة ولم يعتدوا بها فجعلناهم احاديث يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب
مثل فيقولون تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم غاية
التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد
بعمان ان في ذلك فيما ذكر لآيات لكل صبار عن المعاصي شكور على
النعم ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي صدق في ظنه او صدق يظن
ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه كما في صدق
وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه او وجده
صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه
صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما
والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبا حين راى انهماكهم في الشهوات
او ببني آدم حين راى اباهم النبي صلى الله عليه وسلم ضعيف العزم او ما
ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة اتجعل فيها من
يفسد فيها فقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين
الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا
من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون وما كان له عليهم
من سلطان تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لنعلم من يؤمن
بالآخرة ممن هو منها في شك الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه
الجزاء او ليتميز المؤمن من الشاك او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر
ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وفي نظم الصلتين
نكتة لا تخفى وربك على كل شيء حفيظ محافظ والزنتان متآخيتان
قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم من دون الله اي زعمتموهم آلهة
وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته
مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما

قوله وقيل الضمير في قلوبهم للملائكة لانهم ما عبد ولانهم من الشفعاء المأذون لهم في الكلام ومر ضعفه وقوله على البناء للفاعل والفاعل ضمير اسمه المستتر اي ازال الله الفزع عنهم وقوله قرئ اي التفعيل وصيغة المجهول من الفراغ بالفاء والغين المعجمة وهو بمعنى ازيل ونفي ايضا وعن قلوبهم نائب الفاعل واصله فرغ الرجل عن قلوبهم شهاب

ولا لا يملكون لانهم لا تزعمونه من دون الله والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير او شر في السموات ولا في الارض في امر ما وذكرهما للعموم العرفي ولان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وارضية والجملة استيناف لبيان حالهم وما لهم فيهما من شرك من شركة لا خلقا ولا ملكا وما له منهم من ظهير يعينه على تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده ولا تنفعهم شفاعة ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله كالاصنام الا لمن اذن له اذن له ان يشفع له لعلو شانه ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى الثاني كاللام في جئتك لزيد وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي بضم الهمزة حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من ان ثم توقفا وانتظارا للاذن اي يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ اي نفى الوجل من فرغ الزاد اذا فنى قالوا قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة قالوا الحق قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه قل من يرزقكم من السموات والارض يريد به تقرير قوله لا يملكون قل الله اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم ان سكتوا او تلعثموا في الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية

لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبينين وهو بعد ما تقدم من التقرير
البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو فى الضلال ابلغ من التصريح
لانه فى صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان ٭ اتهجوه
ولست له بكفوء ٭ فشركما لخيركما الفداء ٭ وقيل انه على اللف والنشر وفيه
نظر واختلاف الحرفين لان الهادى كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلع
عليها او ركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال كانه منغمس فى ظلام مرتبك
لا يرى شيئا او محبوس فى مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها قل لا تسألون
عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون هذا ادخل فى الانصاف وابلغ فى الاخبات
حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين قل يجمع بيننا ربنا
يوم القيمة ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة
والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل فى القضايا المنغلقة العليم
بما ينبغى ان يقضى به قل ارونى الذين الحقتم به شركاء لارى باى صفة
الحقتموهم بالله فى استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبهتهم بعد الزام
الحجة عليهم زيادة فى تبكيتهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة
بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء
الملحقون متسمة بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة رأسا والضمير لله
او للشان وما ارسلناك الا كافة للناس الا ارسالة عامة لهم من الكف
فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم فى الابلاغ
فهى حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار
بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك و
يقولون من فرط جهلهم متى هذا الوعد يعنون المبشر به والمنذر عنه او
الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا ان كنتم صادقين يخاطبون به رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم وعد يوم او زمان وعد

واضافته الى اليوم للتبيين ويؤيده انه قرئ يوم على البدل وقرئ يوماً باضمار
اعني لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اذا فاجاكم وهو جواب تهديد
جاء مطابقاً لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار وقال الذين كفروا
لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولا بما تقدمه من الكتب الدالة
على البعث قيل ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم
فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين
يديه يوم القيمة ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اي في موضع
المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول يتحاورون ويتراجعون القول
يقول الذين استضعفوا يقول الاتباع للذين استكبروا للرؤساء
لولا انتم لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع
الرسول قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم
عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين انكروا انهم كانوا صادين لهم
عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى
وآثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم وقال الذين استضعفوا
للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اضراب عن اضرابهم اي لم يكن
اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائباً ليلاً ونهاراً حتى غررتم علينا رأينا اذ
تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له انداداً والعاطف يعطفه على
كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل
بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور واسروا الندامة لما
راوا العذاب واضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال واخفاها
كل عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة
تصلح للاثبات والسلب كما في اشكيته وجعلنا الاغلال في اعناق الذين
كفروا اي في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويهاً بذمهم واشعاراً بموجب اغلالهم

هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على اعمالهم وتعديه يجزى اما لتضمن معنى يقضى او لنزع الخافض وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها تسلية لرسول الله مما مني به من التكذيب والكفر بما جاء به وغير ذلك من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعي المعظم الى التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا الانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم به كافرون على مقابلة الجمع بالجمع وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا فنحن اولى بما تدعونه ان امكن وما نحن بمعذبين اما لان العذاب لا يكون او لانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب قل ردا لحسبانهم ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة في الخصايص والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى قربة والتي اما لان المراد وما جماعة اموالكم واولادكم او لانها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بالذي اي بالشيء الذي يقربكم الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اي الاموال والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا اي يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاصل اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز او المصدر لفعله الذي دل عليه لهم وهم في الغرفات آمنون من المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرأ حمزة في الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون في آياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين مسابقين لانبيائنا

قوله فلا تكرير لفيه تقرير لان التوسيع والتقتير ليسا لكرامة ولا هوان فانه لو كان كذلك لم يتصف بهما شخص واحد وقوله اما عاجلا او آجلا المراد بالعاجل ما في الدنيا وبالآجل ما في الاخرة ويجوز ان يريد ما نزل من نعمه واما تخصيصه بالاخرة فلا وجه له وهو مناف لما ورد في الاحاديث الصحيحة من لكل منفق خلف ولكل ممسك تلف فلذا لم يرتضه المص وان نقله الزمخشري عن مجاهد وعد الزمخشري من الخلف القناعة فانها كنز لا يفنى

اوظانين انهم يفوتوننا اولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى فهذا في شخص
واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير وما انفقتم من شيء فهو
يخلفه عوضا اما عاجلا او آجلا وهو خير الرازقين فان غيره وسط في ايصال
رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم نحشرهم جميعا المستكبرين والمستضعفين
ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا
لهم واقناطا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف
شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك واصله وقرأ
حفص بالياء فيهما قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم انت الذي نواليه
من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كانهم بينوا بذلك براءتهم عن الرضا بعبادتهم
ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون
الجن اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون لهم و
يخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول
للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم
لبعض نفعا ولا ضرا اذ الامر فيه كله له لان الدار دار جزاء وهو المجازي و
ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون عطف على
لا يملك مبين للمقصود من تمهيده واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا
ما هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم الا رجل يريد ان يصدكم عما كان
يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه وقالوا ما هذا يعنون القرآن الا
افك لعدم مطابقته ما فيه للواقع مفترى باضافته الى الله تعالى وقال الذين
كفروا للحق لما جاءهم لامر النبوة او للاسلام او القرآن والاول باعتبار
معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته
وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين

والمقول فيه وما في لفظهما من المبادهة الى البت تمهيد للقول انكار عظيم له
وتعجيب بليغ منه وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك
وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم على تركه وقد بان
من قبل ان لا وجه له فمن اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا في غاية التجهيل لهم
والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال وكذب الذين من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا
معشار ما آتيناهم وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من القوة وطول
العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى
فكذبوا رسلي فكيف كان نكير فحين كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير فكيف
كان نكيري لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير في كذب لان الاول للتكثير والثاني
للتكذيب او الاول مطلق والثاني مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء قل انما
اعظكم بواحدة ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة هي ما دل عليه ان تقوموا
لله وهو القيام من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم او الانتصاب في الامر
خالصا لوجه الله معرضا عن المراء والتقليد مثنى وفرادى متفرقين اثنين
اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول ثم تتفكروا
في امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيقته ومحله الجر على البدل
او البيان او الرفع او النصب باضمار هو او اعني ما بصاحبكم من جنة فتعلموا
ما به جنون يحمله على ذلك او استئناف منبه على ان ما عرفوا من رجاحة عقله
كاف في ترجيح صدقه فانه لا يدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم
من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤس الاشهاد ويسلم ويلقي نفسه
الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى ثم
تتفكروا اي شيء به من آثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد
قدامه لانه مبعوث في نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر اي شيء سألتكم من
اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السؤال عنه كانه جعل التنبي مستلزما

لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوى عليه لانه اما ان يكون لغرض
او غيره واياما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما موصولة مراد بها ما سألتهم
بقوله ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله لا اسألكم
عليه اجرا الا المودة فى القربى واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم ان اجرى
الا على الله وهو على كل شىء شهيد مطلع يعلم صدقى وخلوص نيتى وقرأ
ابن كثير وحمزة والكسائى وابو بكر باسكان الياء قل ان ربى يقذف بالحق
يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمى به الباطل فيدمغه او يرمى
به الى اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه وقرأ نافع وابو
عمرو بفتح الياء علام الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل
من المستكن فى يقذف او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة
لربى او مقدرا باعنى وقرأ حمزة وابو بكر الغيوب بالكسر كالبيوت والباقون
بالضم كالعشور وقرئ بالفتح على انه مبالغة غايب قل جاء الحق اى الاسلام
وما يبدئ الباطل وما يعيد وزهق الباطل اى الشرك بحيث لم يبق
له اثر ماخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال
اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدى ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او
الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده او لا يبدى خيرا لاهله ولا يعيده وقيل
ما استفهامية منتصبة بما بعدها قل ان ضللت عن الحق فانما اضل على
نفسى فان وبال ضلالى عليها فانه بسببها اذ هى الجاهلة بالذات والامارة
بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله وان اهتديت فبما يوحى الى
ربى قرأ نافع وابو عمرو بفتح الياء فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه انه
سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ولو ترى
اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب لو محذوف مثل لرأيت
فظيعا فلا فوت فلا يفوتون الله بهرب او تحصن واخذوا من مكان

قريب من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء
بدر الى القليب والعطف على فزعوا او لا فوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على
محله اى فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا به بمحمد وقد مر ذكره فى قوله
ما بصاحبكم وانى لهم التناوش ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا
سهلا من مكان بعيد فانه فى حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم
فى الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد عنهم بحال من يريد ان يتناول
الشيء من غلوة تناوله من ذراع فى الاستحالة وقرأ ابو عمرو والكوفيون غير
حفص بالهمز على قلب الواو لضمتها او انه من نأشت الشيء اذا طلبته قال
رؤبة اقحمني جار ابي الخاموش • اليك نأش القدر النئوش • او من نأشت اذا
تاخرت ومنه قوله تمنى نئيشا ان يكون اطاعني • وقد حدثت بعد الامور امور
فيكون بمعنى التناول من بعد وقد كفروا به بمحمد او بالعذاب من قوله بين يدي
عذاب شديد من قبل من قبل ذلك اوان التكليف ويقذفون بالغيب
ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم فى الرسول عم من المطاعن او
فى العذاب من البت على نفيه من مكان بعيد من جانب بعيد من امره
وهو الشبه التى تمحلوها فى امر الرسول وحال الآخرة كما حكاه من قبل ولعله
تمثيل لحالهم فى ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن
فى لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك وحيل بينهم وبين
ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة به من النار وقرأ ابن عامر والكسائى
باشمام الضم للحاء كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة الامم الدا[رجة]
انهم كانوا فى شك مريب موقع فى الريبة او ذى ريبة منقول من
المشكك او الشاك نعت به الشك للمبالغة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة مكية بسم الله الرحمن الرحيم وآيها خمس وأربعون آية

الحمد لله فاطر السموات والأرض مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كأنه شق
العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضي جاعل الملائكة
رسلا وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم
رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون
اليهم آثار صنعه اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع ذوي اجنحة متعددة
متفاوتة بتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها
نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد به خصوص
الاعداد ونفي ما زاد عليها لما روي انه عم رأى جبريل عم ليلة المعراج وله ستمائة
جناح يزيد في الخلق ما يشاء استيناف للدلالة على ان تفاوتهم في ذلك مقتضى
مشيئته ومؤدى حكمته لا امر يستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع
بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الامور المتفقة
وهو محال والآية متناولة زيادات الصور والمعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت
وحصافة العقل وسماحة النفس ان الله على كل شيء قدير وتخصيص بعض
الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة ما يفتح الله للناس
من رحمة ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب من رحمة كنعمة
وامن وصحة وعلم ونبوة فلا ممسك لها يحبسها وما يمسك فلا مرسل
له يطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة
والثاني مطلق يتناولها والغضب وفي ذلك اشعار بان رحمته
سبقت غضبه من بعده من بعد امساكه وهو العزيز الغالب على ما يشاء
ليس لاحد ان ينازعه فيه الحكيم لا يفعل الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموفق
للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه
فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف

بها وطاعة موليها ثم انكر ان يكون لغيره فى ذلك مدخل فيستحق ان يشرك
به بقوله هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو
فانى تؤفكون فمن اى وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره به ورفع غير
للحمل على محل من خالق بانه وصف او بدل فان الاستفهام بمعنى النفى او لانه
فاعل خالق وجره حمزة والكسائى حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء
ويرزقكم صفة لخالق او استيناف مفسر له او كلام مبتدأ وعلى الاخير يكون
اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله وان يكذبوك فقد كذبت
رسل من قبلك فتأس بهم فى الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه
استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضى زيادة التسلية
والحث على المصابرة والى الله ترجع الامور فيجازيك واياهم على الصبر و
التكذيب يا ايها الناس ان وعد الله بالحشر والجزاء حق لا خلف فيه فلا
تغرنكم الحياة الدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعى لها
ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية
فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة
وقرئ بالضم وهو مصدر او جمع كقعود ان الشيطان لكم عدو عداوة عامة قديمة
فاتخذوه عدوا فى عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه فى مجامع احوالكم
انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وبيان لغرضه
فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا الذين كفروا لهم عذاب
شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير وعيد لمن اجاب
دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للامانى الفارغة وبناء للامر كله على الايمان
والعمل الصالح وقوله افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا تقرير له اى افمن
زين له سوء عمله بان غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل
حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال

واستقبحها على ما هي عليه فحذف الجواب لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي
من يشاء وقيل تقديره افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة
فحذف الخبر الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليه ومعناه
فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب والفاآت
الثلاث للسببية غير ان الاوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب
وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم او كثرة مساوي افعالهم
المقتضية للتأسف وعليهم ليس صلة لها لان صلة المصدر لا تتقدمه بل
صلة تذهب او بيان للمتحسر عليه ان الله عليم بما يصنعون فيجازيهم عليه
والله الذي ارسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح فتثير سحابا
على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على
كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز
ان يكون اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر فسقناه الى بلد ميت وقرأ
نافع وحمزة والكسائي وحفص بتشديد الياء فاحيينا به الارض بالمطر النازل
منه وذكر السحاب كذكره او بالسحاب فانه سبب السبب والصائر مطرا بعد
موتها بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص لما
فيهما من مزيد الصنع كذلك النشور اي مثل احياء الموات نشور الاموات
في صحة المقدورية اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة في المقيس والمقيس
عليه وذلك لا مدخل له فيها وقيل في كيفية الاحياء فانه تعالى يرسل ماء من تحت
العرش تنبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة الشرف والمنعة فلله
العزة جميعا اي فليطلبها من عنده فان كلها له فاستغنى بالدليل عن
المدلول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب
به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله اياهما
او صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن في يرفعه للكلم فان العمل لا يقبل

الا بالتوحيد ويوتين انه نصب درجة العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقو

او لله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرى يصعد على البنا

والمصعد هو الله تع او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر

والدعا وقراءة القران وعنه عم هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله

والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم

يكن عمل صالح لم يقبل والذين يمكرون السيئات المكرات السيئات يعني مكرات

قريش للنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتداورهم الراي في احدى ثلث

وقتله واجلائه لهم عذاب شديد لا يوبه دونه بما يمكرون به ومكر اولئك هو

يبور يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة لا يتغير كما دل عليه بقوله والله

خلقكم من تراب بخلق ادم منه ثم من نطفة بخلق ذريته منها ثم جعلكم

ازواجا ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا معلومة له وما

يعمر من معمر وما يمتد في عمره من مصيره الى الكبر ولا ينقص من عمره

من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر ناقص من عمره او لا ينقص من عمر المنقوص عمره

بجعله ناقصا والضمير له المنقوص عمره وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه

او للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه

الا بحق وقيل الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت

في اللوح مثل ان يكون فيه ان حج عمرو فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل

المراد بالنقصان ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في صحيفة عمره يوما فيوما

وعن يعقوب ولا ينقص على البناء للفاعل الا في كتاب هو علم الله او اللوح

او الصحيفة ان ذلك على الله يسير اشارة الى الحفظ او الزيادة والنقص

وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب

مثل للمومن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره

والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرى سيغ بالتخفيف والتشديد وملح على فعل

ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها استطراد في صفة
البحرين وما فيهما من النعم او تمام التمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد
لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط احدهما ما افسده وغيره
عن كمال الفطرة لا يتساوى المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما في بعض الصفات
كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصة العظمى وبقاء احدهما على الفطرة
الاصلية دون الآخر او تفضيل للاجاج على الكافر بما يشارك العذب من المنافع
والمراد بالحلية اللآلي واليواقيت وترى الفلك فيه في كل مواخر تشق الماء بجريها
لتبتغوا من فضله على ذلك وحرف الترجي باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل
يجري لاجل مسمى هي مدة دوره او منتهاه او يوم القيمة ذلكم الله ربكم
له الملك الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء وفيها اشعار بان فاعليته لها
موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له الملك كلاما مبتدأ في
قران قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على
تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة ان تدعوهم لا
يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا
لكم لعدم قدرتهم على الانفاع او لتبريهم منكم مما تدعون لهم ويوم
القيمة يكفرون بشرككم باشراككم لهم يقرون ببطلانه او يقولون
ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر مثل
خبير به اخبرك وهو الله سبحانه فانه الخبير به على الحقيقة دون سائر
المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم
يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء
للمبالغة في فقرهم كانهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء
وان افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك

قال وخلق الانسان ضعيفا والله هو الغني الحميد المستغني على الاطلاق
المنعم على سائر الموجودات حتى يستحق عليهم الحمد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق
جديد بقوم آخرين اطوع منكم او بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك على الله
بعزيز بمتعذر او متعسر ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس آثمة اثم
نفس اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففي الضالين
المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شيء من
اوزار غيرهم وان تدع مثقلة اى نفس اثقلتها الاوزار الى حملها يحمل بعض
اوزارها لا يحمل منه شيء لم تجب بحمل شيء منه نفي ان يحمل عنها ذنبها
كما نفي ان يحمل عليها ذنب غيرها ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو ذا قرابتها
فاضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى
من جعل كان التامة فانها لا تلائم نظم الكلام انما تنذر الذين يخشون
ربهم بالغيب غائبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او غائبا عنهم
واقاموا الصلوة فانهم المنتفعون بالانذار لا غير واختلاف الفعلين
لما مر ومن تزكى ومن تطهر عن دنس المعاصي فانما يتزكى لنفسه اذ
نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقا
الصلاة لانها من جملة التزكي والى الله المصير فيجازيهم على تزكيهم وما
يستوي الاعمى والبصير الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم ولله عز وجل
ولا الظلمات ولا النور ولا الباطل ولا الحق ولا الظل ولا الحرور ولا
الثواب ولا العقاب ولا لتأكيد نفي الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التأكيد
والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور ما
يهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات تمثيل آخر للمؤمنين
والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء ان الله
يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما انت

بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناطه
عنهم ان انت الا نذير فما عليك الا الانذار واما الاسماع فلا اليك ولا حيلة
لك اليه في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى انا ارسلناك بالحق محقين
او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله بشيرا ونذيرا
اى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اهل عصر الا خلا
مضى فيها نذير من نبي او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة
البشارة سيما وقد قرن به من قبل ولان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة
وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
الشاهدة على نبوتهم وبالزبر وبصحف ابراهيم وبالكتاب المنير كالتورية و
الانجيل على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير
الوصفين ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اى انكارى بالعقوبة الم
تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها اجناسها
او اصنافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيئاتها من الصفرة والخضرة
ونحوهما ومن الجبال جدد اى ذو جدد اى خطط وطرائق ويقال جدة الحمار للخطة
السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين
وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب
سود عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون ومنها
غرابيب متحدة اللون وهو تاكيد مضمر يفسره فان الغربيب تاكيد للاسود
ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد ونظير ذلك في الصفة قول النابغة والمؤمن
العائذات الطير وفي مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار
ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك كاختلاف الثمار و
الجبال انما يخشى الله من عباده العلماء اذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم
بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه ولذلك قال عم اني اخشاكم

لله وانقادا كرله ولذلك اتبعه بذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول
لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر لانعكس الامر وقرئ برفع اسم الله ونصب
العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز
غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب
عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله يداومون قراءته او متابعة ما فيه حتى
صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القران او جنس كتب الله فيكون ثناء
على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين واقاموا الصلوة وانفقوا
مما رزقناهم سرا وعلانية كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنون
والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان
لن تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله ليوفيهم اجورهم
علة لمدلوله اي ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور
اعمالهم او لمدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم او عاقبة ليرجون
ويزيدهم من فضله على ما يقابل اعمالهم انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم
اي مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان ويرجون حال من واو
وانفقوا والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني القران ومن للتبيين او الجنس
ومن للتبعيض هو الحق مصدقا لما بين يديه احقه مصدقا لما تقدمه من
الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه في العقائد
واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير عالم بالبواطن والظواهر
فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي
هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على ان العمدة في ذلك الامور
الروحانية ثم اورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبر عنه بالماضي
لتحققه او اورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين والذي اوحينا
اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا من عبادنا يعني

الله وانقاكم له ولذلك اتبعه بذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول
لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر لانعكس الامر وقرئ برفع اسم الله ونصب
العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز
غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب
عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله يداومون على قراءته او متابعة ما فيه حتى
صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن او جنس كتب الله فيكون ثناء
على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين واقاموا الصلوة وانفقوا
مما رزقناهم سرا وعلانية كيفما اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنون
والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان
لن تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله ليوفيهم اجورهم
علة لمدلوله اي ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور
اعمالهم او لمدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم او عاقبة ليرجون
ويزيدهم من فضله على ما يقابل اعمالهم انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم
اي مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان ويرجون حال من واو
وانفقوا والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني القرآن ومن للتبيين او الجنس
ومن للتبعيض هو الحق مصدقا لما بين يديه احقه مصدقا لما تقدمه من
الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه في العقائد
واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير عالم بالبواطن والظواهر
فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي
هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على ان العمدة في ذلك الامور
الروحانية ثم اورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبر عنه بالماضي
لتحققه او اورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين والذي اوحينا
اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا من عبادنا يعني

علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم فان الله اصطفاهم على سائر
الامم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب
الاوقات ومنهم سابق بالخيرات باذن الله بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل
الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد
الذي خلط الصالح بالسيء والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيآته
مكفرة وهو معنى قوله عم اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب
واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم
فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر
على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون
الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان ذلك هو الفضل
الكبير اشارة الى التوريث او الاصطفاء او السبق جنات عدن يدخلونها
مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة او للذين او للمقتصد والسابق فان المراد بهما
الجنس وقرئ جنة عدن وجنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرأ ابو عمرو
يدخلونها على بناء المفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون
من حليت المرأة فهي حال من اساور من ذهب من الاولى للتبعيض والثانية
للتبيين ولؤلؤا عطف على ذهب اي من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء
اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا على محل من اساور ولباسهم فيها حرير وقالوا
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن همهم من خوف العاقبة او همهم من اجل
المعاش وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن ان ربنا لغفور
للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا دار المقامة دار الاقامة من
فضله من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب تعب
ولا يمسنا فيها لغوب كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد اتبع نفي النصب ما يتبعه نفيا
مبالغة والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان

قوله ما تذكر فيه اشارة الى انها موصولة او موصوفة لا مصدرية ظرفية كما قال ابو حيان انه يمنع التذكر لان قيل انه غلط لان ضمير فيه يأباه لانها لا يعود عليها ضمير الا على قول الاخفش باسميتها وهو ضعيف ولعله جعل الضمير للعمر المفهوم من نعمركم فلا غلط فيه كما قيل ولا يصح كونها نافية لفساد المعنى كما قاله الحلبي

قوله عنه صلى الله عليه وسلم العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن ادم ستون سنة والحديث صحيح رواه البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعذر الله الى رجل اخر اجله حتى بلغ ستين سنة

فيموتوا فيستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد اسعارها كذلك مثل ذلك الجزاء نجزى كل كفور مبالغ في الكفر والكفران وقرأ ابو عمرو يجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والآن تحقق لهم خلافه اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه متناول لكل عمر تمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين الى الستين وعنه عم العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن ادم ستون سنة والعطف على معنى اولم نعمركم فانه للتقرير كانه قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبي او الكتاب وقيل العقل او الشيب او موت الاقارب فذوقوا فما للظالمين من نصير يدفع عنهم العذاب ان الله عالم غيب السموات والارض لا يخفى عليه خافية فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيره هو الذي جعلكم خلائف في الارض يلقى اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف فمن كفر فعليه كفره جزاء كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان له والتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الآخرة قل ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله يعني آلهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء الله او لانفسهم

قوله اومن الامة التي فالمراد تفضيلهم
على تلك الامم كما يقال هو واحد عصره وفي
الكشف نقلا عن الزمخشري انا العرب
تقول للداهية العظيمة هي احدى الاحد
واحدكم من سبه اي احدى ثيابي غاد
في الشرع وذكرالله هنا على تفضيلهم

فيما يملكونه ادوني ماذا خلقوا من الارض بدل من ادايتم بدل الاشتمال لان
بمعنى اخبروني عن هؤلاء الشركاء اروني اي جزء من الارض استبدوا بخلقه
ام لهم شرك في السموات ام لهم شركة مع الله في خلق السموات فاستحقوا بذلك
شركة في الوهية ذاتية ام اتيناهم كتابا ينطق على انا اتخذناهم شركاء فهم على
بينة منه على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون هم للمشركين
لقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرأنافع وابن عامر ويعقوب وابوبكر والكسائي
على بينات فيكون ايماء الى ان الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل بل ان
يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه
بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف الاخلاف والرؤساء الاتباع بانهم شفعاء
عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليهم ان الله يمسك السموات والارض ان
تزولا كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا
لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما ما امسكهما من احد من بعده
من بعد الله او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى زائدة
والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان
تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا
واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم
وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود و
النصارى لو اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اي من واحدة من الامم اليهود
والنصارى وغيرهم او من الامة التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها
في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما زادهم
اي النذير او مجيئه على التسبب الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا في الارض
بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيئ واصله وان مكروا المكر السيئ فحذف
الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف وقرأ حمزة

وحمزة بسكون الهمزة في الوصل ولا يحيق ولا يحيط المكر السيء الا باهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر اي لا يحيق الله فهل ينظرون ينتظرون الا سنة الاولين سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اذ لا يبدلها بجعله غير التعذيب تعذيبا ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليه بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض انه كان عليما بالاشياء كلها قديرا عليها ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى هو يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على اعمالهم عن النبي صلى الله عليه وسلم سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت ٥

سورة يس مكية وعنه صلى الله عليه وسلم ان يس تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة وآيها ثلاث وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يس كالم في المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طيء على ان اصله يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل م الله في ايمن الله وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على البناء كاين او الاعراب على اتل يس او باضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث او اعرابا على هذه يس واما ل الياء حمزة والكسائي وابو بكر وروح وادغم النون في واو والقرآن الحكيم ابن عامر والكسائي ويعقوب وابو بكر وورش وهي واو القسم او العطف ان جعل يس مقسما به ٥

هلل

قوله غير منذر بصيغة المفعول المنون وآباؤهم نائب فاعل فما نافية والجملة صفة قوما مستدعية لتلك الجملة اى المرسلين والمفعول الثانى محذوف اى عذابا لقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فما تحتمل الاربعة اوجه النافية والموصولة والموصوفة والمصدرية ولا انذار التخويف والاعلام والمراد الاول ويجوز ارادة الثانى ايضا وما كان بين هذا التوجيه والتوجيه الاخر الدال على ان آباءهم وبين قوله وان من امة الا خلا فيها نذير منافاة بحسب الظاهر وجهه بان المراد آباؤهم الاقربون دون الابعدين فان اسماعيل عليه الصلاة والسلام انذرهم وبلغهم شريعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقد كان منهم من تمسك بشرعه وان لم يحد عن نظائره المعدود واما عيسى صلى الله عليه فلم يرسل اليهم على المشهور فلا ينافى ان هؤلاء لم ينذروا مطلقا بناء على ان احد الاقوال فى اهل الفترة وفى التعليل كلام

شهاب

إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة في الامور ويجوز ان يكون على صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكن في الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب باضمار اعني وفعله على انه على اصله وقرئ بالجر على البدل من القرآن لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى المرسلين ما انذر آباؤهم قوما غير منذر آباؤهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى رسالته او الذي انذر به او شيئا انذر به آباؤهم الابعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذارا باؤهم على المصدر فهم غافلون متعلق بالنفي على الاول اي لم ينذروا فبقوا غافلين وبقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخر اي ارسلناك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم يعني قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فهم لا يؤمنون لانهم ممن علم انهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغني عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم يطاطئون رؤسهم له فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وبمن احاط بهم سدان فغطي ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم في انهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الآيات والدلائل وقرأ حمزة والكسائي وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشا وقيل الآيتان في بني مخزوم حلف ابو جهل ان يرضخ رأس النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها

بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي اخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب
فاعماه الله وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون سبق في
البقرة تفسيره انما تنذر انذارا يترتب عليه البغية المرومة من اتبع
الذكر وخشي اي القرآن بالتامل فيه والعمل به وخشي الرحمن بالغيب
وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله او في سريرته ولا يغتر برحمته
فانه كما هو رحمن منتقم قهار فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي
الموتى اي الاموات بالبعث والجهال بالهداية ونكتب ما قدموا ما اسلفوا
من الاعمال الصالحة والطالحة وآثارهم الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه
والسيئة كاشاعة باطل وتاسيس ظلم وكل شيء احصيناه في امام مبين
يعني اللوح المحفوظ واضرب لهم ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على
ضرب واحد اي مثال واحد وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل
وهما مثلا اصحاب القرية على حذف مضاف اي اجعل لهم مثل اصحاب
القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ
او بيانا له والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل من اصحاب القرية
والمرسلون رسل عيسى الى اهلها واضافته الى نفسه في قوله اذ ارسلنا
اليهم اثنين لانه فعل رسوله وخليفته وهما يحيى وبولس وقيل غيرهما
فكذبوهما فعززنا بثالث فقويناهما وقرأ ابو بكر مخففا من عزه اذا غلبه
وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به وهو
شمعون فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك انهم كانوا عبدة اصنام
فارسل اليهم عيسى عم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا حبيب النجار يرعى
غنما فسألهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه
والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرأ فآمن حبيب وفشى الخبر فشفي على ايديهما
خلق وبلغ حديثهما الى الملك فقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك

والهتك فقال الحق انظر في امركما فحبسهما ثم بعث عيسى عم شمعون فدخل

متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استأنسوا به واوصلوه الى الملك فانس به

فقال له يوما سمعت انك حبست رجلين فقال هل سمعت ما يقولانه قال لا

فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك

فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال وما آيتكما قالا

ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذ

بندقتين فوضعهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون

ارايت لو سالت الهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف فقال ليس

لي عنك سر الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما على

احياء ميت امنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا الله فقام وقال

اني دخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فامنوا وقال فتحت

ابواب السماء فرايت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذان فلما

راى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن في جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبرئيل

فهلكوا **قالوا ما انتم الا بشر مثلنا** لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم

بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي اعمال ما بالا **وما انزل**

الرحمن من شيء وحي او رسالة **ان انتم الا تكذبون** في دعوى الرسالة

قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله وهو يجري

مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم **وما علينا الا**

البلاغ المبين الظاهر البين بالايات الشاهدة بصحته وهو المحسن للاستشهاد

فانه لا يحسن الا ببينة **قالوا انا تطيرنا بكم** تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم

بما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه **لئن لم تنتهوا** عن مقالتكم

هذه **لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم** سبب

شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم وقرئ طيركم **ائن ذكرتم**

وعظتم وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم او توعدتم لان ذكرتم وان وان بغير استفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل
انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فمن ثم جاءكم الشوم
وفى الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به وجاء من
اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن
آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة وقيل كان فى غار يعبد الله فلما
بلغه خبر الرسل اظهر دينه قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم
اجرا على النصح وتبليغ الرسالة وهم مهتدون الى خير الدارين وما لى لا اعبد
الذى فطرنى على قراءة غير حمزة فانه يسكن الياء فى الوصل تلطف فى الارشاد
بايراده فى معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد
تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال واليه ترجعون
مبالغة فى التهديد ثم عاد الى المساق الاول أأتخذ من دونه آلهة ان يردن
الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا لا تنفعنى شفاعتهم ولا ينقذون
بالنصر والمظاهرة انى اذا لفى ضلال مبين فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع
ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر واشراكه به ضلال
بين لا يخفى على عاقل وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الياء انى آمنت بربكم الذى
خلقكم وقرأ نافع وابو عمرو وابن كثير بفتح الياء فاسمعون فاسمعوا ايمانى
وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم قبل ان
يقتلوه قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه بشرى بانه من اهل الجنة
او اكراما واذنا فى دخولها كسائر الشهداء او لما هموا بقتله رفعه الله الى الجنة
على ما قاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول دون المقول له فانه
معلوم والكلام استيناف فى حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه
بعد تصلبه فى نصر دينه ولذلك قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى

وجعلني من المكرمين فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك الفوز له وانما
تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في
الايمان والطاعة على دأب الاولياء في كظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا
انهم على خطاء عظيم في امره وانه كان على حق وقرئ المكرمين وما خبرية او مصدرية
والباء صلة يعلمون او استفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر اي باي
شيء غفر لي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا على قومه
من بعده من بعد اهلاكه او رفعه من جند من السماء لاهلاكهم كما ارسلنا
يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء
بتعظيم الرسول عم وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك
قومه اذ قدرنا لكل شيء سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ما
موصولة معطوفة على جند اي وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار
شديدة ان كانت ما كانت الاخذة والعقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبريل
وقرئت بالرفع على كان التامة فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار رمزا
الى ان الحي كالنار الساطع والميت كرماده كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب
وضوءه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد تعالي فهذه من الاحوال
التي من حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليها ما يأتيهم من رسول الا كانوا به
يستهزءون فان المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين
احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين
ويجوز ان يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه
على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار
فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول
ويا حسره على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق
عن قوله كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية

لان اصلها الاستفهام انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم على المعنى اي الم يروا
كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرى بالكسر على الاستيناف
وان كل لما جميع لدينا محضرون يوم القيمة للجزا وان مخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة وما مزيدة للتاكيد وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى
الا فيكون ان نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون وآية
لهم الارض الميتة وقرا نافع بالتشديد احييناها خبر للارض والجملة خبر
اية او صفة لها اذ لم يرد بها معينة وهي الخبر او المبتدا والاية خبرها او استيناف
لبيان كونها اية واخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه ياكلون قدم الصلة
للدلالة على ان الحب معظم ما يوكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل
واعناب من انواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب لان الدال على الجنس
مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق
الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرى
بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون اي شيئا من العيون
فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة عند الاخفش
لياكلوا من ثمره ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله على طريقة الالتفات
والاضافة اليه لان الثمر بخلقه وقرا حمزة والكسائي بضمتين وهو لغة فيه
او جمع ثمار وقرى بضمة وسكون وما عملته ايديهم عطف على الثمر والمراد
ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمراد ان الثمر بخلق
الله لا بفعلهم ويويد الاول قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان حذفه
من الصلة احسن من غيرها افلا يشكرون امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه
سبحان الذي خلق الازواج كلها الانواع والاصناف مما تنبت الارض
من النبات والشجر ومن انفسهم الذكر والانثى ومما لا يعلمون وازواجا
مما لا يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته وآية لهم الليل نسلخ

منه النهار نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام في على به ما سبق

فاذا هم مظلمون داخلون في الظلام والشمس تجري لمستقر لها لحد معين

ينتهي اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها

فيه توجد ابطاء بحيث يظن ان لها هناك وقفة قال والشمس حيرى لها بالجو تدو

او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب

فان لها في دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب

في مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ

لا مستقر لها ولا مستقر لها اي لا سكون فانها متحركة دائما ولا مستقر على

ان لا بمعنى ليس ذلك الجري على هذا التقدير المتضمن للحكم التي تكل الفطن

عن احصائها تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط

علمه بكل معلوم والقمر قدرناه قدرنا مسيره منازل اي سيره في منازل

وهي ثمانية وعشرون الشرطين البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة

الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانا

الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود

سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت

ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان في اخر منازله

وهو الذي يكون فيه قبيل الاجتماع دق فاستقوس وقرأ الكوفيون وابن عامر

القمر بنصب الراء حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج

وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم

العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها يصح لها ويتسهل

ان تدرك القمر في سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان

او في اثاره ومنافعه او مكانه بالنزول الى محله او سلطانه فتطمس نوره و

ايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما اريد بها

وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما
وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وتبديل
الادراك بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره وَكُلٌّ وكلهم والتنوين عوض المضاف
اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما في الذات
او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ يسيرون فيه بانبساط
وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم
ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم
لان استقرارهم في السفن اشق وتماسكهم فيها اعجب وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم
فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ المملوء وقيل المراد فلك نوح عليه السلام وحمل الله ذرياتهم فيها
انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وتخصيص الذرية لانه
ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب مع الايجاز وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ من مثل
الفلك مَا يَرْكَبُونَ من الابل فانها سفائن البر او من السفن والزوارق وَإِنْ
نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق او فلا استغاثة
كقولهم اتاهم الصريخ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ينجون من الموت به إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا
الا لرحمة ولتمتع بالحيوة إِلَى حِينٍ زمان قدر لآجالهم وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا
مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ الوقائع التي خلت والعذاب المعد في الآخرة او
نوازل السماء ونوائب الارض كقوله اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من
السماء والارض او عذاب الدنيا وعذاب الآخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب
وما تأخر لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف
دل عليه قوله وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ
كانه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ على محاويجكم قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
بالصانع يعني معطلة كانوا بمكة لِلَّذِينَ آمَنُوا تهكما بهم من اقرارهم به و

وتعليقهم الامور بمشيئته أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ على زعمكم وقيل قاله
مشركوا قريش حين استطعمهم فقرآء المؤمنين ايهاما بان الله تعالى لما كان قادرا ان يطعمهم
ولم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها
حث الاغنيآء على اطعام الفقرآء وتوفيقهم له إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ حيث
امرتمونا بما يخالف مشيئة الله ويجوز ان يكون جوابا من الله لهم او حكاية لجواب
المؤمنين لهم وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ يعنون وعد البعث
مَا يَنْظُرُونَ ما ينتظرون إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً هي النفخة الاولى تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ
يَخِصِّمُونَ يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله
فتأخذهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون واصله يختصمون فسكنت التاء وادغمت
ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرأ ابن كثير بفتح الخاء
على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو وقالون به مع الاختلاس وعن نافع الفتح
فيه والاسكان وكانه جوز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وقرأ حمزة
يخصمون من خصمه اذا جادله فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً في شيء من امورهم
وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
اي مرة ثانية وقد سبق في سورة المؤمنين فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ من القبور
جمع جدث وقرئ بالفاء إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ يسرعون وقرئ بالضم قَالُوا
يَا وَيْلَنَا وقرئ يا ويلتنا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا وقرئ من اهبنا من هب من
نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط
عقولهم يظنون انهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر
وسكت حفص وحده عليها سكتة لطيفة والوقف عليها في ساير القرآن حسن
هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ مبتدأ وخبر وما مصدرية او موصولة
محذوف الراجع او هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف او مبتدأ خبره
محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب

قوله وفيه ترشيح ورمز اي فيما ذكر على قراءة هبنا
واهبنا او على القرآآت اشارة الى ان في المرقد استعارة
اصلية ان كان مصدرا وتبعية ان كان اسم مكان مشبه
الموت بالرقاد ثم استعير له اسمه ووجه الشبه الاستراحة
من الافعال الاختيارية وهو في المشبه به اقوى وان توهم
بعضهم انه ليس باقوى نظرا انه عدم الافعال وهو في الموت
اقوى واما كون البعث وهو في النوم اقوى واشهر اذ لا
شبهة فيه لاحد وبالقرينة صدوره من الموتى فمع انه غير
موافق لكلام المصنف لا يحسن فيه لان البعث القيام من النوم
والقبر وهو حالة مضادة له فلا يحسن جعلها وجه شبه
في الاستعارة التهكمية وشرطها منها مع انه لا
يشترط فيه كونه اقوى فقط بل اشهر واعرف وكذلك
انه اعرف في النوم لتكرره على الحس واما كون المعنى
على التوجيه الثاني فيه نظر لانه لا اختصاص له بالنوم
لا بالموت فكما لا يصح ان يكون قرينة لا يصح ان يكون ترشيحا
فمن جعله ترشيحا فلعله لكونه اعرف في النوم مع انه مشترك
او لانه مشترك بينهما فلا يلاحظ احد معنييه بدون قرينة
وذكره مع الرقاد يتبادر منه معنى التصويت من النوم
ترشيحا او هو حقيقة وهنا مجاز الحق بالحقيقة في لسان
الشرع وما قيل من ان المراد بالترشيح معناه اللغوي
اذ لا تشبيه هنا ولا استعارة فلا معنى له اصلا

الملائكة او المؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا
لهم عليه وتنبيها بان الذي يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كانهم
قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وارسل اليكم الرسل فصدقوكم
وليس الامر كما تظنون فانه ليس ببعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما
هو البعث الاكبر ذو الاهوال ان كانت ما كانت الفعلة الا صيحة واحدة
هي النفخة الاخيرة وقرئ بالرفع على كان التامة فاذا هم جميع لدينا محضرون
بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن
الاسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس شيئا
ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود
وتمكينا له في النفوس وكذا قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون
متلذذون في النعمة من الفكاهة وفي تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه
من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى ما يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه
الكلام وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو في شغل بالسكون ويعقوب في رواية
فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان يكون في شغل صلة لفاكهون
وقرئ فكهون بالضم وهي لغة كنطس ونطس وفاكهين وفكهين على الحال
من المستكن في الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات هم
وازواجهم في ظلال جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة
والكسائي في ظلل على الارائك على السرر المزينة متكئون وهم مبتدأ
خبره متكئون او خبر ثان او متكئون والجاران صلتان له او تاكيد للضمير في
في شغل او فاكهون وعلى الارائك متكئون خبر آخر لان هم وازواجهم عطف
عليهم للمشاركة في الاحكام الثلاثة وفي ظلال حال من المعطوف والمعطوف
عليه لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ما يدعون به لانفسهم يفتعلون
من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه او ما يتداعونه كقولك ارتموه

يمعنى تراموه او يتمنون من قولهم ادع على ما شئت بمعنى تمنه على وما يدعون
في الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم
خبرها وقوله سلام بدل منها او صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر
محذوفا ومبتدأ محذوف اى ولهم سلام وقرئ بالنصب على المصدر والحال
اى لهم مرادهم خالصا قولا من رب رحيم اى يقول الله او يقال لهم قولا كائنا
من جهته والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة
لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص وامتازوا
اليوم ايها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة
كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا عن كل خير و
تفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا يُرى الم اعهد
اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما
للحجة وعهده اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته
الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها والمزين لها
وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة واحهد واحد على لغة بني تميم انه لكم عدو
مبين تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه وان اعبدوني
عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم اشارة الى ما عهد اليهم او
الى ما عهد اليهم او الى عبادته والجملة استيناف لبيان المقتضى للعهد بشقيه او بالشق
الآخر والتنكير للمبالغة والتعظيم او للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض
الطريق المستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون
رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له
ادنى عقل ورأى والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائي
بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف والكل
لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد الاجيال هذه جهنم

التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها اليوم بكفركم في الدنيا اليوم نختم على افواههم نمنعها من الكلام وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها على افعالها او بانطاق الله تعالى اياها وفي الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لمسحنا على اعينهم حتى تصير ممسوحة فاستبقوا الصراط فاستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض وبتضمين الاستباق معنى الابتدار او جعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف فانى يبصرون الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ ابو بكر مكاناتهم فما استطاعوا مضيا ذهابا ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل ولا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتي والعتي ومضيا كصبي والمعنى انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم احقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم ومن نعمره ومن نطل عمره ننكسه في الخلق نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدو امره وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو ابلغ والنكس اشهر افلا يعقلون ان من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على تدريج وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد لقولهم ان محمدا شاعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن فانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتأتى له ان اراد قرضه على ما اختبرتم طبعه نحوا من اربعين سنة وقوله عليه السلام انا النبي

قوله فانى يبصرون انى بمعنى كيف والمقصود انكار رؤيتهم وقوله بتغيير صورهم هو حقيقة المسخ وابطال القوى لقوله فما استطاعوا والمكانة بمعنى المكان هنا ويكون في الرتبة والمنزلة ويجمدون بالجيم والدال المهملة مبنيا للفاعل او المفعول من الاجماد وبالخاء المعجمة تحريف والمراد انهم لا يقدرون على مفارقة مكانهم والقراءة بالجمع لتعددهم قوله انا النبي لا كذب اشارة الى ان صفة النبوة يستحيل معها الكذب فكانه قال انا النبي والنبي لا يكذب فلست بكاذب فيما اقول حتى انهزم وانا متيقن ان الذي وعدني الله به من النصر حق فلا يجوز علي الفرار والذي صححه اهل السير انه قال يوم حنين وهو على بغلته الشهباء وابو سفيان بن الحارث آخذ بزمامها وقول شراح الكشاف انه قال يوم حنين حين نزل ودعا واستنصر مخالف للرواية شهاب

لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله

ما لقيت اتفاقي من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا في

تضاعيف المنثورات على ان الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روي

انه حرك البائين وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن

اي وما يصح للقرآن ان يكون شعرا ان هو الا ذكر عظة وارشاد من الله تعالى

وقرآن مبين وكتاب سماوي يتلى في المعابد ظاهر انه ليس من كلام البشر لما فيه من

الاعجاز لينذر القرآن او الرسول ويؤيده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء

من كان حيا عاقلا فهما فان الغافل كالميت ومؤمنا في علم الله فان الحياة

الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ويحق القول وتجب كلمة

العذاب على الكافرين المصرين على الكفر وجعلهم في مقابلة من كان حيا

اشعارا بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تاملهم اموات في الحقيقة اولم

يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه

غيرنا وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص

والتفرد بالاحداث انعاما خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة

المنافع فهم لها مالكون متملكون بتمليكنا اياهم او متمكنون من ضبطها

والتصرف فيها بتسخيرنا اياها لهم قال · اصبحت لا احمل السلاح ولا · املك

راس البعير ان نفرا وذللناها لهم وصيرناها منقادة لهم فمنها ركوبهم

مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم

اي ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم ومنها يأكلون اي ما يأكلون لحمه

اي ما يأكلون لحمه ولهم فيها منافع من الجلود والاصواف والاوبار ومشارب

من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر وامال الشين ابن عامر وحده

برواية هشام افلا يشكرون نعم الله في ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها

كيف امكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة واتخذوا من دون الله آلهة

اشركوها به في العبادة بعدما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة
وعلموا انه المتفرد بها لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور
والامر بالعكس لا يستطيعون نصرهم وهم لهم لآلهتهم جند محضرون
معدون لحفظهم والذب عنهم ومحضرون اثرهم في النار فلا يحزنك
فلا يهمنك وقرئ بضم الياء من احزن قولهم في الله بالالحاد والشرك وفيك
بالتكذيب والتهجين انا نعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم عليه
وكفى ذلك ان تتسلى به وهو تعليل للنهي على الاستيناف ولذلك لو قرئ انا
بالفتح على حذف لام التعليل جاز اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو
خصيم مبين تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح
بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا في الخصومة بينا ومنافاة لجحود القدرة
على ما هو اهون مما عمله في بدء خلقه ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقه
من اخس شيء وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب روي ان ابي بن خلف
اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده وقال اترى الله يحيي هذا بعد
ما رم فقال عليه السلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم
مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما في نفسه
وضرب لنا مثلا امرا عجيبا وهو نفي القدرة على احياء الموتى وتشبيهه بخلقه
بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ونسي خلقه خلقنا اياه قال من يحيي العظام
وهي رميم منكرا اياه مستبعدا له والرميم ما بلي من العظام ولعله فعيل بمعنى
فاعل من رم الشيء صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث او بمعنى مفعول من رممته
وفيه دليل على ان العظم ذو حياة فيؤثر فيه الموت كسائر الاعضاء والمادة على قل يحييها الذي
انشأها اول مرة فان قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه والمادة على حالها
في القابلية اللازمة لذاتها وهو بكل خلق عليم يعلم تفاصيل المخلوقات
بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة اصولها وفصولها

ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى بعض على النمط السابق واعادة
الاعراض والقوى التي كانت فيها او احداث مثلها الذي جعل لكم من الشجر
الاخضر كالمرخ والعفار نارا بان يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان
يقطر منهما الماء فتنقدح النار فاذا انتم منه توقدون لا تشكون في
انها نار تخرج منه فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من
المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس
وبلي وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله فمالئون منها البطون اوليس
الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شانهما بقادر على ان
يخلق مثلهم في الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او مثلهم في اصول الذات
وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر بلى جواب من الله لتقرير ما بعد النفي
مشعر بانه لا جواب سواه وهو الخلاق العليم كثير المخلوقات والمعلومات
انما امره شانه اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون اي يحدث وهو تمثيل
لتاثير قدرته في مراده بامر المطاع للمطيع في حصول المامور من غير امتناع
وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس
قدرة الله على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر فسبحان الذي بيده ملكوت
كل شيء تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه مالكا
للامر كله قادرا على كل شيء واليه ترجعون وعد ووعيد للمقرين والمنكرين
وقرا يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس رض كنت لا اعلم ما روي في فضل
يس كيف خصت به فاذا انه لهذه الآية وعنه عم ان لكل شيء قلبا وقلب
القرآن يس من قراها يريد بها وجه الله غفر له واعطي من الاجر كانما قرا
القرآن اثنين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت
يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه
ويستغفرون له ويشهدون غسله ويشيعون جنازته ويصلون عليه

قوله اثنين وعشرين مرة الخ قد عرفت انه مخالف لرواية
الترمذي عشر مرات فان قلت يلزم من هذا تفضيل
الشيء على نفسه لانه يس من جملة القرآن قلت ليس هذا
بلازم اذ يكفي في صحته التغاير الاعتباري فان يس من
حيث كونها زيادة غير كونها مقرونة في جملته كما اذا قلت
لفلس في الحالة الحاضرة احسن منها في البقية وقد يكون
الشيء مفردا ما ليس له مجموعا مع غيره كما يشاهد في بعض
الادوية الا ترى ان آيات الحفظ جربت خاصيتها اذا كتبت
مفردة دون ما اذا كانت في المصحف وقد قيل لبعض الملوك
انها تمنع سرقة المتاع فقال قد يسرق المصحف وهي فيه
وليس ذلك الا لاجل خصائصها واكرمه عن انفراده كمن اكرمه مع
قرابته وانداده ولعل هذا اقرب من قبيل المساوي
القراءة بالتدبر وبدونه او المراد قراءة القرآن قراءة
دون كثرة وقيل بعض المشايخ اللازم حصول الاجر
بلا تناه لقارئها ولا محذور فيه مما لا ما افنا مثل

ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأيس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك
الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه
فيقبض روحه وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى
حتى يدخل الجنة وهو ريان

سورة الصافات مكية وآيها مائة واحدى وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا اقسم بالملائكة
الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم الانوار الالهية
منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المامور فيها
او الناس عن المعاصي بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات
الله وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه او بطوايف الاجرام المرتبة كالصفوف
المرصوصة والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة في بحار
القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون او بنفوس العلماء الصافين في
العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصايح التالين آيات الله
وشرائعه او بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل والعدو
التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة العدو والعطف لاختلاف الذوات
او الصفات والفاء لترتيب الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث
الصابح فالغانم فالآيب فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر
او الاساقة الى قبول الخير والتلاوة افاضة او الرتبة كقوله عم رحم الله
المحلقين فالمقصرين غير انه لفضل المتقدم على المتأخر وهذا للعكس
وادغم ابو عمرو وحمزة التاآت فيما يليها لتقاربها فانها من طرف اللسان
واصول الثنايا ان الهكم لواحد جواب القسم والفايدة فيه تعظيم المقسم
به وتأكيد المقسم عليه على ما هو المألوف في كلامهم واما تحقيقه

قوله فان اجتماع ذلك لا يخفف اللام وان ورد في الفعل وان كان كل منهما واقع في كلام الله وغيره اما اجتماعهما فلا لانه كم من حكم يقدر على صحة بعضه دون كله وعدل عن قول الزمخشري كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده اما اجتماعهما فمنكر لانه اعترض عليه بانه مذهب الكوفيين تجويز هذين الحذفين فيقاس كما قدر وقيل في يبين الله لكم ان تضلوا وقال بعض شراحه انه ليس بجائز عنده لا يقدر في مثله كراهة ان تضلوا وعندي وكذا ما قيل انه مراد الزمخشري لا تجويز الحذفين باسم الاشارة تقتضي حذفين مخصوصين وهو ما كان مع الاهدار معا انه لا يلزم من تجويز الكوفيين تخفيف اللام ولا جواز حذف اللام وان وعلى كل حال فكلام المصنف اولى

قوله ورب بدل من واحد فهو المقصود بالنسبة ولا ينافي هذا قوله واما تخصيصه الا انه توهم لتضمنه له على وجه انما هو مثبت له وما آل اليه على كل تقدير انه هو الرب الذي لا يشاركه غيره واذا كان خبر محذوف فهو مرفوع على المدح قوله فيدل على انها من خلقه رد على المعتزلة في خلق افعال العباد دليل ووجه الدلالة انه خفي اي يلزم من النسبة الخالق وهو غير موجه لان الرب كما يكون بمعنى المربي والسيد والمالك يكون بمعنى الخالق واضافته للسموات تعينه وهو المراد فتامل شهاب

فيقوله رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل على وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة ورب بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول افعال العباد فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب ومشارق الشمس في السنة وهي ثلثمائة وستون تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة وما قيل انها مائة وثمانون انما يصح لو لم تختلف اوقات الانتقال انا زينا السماء الدنيا القربى منكم بزينة الكواكب بزينة هي الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على ابدالها منها او بزينة هي لها كاضوائها واوضاعها او بان زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة ابي بكر بالنصب والتنوين على الاصل او بان زينتها الكواكب في السماء الدنيا على اضافته الى الفاعل وركوز الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات في الست المتوسطة بينها وبين سماء الدنيا ان تحقق لم يقدح في ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلالئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة وحفظا منصوب باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى كانه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء الدنيا وحفظا من كل شيطان مارد خارج من الطاعة برمي الشهب لا يسمعون الى الملأ الاعلى كلام مبتدأ لبيان حالهم بعدما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي ان يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف ان واهدارها كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية

السماع بالى لتضمينه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه

ويدل عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص بالتشديد من التسمع وهو تطلب

السماع والملأ الاعلى الملائكة واشرافهم ويقذفون ويرمون من كل جانب

من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده دحورا علة اى للدحور وهو الطرد

او مصدر لانه والقذف متقاربان او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه

جمع داحر وهو ما يطرد به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون

كالقبول وصفة له اى قذفا دحورا ولهم عذاب اى عذاب آخر واصب

دائم او شديد وهو عذاب الآخرة الا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون

ومن بدل منه فاتبعه شهاب والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة

مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها

واصلهما اختطف واتبع بمعنى تبع والشهاب ما يرى كان كوكبا انقض وما

قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه

ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا فى قوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح

وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل فى الجو العالى فهو مصباح

لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى كانه على سطحه ولا يبعد ان

يصير الحادث كما ذكر فى بعض الاوقات رجما للشياطين يتصعد الى قرب الفلك

للتسمع وما روى ان ذلك حدث بميلاد النبى صلى الله عليه وسلم ان صح فلعل

المراد كثرته وقوعا او مصيره دحورا واختلف فى ان المرجوم يتاذى به فيرجع او يحترق به لكن

قد يصيب الصاعقة وقيلا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا

يرتدعون عنه راسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس

من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية

اذا استولت استهلكت ما اتصف به ثاقب مضئ كانه يثقب الجو بضوئه فاستفتهم

فاستخبرهم والضمير لمشركى مكة او لبنى آدم اهم اشد خلقا ام من خلقنا

قوله وقرئ خطف اقراءة العامة خطف بفتح الخاء وكسر الطاء مخففة وقرا الحسن بكسرهما مع تشديد الطاء وهى لغة تميم وعنهما ايضا وعن عيسى بفتح الخاء وكسر الطاء المشددة واصله اختطف فسكنت التاء للادغام وقبلها خاء ساكنة فكسرت لالتقاء الساكنين وسقطت همزة الوصل للاستغناء عنها ثم كسرت الطاء اتباعا لها واما الثانية فمشكلة لان كسر الطاء فى الاولى للاتباع وهو مفقود وقد وجه بانه على التوهم لانهم لما ارادوا الادغام نقلوا حركة التاء الى الطاء ففتحت فتوهموا كسرها لالتقاء الساكنين كما مر ثم اتبعوا الطاء للحركة المتوهمة واذا جرى التوهم فحركات الاعراب فقد اولى وهو تعليل شديد وهذه ضعيفة وقرا ابن عباس خطفت بكسر الخاء والطاء المخففة اتباعا كنعم كذا افاده المعرب ووجه كسر الخاء فى الثانية لئلا يلتبس بفعل ولا يخفى ضعفه والاول ماخوذ من كلام الزجاج والى ما ذكرنا اشار المص شهاب

يعني ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب
الثواقب ومَن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرأ
ام من عددنا وقوله انا خلقناهم من طين لازب فان الفارق بينهم وبينها
لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم
والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقريره ان استحالة ذلك
اما لعدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم
الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان
الانسان الاول انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوث العالم او بقصة آدم
وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة فلزمهم ان يجوزوا
اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل ومن قدر على خلق هذه الاشياء قدر على ما لا
يعتد به بالاضافة اليها سيما ومن ذلك بدأهم اولا وقدرته ذاتية لا تتغير بل عجبت
من قدرة الله وانكارهم البعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرأ
حمزة والكسائي بضم التاء اي بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي اني تعجبت منها
وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله
وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله اما على الفرض والتخييل او على معنى
الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشيء
وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت وإذا ذُكِّروا لا يذكرون وإذا
وعظوا بشيء لا يتعظون به او اذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به
لبلادتهم وقلة فكرهم وإذا رأوا آية معجزة تدل على صدق القائل به يستسخرون
يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها
وقالوا ان هذا يعنون ما يرونه الا سحر مبين ظاهر سحريته أئذا متنا وكنا
ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية
وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا بان البعث مستنكر

في نفسه وفي هذه الحال اشد استنكارا فهو ابلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة
الاولى وقراءة نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية او آباؤنا الاولون
عطف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون فانه مفصول عنه بهمزة
الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع برواية قالون وابن
عامر الواو على معنى الترديد قل نعم وانتم داخرون صاغرون وانما اكتفى
في الجواب لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه
وقرئ قال اي الله او الرسول وقرأ الكسائي وحده نعم بالكسر وهو لغة فيه فانما
هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر اي اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة اي
صيحة واحدة هي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وامرها
في الاعادة كامر كن في الابداء ولذلك رتب عليها فاذا هم ينظرون فاذا هم
قيام ينظرون من مرقدهم احياء يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا
يا ويلنا هذا يوم الدين اليوم الذي نجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله
هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون جواب الملائكة وقيل هو ايضا من
كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين المحسن والمسيء احشروا الذين
ظلموا امر الله للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف
وقيل منه الى الجحيم وازواجهم واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد
الكوكب مع عبدته كقوله وكنتم ازواجا ثلاثة او نساءهم اللاتي على دينهم او قرناءهم من الشياطين
وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم
وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه
دليل على ان الذين ظلموا هم المشركون فاهدوهم الى صراط الجحيم فعرفوهم طريقها
ليسلكوها وقفوهم احبسوهم في الموقف انهم مسؤولون عن عقائدهم واعمالهم
والواو لا توجب الترتيب مع جواز ان موقفهم متعدد ما لكم لا تناصرون
لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع بل هم اليوم

مستسلمون منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كانه يسلم بعضهم بعضا ويخذله واقبل بعضهم على بعض يعني الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء يتساءلون يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين عن اقوى الوجوه وايمنها او عن الدين او الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الانسان الذي هو اقوى الجانبين واشرفه وانفعه ولذلك سمي يمينا وتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال او عن الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين اجابهم الرؤساء اولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا ضالين في انفسهم وثانيا بانهم اجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين ثم بينوا ان ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان امرا مقضيا لا محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغي لانهم كانوا على الغي فاحبوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغواء غاو فمن اغواهم فانهم فان الاتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بالمشركين لقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اي عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليه ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم بان ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون انكم لذائقوا العذاب الاليم بالاشراك وتكذيب الرسل وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف في غير المحلى باللام وان قرئ لذائقون

قوله لانهم كانوا على الغي وهو معنى قوله انا كنا غاوين استئناف الا انها جملة مستانفة لتعليل ما قبلها فقوله لانهم بيان لا يستفاد منها فلذا عناه بالباء على عادته في السانح في الاصل

على الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع الا ان يكون الضمير في تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار اولئك لهم رزق معلوم خصايصه من الدوام او تمحض اللذة ولذلك فسره بقوله فواكه فان الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذي و بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت ارزاقهم فاكهة خالصة وهم مكرمون في نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا في جنات النعيم في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك وكذلك على سرر يحتمل الحال والخبر فيكون متقابلين حالا من المستكن فيه او في مكرمون وان بمتقابلين فيكون حالا من ضمير يسكبون يطاف عليهم بكاس باناء فيه خمر او خمر كقوله وكاس شربت على لذة من معين من شراب معين او نهر معين اي ظاهر للعيون وخارج من العيون وهو صفة للماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجري كالماء او للاشعار بان يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة وكذلك قوله بيضاء لذة للشاربين وهما ايضا صفتان لكاس ووصفها بلذة اما للمبالغة او لانها تانيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان لا فيها غول غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله افرده بالنفي وعطف على ما يعمه لانه من عظم فساده كانه جنس برأسه وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي وتابعهما عاصم في الواقعة من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه واصله للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها وعندهم قاصرات

حطا

قوله او تمحض اللذة في بعض النسخ عطفه بالواو وقوله ولذلك فسره بقوله فواكه اشارة الى انه عطف بيان وعلى غيره هو بدل كل او بعض او خبر مبتدأ محذوف والجملة مستأنفة وقوله محفوظة عن التحلل اي التحلل في البدن المحتاج لبدل فلا ينافي ما ورد في الحديث انه يتحلل بعضه فضلات الغذاء بعرق طيب الرائحة فان الاحتياج الى القوت ليحصل من كيموسه بدل ما تحلله الحرارة الغريزية من اجزاء البدن كما ذكره الاطباء وهو دفع لما يتوهم من منافاة قوله فاكهة ولحم طير مما يشتهون لان المراد بالفاكهة غير المعروفة وهو ما يتلذذ به مطلقا شهاب

الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن عين نجل العيون جمع عيناء كانهن
بيض مكنون شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء
والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على
بعض يتساءلون معطوف على يطاف عليهم اي يشربون فيتحادثون على
قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام والتعبير عنه بالماضي
للتاكيد فيه فانه الذ تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل
وما جرى لهم وعليهم في الدنيا قال قائل منهم في مكالمتهم اني كان لي قرين
جليس في الدنيا يقول أئنك لمن المصدقين يوبخني على التصديق بالبعث وقرئ
بتشديد الصاد من التصدق أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون
لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال اي ذلك القائل هل انتم مطلعون
الى اهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله او بعض الملائكة يقول لهم
هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم
من منزلتهم وعن ابي عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الالف
على انه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ان ادب المجالسة يمنع الاستبداد
او خاطب الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الآمرون الخير والفاعلونه
او شبه اسم الفاعل بالمضارع فاطلع عليهم فرآه اي قرينه في سواء الجحيم وسطه
قال تالله ان كدت لتردين لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين وان هي المخففة
واللام هي الفارقة ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين
معك فيها افما نحن بميتين عطف على محذوف اي انحن مخلدون منعمون
فما نحن بميتين اي بمن شانه الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التي كانت
في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من
اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين كالكفار
وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له او معاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا

قوله وعن ابي عمرو المذكور في الاعراب وكتب القراءات اثبات
قراءته بسكون الطاء وفتح النون لكونه رواية شاذة عنه كما قيل
انما هي رواية شاذة منقولة عن حماد وهشيم وقد
قرئ مطلعون بالتشديد والتخفيف مع فتح النون وكسرها
كما سياتي والتشديد بمعنى اطلع على الامر اذا اشرف عليه او اطلع
علينا اذ قيل بالتخفيف من اطلع عليه اي اوقفه عليه لكنه
قوله بل لازم بالثاني يكون متعديا ولازما بمعنى اطلع واطلع
قرئ فاطلع ماضيا مبنيا للفاعل من الافتعال وهمزته همزة وصل
وقرئ فاطلع بضم همزة قطع مضمومة وكسر اللام ماضيا مبنيا
للمفعول وقرئ فاطلع بالتشديد والتخفيف مضارعا منصوبا
في جواب الاستفهام واذا كان مبنيا للمفعول فنائبه ضمير المصدر
او ضمير المطلع عليه على الحذف والايصال او ضمير الفاعل في القراءة
في العشرة بالتشديد والتخفيف في مطلعون مع فتح النون
فاطلع بالماضي المعلوم المشدد منهم الاولى والمخفف المجهول
وما عداها شاذ فاعرفه

بنعمة الله وتبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ إن هذا لهو الفوز
العظيم يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون من كلام الله لتقرير قوله والاشارة
الى ما هم عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب لمثل هذا فليعمل العاملون
لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة
الانصرام وهو ايضا يحتمل الامرين أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم شجرة
ثمرها نزل اهل النار وانتصاب نزلا على التمييز او الحال وفي ذكره دلالة على
ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم ما وراء ذلك
ما تقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة
الورق دفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة إنا جعلناها فتنة
للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة او ابتلاء في الدنيا لما سمعوا انها
في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق
حيوان يعيش في النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجرة في النار وحفظه من الاحراق
إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى
دركاتها طلعها حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته اياه في الشكل والطلوع
من الشجر كأنه رؤوس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه
الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف
ولعلها سميت بها لذلك فإنهم لآكلون منها من الشجرة او من طلعها فمالئون
منها البطون من غلبة الجوع او الجبر على اكلها ثم إن لهم عليها اي بعد
ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم لما
في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد
مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول مصدر
سمي به ثم إن مرجعهم مصيرهم لإلى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم
والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله هذه جهنم التي

يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون اليه كما يورد الابل
الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا اباءهم
ضالين فهم على آثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد
بتقليد الاباء في الضلال والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون على الا
على آثارهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث
ولقد ضل قبلهم قبل قومك اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين
انبياء انذروهم من العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الشدة
والفظاعة الا عباد الله المخلصين الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا
دينهم لله وقرئ بالفتح اي الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول صلعم
والمقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم وراوا آثارهم ولقد نادانا
نوح شروع في تفصيل القصص بعد اجمالها اي ولقد دعانا حين ايس من قومه
فلنعم المجيبون اي فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف
منها ما حذف لقيام ما يدل عليه ونجيناه واهله من الكرب العظيم من
الغرق واذى قومه وجعلنا ذريته هم الباقين اذ هلك من عداهم وبقوا
متناسلين الى يوم القيامة اذ روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه
وازواجهم وتركنا عليه في الآخرين من الامم سلام على نوح هذا الكلام
جيء به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه
ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء في العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه
الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة والثقلين جميعا انا كذلك نجزي المحسنين
تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة له على احسانه انه من عبادنا
المؤمنين تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره ثم
اغرقنا الآخرين يعني كفار قومه وان من شيعته ممن شايعه في الايمان
واصول الشريعة لابراهيم ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع او غالبا وكان

بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وكان بينهما نبيان هود وصالح عليهما السلام
اذ جاء ربه متعلق بما في الشيعة من معنى المتابعة او بمحذوف هو اذكر بقلب سليم
من آفات القلوب او من العلائق خالص لله او مخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى
اللديغ ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه اذ قال لابيه وقومه
ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء او سليم ائفكا آلهة دون الله
تريدون اي تريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له
لان الاهم ان يقرر انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون
افكا مفعولا به وآلهة بدل منه على انها افك في نفسها للمبالغة او المراد بها
عبادتها بحذف المضاف او حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين بمن هو
حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم به غيره او امنتم
من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته او يجوز
الاشراك به او يقتضي الامن من عقابه على طريقة الالزام وهو كالحجة على ما
قبله فنظر نظرة في النجوم فراى مواقعها واتصالاتها او في علمها او كتابها
ولا منع منه مع ان قصده ايهامهم وذلك حين سألوه ان يعيد معهم فقال
اني سقيم اراهم انه استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا
يخرجوه الى معيدهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى
او اراد اني سقيم القلب لكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو
منه او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربي
بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء فتولوا عنه مدبرين هاربين
مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب واصله
الميل بحيلة فقال اي للاصنام استهزاء الا تأكلون يعني الطعام الذي كان
عندهم ما لكم لا تنطقون بجوابي فراغ عليهم فمال عليهم مستخفيا والتعدية
بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه ضربا باليمين مصدر لراغ عليهم لانه في معنى

قوله وقرأ حمزة على بناء المفعول سهو اذ لا خلاف بين السبعة في كسر الزاي وانما خلاف حمزة في ضم الياء سعدي

ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم ضربا وتقييده باليمين للدلالة على قوة فان قوة الآلة تستدعي قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه الى ابراهيم بعدما رجعوا فرأوا اصنامهم مكسرة وبحثوا عن كاسرها فظنوا انه هو كما شرحه في قوله من فعل هذا بآلهتنا الآية يزفون يسرعون من زفيف النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من ازفه اي يحملون على الزفيف ويزفون اي يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كأن بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه قال اتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام والله خلقكم وما تعملون اي وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون او انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك وبهذا المعنى تمسك به اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجحوا الاولين لما فيهما من حذف او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم في النار الشديدة من الجحمة وهي شدة التأجج واللام بدل الاضافة اي جحيم ذلك البنيان فارادوا به كيدا فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما وقال اني ذاهب الى ربي الى حيث امرني ربي وهو الشام او حيث اتجرد فيه لعبادته سيهدين الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وانما بت القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى عم حين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة غالب فيه

ولقوله

ولقوله فبشرناه بغلام حليم بشره بالولد وانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبي
لا يوصف بالحلم ويكون حليما واي حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح
وهو مراهق فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم
لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه عليهما السلام وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه فلما
بلغ معه السعي اي فلما وجد وبلغ ان يسعى معه في اعماله ومعه متعلق بمحذوف
دل عليه السعي لا به لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ فان بلوغهما لم يكن
معا كانه قال فلما بلغ السعي فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق
والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ
ثلاث عشرة سنة قال يا بني وقرأ حفص وحده بفتح الياء اني ارى في المنام
اني اذبحك يحتمل انه رأى ذلك وانه رأى ما هو تعبيره وقيل انه راى ليلة التروية
ان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك فلما اصبح روّى انه من الله او من الشيطان
فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره
وقال له ذلك ولهذا سميت الايام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب
اسمعيل لانه الذي وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوفة على البشارة
بهذا الغلام ولقوله عم انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والآخر ابوه عبد الله
فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم او بلغ بنوه عشرا
فلما سهل اقرع فخرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية
مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها في ايام ابن الزبير
ولم يكن اسحق ثمة ولان البشارة باسحاق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه
فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وما روي انه عم سئل اي النسب اشرف فقال
يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله
فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوي وما
روي ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو

بفتح الباء فيهما فانظر ماذا ترى من الرأي وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده
فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه
فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وقرأ حمزة والكسائي ماذا تري بضم
التاء وكسر الراء خالصة والباقون بفتحها وابو عمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين
والباقون باخلاص فتحها قال يا ابت وقرأ ابن عامر بفتح التاء افعل ما تؤمر اي
ما تؤمر به فحذفا دفعة واحدة او على الترتيب كما عرفت او امرك على ارادة المأمور
به والاضافة الى المأمور ولعله فهم من كلامه انه رأى انه يذبحه مأمورا به وعلم
ان رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر به في
المنام دون اليقظة لتكون مبادرتهما الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص
وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا ستجدني ان شاء الله من الصابرين على
الذبح او على قضاء الله وقرأ نافع بفتح الياء فلما اسلما استسلما لامر الله
او سلم الذبيح نفسه وابراهيم ابنه وقد قرئ بهما واصلهما سلم هذا لفلان اذا
خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على
الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى فيه تغيرا يرق
له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى او في الموضع المشرف على مسجده
او المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم
والاتيان بالمقدمات وقد روي انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم
تقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به
المقال من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله
والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز
الثواب العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لافراج تلك
الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عم كان
مأمورا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين

الابتلاء

الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة فانه
لا اصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم عظيم الجثة
سمين او عظيم القدر لانه يفدي به الله نبيا ابن نبي من نسله سيد المرسلين
قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب منه
عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة والفادي على الحقيقة
ابراهيم وانما قال وفديناه لانه المعطي له والآمر به على التجوز في الفداء او الاسناد
واستدل به الحنفية على ان من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة وليس فيه ما يدل
عليه وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم سبق بيانه في قصة نوح
كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لعله طرح عنه انا اكتفاء
بذكره مرة في هذه القصة وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين مقضيا
نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى
وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال غير شرط بل الشرط مقارنة
تعلق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل
عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحاق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير
نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين مقدرون خلودهم وقت الدخول
واسحاق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حيث يوجد ومن فسر الغلام
باسحاق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه
وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق
وباركنا عليه على ابراهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء
بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا
وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله او على نفسه بالايمان والطاعة
وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على
ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما

بنقيصة وعيب ولقد مننا على موسى وهارون انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها
من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من
تغلب فرعون او الغرق ونصرناهم الضمير لهما مع القوم فكانوا هم الغالبين
على فرعون وقومه وآتيناهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية
وهديناهما الصراط المستقيم الطريق الموصل الى الحق والصواب وتركنا
عليهما في الآخرين سلام على موسى وهارون انا كذلك نجزي المحسنين
انهما من عبادنا المؤمنين سبق مثل ذلك وان الياس لمن المرسلين هو
الياس بن يس سبط هارون اخي موسى عم بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ
ادريس وادراس مكانه وفي حرف ابي اذا ابليس وقرا ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف
همزة الياس اذ قال لقومه الا تتقون عذاب الله اتدعون بعلا اتعبدونه
او اتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد الذي
يقال له الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى اتدعون بعض البعول
وتذرون احسن الخالقين وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضي
للانكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله الله ربكم ورب آبائكم الاولين
وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وحفص بالنصب على البدل فكذبوه فانهم
لمحضرون اي في العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة او لان الاحضار
المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين مستثنى من الواو لا
من المحضرين لفساد المعنى وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين لغة
في الياس كسينا وسينين وقيل جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين لكن
فيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه بحذف ياء النسب
كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرا نافع وابن عامر ويعقوب على اضافة آل الى
ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس وقيل محمد صلى الله عليه
وسلم او القرآن او غيره من كتب الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله

إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين إذ الظاهر أن الضمير
لإلياس وإن لوطا لمن المرسلين إذ نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في
الغابرين ثم دمرنا الآخرين سبق بيانه وإنكم يا أهل مكة لتمرون عليهم على
منازلهم في متاجركم إلى الشام فإن سدوم في طريقه مصبحين داخلين في الصباح
وبالليل أي ومساء أو نهارا وليلا ولعلها وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل
عنه صباحا والقاصد لها مساء أفلا تعقلون أفليس فيكم عقل تعتبرون
وإن يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون إذ أبق هرب وأصله الهرب
من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه حسن إطلاقه عليه إلى
الفلك المشحون المملوء فساهم فقارع أهله فكان من المدحضين فصار
من المغلوبين بالقرعة وأصله المزلق عن مقام الظفر روي أنه لما وعد قومه
بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمره الله تع فركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا
عبد أبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال أنا الآبق ورمى بنفسه في الماء
فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة أو آت بما يلام عليه
أو مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا أنه كان من
المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره أو في بطن الحوت وهو قوله لا إله
إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وقيل من المصلين للبث في بطنه
إلى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث على إكثار الذكر وتعظيم لشأنه ومن
أقبل عليه في السراء أخذ بيده عند الضراء فنبذناه بأن حملنا الحوت على لفظه
بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر أو نبت روي أن الحوت سار مع السفينة
رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا إلى البر فلفظه واختلف في مدة
لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل أربعون
وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وأنبتنا عليه
أي فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين من شجر ينبسط على وجه الأرض

ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على انها كانت الدبا
غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل صلى الله عليه وسلم
انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل التين وقيل الموز تغطى بورقه
ويستظل باغصانه ويفطر على ثماره وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين
الذين هرب عنهم وهم اهل نينوى والمراد به ما سبق من رسالته او ارسال ثان
اليهم او الى غيرهم او يزيدون في مرأى الناظر اذا نظر اليهم الناظر قال هم
مائة الف او اكثر والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا فصدقوه او
فجددوا الايمان بمحضره فمتعناهم الى حين الى اجلهم المسمى ولعله انما ختم
قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع
الكبر واولى العزم من الرسل واكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين
في اخر السورة فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله
في اول السورة امر رسوله اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام
في تقريره جارا لما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم امر باستفتائهم عن
وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات الله
وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز الفناء على الله تعالى فان
الولادة مخصوصة بالاجسام الكاينة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه حيث
جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم
ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله في كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار هنا مقصور على الاخيرين
لاختصاص هذه الطائفة بهما ولان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم
حيث جعل المعادل للاستفهام عن وجه التقسيم ام خلقنا الملائكة اناثا
وهم شاهدون وانما خص علم المشاهدة لان امثال ذلك لا تعلم الا به فان
الانوثة ليست من لوازم ذاتهم لتمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من

الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كانهم قد شاهدوا خلقهم

الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه

وانهم لكاذبون فيما يتدينون به وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده فعل بمعنى

مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى البنات على

البنين استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشيء وعن نافع

كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها او على الاثبات

باضمار القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى او ابداله من ولد الله ما لكم كيف

تحكمون بما لا يرتضيه عقل افلا تذكرون انه منزه عن ذلك ام لكم سلطان

مبين حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته فأتوا بكتابكم

الذي انزل عليكم ان كنتم صادقين في دعواكم وجعلوا بينه وبين الجنة

نسبا يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة

وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا الله والشيطان اخوان

ولقد علمت الجنة انهم ان الكفرة او الانس والجن ان فسرت بغير الملائكة

لمحضرون في العذاب سبحان الله عما يصفون من الولد والنسب الا عباد

الله المخلصين استثناء من المحضرين منقطع او متصل ان فسر الضمير بما

يعمهم وما بينهما اعتراض او من يصفون فانكم وما تعبدون عود الى خطابهم

ما انتم عليه على الله بفاتنين مفسدين الناس بالاغواء الا من هو صال

الجحيم الا من سبق في علمه انه من اهل النار يصلاها لا محالة وانتم ضمير لهم

ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون وما تعبدون لما فيه من

معنى المقارنة سادا مسد الخبر اي انكم وآلهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها ما انتم

على ما تعبدونه بفاتنين بباعثين على طريق الفتنة الا ضالا مستوجبا للنار

مثلكم وقرئ صال بالضم على انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء

الساكنين او تخفيف صائل على القلب كشاك في شائك او المحذوف منه كالمنسي

كما في قولهم ما بليت به بالة فان اصله بالية كعافية وما منا الا له مقام
معلوم حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى وما منا احد
الا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله في تدبير العالم
ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله
ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علم الملائكة ان المشركين معذبون بذلك و
قالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا
الكفرة بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت
مراتبهم فيه لا يتجاوزونها فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وانا لنحن
الصافون في اداء الطاعة ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون
الله عما لا يليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم في الطاعات وهذا في المعارف
وما في ان واللام وتوسيط الفصل من التاكيد والاختصاص لانهم المواظبون
على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم في الجنة او بين يدي الله في
القيامة وانا لنحن الصافون له في الصلاة والمنزهون له عن السوء وان
كانوا ليقولون اي مشركوا قريش لو ان عندنا ذكرا من الاولين كتابا من الكتب
التي نزلت عليهم لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم
فكفروا به اي لما جاءهم الذكر الذي هو اشرف الاذكار والمهيمن عليها فسوف
يعلمون عاقبة كفرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين اي وعدنا
لهم بالنصر والغلبة وهو قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون
وهم باعتبار الغالب والمقضي بالذات وانما سماه كلمة وهي كلمات لانتظامها
في معنى واحد فتول عنهم فاعرض عنهم حتى حين هو الموعد لنصرك عليهم
وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على ما ينالهم حينئذ والمراد بالامر الدلالة
على ان ذلك كائن قريب كانه قدامه فسوف يبصرون ما قضينا لك

من التأييد والنصرة والثواب في الآخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد افبعذابنا
يستعجلون روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فاذا نزل بساحتهم
فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول
وقرئ نزل على اسناده الى الجار والمجرور ونزل اي العذاب فساء صباح المنذرين
فبئس صباح المنذرين صباحهم والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت
نزول العذاب ولما كثر فيهم الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا
وان وقعت في وقت آخر وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون
تأكيد الى تأكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم يبصرون ما لا
يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول لعذاب الدنيا والثاني
لعذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما قاله المشركون فيه
على ما حكي في السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له
او لمن اعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد
وسلام على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم والحمد
لله رب العالمين على ما افاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة
ولذلك اخره عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على
رسله وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة
فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون الى آخر السورة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الجن والشياطين وبرئ من الشرك
وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص مكية وآيها ست او ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ص قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل لانه امر من المصاداة بمعنى المعا

ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول اى عارض القرآن بعملك وبالفتح لذلك
او بحذف حرف القسم وايصال فعله اليه او اضماره والفتح فى موضع الجر فانها غير
مصروفة لانها علم السورة وبالجر والتنوين على تاويل الكتاب والقرآن ذى الذكر
الواو للقسم ان جعل صاد اسم حرف ومذكورا للتحدى او للرمز بكلام مثل صدق
محمد صلى الله عليه وسلم او للسورة خبر المحذوف او لفظ الامر وللعطف ان جعل
مقسما به والجواب محذوف دل عليه ما فى ص من الدلالة على التحدى او الامر
بالمعادلة اى انه لمعجز او لواجب العمل به او ان محمدا لصادق وقوله بل الذين
كفروا اى ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا به فى عزة اى استكبار
عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب
ايضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة او
الشهرة او ذكر ما يحتاج اليه فى الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير
فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ فى غرة اى فى غفلة عما يجب عليهم
النظر اليه كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم به استكبارا
وشقاقا فنادوا استغاثة او توبة واستغفارا ولات حين مناص اى ليس الحين
حين مناص ولا هى المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما زيدت
على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين وقيل هى النافية
للجنس اى ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره اى ولا ارى حين
مناص وقرئ بالرفع على انه اسم لا او مبتدأ محذوف الخبر اى ليس حين مناص حاصلا
لهم او لا حين مناص كائن لهم وبالكسر كقوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا
ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر فى نحو قوله
لولاك فى ذا العام لم احجج او لان اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة
او ان اصله اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما
من الاتحاد اذ اصله حين مناصهم ثم بنى الحين لاضافته الى غير متمكن

ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقوله العاطفون تحين لا من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته وعجبوا ان جاءهم منذر منهم بشر مثلهم او امي من عدادهم وقال الكافرون وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره معجزة كذاب فيما يقول على الله اجعل الآلهة الها واحدا بان جعل الالوهية التي كانت لهم لواحد ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه اباؤنا وما نشاهده من ان الواحد لا يفي علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو ابلغ ككرام وكرام روي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاتوا ابا طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل عليهم فقال عم ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال ارايتم ان اعطيتكم ما سألتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملأ منهم وانطلق اشراف قريش من مجلس ابي طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امشوا قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا واثبتوا على آلهتكم على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية اي اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون ان اصبروا ان هذا لشيء يراد ان هذا الامر لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له او ان هذا الذي يدعيه من التوحيد

او تفضلوا من الرياسة والترفع على العرب والعجم لتنافي بيننا وبين كل احد او
ان دينكم لشيء يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه ما سمعنا بهذا بالذي يقوله
في الملة الآخرة في الملة التي ادركنا عليها اباءنا او في ملة عيسى التي هي اخر الملل
فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا من هذا اي ما سمعنا من اهل الكتاب
ولا الكهان بالتوحيد كائنا في الملة المترقبة ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه
ءانزل عليه الذكر من بيننا انكار لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم او دون
منهم في الشرف والرياسة كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وامثال
امثال ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام
الدنيوي وقرأ قالون بمد الاولى وتليين الثانية شبيهة بواو وكذلك ابن كثير وابو
عمرو واسمعيل الا انهم يقصرونها بل هم في شك من ذكري من القرآن او الوحي لميلهم
الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس في عقيدتهم ما يبتون به من قولهم هذا
ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابي بعد
فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى
تصديقه ام عندهم خزائن رحمة ربك بل اعندهم خزائن رحمته وفي تصرفهم
حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم
والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له
فانه العزيز اي الغالب الذي لا يغلب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء
لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما كانه
لما انكر عليهم التصرف في نبوته بان ليس عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية لها اردف
ذلك بانه ليس لهم مدخل في امر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه
فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها فليرتقوا في الاسباب جواب شرط محذوف اي
ان كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه
ويدبروا امر العالم فينزلوا الوحي الى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والتعجب في

١٨٥

الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية
جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اى هم جند ما من الكفار المتحزبين على
الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف فى الامور الربانية
او فلا تكترث بما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم
على الهزء وهو لا يلائم ما بعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من
الانتداب لمثل هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد
ذو الملك الثابت بالاوتاد كقوله ولقد غنوا فيها بانعم عيشة فى ظل ملك
ثابت الاوتاد مأخوذ من ثبات البيت المطنب باوتاده او ذو الجموع الكثيرة
سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان
يمد يدى المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وثمود وقوم
لوط واصحاب الايكة واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب وقرأ ابن كثير ونافع
وابن عامر ليكة اولئك الاحزاب يعنى المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند
منهم ان كل الا كذب الرسل بيان لما اسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل
على انواع من التاكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب
عليه فحق عقاب وهو اما مقابلة الجمع بالجمع او جعل تكذيب الواحد منهم
تكذيب جميعهم وما ينظر هؤلاء وما ينتظر قومك او الاحزاب فانهم كالحضور
لاستحضارهم بالذكر او حضورهم فى علم الله الا صيحة واحدة هى النفخة
ما لها من فواق من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين او رجوع وترداد
فان فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرأ حمزة والكسائى بالضم وهما لغتان وقالوا
ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذى توعدنا به او الجنة التى تعد
للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه اى عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها
قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك استهزاء اصبر على ما يقولون واذكر
عبدنا داود واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية فى اعينهم فانه مع علو شانه

واختصاصه بعظايم النعم والمكرمات لما انه صغيرة نزلت عن منزلته ووبخه
الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب فما ظن بالكفرة
واهل الطغيان او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من
المعاتبة على اهماله عنان نفسه ادنى اهمال ذا الايد ذا القوة يقال فلان ايد
وذو ايد واد واياد بمعنى انه اواب رجاع الى مرضات الله وهو تعليل للايد دليل
على ان المراد به القوة فى الدين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف
الليل انا سخرنا الجبال معه يسبحن قد مر تفسيره ويسبحن حال وضع
موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا
بعد حال بالعشى والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اى
تضئ ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت
ولما تشرق وعن ام هانى انه عم صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الاشراق
وعن ابن عباس ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الاية والطير محشورة اليه من
كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة
منه مدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتدا والخبر كل له اواب كل واحد من الجبال
والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه وبين ما قبله انه يدل على
الموافقة فى التسبيح وهذا على المداومة عليها او كل منها ومن داود مرجع لله
التسبيح وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد
للمبالغة وقيل ان رجلا ادعى بقرة على اخر وعجز عن البيان فاوحى اليه ان اقتل المدعى
عليه فاعلمه فقال صدقت انى قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت لذلك
هيبته واتيناه الحكمة النبوة او كمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب
وفصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل والكلام المخلص الذى ينبه المخاطب
على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف
والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمى به

اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلاة وقيل هو الخطاب
القصد الذى ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء فى وصف كلام الرسول
صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر وهل اتاك نبا الخصم استفهام معناه
التعجب والتشويق الى استماعه والخصم فى الاصل مصدر ولذلك اطلق على الجمع
اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام
واذ متعلق بمحذوف اى نبا تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبا على ان المراد به
الواقع فى عهد داود وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اى قصة نبا الخصم
او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه الرسول لم يكن حينئذ اذ دخلوا
على داود بدل من اذ الاولى او ظرف لتسوروا ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق
فى يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه فانه كان جزأ
زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته
فتسور عليه ملائكة على صور الانسان فى يوم الخلوة قالوا لا تخف خصمان
نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا على
بعض وهو على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور فاحكم
بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر فى الحكومة وقرئ ولا تشطط اى ولا تبعد
عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد
واهدنا الى سواء الصراط الى وسطه وهو العدل ان هذا اخى بالدين
او الصحبة له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة هى الانثى من الضان وقد
يكنى بها عن المراة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ فى المقصود
وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرا حفص بفتح ياء لى
نعجة فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلنى اكفلها كما اكفل ما تحت
يدى وقيل اجعلها كفلى اى نصيبى وعزنى فى الخطاب وغلبنى فى مخاطبته اياى
محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر على رده او فى مغالبته اياى فى الخطبة يقال خطبت

المرأة وخطبها هو فقال أطني خطابا حتى زوجنيها دوني وقرئ وعازني اي غالبني وعزني
على تخفيف غريب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف
قصد به المبالغة في انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه
او على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول
آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة وان كثيرا من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا
اموالهم جمع خليط ليبغي ليتعدى بعضهم على بعض وقرئ بفتح الياء على تقدير
نون التاكيد الخفيفة وحذفها كقوله ¤ اضرب عنك الهموم طارقها ¤
وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم
اي وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم وظن داود انما فتناه
ابتليناه بالذنب او امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها فاستغفر ربه لذنبه
وخر راكعا ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدأه او خر للسجود راكعا
مصليا كانه احرم بركعتي الاستغفار واناب ورجع الى الله بالتوبة واقصى
ما في هذه القصة الاشعار بانه عم ود ان يكون له ما لغيره وكان له امثاله
فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر واناب عنه وما روي ان بصره وقع على امرأة
فعشقها وسعى حتى تزوجها وولد منها سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته
او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين
بهذا المعنى وما قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد مرارا وامر ان يقدم حتى قتل
فتزوجها هزؤ وافتراء ولذلك قال علي رض من حدث بحديث داود على ما
يرويه القصاص جلدته مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه
فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم
فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم وظن ان ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر
ربه مما هم به واناب فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وان له عندنا
لزلفى لقربة بعد المغفرة وحسن مآب مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك

خليفة

خليفة في الارض استخلفناك على الملك فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك
من الانبياء القائمين بالحق فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله ولا تتبع الهوى
ما تهوى النفس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعي وتظليم
الاخر قبل مسائلته فيضلك عن سبيل الله دلائله التي نصبها على الحق ان الذين
يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب بسبب نسيانهم
وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى وما
خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا خلقا باطلا لا حكمة فيه او ذوي
باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين
او للباطل الذي هو متابعة الهوى بل للحق الذي هو مقتضى الدليل من التوحيد
والتدرع بالشرع لقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على وضعه
موضع المصدر هنيئا ذلك ظن الذين كفروا الاشارة الى خلقها باطلا والظن
بمعنى المظنون فويل للذين كفروا من النار بسبب هذا الظن ام نجعل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام منقطعة والاستفهام
فيها للانكار والتسوية بين الحزبين التي هي من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه
وكذا التي في قوله ام نجعل المتقين كالفجار كانه انكر التسوية اولا بين المؤمنين
والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكريرا
للانكار الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والآية
تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون في الدنيا والغالب
فيها عكس ما تقتضي الحكمة فيه او في غيرها وذلك يستدعي ان يكون لهم حال
اخرى يجازون فيها كتاب انزلناه اليك مبارك نفاع وقرئ بالنصب على
الحال ليدبروا آياته ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات
الصحيحة والمعاني المستنبطة وقرئ لتدبروا على الاصل ولتدبروا اي انت
وعلماء امتك وليتذكر اولوا الالباب وليتعظ به ذووا العقول السليمة

أو ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه
من الدلائل فإن الكتب الإلهية بيان لما لا يعرف إلا من الشرع وإرشاد إلى ما يستقل
به العقل ولعل التدبر للأول والتذكر للثاني ووهبنا لداود سليمان نعم العبد
أي نعم العبد سليمان إذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله إنه أواب رجاع إلى
الله بالتوبة أو إلى التسبيح مرجع له إذ عرض عليه ظرف لأواب أو لنعم والضمير
لسليمان عند الجمهور بالعشي بعد الظهر الصافنات الصافن من الخيل الذي يقوم
على طرف سنبك يد أو رجل وهو من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يكون
إلا في العراب الخلص الجياد جمع جواد أو جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل
الذي يجود في الركض وقيل جمع جيد روي أنه عم غزا دمشق ونصيبين
وأصاب ألف فرس وقيل أصابها أبوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم
تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد كان له فاغتم
لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي
أصل أحببت أن يعدى بعلى لأنه بمعنى آثرت لكن لما أنيب مناب أنبت عدي بعن
وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله مثل بعير السوء إذا أحبا أي برك وحب الخير مفعول
له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته ويحتمل أنه سماها خيرا لتعلق
الخير بها قال عم الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة وقرأ ابن كثير ونافع
وأبو عمرو بفتح الياء حتى توارت بالحجاب أي غربت الشمس شبه غروبها بتواري
المخبأة بحجابها وإضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليه ردوها علي الضمير
للصافنات فطفق مسحا فأخذ يمسح السيف مسحا بالسوق والأعناق
أي بسوقها وأعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته إذا ضرب عنقه وقيل جعل
يمسح بيده أعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ما
قبلها كمؤقن وعن أبي عمرو بالسؤوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد
عن الجمع لأمن الإلباس ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أنا

والأظهر ما قيل فيه ما روي مرفوعاً أنه قال لأطوفن على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفا
يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة جاءت بشق رجل
فوالذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فرساناً وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين
على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر به إلا أن ألقي على كرسيه ميتاً فتنبه
على خطائه بأن لم يتوكل على الله وقيل إنه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها وأصاب
ابنته جرادة فأحبها وكان لا يرقأ دمعها جزعاً على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها
صورته وكانت تغدو إليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه
فأخبره آصف فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج إلى الفلاة باكياً متضرعاً وكانت
له أم ولد اسمها أمينة إذا دخل للطهارة أعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فأعطاها
يوماً فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر وأخذ الخاتم وتختم به وجلس على كرسيه
فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء إلا فيه وفي نسائه وغير سليمان عن هيئته
فأتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف
حتى مضى أربعون يوماً عدد ما عبدت الصورة في بيته فطار الشيطان وقذف
الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به
وخر ساجداً لله وعاد إليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه
لأنه كان متمثلاً بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال أهله لأن اتخاذ التماثيل
كان جائزاً وسجود الصورة بغير علمه لا يضره قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً
لا ينبغي لأحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي أو لا
ينبغي لأحد أن يسلبه مني بعد هذه السلبة أو لا يصح لأحد من بعدي لعظمته كقولك
لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال على إرادة وصف الملك بالعظمة لا أن لا يعطى
أحد مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بأمر
ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الإجابة وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الياء
إنك أنت الوهاب المعطي ما تشاء لمن تشاء فسخرنا له الريح فذللناها لطاعته

قوله اي هذا الذي اعطيناك ان كانت الاشارة الى العطاء المذكور يكون الاضمار عن بعطاؤنا غير مضاف فيجعل بغير حساب قيدا للزم الفائدة اوذكره ليس للاضمار بل ليترتب عليه ما بعده كقوله هذه دارهم وانت مشوق بانقاء الدموع في الاماق قوله حال فاذا كان حالا من الفاعل كانت الباء للملابسة ومعناه غير محاسب عليه بصيغة المفعول والمعنى غير مسئول عنه في الاخرة او هو مفوض اليك في الذنب واختار هذا المصنف وقوله وما بينهما اعتراض على الوجهين لا بين الفصل والاعتراض يقترن بالواو وقد يقترن بالفاء كقوله واعلم فعلم المرء ينفعه ان سوف يأتي ما قدرا فالفاء على هذا اعتراضية وفي غيره جزائية كما ذكره النحاة وعلى الحالية العامل معنوي وقوله عطاء جم لانه تعبير بالكثير بلا عد ولا حسب نحو وهذا لنص الوجهين في معناه وقيل معناه لا نحاسب عليه في الاخرة شهاب

اجابة لدعوته وقرئ الرياح تجري بامره رخاء لينة من الرخاوة لا تزعزع ولا تعصي ارادته كالمامور المنقاد حيث اصاب اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطأ الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل منه وآخرين مقرنين في الاصفاد عطف على كل كانه فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران في الصفد وهو القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط المنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه عكس وعده واوعده وفي ذلك نكتة هذا عطاؤنا اي هذا الذي اعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على ما لم يسلط به غيرك عطاؤنا فامنن او امسك فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك او من العطاء او صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم في القيد وان له عندنا لزلفى في الاخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب هو الجنة واذكر عبدنا ايوب هو ابن عيص بن اسحاق وامرأته ليا بنت يعقوب اذ نادى ربه بدل من عبدنا وايوب عطف بيان له اني مسني باني مسني وقرأ حمزة باسكان الياء واسقاطها في الوصل الشيطان بنصب بتعب وعذاب الم وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به ولولاه لقال انه مسه والاسناد الى الشيطان اما لان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس اليه

في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرأ يعقوب
بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين
للتثقيل اركض برجلك حكاية لما اجيب به اي اضرب برجلك الارض هذا
مغتسل بارد وشراب اي فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل اي ما تغتسل
به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل
من الحارة وشرب من الاخرى ووهبنا له اهله بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم
او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم ومثلهم معهم حتى كان له ضعف
ما كان رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى لاولي الالباب وتذكيرا لهم لينتظروا
الفرج بالصبر واللجأ الى الله فيما يحيق بهم وخذ بيدك ضغثا عطف على اركض
والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه فاضرب به ولا تحنث روي
ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرائيم بن يوسف ذهبت لحاجة
فابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة
باقية في الحدود انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال ولا
يخل به شكواه الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء
مع انه قال ذلك خيفة ان يفتنه او قومه في الدين نعم العبد ايوب انه اواب
مقبل بشراشره على الله واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب وقرأ ابن
كثير عبدنا وضع الجنس موضع الجمع او على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان
له واسحق ويعقوب عطف عليه اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة
والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن
الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه
تعريض بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعماة انا اخلصناهم بخالصة جعلناهم
خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هي ذكرى الدار تذكرهم للاخرة دائما فان
خلوصهم في الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون جوار الله

وان للطاغين لشر مآب جهنم اعرابه ما سبق يصلونها حال من جهنم فبئس المهاد
المهد والمفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله
لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اى ليذوقوا هذا فليذوقوه او العذاب هذا
فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدأ خبره حميم وغساق وهو على الاولين خبر محذوف
اى هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها
وقرأ حمزة وحفص والكسائى بتشديد السين وآخر اى مذوق او عذاب آخر وقرأ البصريان
واخر اى ومذوقات او انواع عذاب اخر من شكله من مثل هذا المذوق او العذاب فى
الشدة وتوحيد الضمير على انه لما ذكر او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق
وقرئ بالكسر وهى لغة ازواج اجناس خبر لآخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار
والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال للرؤساء الطاغين اذا د
النار واقتحمها معهم فوج تبعهم فى الضلال والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها
لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة لفوج او حال اى مقولا فيهم لا مرحبا
اى ما أتوا بهم رحبا وسعة انهم صالوا النار داخلون النار باعمالهم مثلنا قالوا
اى الاتباع للرؤساء بل انتم لا مرحبا بكم بل انتم احق بما قلتم او قيل لنا لضلالكم
واضلالكم كما قالوا انتم قدمتموه لنا قدمتم العذاب والصلى لنا باغوائنا واغرائنا
على ما قدمتم من العقائد الزائغة والاعمال القبيحة فبئس القرار فبئس المقر جهنم
قالوا اى الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار مضاعفا
اى ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين من العذاب وقالوا
اى الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين
الذين يسترذلونهم ويسخرون بهم أتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا وقرأ
الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتأنيب
لها فى الاستسخار منهم وقرأ نافع وحمزة والكسائى سخريا بالضم وقد سبق مثله
فى المؤمنين أم زاغت مالت عنهم الابصار فلا نراهم وام معادلة لما لنا

الا ترى على ان المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا ليسوا ههنا ام زاغت عنهم ابصارنا
او لا تخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام
تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهما على انفسهم و منقطعة
والمراد الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور انظارهم
على رثاثة حالهم ان ذلك الذي حكيناه عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال
تخاصم اهل النار وهو بدل من لحق او خبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل
من ذلك قل يا محمد للمشركين انما انا منذر انذركم عذاب الله وما من اله الا الله
الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته القهار لكل شيء رب السموات
والارض وما بينهما منه خلقها واليه امرها العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب الغفار
الذي يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء وفي هذه الاوصاف تقرير للتوحيد و وعد
و وعيد للموحدين وللمشركين وتثنيتها ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو به
هو الانذار قل هو اي ما انبأتكم به من اني نذير من عقوبة من هذه صفته وانه
واحد في الوهيته وقيل ما بعده من نبأ آدم نبأ عظيم انتم عنه معرضون لتمادي
غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما
على التوحيد فما مر واما على النبوة فقوله ما كان لي من علم بالملإ الاعلى اذ
يختصمون فان اخباره عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ما وردت في
الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور الا بالوحي واذ متعلق
بعلم او محذوف اذ التقدير من علم بكلام الملإ الاعلى ان يوحى الي الا انما انا
نذير مبين اي لانما كانه لما جوز ان الوحي يأتيه بين بذلك ما هو المقصود به تحقيقا
لقوله انما انا منذر ويجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ انما بالكسر على الحكاية
اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون مبين
له فان القصة التي دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس في خلق
آدم واستحقاقه للخلافة والسجود على ما مر في البقرة غير انها اختصرت

ان يثبطانا وجوابه لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وما
بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف والجملة تفسير للحق المقول وقرأ عاصم
وحمزة برفع الاول على الابتداء اى الحق يمينى وقسمى او الخبر اى انا الحق و
على حذف الضمير من قوله كقوله كله لم اصنع ومجرورين على اضمار حرف القسم
فى الاول وحكاية لفظ المقسم به فى الثانى للتوكيد وهو سائغ فيه اذا شاركه
الاول وبرفع الاول وجره بنصب الثانى وتخريجه على ما ذكرنا والضمير فى
منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد بمنك من جنسك ليتناول الشياطين
وقيل للثقلين واجمعين تاكيد له او للضميرين قل ما اسألكم عليه من
اجر اى على القرآن او على تبليغ الوحى وما انا من المتكلفين المتصنعين
بما لست من اهله على ما عرفتم من حالى فانتحل النبوة واتقول القرآن ان هو
الا ذكر عظة للعالمين للثقلين ولتعلمن نبأه وهو ما فيه من الوعد والوعيد
او صدقه باتيانه بعد حين بعد الموت او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام
وفيه تهديد عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل
جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير وكبير

سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادى الذين اسرفوا الاية واياتها خمس وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب خبر محذوف مثل هذا او مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم
وهو على الاول صلة التنزيل او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة او التنزيل
والظاهر ان الكتاب على الاول السورة وعلى الثانى القرآن وقرئ تنزيل بالنصب
على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا بالحق
او بسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا
له الدين من الشرك والرياء وقرئ برفع الدين على الاستئناف لتعليل الامر وتقديم
الخبر لتاكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا واجراه مجرى المعلوم

المفرد لكثرة حججه وظهور براهينه فقال أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ أي ألا هو الذي وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة فإنه المنفرد بصفة الألوهية والاطلاع على الأسرار والضمائر وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والأصنام على حذف الراجع وإضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدأ خبره على الأول مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ بإضمار القول إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ وهو متعين على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر بما في حيزه حالا أو بدلا من الصلة وزلفى مصدر أو حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم إلا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نُعبدهم بضم النون اتباعا فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ من الدين بإدخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فإنهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي لا يوفق للاهتداء إلى الحق مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ فإنهما فاقدا البصيرة لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا كما زعموا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إذ لا موجود سواه إلا وهو مخلوق لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استناد ما عدا الواجب إليه ومن البين أن المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد ثم قرر ذلك بقوله سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ فإن الألوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهي تنافي المماثلة فضلا عن التوالد لأن كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج إلى الولد ثم استدل على ذلك بقوله خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ يغشى كل واحد منهما الآخر كأنه يلف عليه لف اللباس باللابس أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة أو يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع أكوار العمامة وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى هو منتهى دوره أو منقطع حركته أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ القادر على

كل ممكن الغالب على كل شيء الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه
من الرحمة وعموم المنفعة خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها
استدلال آخر بما اوجده في العالم السفلي مبدوءا به من خلق الانسان لانه اقرب
واكثر دلالة واعجب وفيه على ما ذكره ثلاث دلالات خلق آدم اولا من غير اب وام
ثم خلق حوى من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وثم للعطف
على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت
ثم جعل منها زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الآيتين فان
الاولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق
منه حوى وانزل لكم وقضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول
من السماء حيث كتب في اللوح او احدث لكم باسباب نازلة كاشعة الكواكب والامطار
من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز
يخلقكم في بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسي والانعام اظهارا
لما فيها من عجائب القدرة غير انه غلب اولي العقل وخصهم بالخطاب لانهم المقصود
خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية
من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف في ظلمات ثلاث ظلمة البطن والرحم
والمشيمة او الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه افعاله الله
ربكم هو المستحق لعبادتكم والمالك له الملك لا اله الا هو اذ لا يشاركه في الخلق
غيره فانى تصرفون كيف يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك ان تكفروا فان
الله غني عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده الكفر لاستضرارهم به رحمة
عليهم وان تشكروا يرضه لكم لانه سبب فلاحكم وقرا ابن كثير ونافع في
رواية وابو عمرو والكسائي باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف
موصولة بمتحرك وعن ابي عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها ولا تزر وازرة
وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازاة

إنه عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه خافية من أعمالكم وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه لزوال ما ينازع العقل في الدلالة على أن مبدأ الكل منه ثم إذا خوله أعطاه من الخول وهو التعهد أو الخول وهو الافتخار نعمة منه من الله نسي ما كان يدعو إليه أي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه أو ربه الذي كان يتضرع إليه وما مثله الذي في قوله وما خلق الذكر والأنثى من قبل النعمة وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والإضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وإن لم يكونا غرضين قل تمتع بكفرك قليلا أمر تهديد فيه إشعار بأن الكفر نوع تشه لا سند له وإقناط للكافر من التمتع في الآخرة ولذلك علله بقوله إنك من أصحاب النار على سبيل الاستئناف للمبالغة أمن هو قانت قائم بوظائف الطاعات آناء الليل ساعاته وأم متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير أم من هو قانت أو منقطعة والمعنى بل أمن هو قانت كمن هو بضده وقرأ الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى أمن هو قانت لله كمن جعل له أندادا ساجدا وقائما حالان من ضمير قانت وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه في موقع الحال أو الاستئناف للتعليل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للأول على سبيل التشبيه أي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون إنما يتذكر أولو الألباب بأمثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالإدغام قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم بلزوم طاعته للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة أي للذين أحسنوا بالطاعات في الدنيا مثوبة حسنة في الآخرة وقيل معناه للذين أحسنوا حسنة في الدنيا هي الصحة والعافية وفي هذه بيان لمكان الحسنة وأرض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر على الإحسان

كف

قوله بترك الاخلاص اه هذا هو المناسب
وكون العذاب عظيما لعظمة فيه ظاهر
ولو ابقي على عمومه صح والمقصود به
التعريض بهم والتعريض لهم بانه مع
عظمته لو عصى الله ما امن من العذاب
فكيف بهم وقوله لعظمة ما فيه اشارة
الى ان وصف اليوم بالعظمة مجاز
في الطرف او الاسناد وهو ابلغ ولذا
عدل عن توصيف العذاب به شهاب

قوله وفي الحديث رواه الطبراني وابو نعيم في الحلية عن ابن عباس
رضي الله عنهما وهو ضعيف كما قاله العراقي لكنه لا ينضبط قوله جد
اخلاص الدين تقدم ان معناه لا يشوب طاعته برياء ولا شرك
وهو مستلزم للتوحيد فلذا فسره به وقوله مقدمهم اي مقدم المسلمين
لان اخلاصه اتم من اخلاص كل مخلص فلذا حاز به الفضيلة فلا يتوهم انه غير
مختص بالاخلاص حتى يكون ذلك سبب تقدمه وقيل انه لما كان الكفار
للاسلام كان اخلاصه موجبا لسبقه على غيره والاولوية زمانية وهي باعتبار معنى
الاسلام الشرعي فانه اول من اتصف به

فليهاجر الى حيث يتمكن منه إنما يوفى الصابرون على مشاق الطاعة من احتمال
البلاء ومهاجرة الاوطان لها أجرهم بغير حساب اجرا لا يهتدي اليه حساب الحساب
وفي الحديث انه ينصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها
اجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا
ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل إني أمرت
أن أعبد الله مخلصا له الدين موحدا له وأمرت لأن أكون أول المسلمين وامرت
بذلك لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا والآخرة لان قصب السبق في الدين بالاخلاص
او لانه اول من اسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة
الثاني للاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص
وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهي ايضا تقتضيه لما يلزمه من السبق في الدين
ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما في اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم في الاخلاص
والبدء بنفسه في الدعاء اليه بعد الامر به قل إني أخاف إن عصيت ربي بترك الاخلاص
والميل الى ما انتم عليه من الشرك والرياء عذاب يوم عظيم لعظمة ما فيه قل
الله أعبد مخلصا له ديني امر بالاخبار عن اخلاصه وان يكون مخلصا له دينه
بعد الامر بالاخبار عن كونه مأمورا بالعبادة والاخلاص خائفا على المخالفة من العقاب
قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديدا
وخذلانا لهم قل إن الخاسرين الكاملين في الخسران الذين خسروا أنفسهم بالضلال
وأهليهم بالاضلال يوم القيامة حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا
وجوه الخسران وقيل وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم
كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع
بعده ألا ذلك هو الخسران المبين مبالغة في خسرانهم لما فيه من الاستئناف
والتصدير بألا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين لهم من
فوقهم ظلل من النار شرح لخسرانهم ومن تحتهم ظلل اطباق من النار

هي ظلل للآخرين ذلك يخوف الله به عباده ذلك هو العذاب الذي يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي والذين اجتنبوا الطاغوت البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت ثم وصف به للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان أن يعبدوها بدل اشتمال منه وأنابوا إلى الله وأقبلوا إليه بشراشرهم عما سواه لهم البشرى بالثواب على ألسنة الرسل أو الملائكة عند حضور الموت فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبدأ اجتنابهم وأنهم نقاد في الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الأفضل فالأفضل أولئك الذين هداهم الله لدينه وأولئك هم أولوا الألباب العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة وفي ذلك دلالة على أن الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه فكررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الإنكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على أن من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وأن اجتهاد الرسول في دعائهم إلى الإيمان سعي في إنقاذهم من النار ويجوز أن يكون أفأنت تنقذ جملة مستأنفة للدلالة على ذلك والإشعار بالجزاء المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض مبنية بنيت بناء المنازل على الأرض تجري من تحتها الأنهار أي من تحت تلك الغرف وعد الله مصدر مؤكد لأن قوله لهم غرف في معنى الوعد لا يخلف الله الميعاد لأن الخلف نقص وهو على الله محال ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء هو المطر فسلكه فأدخله ينابيع في الأرض هي عيون ومجار كائنة فيها أو مياه نابعات فيها إذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على المصدر أو الحال ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه

قوله ونفخيم للمنزل باسناده الى الله الذي هو اعظم من كل عظيم وهو وما بعده معطوف على تاكيد الاسناد و الاستشهاد بمعنى الاستدلال ولذا عداه بعلى دون اللام وهذا هو المقصود بالذات وما قبله تمهيد له ووجه الاستدلال ان منزله حكيم عالم بالحسن والاحسن ولذا قال المحقق ان فيه تنبيها على انه من حيث نزله الله معجز حيث كان منزلة منزلة الكمال المطلق والاتيان بالوثر والهدايا على قد مهد بها ولذا قيل التفخيم من افادته التخصيص بناء على مذهب الزمخشري في مثله فان اختصاصه به يقتضي انه امر عظيم لا يقدر عليه غيره وقيل اصل التفخيم حاصل بالاسناد والمراد زيادته بالتكرير ففيه مضاف مقدر او المراد ذلك وكذا في قوله الاستشهاد ولا حاجة اليه مما مر لان الاضافة حينئذ عهدية والمعهود الحسن المفضل على غيره والاستشهاد انما ياتي بمجموع الامرين الابتداء والبناء عليه واما اعتبار الزيادة فلان فيقتضي الاحاطة والاحاطة التامة تكون بان لا يتجاوز المحيط ولا ينفصل عنه وهو تكلف ما لا حاجة اليه شهاب

اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من حمرة وخضرة وغيرهما ثم يهيج بتم جفافه لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منبته فتراه مصفرا من يبسه ثم يجعله حطاما فتاتا ان في ذلك لذكرى لتذكيرا بانه لا بد من صانع حكيم دبره وسواه وبانه مثل الحياة الدنيا فلا يغتر بها لاولي الالباب اذ لا يتذكر به غيرهم افمن شرح الله صدره للاسلام حتى تمكن فيه بيسر عبر به عمن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متابية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق بالنفس القابل للاسلام فهو على نور من ربه يعني المعرفة و الاهتداء الى الحق وعنه صلى الله عليه وسلم اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسية من اجل الشيء تاببا من قبوله من القاسية عنه لسبب اخر وللمبالغة في وصف اولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب واسنده اليه اولئك في ضلال مبين يظهر للناظر بادنى نظر والاية نزلت في حمزة وعلي وابي لهب وولده الله نزل احسن الحديث يعني القرآن روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تاكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه كتابا متشابها بدل من احسن او حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة مثاني جمع مثنى او مثنى على ما مر في الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القرآن سور وآيات والانسان عظام وعروق واعصاب وجعله تمييزا من متشابها كقولك رايت رجلا حسنا شمائله تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة الخوف واقشعرار

الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء
ليصير رباعيا كتركيب قمطر من القمط وهو الشد ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان اصل الرحمة وان
رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمئنان
وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها ذلك اي الكتاب
هدى الله يهدي به من يشاء هدايته ومن يضلل الله ومن يخذله فما
له من هاد يخرجه من الضلال افمن يتقي بوجهه يجعله درقة يقي به
نفسه لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه سوء
العذاب يوم القيامة كمن هو آمن منه فحذف الخبر كما حذف في نظائره وقيل
للظالمين اي لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا
بالموجب لما يقال لهم وهو ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وباله والواو للحال
وقد مقدرة كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من
الجهة التي لا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها فاذاقهم الله الخزي الذل
في الحياة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ولعذاب
الآخرة المعد لهم اكبر لشدته ودوامه لو كانوا يعلمون لو كانوا من اهل العلم
لو كانوا من اهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس
في هذا القرآن من كل مثل يحتاج اليه الناظر في امر دينه لعلهم يتذكرون
يتعظون به قرآنا عربيا حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك
جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذي عوج لا اختلال فيه بوجه ما
وهو ابلغ من المستقيم واختص بالمعاني وقيل بالشك استشهادا بقوله وقد
اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب وهو تخصيص له ببعض
مدلوله لعلهم يتقون علة اخرى مرتبة على الاولى ضرب الله مثلا للمشرك
والموحد رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما مثل المشرك على ما يقتضيه

قوله فتحتج عليهم اي تجعل الخصام
بين النبي صلى الله عليه وسلم
وبين امة الدعوة لكن لا على ما يتبادر
منه بل على ما اشار اليه الطيبي طيب
الله ثراه من اول السورة الى هنا
لما ذكرت البراهين القاطعة
العرق الشركة المسجلة لفرط جهلهم
وعدم رجوعهم مع نهاية الكد صلى الله
عليه وسلم على ردهم الى الحق وحرصه
على هدايتهم اتجه السؤال منه بعد
ما قاساه منهم بان يقول ما حالي
مع حالهم فاجيب انك مهدت
من نشاط الدعوة ما اردنا وتم
لك من ذلك ما قضيناه فلا تطمع
في الزيادة على ذلك لانك ستأتي
انت اعز الخصوم ويساق
هؤلاء الى موقف تتنصف فيه
الخصوم كما قيل الى ديان يوم الدين
نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

مذهبة من أن يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتنازعون فيه بعيد يتشاكسون
فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهامهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه والموحد
بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس
والتشاخس الاختلاف وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ
بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وثلاثتها مصادر سلم نعت بها او حذف
منها ذا او رجل ما لم وتخصيص الرجل لانه افطن للضر والنفع هل يستويان
مثلا صفة وحالا ونصبه على التمييز ولذلك وحد وقرئ مثلين للاشعار
باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين فان
التقدير مثل رجل ومثل رجل الحمد لله كل الحمد له لا يشاركه فيه على الحقيقة
سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون
به غيره من فرط جهلهم انك ميت وانهم ميتون فان الكل بصدد الموت في
عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لانه مما سيحدث ثم انكم على تغليب المخاطب
على الغيب يوم القيمة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك كنت على الحق
في التوحيد وكانوا على الباطل في التشريك واجتهدت في الارشاد والتبليغ
ولجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل مثل اطعنا سادتنا ووجدنا
اباءنا وقيل المراد به الاختصام العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم
في الدنيا فمن اظلم ممن كذب على الله باضافة الولد والشريك اليه وكذب
بالصدق وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاءه من غير توقف وتفكر
في امره اليس في جهنم مثوى للكافرين وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام
يحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم مكذبون بما علم
صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجأ ما علم مجيء الرسول به بالتكذيب
والذي جاء بالصدق وصدق به للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله اولئك هم
المتقون وقيل هو النبي والمراد هو ومن تبعه كما في قوله ولقد اتينا موسى الكتاب

لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول والمصدق ابو بكر وذلك يقتضي اضمار الذي
وهو غير جائز وقرئ وصدق به بالتخفيف اي صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل
او صار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه وصُدِّق به على البناء للمفعول لهم
ما يشاؤن عند ربهم في الجنة ذلك جزاء المحسنين على احسانهم ليكفر الله
عنهم اسوأ الذي عملوا خص الاسوأ للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك
او للاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم مقصرون مذنبون وان
ما يفرط منهم من الصغائر اسوأ ذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى السيء كقولهم
الناقص والاشج اعدلا بني مروان وقرئ اسواء جمع سوء ويجزيهم اجرهم
ويعطيهم ثوابهم باحسن الذي كانوا يعملون فتعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها
في زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها أليس الله بكاف عبده استفهام
انكار للنفي مبالغة في الاثبات والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل
الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده وفسر بالانبيا صلوات الله عليهم وسلامه
ويخوفونك بالذين من دونه يعني قريشا فانهم قالوا له انا نخاف ان تخبلك
الهتنا لعيبك اياها وقيل بعث خالدا ليكسر العزى فقال له سادنها احذركها
ان لها شدة فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه لانه الآمر
له بما خوف عليه ومن يضلل الله حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع
ولا يضر فما له من هاد يهديه الى الرشاد ومن يهد الله فما له من مضل
اذ لا راد لفعله كما قال أليس الله بعزيز غالب منيع ذي انتقام ينتقم من اعدائه
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح البرهان على
تفرده بالخالقية قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل
هن كاشفات ضره اي أرأيتم بعد ما تحققتم ان خالق العالم هو الله ان الهتكم
ان اراد الله ان يصيبني بضر هل يكشفنه او ارادني برحمة بنفع هل هن ممسكات
رحمته فيمسكنها عني وقرأ ابو عمرو كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين

فيهما وضبط ضره ورحمته قل حسبي الله كافيا في اصابة الخير ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر الذي لا مانع لما يريد من خير او شر روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات وممسكات على ما يصفونها به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها عليه يتوكل المتوكلون لعلمهم بان الكل منه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم اني عامل اي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا تقف فانه تعالى يزيد على مر الايام قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين فقال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم الله يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق ملتبسا به فمن اهتدى فلنفسه اي نفع به نفسه ومن ضل فانما يضل عليها فان وباله لا يتخطاها وما انت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فانما امرت بالبلاغ وقد بلغت الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها اي يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت او ظاهرا لا باطنا وهو في النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن وقرأ حمزة والكسائي قضي بضم القاف وكسر الضاد والموت بالرفع ويرسل الاخرى اي النائمة الى بدنها عند اليقظة الى اجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والحياة فيتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه ان في ذلك من التوفي والامساك والارسال لآيات على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها

بالابدان

بالابدان في توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفي اجالها ام اتخذوا
بل اتخذ قريش من دون الله شفعاء تشفع لهم عند الله قل اولو كانوا لا يملكون
شيئا ولا يعقلون ايشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادا
لا تقدر ولا تعلم قل لله الشفاعة جميعا لعله رد لما عسى يجيبون به وهو
ان الشفعاء اشخاص مقربون هي تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة كلها
لا يستطيع احد شفاعة الا باذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال له ملك
السموات والارض فانه مالك الملك كله لا يملك احد ان يتكلم في امره دون
اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيمة فيكون الملك له ايضا حينئذ واذا
ذكر الله وحده دون الهتهم اشمأزت انقبضت ونفرت قلوب الذين لا
يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه يعني الاوثان اذا هم يستبشرون
لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله ولقد بالغ في الامرين حتى بلغ الغاية فيهما
فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز
ان يمتلئ قلبه غيظا وغما حتى ينقبض اديم وجهه والعامل في اذا المفاجاة قل اللهم
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة التجئ الى الله بالدعاء لما
تحيرت في امرهم وعجزت في عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء
والعالم بالاحوال كلها انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
فانت وحدك تقدر ان تحكم بيني وبينهم ولو ان للذين ظلموا ما في الارض
جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وعيد شديد
واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون زيادة
مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم في الوعد وبدا لهم سيئات
ما كسبوا سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض صحائفهم وحاق بهم ما كانوا
به يستهزءون واحاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار عن
الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم

قوله وعيد شديد واقناط كلي من الخلاص لانه كالتمثيل للزوم العذاب لهم اذ لم يقصد الشرطية بل التمثيل لحالهم بحال من حاول التخلص والفدا بما ذكر فلا يتقبل وهذه الجملة قيل ايضا معطوفة على مقدر والتقدير انا احكم بينهم واعذبهم ولو علموا ذلك ما فعلوا ما فعلوا والاقناط لانه ذكر انهم لا يتخلصون ولو فرض هذا المحال قوله زيادة مبالغة فيه اي في الوعيد كما ان ما ذكر مبالغة في الوعد حيث ابهم للدلالة على انه لا يكتنه كنهه وانه مما يخطر على قلب بشر ولا تختلج به الظنون والاوهام وفي الوعد متعلق بلفظ قوله وقوله سيئات اعمالهم على ان ما موصولة بمعنى العمل وما بعده على المصدرية وحين تعرض ظرف لبدا واضافة سيئات على معنى من واللام وما كانوا به يستهزءون محتمل للموصولية والمصدرية ايضا واحاط تفسير لحاق وجزاؤه اما انه على تقدير المضاف او على انه مجاز بذكر السبب وارادة المسبب وقد مر لنظائره شهاب

وتكبيهم فى السبب بمعنى انهم ينفرون عن ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر
الالهة فاذا مس الانسان ضر دعانا من اشمئزوا من ذكره ودون من استبشر وابذكره وما
بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها
تفضلا فان التخويل مختص به قال انما اوتيته على علم على علم منى بوجوه كسبه
او بانى سأعطاه لمالى من استحقاقه او علم من الله بى واستحقاقى والهاء لما ان
جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد شئ منها بل هى فتنة امتحان
له استكرم بكفر وهو رد لما قاله وتأنيث الضمير باعتبار الخبر او لفظ النعمة وقرئ
بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك وهو دليل على ان الانسان للجنس قد
قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة وقرئ
بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فانه قاله ورضى به قومه فما اغنى
عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات
اعمالهم او جزاء اعمالهم وسماه سيئة لانه فى مقابلة اعمالهم السيئة رمزا الى ان جميع
اعمالهم كذلك والذين ظلموا بالعتو من هؤلاء من المشركين ومن للبيان او للتبعيض
سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما اصاب اولئك وقد اصابهم فانهم قحطوا سبع
سنين وقتل ببدر صناديدهم وما هم بمعجزين فائتين اولم يعلموا ان الله
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر بحيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا
ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون بان الحوادث كلها من الله بوسط او غيره
قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا فى الجناية عليها بالاسراف
فى المعاصى واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن لا
تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا وقرئ بفتح النون
وكسرها وضمها ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا ولو بعد تعذيب وتقييد
بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان
يشرك به الاية والتعليل بقوله انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة

قوله خطى
جزاء اعمالهم فتسميته على تقدير مضاف فيه او على ان تجوزا بالسيئات
عما تسبب عنها او السيئات الاخروية سميت بها المشاكلة
تقديرية لما وقعت فى مقابلته وافراد الجزاء لانه سواء كان
مصدرا او اسم جنس كالتراب والماء صادق على القليل والكثير
فلا حاجة لجمعه وان لم يكن مصدرا

قوله عفوا عمه
عفوا تمهيد لتفسير للمغفرة وهو اظهر فى المراد لان
العفو محوها والغفر سترها فربما توهم انها سترت
لم تمح بالكلية وقوله ولو بعد تعذيب فلا ينافى تعذيب العصاة
فانه يتجاوز بعد ذلك عنهم ويدخلهم الجنة بفضله ولو شاء

الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة بما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي انه عم قال ما احب ان تكون لي الدنيا وما فيها بها فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلاث مرات وما روي ان اهل مكة قالوا ان محمدا يزعم ان من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس فنزل وقيل نزلت في عياش والوليد بن الوليد في جماعة فتنوا فافتتنوا او في الوحشي لا ينفي عمومها وكذا قوله وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ فانها لا تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن التوبة والاخلاص في العمل وتنافي الوعيد بالتعذيب وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ القرآن او المأمور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص والناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ بمجيئه فتتداركون أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ كراهة ان تقول وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول الاعشى ورب بقيع لو هتفت بجوه اتاني كريم ينفض الرأس مغضبا يَا حَسْرَتَا وقرئ بالياء على الاصل عَلَى مَا فَرَّطْتُ بما قصرت فِي جَنْبِ اللَّهِ في جانبه اي في حقه وهو طاعته قال سابق البربري اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع وهو كناية فيها مبالغة كقوله ان السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج وقيل في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ المستهزئين باهله ومحل وان كنت نصب على الحال كانه قال

فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين
من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من
المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على انه لا يخلو من هذه الاقوال تحيرا
او تعللا بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت
وكنت من الكافرين رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هداني من معنى النفي
وفصله عنه لان تقديمه يفرق القرائن وتاخير المردود يخل بالنظم المطابق
للوجود لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تاثير
قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب
على المعنى وقرئ بالتانيث اي بكسر التاء للنفس ويوم القيمة ترى الذين كذبوا
على الله بان وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما ينالهم
من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر ان ترى من
رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو اليس في جهنم مثوى للمتكبرين
عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك وينجي الله الذين اتقوا
وقرئ وينجي بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيصها
باهم اقسامه وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقرا الكوفيون
غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجي او لقوله
لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وهو حال او استيناف لبيان المفازة الله خالق
كل شيء من خير وشر وايمان وكفر وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه
له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره
وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزائن
لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من
قلدته اذا لزمته وقيل جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه
انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر

وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان الله يحفظ الكلمات بوحدتها ويمجدونها مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم مجازٍ عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله وفي هلاك الكافرين بان خسروا انفسهم وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم او بما يليه والمراد بآيات الله دلائل قدرته واستبداده بامر السموات والارض وكلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم له حظ من الرحمة والثواب قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ افغير الله اعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد وتامروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تامروني اعبد لانه بمعنى تعبدونني على ان اصله تامرونني ان اعبد فحذف ان ورفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرأ ابن عامر تامرونني باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اي من الرسل لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت كما صرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ رد لما امروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ما قدروا عظمته في انفسهم حق

قوله عيا دل عليه تامروني اعبد يعني اصله تامرونني ان اعبد فحذف ان وارتفع الفعل ولما كان المقدر كالموجود وان لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لم يجز نصبه باعبد حينئذ جعله منصوبا بمقدر دل عليه مجموع الكلام وهو تعبدونني بالتشديد اي تصيرونني عابدا غير الله وهذا بحث والزمخشري وقد منعه عترض بانه لا حاجة هنا الى التكلف بل هو منصوب باعبد وان بعد الحذف يبطل حكمها التكرير فيه وجوه اخر في الاعراب

تعظيمه حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد والأرض
جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته وكمال
قدرته على الأفعال العظام التي تتحير فيها الأوهام بالإضافة الى قدرته ودلالة
على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار
القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من
القبض أطلقت بمعنى القبضة وهو المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر
أو بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتأكيد
الأرض بالجمع لأن المراد بها الأرضون السبع أو جميع أبعاضها البادية و
الغائرة وقرئ مطويات على أنها حال والسموات معطوفة على الأرض
منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما أبعد وما أعلى من هذه
قدرته وعظمته عن إشراكهم أو ما يضاف إليه من الشركاء ونفخ في الصور
يعني المرة الأولى فصعق من في السموات ومن في الأرض خر ميتا أو مغشيا
عليه إلا من شاء الله قيل جبريل وميكائيل واسرافيل فإنهم يموتون
بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه أخرى نفخة أخرى وهي تدل على أن
المراد بالأولى ونفخ في الصور نفخة واحدة كما صرح به في مواضع وأخرى يحتمل
النصب والرفع فإذا هم قيام قائمون من قبورهم أو متوقفون وقرئ بالنصب
على أن الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون أبصارهم في الجوانب
كالمبهوتين أو ينتظرون ما يفعل بهم وأشرقت الأرض بنور ربها بما أقام
فيها من العدل سماه نورا لأنه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمي الظلم ظلمة
وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك أضاف اسمه الى الأرض أو بنور خلق
فيها بلا توسط أجسام مضيئة ولذلك أضافه الى نفسه ووضع الكتاب
للحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه أو صحائف الأعمال
في أيدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ تقابل به الصحائف

كف

قوله على طريقة التمثيل والتخييل متعلق بقوله
تنبيه ودلالة قيل المراد انه استعارة تمثيلية مثل حال
عظمته ونفاذ قدرته بحال من يكون له قبضة فيها
الأرض ويمين يطوي بها السموات والمراد بالتخييل
ما يقابل التصديق كما في قولهم الناس للتخييل أطوع منهم
للتصديق وهو ما سلف من المقدمات المخيلة
لا التخييل الاستعارة بالكناية كما يوهمه تشبيهه بقولهم
شابت لمة الليل فإنه قيل في كتب القوم ان القياسات
الشعرية وإن أفادت الترغيب في الترهيب لا تنبغي للنبي
صلى الله عليه وسلم لأن مدارها على الكذب ولذا قيل
أعذبه أكذبه ممنوع انتهى واعلم

وجئ بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون
وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب على
ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا
يفوته شيء من افعالهم ثم فصل التوفية وقال وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا افواجا
متفرقة بعضها في اثر بعض على تفاوت اقدامهم في الضلالة والشرارة وهي جمع
زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه او من
قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة حتى اذا جاؤها فتحت
ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرا الكوفيون فتحت بتخفيف
التاء وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم من جنسكم يتلون
عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا وقتكم هذا وهو وقت دخولهم
النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان
الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين كلمة الله
بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وانهم من اهل النار ووضع الظاهر
فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها ابهم
القائل لتهويل ما يقال لهم فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس والمخصوص
بالذم سبق ذكره ولا ينافي اشعاره بان مثواهم في النار لتكبرهم عن الحق ان يكون
دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وساير مقابحهم مسببة
عنه كما قال عم ان الله تع اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على
عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل
النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار وسيق الذين اتقوا ربهم
الى الجنة اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين
زمرا على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوا

قوله طبتم

مع أن في الجنة مقامات معنوية الخ جواب ثان وحوصلته أنه لما قال الإمام من أن لنا جنة حيوانية وروحانية ومقامات الثانية لا تمانع فيها تبعوه أنه يكون في مقام واحد منهما ما لا تمانع فيه بهذه الجملة حالية والمعنى أورثنا مقامات الجنة المحسوسة حالة كوننا نتبوأ في منازل الأرواح كما نشاء في ... الدار المستعلية تسع ألف ألف من الأرواح والصور المثالية التي هي ... عن الأبدان العنصرية لعدم تمانعها كما قيل ... مع الأحباب ميدان وهذا ... بطون الفلا فالكلام ... ولا يحمل الجنة على مثله مما لا تعرفه العرب ولا ينبغي أن تفسر به والمقام الروحاني هو ما تدركه الروح من المعارف الإلهية وتشاهده من رضوان الله ونفحات ألطافه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ومن لم يذق لم يعرف ولا يرد على ما ذكره أنه يقتضي أن كل أحد يصل إلى مقام روحاني مع أن منها ما يختص بالأنبياء المكرمين والملائكة المقربين والظاهر أنه لا يصل إليها كل أحد من العارفين وقد قيل أيضا في الجواب إنهم لا يريدون ... وعصمه الله ... قوله محدقين من أحدق ... الإحاطة ... الحدقة بالعين وهو من الحفاف بمعنى الجانب جمع وقال السمين قال الفراء وتبعه الزمخشري لا واحد له ... لا يكون حافا أي الإحاطة لا تتصور بواحد وإنما تتحقق الإحاطة بالجمع وقيل ... لم يرد به استعمال وكلاهما وهم لأنه يصح ... أن يقال طاف ... مما يدل على الإحاطة بالشيء بمعنى محاذاته جميع جوانبه ولا يلزم أن يكون في زمان واحد بل في دفعات متفاوتة ... فقد حاذاه جميع جوانبه فيكون الحفوف ... الطواف ... بمعنى الدوران ... محيطا ... مدخل في الإحاطة

شهاب

حذف جوابه إذا للدلالة على أن لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وأن أبواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم منتظرين وقرأ الكوفيون فتحت بالتخفيف **وقال لهم خزنتها سلام عليكم** لا يعتريكم بعده مكروه **طبتم** طهرتم من دنس المعاصي **فادخلوها خالدين** مقدرين الخلود والفاء للدلالة على أن طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لأنه يطهره **وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده** بالبعث والثواب **وأورثنا الأرض** يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وإيراثها تمليكها مخلفة عليهم من أعمالهم أو تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه **نتبوأ من الجنة حيث نشاء** أي يتبوأ كل منا في أي مقام أراده من جنته الواسعة مع أن في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها **فنعم أجر العاملين** الجنة **وترى الملائكة حافين** محدقين **من حول العرش** أي حوله ومن مزيدة أو لابتداء الحفوف **يسبحون بحمد ربهم** ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية أو مقيدة للأولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله وإكرامه تلذذا به وفيه إشعار بأن منتهى درجات العليين وأعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق **وقضي بينهم بالحق** أي بين الخلق بإدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة أو بين الملائكة بإقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم **وقيل الحمد لله رب العالمين** أي على ما قضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون من المقضي بينهم أو الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع رجاءه يوم القيامة وأعطاه الله ثواب الخائفين. وعنه عم أنه كان يقرأ كل ليلة سورة بني إسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية وآيها خمس أو اثنان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم أماله ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر صريحا ونافع برواية ورش وأبو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين والنصب بإضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتأنيث أو لأنها على زنة أعجمي كقابيل وهابيل **تنزيل الكتاب**

من الله العزيز العليم لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن من الإعجاز والحكم الدال
على القدرة الكاملة والحكمة البالغة غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
ذي الطول صفات أخر لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود
منه والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب
مشدده او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وامن الالتباس وابدال
وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو
الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين
لأن الغفر هو الستر فيكون لذنب باق وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن
لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق
وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال
الكلي على عبادته اليه المصير فيجازي المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله الا
الذين كفروا لما حقق امر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض
الحق لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيه لحل عقده واستنباط
حقائقه وقطع تشبث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم الطاعات ولذلك
قال عليه السلام ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه على الحقيقة
فلا يغررك تقلبهم في البلاد فلا يغررك امهالهم واقبالهم في دنياهم وتقلبهم في
بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فانهم مأخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم
كما قال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم والذين تحزبوا على الرسل
وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود وهمت كل امة من هؤلاء برسولهم ليأخذوه
ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا
بالباطل بما لا حقيقة له ليدحضوا به الحق ليزيلوه به فأخذتهم بالاهلاك
جزاء لهم فكيف كان عقاب فانكم تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير
فيه تعجيب وكذلك حقت كلمة ربك وعيده او قضاؤه بالعذاب على الذين

كفروا لكفرهم انهم اصحاب النار بدل من كلمة ربك بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى الذين يحملون العرش ومن حوله الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له او كناية عن قربهم من ذى العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم فى نفاذ امره يسبحون بحمد ربهم يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ويؤمنون به اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الاية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون للذين آمنوا واشعارا بان حملة العرش وسكان الفرش فى معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة فى الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانها اقوى المناسبات كما قال انما المؤمنون اخوة ربنا اى يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون او حال وسعت كل شئ رحمة وعلما اى وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن اصله للاغراق فى وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة فى عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتاكيد والدلالة على شدة العذاب ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم وعدتهم اياها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على هم الاول اى ادخلهم معهم ليتم سرورهم او الثانى لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد انك انت العزيز الذى لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذى لا يفعل الا ما تقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد وقهم السيئات العقوبات او جزاء السيئات وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح والمعاصى فى الدنيا لقوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اى ومن تقها فى الدنيا فقد رحمته فى الآخرة

كانهم طلبوا السبب بعد ما سألوا المسبب وذلك هو الفوز العظيم يعني الرحمة
او الوقاية او مجموعهما ان الذين كفروا ينادون يوم القيامة فيقال لهم لمقت
الله اكبر من مقتكم انفسكم اي لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة
بالسوء اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ظرف لفعل دل عليه المقت الاول
لا له لانه اخبر عنه ولا للثاني لان مقتهم انفسهم يوم القيمة حين عاينوا
جزاء اعمالها الخبيثة الا ان يأول بنحو الصيف ضيعت اللبن او تعليل للحكم
وزمان المقتين واحد قالوا ربنا امتنا اثنتين اماتتين بان خلقتنا
امواتا اولا ثم صيرتنا امواتا عند انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشيء
عادم الحياة ابتداء او بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان
من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل احد مقدوريه
تصيير وصرف له عن الآخر واحييتنا اثنتين الاحياءة الاولى واحياءة
البعث وقيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجل والثانية في القبر بعد الاحياء
للسؤال والاحياآن ما في القبر والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة
بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب لقوله فاعترفنا بذنوبنا
فان اغترارهم بالدنيا وانكارهم للبعث فهل الى خروج نوع خروج من النار
من سبيل طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا
ولذلك اجيبوا بقوله ذلكم الذي انتم فيه بانه بسبب انه اذا دعي الله وحده
متحدا او توحد وحده فحذف الفعل واقيم مقامه في الحالية كفرتم بالتوحيد
وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك فالحكم لله المستحق للعبادة حيث حكم
عليكم بالعذاب السرمد العلي من ان يشرك به ويسوى بغيره الكبير حيث
حكم على من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة هو الذي
يريكم آياته الدالة على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم
وينزل لكم من السماء رزقا اسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم وما

يتذكر بالآيات التي هي كالمركوزة في العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك
في التقليد واتباع الهوى الا من ينيب يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكر
فيها فان الجازم بشيء لا ينظر فيما ينافيه فادعوا الله مخلصين له الدين من
الشرك ولو كره الكافرون اخلاصكم وشق عليهم رفيع الدرجات ذو
العرش خبران اخران للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس
الدال على تفرده في الالوهية فان من ارتفعت درجات كماله بحيث لا يظهر
دونها كمال وكان العرش الذي هو اصل العالم الجسماني في قبضة قدرته لا يصح
ان يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات او مصاعد الملائكة الى العرش
والسموات او درجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب على المدح يلقي الروح
من امره خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره باظهار
اثارها وهو الوحي وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحي ومن امره
بيانه لانه امر بالخير او مبدؤه والامر هو الملك المبلغ على من يشاء من عباده
يختاره للنبوة وفيه دليل على انها عطائية لينذر غاية الالقاء والمستكن
فيه لله او لمن او للروح واللام مع القرب يؤيد الثاني يوم التلاق يوم القيمة
فان فيه تتلاقى الارواح والاجساد واهل السموات والارض والمعبودون والعباد
او العمال والاعمال يوم هم بارزون خارجون من قبورهم او ظاهرون لا
يسترهم شيء او ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم
لا يخفى على الله منهم شيء من اعيانهم واعمالهم واحوالهم وهو تقرير لقوله بارزون
وازاحة لنحو ما يتوهم في الدنيا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما
يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به او لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال
الاسباب وارتفاع الوسائط واما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما اليوم
تجزى كل نفس بما كسبت كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه ان النفوس تكتسب بالعقائد
والاعمال هيئات لذتها والمها لكنها لا تشعر بها في الدنيا لعوائق تشغلها

فاذا قامت فامسكها زال العوائق وادركت لذتها والمها لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة العقاب ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شان عن شان فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا وانذرهم يوم الازفة اي القيامة سميت بها لازوفها اي قربها او الخطة الازفة وهي مشارفتهم النار وقيل الموت اذ القلوب لدى الحناجر فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحناجرهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة او منها او من ضميرها في لدى وجمعه لذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انه حال مقدرة ما للظالمين من حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع ولا شفيع مشفع والضماير ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين وما تخفي الصدور من الضماير والجملة خبر خامس للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشي الا وهو حقه والذين يدعون من دونه لا يقضون بشي تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضي او لا يقضي وقرا نافع بالتاء على الالتفات او اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا وانما جي بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرا ابن عامر اشد منكم بالكاف وآثارا في الارض مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم وما

٥ قوله قريب مشفق القرب اما من جهة النسب وهو الظاهر او من جهة الصداقة فيكون بمعنى محب مشفق كما في الكشاف لكن الاول هو الصحيح في كتب اللغة وهو اوفق بعموم شفيع بعده وقد سبق في الشعراء انه من الاحتمام بمعنى الاهتمام وهو الذي يهتمه ما يهمك او هو من الحامة بمعنى الصديق الخاص ... قوله والضماير اي الضماير المذكورة من قوله وانذرهم الى هنا ويجوز ان تكون عامة لهم ولغيرهم وعلى الاول فمقتضى الظاهر ما لهم من شفيع الى قوله للدلالة على اختصاص ذلك اي الا نذار وانواع ما نويهم الخناجر والاختصاص من اختصاص العلة وهي الظلم بهم واعظم الكفر ...

كان لهم من الله من واق يمنع العذاب عنهم ذلك الاخذ بانهم كانت تأتيهم رسلهم
بالبينات بالمعجزات او الاحكام الواضحة فكفروا فاخذهم الله انه قوي متمكن
مما يريد غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه بعقاب دون عقابه ولقد ارسلنا
موسى باياتنا يعني المعجزات وسلطان مبين وحجة قاهرة ظاهرة والعطف
لتغاير الوصفين او لافراد بعض المعجزات كالعصى تفخيما لشانه الى فرعون و
هامان وقارون فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى وفيه تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وبيان للعاقبة من هو اشد الذين كانوا من قبلهم بطشا واقربهم
زمانا فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا
نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا كي يصدوا عن مظاهرة موسى
وما كيد الكافرين الا في ضلال في ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم
الحكم والدلالة على العلة وقال فرعون ذروني اقتل موسى كانوا يكفونه عن قتله
ويقولون انه ليس الذي تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن انك عجزت عن معارضته
بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا في اهون شيء دليل على انه تيقن انه نبي فخاف
من قتله او ظن انه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله وليدع ربه فانه تجلد وعدم
مبالاة بدعائه اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه من
عبادته وعبادة الاصنام لقوله ويذرك والهتك او ان يظهر في الارض الفساد
ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية
وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن
بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء
ورفع الفساد وقال موسى اي لقومه لما سمع بكلامه اني عذت بربي وربكم
من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر الكلام بان تاكيدا واشعارا على ان
السبب المؤكد في دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب
هو الحفظ والتربية واضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته لما في تظاهر

الازواج من استجلاب الإجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة
ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على القول وقرأ ابو عمرو وحمزة و
الكسائي عُتُّ فيه وفي الدخان بالادغام وعن نافع مثله وقال رجل مؤمن
من آل فرعون من اقاربه وقيل من متعلق بقوله يكتم ايمانه والرجل اسرائيلي او
غريب موحد كان ينافقهم اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان يقول لان يقول
او وقت ان يقول من غير روية وتأمل في امره ربي الله وحده وهو في الدلالة على
الحصر مثل صديقي زيد وقد جاءكم بالبينات المتكثرة على صدقه من المعجزات
والاستدلالات من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا
لهم الى الاعتراف به ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وان يك كا
ذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك صادقا
يصبكم بعض الذي يعدكم فلا اقل من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة
في التحذير واظهار للانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا او يصبكم
ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كأنه خوفهم بما هو اظهر احتمالا
عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط
بعض النفوس حمامها مردود لانه اراد بالبعض نفسه ان الله لا يهدي من هو
مسرف كذاب احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا
لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله الله
واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثاني لتلين
شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب
وسبيل النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين في الارض ارض
مصر فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا
لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما ادرج نفسه في الضميرين
لانه كان منهم في القرابة وليريهم انه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم قال فرعون

قوله فعال للمبالغة اي يعني ان هذه الصيغة للمبالغة وقد ثبت من الثلاثي من باب فعل بكسر العين وفعل بفتحها ولم تجئ من المزيد الا في الفاظ نادرة وردت على خلاف القياس وهي دراك من ادرك وقصار من اقصر عن الشئ وجبار من اجبر فيقال من اسار مع انه ثبت في بعض سماع الثلاثي وجوزه بعضهم من الزوائد تقريبا له من القياس وقد سمع جبره فيقول لجبار بنا على المشهور ورشيد ورشد بمعنى اهتدى وما قيل المعنى على انه صيغة مبالغة من الارشاد ان المعنى سبيل من كثر ارشاده غير مسلم بل المراد سبيل من اهتدى وعظم رشده ولا حاجة الى ان يقال من رشد ارشد فاكتفى بالتسبيع المستتب او المبالغة في الرشد يكون بالارشاد كما قيل في طهور وقيوم فانه اذا قيل الا سبيل من اهتدى كان في غاية من السداد والله الهادي الى سبيل الرشاد

ما اريكم اي ما اشير اليكم الا ما ارى ما استصوبه من قتله وما اعلمكم الا ما علمت من الصواب وقلبي ولساني متواطئان عليه وما اهديكم الا سبيل الرشاد طريق الصواب وقرئ بالتشديد على انه فعال للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعني وقايعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي فيه نفي حدوث تعلق ارادته بظلم ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم القيامة ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكي في الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه يوم تولون عن الموقف منصرفين عنه الى النار وقيل فارين عنها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف يوسف بن يعقوب على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد او سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال يضل الله في العصيان من هو مسرف مرتاب شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاول لانه بمعنى الجمع بغير سلطان

أتاهم بغير حجة بل إما بتقليد أو شبهة داحضة كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضمير من وإفراده للفظ ويجوز أن يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف أي وجدال الذين يجادلون كبر مقتا أو بغير سلطان وفاعل كبر كذلك أي كبر مقتا ذلك الجدال فيكون قوله يطبع الله على كل قلب متكبر جبار استئنافا للدلالة على الموجب لجدالهم وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لأنه منبعهما كقولهم رأت عيني وسمعت أذني أو على حذف مضاف أي على كل ذي قلب متكبر وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء إذا ظهر لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات بيان لها وفي إبهامها ثم إيضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع إلى معرفتها فأطلع إلى إله موسى عطف على أبلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجي ولعله أراد أن يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه أحوال الكواكب التي هي أسباب سماوية تدل على الحوادث الأرضية فيرى هل فيها ما يدل على إرسال الله تعالى إياه أو أن يرى فساد قول موسى بأن إخباره من إله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله إليه وذلك لا يتأتى إلا بالصعود إلى السماء وهو مما لا يقوى عليه الإنسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه وإني لأظنه كاذبا في دعوى الرسالة وكذلك ومثل ذلك التزيين زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله ويدل عليه أنه قرئ زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرأ الحجازيان والشامي وأبو عمرو وصد على أن فرعون صد الناس عن الهدى بأمثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده وما كيد فرعون إلا في تباب أي خسار وقال الذي آمن يعني مؤمن آل فرعون وقيل موسى يا قوم اتبعون أهدكم بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه إلى المقصود وفيه تعريض بأن ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع تمتع يسير لسرعة زوالها وإن الآخرة هي دار القرار لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها عدلا من الله وفيه دليل على أن

قوله لا جرم تحقيقه كما في الكشاف وشرح التسهيل في اصل معناه كما قال الزجاج لا بد خلكم في الحرم اي لا اثم كما تم ادخله فلا اثم ثم كثر استعماله حتى صار بمعنى لا بد عند الفراء بمنزلة حقا ولذا جعلته العرب قسما وهو من جرمت الذنب بمعنى كسبته لا بمعنى حقيقت وقال الازهري لا رد لشيء ثم جرم ثم ابتداء ما بعده جرم ان لهم النار اي كسب ذلك العمل لهم الخسران فلا اصلة وقيل نافية وجرم كسعم وسقم بمعنى باطل لانه موضوع له ولانه بمعنى كسب والباطل يحتاج الكسب والتزيين ولذا فسر حقا لانه نقيض الباطل ولا باطل صار يمينا كلا كذب في قول النبي صلى الله عليه وسلم انا النبي لا كذب وفيه لغات جرم وجرم واجرم وقد يزاد قبله ان او ولذا انتهى محصله فقوله لا رد احد الاقوال فيه وجرم فعل بمعنى حق وقوله اي حق عدم الخ اشارة الى ان الفاعل المسبوك المنصب منه وعدم الدعوة عبارة عن صيانتها وانها مستحقة لذلك الدعوة الهتكم مصدر مضاف لفاعله ومعناه دعوتها اياكم لعبادتها قوله او عدم دعوة مستجابة على ما مر الدعوة لنسبة الدعاء الى الفاعل وعلى هذا النسبة الى المفعول لانهم كانوا يدعونها فتحمل نفي الدعاء على نفي الاستجابة منها لدعائهم اياها اما بحذف الموصوف او المضاف اي استجابة دعوة او دعوة مستجابة تنزيل الغير المستجاب منزلة العدم وقد جوز فيه المجاز عن استجابتها التي تترتب عليها بمنزلة الجزاء كما في كما تدين تدان وليس هذا من المشاكلة في شيء عند المحقق وان جوزه بعضهم

الجنابات تغمر بمثلها ومن عمل صالحا من ذكرا وانثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمال وجعل الجزاء اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه شرط في اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة او اهتماما بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه وعطفه على النداء الثاني الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان ما بعده ايضا تفسير لما اجمل فيه تصريحا وتعريضا او على الاول تدعونني لاكفر بالله بدل وبيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به بربوبيته علم والمراد نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان فاعتقادها لا يصح الا عن ايقان وانا ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة اي حق عدم دعوة الهتكم الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي الوهيتها او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد وان مردنا الى الله بالموت وان المسرفين في الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار ملازموها فستذكرون فستذكرون

بعضكم بعضاً عند معاينة العذاب ما أقول لكم من النصيحة وأفوض أمري إلى
الله ليعصمني من كل سوء إن الله بصير بالعباد فيحرسهم وكأنه جواب توعدهم
المفهوم من قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى
وحاق بآل فرعون بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى
بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فإنه فر إلى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلي
والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعباً فقتلهم سوء العذاب الغرق أو القتل
أو النار النار يعرضون عليها غدواً وعشياً جملة مستأنفة أو النار خبر
محذوف ويعرضون استئناف للبيان أو بدل ويعرضون حال منها أو من الآل
وقرئت منصوبة على الاختصاص أو بإضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون
فإن عرضهم على النار إحراقهم بها من قولهم عرض الأسارى على السيف إذا قتلوا
به وذلك لأرواحهم في أجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشياً إلى يوم القيمة
وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتأبيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر
ويوم تقوم الساعة أي هذا ما دامت الدنيا فإذا قامت الساعة قيل لهم
أدخلوا آل فرعون يا آل فرعون أشد العذاب عذاب جهنم فإنه أشد مما
كانوا فيه أو أشد عذاب جهنم وقرأ نافع وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص أدخلوا
على أمر الملائكة بإدخالهم النار وإذ يتحاجون في النار واذكر وقت تخاصمهم
فيها ويحتمل العطف على غدواً فيقول الضعفاء للذين استكبروا تفصيل
له إنا كنا لكم تبعاً تباعاً كخدم في جمع خادم أو ذوي تبع بمعنى أتباع على الإضمار
أو التجوز فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار بالدفع أو الحمل ونصيباً
مفعول لما دل عليه مغنون أو له بالتضمين أو مصدر كشيئاً في قوله لن تغني
عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً قال الذين استكبروا إنا كل فيها نحن وأنتم
فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لأغنينا عن أنفسنا وقرئ كلاً على التأكيد لأنه
بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف إليه ولا يجوز جعله حالاً من المستكن

قوله فانه لا يعمل في الحال المتقدمة الا شارة الى ما ذهب اليه بعض النحاة في الجواب عن الاستدلال بهذه الآية على التأكيد بكل المقطوع عن الاضافة بانه حال من الضمير المستتر في الظرف ومتعلقه وجهين انه تقديم الحال على عاملها الظرف وقطع كل عن الاضافة لفظا وتقديرا لتصيير نكرة فيصح كونه حالا قال وقيل ان الاجود كونه بدلا من اسم ان وجاز ابدال الظاهر من ضمير الحاضر بدل الكل لا يحصل الاحاطة كقوله تكم فان قلت البدل بدل الكل للعوامل وهو هنا اذ قلت انما يكون كذلك على القول بان عامل البدل مقدر واما على القول بانه عامله عامل المبدل منه فلا يلزم ذلك وفيه نظر فالاحسن ان يقال انه انما يكون كذلك اذا كانت على هيئة يكون فيها تأكيدا وليست هنا كذلك وفي تقديم منكوحة الحال خلاف للنحاة يجوزه بعضهم مطلقا وبعضهم ان تقدم على الحال المبتدأ ومنعه آخرون قد تقدم كلام الرضي في بعض كتبه ومنعه في بعضها وقال بوقف فيهما بان المنع على تقدير عامل الظرف لمنا تغير متعلقه وللجواز على جعل العامل متعلقه المقدر فيكون لفظيا لا معنويا وقوله كما يعمل في الظرف المتقدم فانه جاز التوسع فيه كما في المثال المذكور فان كل يوم منتصب على الظرفية وعامله الواقع خبرا عن ثوب المبتدأ النكرة الموصوفة بتقديم خبرها شهاب

في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار لخزنة جهنم اي لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل ولبيان محلهم فيها ويحتمل ان يكون جهنم ابعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر ادعوا ربكم يخفف عنا يوما قدر يوم من العذاب شيئا من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه قالوا اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ارادوا به الزامهم الحجة وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة قالوا بلى قالوا فادعوا فانا لا نجترئ فيه اذ لم يؤذن في الدعاء لامثالكم وما دعاء الكافرين الا في ضلال ضياع لا يجاب وفيه اقناطهم عن الاجابة انا لننصر رسلنا والذين آمنوا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لهم من الغلبة امتحانا اذ العبرة بالعواقب والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيمة للشهادة على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة او لانه لا يؤذن لهم فيعتذرون وقرأ نافع وغير الكوفيين بالتاء ولهم اللعنة البعد من الرحمة ولهم سوء الدار جهنم ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى به في الدين من المعجزات والصحف والشرائع واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم بعده من ذلك التورية هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي الالباب لذوي العقول السليمة فاصبر على اذى المشركين ان وعد الله بالنصر حق لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك واقبل على امر دينك وتدارك فرطاتك بترك الاولى والاهتمام بامر العدى بالاستغفار فانه تعالى كافيك بالنصر واظهار الامر وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ودم على التسبيح

والتحميد لربك وقيل صلّ لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين
عشيًّا إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم عام في كل مجادل مبطل
وإن نزلت في مشركي مكة أو اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح ابن داود
يبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار إن في صدورهم إلا كبر إلا تكبر عن
الحق وتعظم عن التفكر والتعلم أو إرادة الرياسة أو أن النبوة والملك لا يكونا
إلا لهم ما هم ببالغيه ببالغي دفع الآيات والمراد فاستعذ بالله فالتجئ إليه
إنه هو السميع البصير لأقوالكم وأفعالكم لخلق السموات والأرض أكبر من
خلق الناس فمن قدر على خلقها مع عظمها أولاً من غير أصل قدر على الإنسان
ثانيًا من أصل وهو بيان لأشكل ما يجادلون فيه من أمر التوحيد ولكن أكثر الناس لا
يعلمون لأنهم لا ينظرون ولا يتأملون لفرط غفلتهم واتباعهم أهواءهم
وما يستوي الأعمى والبصير الغافل والمستبصر فينبغي أن يكون لهم حال يظهر
فيها التفاوت وهي فيما بعد البعث والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء
والمحسن والمسيء بزيادة لا في المسيء لأن المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من
الفضل والكرامة والعطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الأعمى
والبصير لتغاير الوصفين في المقصود أو للدلالة بالصراحة والتمثيل قليلاً
ما تتذكرون أي تذكرًا ما قليلاً تتذكرون والضمير للناس أو الكفار وقرأ الكوفيون
بالتاء على تغليب المخاطب أو الالتفات أو أمر الرسول بالمخاطبة إن الساعة
لآتية لا ريب فيها في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها وإجماع الرسل على
الوعد بوقوعها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور نظرهم
على ظاهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اعبدوني أستجب لكم أثبكم
لقوله إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين صاغرين وإن
فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلاً منزلته للمبالغة
أو المراد بالعبادة الدعاء فإنه من أبوابها وقرأ ابن كثير وأبو بكر سيدخلون بضم الياء

بضم الياء وفتح الجيم اللّه الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتستريحوا فيه
بان خلقه باردًا مظلمًا ليؤدي الى ضعف المحركات وهدوء الحواس والنهار مبصرًا
يبصر فيه اوبه واسناد الابصار اليه مجاز مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل
الى الحال ان اللّه لذو فضل على الناس لا يوازيه فضل وللاشعار به لم يقل لمفضل
ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس
لتخصيص الكفران بهم ذلكم المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية
اللّه ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة
وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافًا
بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون
عن عبادته الى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات اللّه يجحدون
اي كما افكوا افك عن الحق كل من جحد بآيات اللّه ولم يتأملها اللّه الذي جعل
لكم الارض قرارًا والسماء بناء استدلال ثان بافعال اخر مخصوصة وصوركم
فاحسن صوركم بان خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء
والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات
اللذائذ ذلكم اللّه ربكم فتبارك اللّه رب العالمين فان كل ما سواه مربوب
مفتقر بالذات معرض للزوال هو الحي المتفرد بالحياة الذاتية لا اله الا هو
اذ لا موجود يساويه او يدانيه في ذاته وصفاته فادعوه فاعبدوه مخلصين
له الدين اي الطاعة من الشرك والرياء الحمد لله رب العالمين قائلين له
قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون اللّه لما جاءني البينات من ربي
من الحجج والآيات فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها وامرت ان اسلم لرب
العالمين ان انقاد له واخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة
ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اطفالا والتوحيد لارادة الجنس وعلى تاويل
كل واحد منكم ثم لتبلغوا اشدكم اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم

لتبلغوا وكذا في قوله ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرأ نافع وابو عمرو
وحفص وهشام شيوخا بضم الشين وشيخا كقوله طفلا ومنكم من يتوفى من قبل
من قبل الشيخوخة او بلوغ الاشد ولتبلغوا ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى
هو وقت الموت او يوم القيمة ولعلكم تعقلون ما في ذلك من الحجج والعبر
هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فاذا اراده فانما يقول له كن فيكون
فلا يحتاج في تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على ان ذلك
نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضي قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد
الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون عن التصديق به وتكرير
ذم المجادلة لتعدد المجادل او المجادل فيه او للتوكيد الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن
او بجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب او الوحي والشرائع
فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على
الاستقبال والتعبير بلفظ المضي لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال او مبتدأ
خبره يسحبون في الحميم والعائد محذوف اي يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ
والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية
على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال في اعناقهم بمعنى اعناقهم
في الاغلال واضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ثم في النار يسجرون يحرقون من
سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه سجر بالحب اي ملئ والمراد
تعذيبهم بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض ثم قيل لهم اين ما كنتم
تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان تقرن بهم
آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا
اي بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فانهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك
حسبته شيئا فلم يكن كذلك مثل هذا الضلال يضل الله الكافرين حتى لا
يهتدوا الى شيء ينفعهم في الآخرة او يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا

ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم الابواب السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء عبر بالمثوى فاصبر ان وعد الله بهلاك الكفار حق كائن لا محالة فاما نرينك فان نرينك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ان تراه فالينا يرجعون يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم فانا نعذبهم في الاخرة اشد العذاب ويدل على شدة الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والاخرة قضي بالحق بانجاء المحق وتعذيب المبطل وخسر هنالك المبطلون المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب كالابل والبقر ولكم فيها منافع كالالبان والجلود والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بالمسافرة عليها وعليها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون وانما قال وعلى الفلك ولم يقل في الفلك للمزاوجة وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة وقيل لانه يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد تكون لاغراض دينية واجبة او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة ويريكم آياته دلائله

الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته فأي آيات الله أي فأي آية من تلك الآيات تنكرون
فإنها لظهورها لا تقبل الإنكار وهو ناصب أي إذ لو قدرته متعلقاً بضميره كان الأولى
رفعه والتفرقة بالتاء في أي أغرب منها في الأسماء غير الصفات لإبهامه أفلم يسيروا
في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد
قوة وآثاراً في الأرض ما بقي منهم من القصور والمصانع ونحوها وقيل آثار أقدامهم
في الأرض لعظم أجرامهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون الأولى نافية أو استفهامية منصوبة بأغنى والثانية موصولة
أو مصدرية مرفوعة به فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات أو الآيات الواضحات
فرحوا بما عندهم من العلم واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة
وشبههم الداحضة كقوله بل ادارك علمهم في الآخرة وقولهم لا نبعث ولا نعذب وما أظن الساعة
قائمة ونحوها وسماها علماً على زعمهم تهكماً بهم أو علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو
ذلك أو علم الأنبياء وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده وحاق
بهم ما كانوا به يستهزئون وقيل الفرح أيضاً للرسل فإنهم لما رأوا تمادي جهل
الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين
جزاء جهلهم واستهزائهم فلما رأوا بأسنا شدة عذابنا قالوا آمنا بالله وحده
وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الأصنام فلم يك ينفعهم إيمانهم لما
رأوا بأسنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء
الأولى لأن قوله فما أغنى كالنتيجة لقوله كانوا أكثر منهم والثانية لأن قوله
فلما جاءتهم كالتفسير لقوله فما أغنى عنهم والباقيتان لأن رؤية البأس مسببة
عن مجيء الرسل وامتناع نفع الإيمان مسبب عن الرؤية سنة الله التي قد
خلت في عباده أي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة
وخسر هنالك الكافرون أي وقت رؤيتهم البأس اسم مكان استعير للزمان
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا
شهيد ولا مؤمن إلا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة مكية بسم الله الرحمن الرحيم وآيها ثلاث او اربع وخمسون

حم ان جعلته مبتدأ فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته تعديدا للحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدأ لتخصصه بالصفة وخبره كتاب وهو على الاولين بدل منه او خبر آخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية فصلت آياته ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اي فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعاني او فصلت بين الحق والباطل قرآنا عربيا نصب على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه لقوم يعلمون معانيه العربية او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرآنا او صلة لتنزيل او لفصلت والاول اولى لوقوعه بين الصفات بشيرا ونذيرا للعاملين به والمخالفين له وقرئا بالرفع على الصفة لكتاب والخبر لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره وقبوله فهم لا يسمعون سماع تامل وطاعة وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه اغطية جمع كنان وفي آذاننا وقر صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر ومن بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقاده ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول فاعمل على دينك او في ابطال امرنا اننا عاملون على ديننا او في ابطال امرك قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل فاستقيموا اليه فاستقيموا في افعالكم متوجهين اليه فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل واستغفروه

قوله فاستقيموا في افعالكم اشارة الى ان الاستقامة وهي عدم الاعوجاج مستعارة للاخلاص في الافعال وعدي بالى لتضمينه معنى متوجهين اليه او الاستقامة بمعنى الاستواء وهو يتعدى بالى كما في قوله استوى الى السماء ومعناه القصد وعلى كل من التفسيرين يجوز ان يكون من الموحى اليه وان يكون من المقول وكذا ما بعده كما قيل وقيل انه على الاول من الموحى اليه وعلى الثاني من المقول وعليه اقتصر الزمخشري ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم قل لا اله الا الله ثم استقم ولا يخفى ان قول المصنف قيل انما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة يعني كونه من الموحى والوحي من المقول فلا فرق بينهما فتامل شهاب

مما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال وويل للمشركين
من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون الزكوة لبخلهم وعدم اشفاقهم
على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع
وقيل معناه لا يفعلون ما يزكى انفسهم وهو الايمان والطاعة وهم بالآخرة
هم كافرون حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكاة لاستغراقهم فى طلب الدنيا
وانكارهم للآخرة ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون لا
يمن به عليهم من المن واصله الثقل او لا يقطع من مننت الحبل اذا قطعته
وقيل نزلت فى المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا
يعملون قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين فى مقدار يومين
او بنوبتين وخلق فى كل نوبة ما خلق فى اسرع ما يكون ولعل المراد من الارض ما فى جهة
السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها فى يومين انه خلق لها اصلا مشتركا
ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا وكفرهم به الحادهم فى ذاته وصفاته وتجعلون
له اندادا ولا يصح ان يكون له ند ذلك الذى خلق الارض فى يومين رب العالمين
خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها وجعل فيها رواسى استيناف غير معطوف
على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة من فوقها مرتفعة عليها ليظهر
للناظرين ما فيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها معرضة للطلاب
وبارك فيها واكثر خيرها بان خلق فيها انواع النباتات والحيوانات وقدر
فيها اقواتها اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به او اقواتا
تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها
اقواتها فى اربعة ايام فى تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد
فى عشرة والى الكوفة فى خمسة عشر ولعله قال ذلك ولم يقل فى يومين للاشعار
باتصالهما لليومين الاولين والتصريح على الفذلكة سواء اى استوت سواء
بمعنى استواء والجملة صفة ايام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من

الضمير في اقواتها او فيها وقرئ بالرفع على هي سواء للسائلين متعلق بمحذوف
تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اي قدر
فيها الاقوات للطالبين لها ثم استوى الى السماء قصد نحوها من قولهم استوى
الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت ما
بين الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله والارض بعد ذلك دحاها ودحوها متقدم
على خلق الجبال من فوقها وهي دخان امر ظلماني ولعله اراد به مادتها او الاجزاء
المتصغرة التي ركبت منها فقال لها وللارض ائتيا بما خلقت فيكما من التاثير
والتاثر وابرزا ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا
في الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار واتيان
السماء حدوثها واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه او ليات كل منكما
الاخرى في حدوث ما اريد توليده منكما ويؤيده قراءة آتيا من المؤاتاة اي لتوافق كل
واحد اختها فيما اردت منكما طوعا او كرها شئتما ذلك او ابيتما والمراد اظهار
كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران
وقعا موقع الحال قالتا اتينا طائعين منقادين بالذات والاظهر ان المراد
تصوير تاثير قدرته فيهما وتاثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع
الطائع كقوله كن فيكون وما قيل انه تعالى خاطبهما واقدرهما على الجواب انما
يتصور على الوجه الاول والاخير وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما
مخاطبتين كقوله ساجدين فقضاهن سبع سموات فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن
والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثاني في
يومين قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة واوحى في
كل سماء امرها شانها وما يتاتى منها بان حملها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى
الى اهلها باوامره وزينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب ترى كانها تتلالا
عليها وحفظا اي وحفظناها من الآفات ومن المسترقة حفظا وقيل مفعول له

على المعنى كأنه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير
العزيز العليم البالغ في القدرة والعلم فإن أعرضوا عن الإيمان بعد هذا البيان
فقل أنذرتكم صاعقة فحذرهم أن يصيبهم عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق
يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا إذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة
عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة أو ظرفا لأنذرتكم لفساد المعنى من بين أيديهم
ومن خلفهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة أو من جهة الزمن الماضي
بالإنذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما أعد لهم في الآخرة
وكل من اللفظين يحتملهما أو من قبلهم ومن بعدهم إذ قد بلغهم خبر المتقدمين وأخبر
هود وصالح عن المتأخرين داعين إلى الإيمان بهم أجمعين ويحتمل أن يكون عبارة
عن الكثرة لقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ألا تعبدوا إلا الله بأن
لا تعبدوا أو أي لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا إرسال الرسل لأنزل ملائكة برسالته
فإنا بما أرسلتم به على زعمكم كافرون إذ أنتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فأما
عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق فتعظموا فيها على أهلها بغير استحقاق
وقالوا من أشد منا قوة اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم أن الرجل
منهم ينزع الصخرة فيقتلعها بيده أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد
منهم قوة قدرة فإنه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر
غيره وكانوا بآياتنا يجحدون يعرفون أنها حق وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا
فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي
يصر أي يجمع أو شديدة الصوت في هبوبها من الصرير في أيام نحسات جمع نحسة
من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون على التخفيف
أو النعت على فعل أو الوصف بالمصدر قيل كن آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء وما
عذب قوم إلا في يوم الأربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا أضاف

اضاف العذاب الى الخزي وهو الذل على قصد وصفه به لقوله ولعذاب الآخرة اخزى
وهو في الاصل صفة المعذب على الاسناد المجازي للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع
العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل
وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء
فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الضلالة على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب
الهون صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون
للمبالغة بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين آمنوا وكانوا
يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار وقرئ يحشر على
البناء للفاعل وهو الله عز وجل وقرأ نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب
اعداء فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة
اهل النار حتى اذا ما جاؤها اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة
شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها الله
او يظهر عليها آثارا تدل على ما اقترف بها فتنطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم
لم شهدتم علينا سؤال توبيخ او تعجب ولعل المراد به نفس التعجب قالوا انطقنا
الله الذي انطق كل شيء اي ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء
نطق اوليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل حي ولو اول الجواب والنطق
بدلالة الحال بقي الشيء عاما في الموجودات الممكنة وهو خلقكم اول مرة واليه
ترجعون يحتمل ان يكون استينافا وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم
سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اي كنتم تستترون من الناس عند ارتكاب الفواحش
مخافة الفضاحة وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم عنها وفيه
تنبيه على ان المؤمن ينبغي ان يتحقق انه لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب ولكن
ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم
اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم خبران

ويجوز ان يكون ظنكم بدلاً وارداكم خبراً فاصبحتم من الخاسرين اذ صار ما منحوا
للاستسعاد به في الدارين سبباً لشقاء المنزلين فان يصبروا فالنار مثوى
لهم لا خلاص لهم عنها وان يستعتبوا يسألوا العتبى وهي الرجوع
الى ما يحبون فما هم من المعتبين المجابين اليها ونظيره قوله تع حكاية اجزعنا ام
صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان يسألوا ان
يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة قرناء اخداناً
من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل
القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر
الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر الآخرة وانكاره وحق عليهم القول اي
كلمة العذاب في امم في جملة امم كقوله ان تك عن احسن الصنيعة مأفوكاً ففي
آخرين قد افكوا وهو حال من المجرور قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد
عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم
وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وعارضوه بالخرافات
او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال
لغي يلغى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن
الذين كفروا عذاباً شديداً المراد بهم هؤلاء القائلون او عامة الكفار ولنجزينهم
أسوأ الذي كانوا يعملون سيئات اعمالهم وقد سبق مثله ذلك اشارة الى الاسوأ
جزاء اعداء الله خبره النار عطف بيان للجزاء او خبر محذوف لهم فيها
دار الخلد فانها دار اقامتهم وهو كقولك في هذه الدار دار سرور وتعني بالدار
عينها على ان المقصود هو الصفة جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ينكرون الحق او
وذكر الجحود الذي هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من
الجن والانس يعني شيطاني النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما
ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل وقرأ ابن عامر وابن كثير ويعقوب وابو بكر

والسوسي أرنا بالتخفيف كفخذ في فخذ وقرأ الدوري باختلاس كسرة الراء نجعلهما
تحت أقدامنا ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الأسفل ليكونا
من الأسفلين مكانا أو ذلا إن الذين قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته و
بوحدانيته ثم استقاموا في العمل وثم لتراخيه عن الإقرار في الرتبة من حيث
إنه مبدأ الاستقامة أو لأنها عسيرة قلما تتبع الإقرار وما روي عن الخلفاء
الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات على الإيمان وإخلاص العمل وأداء
الفرائض بيان لجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم
الخوف والحزن أو عند الموت أو الخروج من القبر ألا تخافوا ما تقدمون عليه
ولا تحزنوا على ما خلفتم وأن مصدرية أو مخففة مقدرة بالباء أو مفسرة
وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على لسان الرسل نحن أولياؤكم
في الحياة الدنيا نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة
وفي الآخرة بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم ولكم فيها
في الآخرة ما تشتهي أنفسكم من اللذائذ ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون من الدعاء
بمعنى الطلب وهو أعم من الأول نزلا من غفور رحيم حال مما تدعون للإشعار
بأن ما تتمنون بالنسبة إلى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف ومن
أحسن قولا ممن دعا إلى الله إلى عبادته وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال
إنني من المسلمين تفاخرا به واتخاذا للإسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول
فلان لمذهبه والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت في النبي صلى الله
عليه وسلم وقيل في المؤذنين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة في الجزاء وحسن العاقبة
ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفي ادفع بالتي هي أحسن ادفع السيئة حيث اعترضتك
بالتي هي أحسن منها وهي الحسنة على أن المراد بالأحسن الزائد مطلقا أو بأحسن ما
يمكن دفعها به من الحسنات وإنما أخرجه مخرج الاستئناف على أنه جواب من قال
كيف أصنع للمبالغة ولذلك وضع أحسن موضع الحسنة فإذا الذي بينك وبينه

عداوة كأنه ولي حميم أي إذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق
وما يلقاها وما يلقى هذه السجية وهي مقابلة الإساءة بالإحسان إلا الذين صبروا
فإنها تحبس النفس عن الانتقام وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم من الخير وكمال
النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وإما ينزغنك من الشيطان نزغ نخس شبه وسوسته
لأنها بعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو أسوأ وجعل النزغ نازغا كما قيل على طريقة
جد جده أو أريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر فاستعذ بالله من شره ولا
تطعه إنه هو السميع لاستعاذتك العليم بنيتك أو بصلاحك ومن آياته
الليل والنهار لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لأنهما مخلوقان مأموران مثلكم
واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للأربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل
بهما إشعارا بأنهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار إن كنتم إياه تعبدون فإن السجود
أخص العبادات وهو موضع السجود عندنا لاقتران الأمر به وعند أبي حنيفة آخر الآية
الأخرى لأنه تمام المعنى فإن استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة
يسبحون له بالليل والنهار أي دائما لقوله وهم لا يسأمون أي لا يملون ومن آياته
أنك ترى الأرض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فإذا
أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت تزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ ربأت
أي زادت إن الذي أحياها بعد موتها لمحيي الموتى إنه على كل شيء من الإحياء والإماتة
قدير إن الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة في آياتنا بالطعن والتحريف والتأويل
الباطل والإلغاء فيها لا يخفون علينا فنجازيهم على إلحادهم أفمن يلقى في النار خير
أم من يأتي آمنا يوم القيامة قابل الإلقاء في النار بالإتيان آمنا مبالغة في إحماد حال
المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد إنه بما تعملون بصير وعيد بالمجازاة إن
الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله إن الذين يلحدون في آياتنا أو مستأنف
وخبر إن محذوف مثل معاندون أو هالكون أو أولئك ينادون والذكر القرآن وإنه
لكتاب عزيز كثير النفع عديم النظير أو منيع لا يتأتى إبطاله وتحريفه لا يأتيه

قوله كثير النفع عديم النظير العزيز حقيقة مانعة لكل
عزان يغلب كما ذكره الراغب فإطلاقه على عديم النظير مجاز
مشهور يقال هو عزيز أي لا يوجد مثله وكذا كونه
منيعا وأما كونه كثير النفع وعديم نظيره فلا يحتاج
ونشر أيضا بأنه غالب لسائر الكتب لنسخه إياها

الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات
أو مما فيه من الأخبار الماضية والأمور الآتية تنزيل من حكيم أي حكيم حميد يحمده
كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه ما يقال لك أي ما يقول لك كفار قومك إلا ما قد
قيل للرسل من قبلك إلا مثل ما قال لهم كفار قومهم أو ما يقول الله لك إلا مثل ما قال
لهم إن ربك لذو مغفرة لأنبيائه وذو عقاب أليم لأعدائهم وهو على الثاني يحتمل أن
يكون المقول بمعنى أن حاصل ما أوحي إليك وإليهم وعد المؤمنين بالمغفرة
والكافرين بالعقوبة ولو جعلناه قرآنا أعجميا جواب لقولهم هلا أنزل القرآن
بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت آياته بينت بلسان نفقهه أأعجمي
وعربي أكلام أعجمي ومخاطب عربي إنكار مقرر للتحضيض والأعجمي يقال للذي
لا يفهم كلامه ولكلامه وهذه قراءة أبي بكر وحمزة والكسائي وقرأ قالون وأبو عمرو
بالمد والتسهيل وورش بالمد وإبدال الثانية ألفا وابن كثير وابن ذكوان وحفص بغير
المد وبتسهيل الثانية وقرئ أعجمي منسوبا إلى العجم وقرأ هشام أعجمي على الإخبار وعلى
هذا يجوز أن يكون المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجميا لإفهام العجم وبعضها
عربيا لإفهام العرب والمقصود إبطال مقترحهم باستلزامه المحذور أو للدلالة
على أنهم لا ينفكون عن التعنت في الآيات كيف جاءت قل هو للذين آمنوا هدى
إلى الحق وشفاء لما في الصدور من الشك والشبهة والذين لا يؤمنون مبتدأ خبره
في آذانهم وقر على تقدير هو في آذانهم وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك لتصامهم
عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات ومن جوز العطف على عاملين عطف
ذلك على الذين آمنوا هدى أولئك ينادون من مكان بعيد هو تمثيل لهم في عدم
قبولهم واستماعهم له بمن يصيح به من مسافة بعيدة ولقد آتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب كما اختلف في القرآن ولولا كلمة سبقت
من ربك وهي العدة بالقيامة وفصل الخصومة حينئذ أو تقدير الآجال لقضي بينهم
باستئصال المكذبين وإنهم وإن اليهود والذين لا يؤمنون لفي شك منه من التوراة

او القرآن مريب موجب للاضطراب من عمل صالحا فلنفسه نفعه ومن اساء
فعليها ضره وما ربك بظلام للعبيد فيفعل بهم ما ليس له ان يفعله اليه
يرد علم الساعة اى اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا هو وما تخرج من ثمرات من
اكمامها من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع
لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق
ويحتمل ان تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله وما
تحمل من انثى ولا تضع بمكان الا بعلمه الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به
ويوم يناديهم اين شركائى بزعمكم قالوا آذناك اعلمناك ما منا من شهيد
من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ
او من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء اى ما منا من يشهد لهم
بانهم كانوا محقين وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل يعبدون من قبل لا ينفعهم
او لا يرونه وظنوا وايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي
لا يسأم الانسان لا يمل من دعاء الخير من طلب السعة فى النعمة وقرئ من دعاء
بالخير وان مسه الشر الضيقة فيؤس قنوط من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر
لقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ فى يأسه من جهة البنية
والتكرير وما فى القنوط من ظهور اثر اليأس ولئن اذقناه رحمة منا من بعد
ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لى حقى استحقه لما لى من الفضل والعمل
او لى دائما لا يزول وما اظن الساعة قائمة تقوم ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده
للحسنى اى ولئن قامت على التوهم كان لى عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك
لاعتقاد ان ما اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه فلننبئن الذين
كفروا فلنخبرنهم بما عملوا بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا
فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يمكنهم التفصي عنه واذا انعمنا على
الانسان اعرض عن الشكر ونأى بجانبه وانحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد

عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله في جنب الله وإذا مسه الشر
فذو دعاء عريض كثير مستعار مما له عرض متسع للإشعار بكثرته واستمراره وهو
أبلغ من الطويل إذ الطول أطول الامتدادين فإذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله
قل أرأيتم أخبروني إن كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به من غير نظر واتباع
دليل من أضل ممن هو في شقاق بعيد أي من أضل منكم فوضع الموصول موضع
الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا في الآفاق يعني ما
أخبرهم النبي عم به من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله له وللخلفاء
من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة وفي أنفسهم
ما ظهر فيما بين أهل مكة وما حل بهم أو ما في بدن الإنسان من عجائب الصنع الدالة
على كمال القدرة حتى يتبين لهم أنه الحق الضمير للقرآن أو الرسول أو التوحيد والله
أولم يكف بربك أي أولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد كأنه قيل أولم تحصل الكفاية
ولا تكاد تزاد في الفاعل إلا مع كفى أنه تعالى على كل شيء شهيد بدل منه والمعنى
أولم يكفك أنه تع على كل شيء شهيد محقق له فيحقق أمرك بإظهار الآيات الموعودة كما
حقق سائر الأشياء الموعودة أو مطلع فيعلم حالك وحالهم أو أولم يكف الإنسان رادعا
عن المعاصي أنه تع مطلع على كل شيء لا يخفى عليه خافية ألا إنهم في مرية شك وقرئ
بالضم وهو لغة كخفية وخفية من لقاء ربهم بالبعث والجزاء ألا إنه بكل شيء
محيط عالم بجمل الأشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شيء منها عن النبي صلعم
من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

سورة حم عسق مكية وتسمى سورة الشورى وهي ثلث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وإن كانا اسما
واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق كذلك يوحي إليك وإلى
الذين من قبلك الله العزيز الحكيم أي مثل ما في هذه السورة من المعاني وإيحاء

مثل ايحائها اوحاه الله اليك والى الرسل قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية
الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحى وان ايحاء مثله عادته وقرا ابن كثير
يوحى بالفتح على ان كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند
اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى فالعزيز الحكيم صفتان له مقررتان لعلو شانه
الموحى كما مر فى السورة السابقة او بالابتداء كما فى قراءة نوحى بالنون والعزيز
وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان وقوله له ما فى السموات وما فى الارض
وهو العلى العظيم خبران له وعلى الوجوه الاخر استئناف مقرر لعزته وحكمته
تكاد السموات وقرا نافع والكسائى بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله وقيل
من ادعاء الولد له وقرا البصريان وابو بكر ينفطرن بالنون والاول ابلغ لانه مطاوع
فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ يتفطرن بالتاء لتاكيد التانيث وهو نادر من فوقهن
اى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لان اعظم الآيات
وادلها على علو شانه من تلك الجهة وعلى الثانى ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق
الاولى وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس والملائكة يسبحون بحمد ربهم
ويستغفرون لمن فى الارض بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الشفاعة والالهام
واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك فى الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر
الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين
فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ
من رحمته والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثانى دلالة على تقدسه
عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة
وفرط غفرانه ورحمته والذين اتخذوا من دونه اولياء شركاء وانداد الله حفيظ
عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت يا محمد عليهم بوكيل بموكل
بهم او بموكول اليك امرهم فكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا الاشارة الى مصدر
يوحى او الى معنى الآية المتقدمة فانه مكرر فى القرآن فى مواضع جمة فيكون الكاف

قوله وانما ذكر الوحى بلفظ المضارع مع ان المعنى على المضى
كما اشار اليه بقوله اوحى الله اليك والوحى الى من قبله قد
مضى والوحى اليه بعضه ماض وبعضه مستقبل ولهذا
قيل انه على التغليب وانما قوله للدلالة على استمرار الوحى
اورد عليه انه مبان لحكاية الحال الماضية فكانه اريد بالاستمرار
استمراره فى الازمنة الماضية فلا منافية ولما كان
الماضى لا دلالة له على الاستمرار عدل عنه للدلالة على ما
قصد منه والية الاشارة بقوله وان ايحاء مثله عادته
ما قيل من ان المراد انه على اسلوب حكاية الحال الماضية
وصورتها وان المنافية بين الاستمرار والحال الثابت والتى
غير مسلمة وان قصد الاستمرار معنى عن اعتبار
معنى الحال لانه معنى مستقل سواء كان تحقيقيا او
تاويليا تخليط لا محصل له او مصدر معطوف على

مفعولا به وقرآنا عربيا حال منه لتنذر ام القرى اهل ام القرى وهي مكة ومن حولها

من العرب وتنذر يوم الجمع يوم القيامة يجمع الخلائق فيه او الارواح والاشباح

او العمال والاعمال وحذف ثاني مفعولي الاول واول مفعولي الثاني للتهويل وايهام

التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في

الجنة وفريق في السعير اي بعد جمعهم في الموقف يجمعون اولا ثم يفرقون والتقدير

منهم فريق والضمير للمجموع لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم

اي وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق ومتفرقين في داري الثواب

والعقاب ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة مهتدين او ضالين ولكن يدخل من يشاء

في رحمته بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير

اي ويدعهم بغير ولي ولا نصير في عذابه ولعله غير المقابلة للمبالغة في الوعيد

اذ الكلام في الانذار ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه اولياء كالاصنام فالله

هو الولي جواب شرط محذوف ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي بالحق وهو يحيي

الموتى وهو على كل شيء قدير كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم انتم

والكفار فيه من شيء من امور الدين والدنيا فحكمه الى الله مفوض اليه يميز

المحق من المبطل بالنصر او الاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل متشابه

فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله ذلكم الله ربي عليه توكلت في مجامع الامور

واليه انيب ارجع في المعضلات فاطر السموات والارض خبر آخر لذلكم او مبتدأ

خبره جعل لكم وقرئ بالجر على البدل من الضمير او الوصف لله من انفسكم

من جنسكم ازواجا نساء ومن الانعام ازواجا اي وخلق للانعام من جنسها

ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من

الذرء وهو البث وفي معناه الذر والذرو فيه في هذا التدبير وهو جعل

الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير ليس

كمثله شيء اذ ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما في

وتنذر يوم الجمع متفرقين او وقد وجهت هذه

القراءة بوجوه فقيل انها حال من مقدر تقديره افترقوا

اي المجموعون فريقا وفريقا الا انه لا يلزم منافاة الجمع و

التفريق وقيل هو منصوب بتنذر المقدر او المذكور

والمعنى تنذر فريقا من اهل الجنة وفريقا من اهل

السعير لان الانذار ليس في الجنة والسعير ولا يخفى

تكلفه والمص جعله حالا من ضمير جمعهم المقدر لان الالف

واللام قامت مقامه واليه اشار بقوله على الحال منهم اي

من المجموع ولما لزمه كونه افتراقهم في حال اجتماعهم اول

بمشارفين على انه من مجاز المشارفة والحال المقدرة

او اجتماعهم في زمان واحد ولا ينافي افتراق اماكنهم كما

تقول صلوا الجمعة في وقت واحد في مساجد متفرقة

واليه اشار بقوله متفرقين في داري الثواب الخ وعلى

التوجيه السابق اعتبر الاجتماع في الزمان والمكان معا

بعض ان المراد بالجمع جمع الارواح والاشباح او الاعمال

قوله ونظيره في كونه كناية بالاشباه والامثال عن الذات ورقيقة بضم الراء المهملة وقافين بينهما ياء مصغر اسم امرأة وهي رقيقة بنت هاشم ولدت عبد المطلب وقول المص تبعا للزمخشري بنت صيفي سهو والصواب بنت ابي صيفي كما ذكره ابن حجر وسببه كما رواه المحدثون انه تتابعت على قريش سنون مجدبة حتى اضر بهم القحط جدا قالت رقيقة فبينا انا نائمة اذ سمعت هاتفا يهتف ويقول يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث منكم قد اظلكم ايامه وهذا ابان نجومه فحيهلا بالحيا والخصب الا فانظروا رجلا منكم وسيطا عظاما جساما ابيض اوطف الاهداب سهل الخدين اشم العرنين فليخلص هو وولده الا وفيهم الطيب الطاهر لداته وليهبط اليه من كل بطن رجل فليشنوا من الماء وليمسوا من الطيب ثم ليرتقوا ابا قبيس فليستسق الرجل وليؤمنوا فغثتم ما شئتم فقصصت رؤياي فما بقي ابطحي الا قال هو شيبة الحمد فلما قام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ايفع قال اللهم ساد الخلة كاشف الكربة انت معلم غير معلم ومسئول غير مبخل هذه عبادك واماؤك يشكون اليك سنتهم فقد اذهبت الخف والظلف اللهم فامطر غيثا مغدقا فما زالوا عن مكانهم حتى تفجرت السماء بمائها والمراد بالطيب الطاهر لداته رسول الله صلى الله عليه وسلم وطهارة لداته عبارة عن طهارة لداته عن سفاح الكفار النكاح وهي جمع لدة كعدة من الولادة والمراد اقرانه وامثاله في السن ويكون بمعنى الولادة والولد فالمعنى انه ولد صلى الله عليه وسلم ومولده من مضى من ابائه موصوف بالطهارة كما ذكره في الفائق لكن الاول اشهر وابلغ لانه اثبات لطهارته ببرهان لان من علم طهارة اقرانه فانه من جماعة عرفوا بالطهارة علم طهارته بالطريق البرهاني كما قرره اهل البيان شهاب

قوله اي شرع لكم من الدين الخ يعني انه اكتفى بالابتداء والاختتام والوسط عن الجميع وعدل عن وصينا الى اوحينا مع ما في الخطاب للفرق بين توصيته وتوصيتهم ولابتداء بنوح عليه الصلاة والسلام لانه اول الرسل بالمعنى انه شرع لكم من الدين ما وصى به جميع الانبياء من عهد نوح الى زمن نبينا والتعبير بالتوصية فيهم والوحي له للاشارة الى ان شريعته صلى الله عليه وسلم هي الشريعة الكاملة ولذا عبر فيه بالذي التي هي اصل الموصولات واضاف اليه بضمير العظمة تخصيصا له ولشريعته بالتشريف وتعظيم الشأن ومن بينها الثلاثة المذكورون لانه ليس لغيرهم شريعة كثر تبعتهم قوله وهو اي الدين المراد به هنا اصل كل متفقون عليه وهو التوحيد والعقائد الحقة والطاعة لله بامتثال اوامره ونواهيه لا الامور الفرعية على التفصيل لاختلاف الشرائع فيها كما بينه المص

قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفي عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لداته ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى انه يعطي معنى ليس مثله غير انه اكد لما ذكرناه وقيل مثله صفته اي ليس كصفته صفة **وهو السميع البصير** لكل ما يسمع ويبصر **له مقاليد السموات والارض** خزائنها **يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** يوسع ويضيق على وفق مشيئته **انه بكل شيء عليم** فيفعله على ما ينبغي **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى** اي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد عليهما السلام ومن بينهما من ارباب الشرائع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله **ان اقيموا الدين** وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة في احكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستئناف كانه جواب وما ذلك المشروع او الجر على البدل من هاء به **ولا تتفرقوا فيه** ولا تختلفوا في هذا الاصل اما فروع الشرائع فمختلفة كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا **كبر على المشركين** عظم عليهم **ما تدعوهم اليه** من التوحيد **الله يجتبي اليه من يشاء** يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم او للدين **ويهدي اليه من ينيب** يقبل اليه **وما تفرقوا** يعني الامم السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب **الا من بعد ما جاءهم العلم** العلم بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث الرسول او اسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها **بغيا بينهم** عداوة او طلبا للدنيا **ولولا كلمة سبقت من ربك** بالامهال **الى اجل مسمى** هو يوم القيامة او اخر اعمارهم المقدرة **لقضي بينهم** باستئصال المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا **وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم** يعني اهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم او المشركين الذين اورثوا القران من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا **لفي شك منه**

من كتابهم لا يعلمونه كما هو ولا يؤمنون به حق الايمان ومن القرآن مريب مقلق او مدخل في الريبة فلذلك فلاجل ذلك التفرق او الكتاب او العلم الذي اوتيته فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفية او الاتباع لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام في موضع الى لافادة الصلة او التعليل واستقم كما امرت واستقم على الدعوة كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من كتاب يعني جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرائع والحكومات والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة العملية الله ربنا وربكم خالق الكل ومتولي امره لنا اعمالنا ولكم اعمالكم وكل مجازى بعمله لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج بمعنى لا خصومة اذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير مرجع الكل لفصل القضاء وليس في الآية ما يدل على متاركة الكفار رأسا حتى تكون منسوخة بآية القتال والذين يحاجون في الله في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه او من بعد ما استجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنبوته واستفتحوا به حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة وعليهم غضب بمعاندتهم ولهم عذاب شديد على كفرهم الله الذي انزل الكتاب جنس الكتاب بالحق ملتبسا به بعيدا من الباطل او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام والميزان والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى به بين الناس او العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن او حي باعدادها وما يدريك لعل الساعة قريب اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذي فيه توزن اعمالك ويوفى جزاؤك وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى البعث يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استهزاء والذين آمنوا مشفقون منها خائفون منها مع اعتنائها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق الكائن لا محالة

ألا إن الذين يمارون في الساعة يجادلون فيها من المرية أو من مريت الناقة إذا
مسحت ضرعها بشدة للحلب لأن كلاً من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام
فيه شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فإن البعث أشبه الغائبات إلى المحسوسات فمن لم
يهتد لتجويزها فهو أبعد عن الاهتداء إلى ما وراءها الله لطيف بعباده بر بهم بصنوف
من البر لا تبلغها الأفهام يرزق من يشاء أي يرزقه كما يشاء فيخص كلاً من عباده بنوع
من البر على ما اقتضته حكمته وهو القوي الباهر القدرة العزيز المنيع الذي لا يغلب
من كان يريد حرث الآخرة ثوابها شبهه بالزرع من حيث إنه فائدة تحصل بعمل
الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث في الأصل إلقاء البذر في الأرض
ويقال للزرع الحاصل منه نزد له في حرثه فنعطيه بالواحد عشراً إلى سبعمائة فما فوقها
ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيئاً منها على ما قسمنا له وما له في الآخرة
من نصيب إذ الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى أم لهم شركاء بل ألهم شركاء
والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم شرعوا لهم بالتزيين من الدين
ما لم يأذن به الله كالشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم أوثانهم
وإضافتها إليهم لأنهم متخذوها شركاء وإسناد الشرع إليها لأنها سبب ضلالتهم
وافتتانهم بما تدين به أو صور من سنه لهم ولولا كلمة الفصل أي القضاء
بتأجيل الجزاء أو العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة لقضي بينهم بين الكافرين
والمؤمنين أو المشركين وشركائهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم وقرئ أن بالفتح
عطفاً على كلمة أي ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضي
في الدنيا فإن العذاب الأليم غالب في عذاب الآخرة ترى الظالمين في القيامة مشفقين
خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم أي وباله لاحق بهم أشفقوا أو لم
يشفقوا والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات في أطيب بقاعها
وأنزهها لهم ما يشاؤون عند ربهم أي ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم ذلك
إشارة إلى ما للمؤمنين هو الفضل الكبير الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا

قوله وقيل الاستثناء منقطع الخ انما بناء على ان المودة سواء كانت له صلى الله عليه وسلم او لاقربائه ليست اجرا اصلا بالنسبة اليه اولا نهما لا زمة لهم لتمسّخهم بصلة الرحم فنفعها عائد اليهم وقوله وفي القربى حال منها الخ مبني على المودة بمعنى المصدر وعلى تفسيري الاتصال والانقطاع وعلى تفسيري المودة بانها مودة لهم او لاقاربه كما اشار اليهما بطريق اللف والنشر المشوش بقوله اي الا المودة او ويحتمل ان اشار الى ان القربى بمعنى القرابة او بمعنى الاقرباء

ذلك الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات ذلك الثواب الذي يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد او ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي يبشر من بشره قل لا اسألكم عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا منكم الا المودة في القربى ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة وفي القربى حال منها اي الا المودة ثابتة في ذوي القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة ومن اجلها كما جاء في الحديث الحب في الله والبغض في الله روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال علي وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة ومن يكتسب طاعة سيما حب آل الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه ومودته فيهم نزد له فيها في الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اي يزد الله وحسنى ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل يقولون افترى على الله كذبا افترى محمد بدعوى النبوة او القرآن فان يشأ الله يختم على قلبك استبعاد للافتراء عن مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكأنه قال ان يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن والوحي عنه او يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور استئناف لنفي الافتراء عما يقوله بانه لو كان مفتريا لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه او بقضائه او بوعد بمحو باطلهم واثبات حقه بالقرآن او بقضائه الذي لا مرد له وسقوط الواو من يمح في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الانسان وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة

وعن علي رضي الله عنه هي اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض
الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة
الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته **ويعفو عن السيئات**
صغيرها وكبيرها لمن يشاء **ويعلم ما يفعلون** فيجازي ويتجاوز عن اتقان وحكمة
وقرأ الكوفيون بالتاء غير ابي بكر **ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات**
اي ويستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف في واذا كالوهم والمراد اجابة الدعاء والاثابة
على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليه ومنه قوله عم افضل الدعاء الحمد لله
او يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها **ويزيدهم من فضله** على ما سألوا
واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة **والكافرون لهم عذاب شديد** بدل ما
للمؤمنين من الثواب والتفضل **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض**
لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب
واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية وكيفية **ولكن ينزل بقدر ما**
يشاء بتقديره ما اقتضته مشيئته **انه بعباده خبير بصير** يعلم خفايا امرهم
وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شأنهم روي ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل
في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا **وهو الذي ينزل الغيث**
المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
ينزل بالتشديد **من بعد ما قنطوا** ايسوا منه وقرئ بكسر النون **وينشر رحمته**
في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان **وهو الولي** الذي يتولى عباده
باحسانه ونشر رحمته **الحميد** المستحق للحمد على ذلك **ومن آياته خلق السموات**
والارض فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم **وما بث فيهما**
عطف على السموات او الخلق **من دابة** من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما
يدب على الارض وما يكون في احد الشيئين يصدق انه فيهما في الجملة **وهو على جمعهم**
اذا يشاء في اي وقت يشاء **قدير** متمكن منه واذا كما تدخل على الماضي تدخل على المضارع

عط

قوله او يستجيبون لله بالطاعة اي فالاستجابة فعلهم والذين فاعل في موضع رفع اي منقادون له وعلى الوجه الاول يستجيب معطوف على يقبل التوبة وعلى هذا هو معطوف على مجموع قوله هو الذي يقبل التوبة او لا حاجة الى جعله من عطف القصة الا ان يريده بما ذكره وقوله ويزيدهم من فضله معطوف على مقدر وهو مسبب عن قوله ويستجيب اي ويستجيب الذين آمنوا بالطاعة فيستجيب بذلك دعاءهم ويوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله ويجوز عطفه على قوله ويستجيب وقوله ايضا اشارة الى المفعول لا الى حذف ضمير الموصول باقامة الظاهر مقامه في التفسير ليصح عطفه على الصلة كما قيل شهاب

وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فبسبب معاصيكم والفا لان ما شرطية او متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في البا من معنى السببية ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والاية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب اخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب وما لكم من دون الله من ولي يحرسكم عنها ولا نصير يدفعها عنكم ومن اياته الجوار السفن في البحر كالاعلام كالجبال قالت الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به ... كانه علم في راسه نار

ان يشأ يسكن الريح وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر ان في ذلك لايات لكل صبار شكور لكل من وكل همته وحبس نفسه على النظر في ايات الله والتفكر في الائه او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر او يوبقهن او يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة والمراد اهلاك اهلها لقوله بما كسبوا واصله او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما في قوله ويعف عن كثير اذ المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينجي ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستيناف ويعلم الذين يجادلون في اياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم او على الجزاء ونصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه ايضا غير واجب وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستيناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير اخرين ما لهم من محيص محيد من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا تمتعون به مدة حياتكم وما عند الله من ثواب الاخرة خير وابقى لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع في الحياة الدنيا فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية وعن علي رضي الله عنه تصدق ابو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع فنزلت للذين امنوا وعلى ربهم

قوله وكل همته اي معنى صبار فالصبر بمعناه الاصلي وهو الحبس واريد به هنا حبس مخصوص وفسره بما ذكره لا بمعناه المشهور لانه يناسب تخصيصه بالايات والتفكر في الاية اي فيه معنى الشكور لان معرفة النعم والتفكر فيها شكر وفي حديث ابي داود القدسي تصريح به وفي بعض النسخ الشكر بدل التفكر

يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون
بما بعده عطف على الذين آمنوا او مدح منصوب او مرفوع وبناء يغفرون على ضميرهم
خبرا للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم
والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت في الانصار دعاهم رسول الله الى
الايمان فاستجابوا له وامرهم شورى بينهم ذو شورى لا ينفردون برأي
حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في الامور وهي
مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير والذين اذا
اصابهم البغي هم ينتصرون على ما جعله الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة
بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ
عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم
لانه اجراء واغراء على البغي عقب وصفهم بالانتصار بالمنع عن التعدي وجزاء
سيئة سيئة مثلها وسمي الثانية سيئة للازدواج او لانها تسوء من تنزل به فمن
عفى واصلح بينه وبين عدوه فاجره على الله عدة مبهمة تدل على عظمة الموعود انه لا
يحب الظالمين المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام ولمن انتصر بعد
ظلمه بعد ما ظلم وقرئ به فاولئك ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة
انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار ويطلبون ما لا
يستحقونه تجبرا عليهم ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم على ظلمهم وبغيهم
ولمن صبر على الاذى وغفر ولم ينتصر ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك
منه فحذف منه كما حذف في قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به ومن يضلل الله
فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه وترى الظالمين
لما رأوا العذاب حين يرونه فذكر بلفظ الماضي تحقيقا يقولون هل الى مرد
من سبيل اي الى رجعة الى الدنيا وتراهم يعرضون عليها على النار ويدل عليها
العذاب خاشعين من الذل متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل ينظرون

من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب المخلد يوم القيامة ظرف لخسروا والقول في الدنيا او لقال اي يقولون اذا راوهم على تلك الحال الا ان الظالمين في عذاب مقيم تمام كلامهم او تصديق من الله لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل الى الهدى او النجاة استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة ياتي اي من قبل ان ياتي يوم من الله لا يمكن رده ما لكم من ملجأ يومئذ مفر وما لكم من نكير انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحائف اعمالكم تشهد عليه السنتكم وجوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا او محاسبا ان عليك الا البلاغ وقد بلغت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها اراد بالانسان الجنس لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور بليغ الكفران ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يتامل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضية بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع المضمر في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم لله ملك السموات والارض فله ان يقسم النعمة والبلية كيف يشاء يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور من غير لزوم ومجال اعتراض او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين جميعا ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل ولان مساق الآية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشيئة الله لا مشيئة الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء

قوله جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم يعني ان اصابة السيئة بما قدمت ايديهم انما يستقيم في المجرمين فالمراد بالانسان الجنس الصالح للكل والبعض فاذا قام الدليل على ارادة البعض تعين وقد قال السلف ان الاضافة في غيرهم للعوض الحرف ولم يذهب الزمخشري الى ان اللام للعهد وجعل قوله فان الانسان كفور للجنس المطلق ليكون تعليلا للمقيد بطريق الاولى ومطابقا للمجاز في مواضع عديدة من القرآن ولا باس بان يجعل الانسان في السالف فانه للجنس ايضا ويكون من وضع المظهر موضع المضمر وهو اولى لموافقته للقاعدة المشهورة في الاصول كما ارتضاه في الكشف وقيل انه من وضع المضمر موضع المظهر فهو للعهد فيهما والطيبي لما وهم من قوله انه هذا الجنس موسوم الخ وهو انما اراد انه لما اتى باسم الجنس في موضع الضمير وان كان للعهد دل على ذلك فليس مثل وقيل الانسان الثاني معهود والاول المراد به الجنس موضوع موضع الضمير وليس هنا قرينة على ان المراد به المجرمون خاصة كما في الاول لا يقال كفورا دل دليل عليه لانا نقول هو حكم والقرينة يجب ان تكون شيئا آخر يخص وهو معنى قولهم قيود المحمول لا تكون قيدا للموضوع نعم قيود الحكم قد تكون قرينة والكلام بعد محل نظر فقد علمت ان فيه احتمالات فقيل ان اللام فيهما للجنس وقيل فيهما للعهد او على العكس بحسب الغلبة المذكورة آنفا الا ان فيه مجازا عقليا بان اسند الى الجنس حال اغلب افراده لملابسة الاغلبية او لغويا بان جعل اغلب الافراد عين الجنس لغلبتهم على غيرهم فالظاهر ان اللام فيهما للجنس وقيل المراد ان الاول للجنس والثاني للعهد والمعهود الجنس فلا تنافي بينهما والكشاف ان الاول للعهد وهم المجرمون بقرينة قوله بما قدمت ايديهم فلا تجوز فيه وهو احسن الا ان في القرينة ضعفا اذ لو اريد بالمجرم حينئذ العاصي لا يصح ان الانسان كفور الا بالتجوز وان اريد الكافر فالقرينة لا تدل عليه لوقوع السيئة في المؤمن فتدبر. شهاب

والعرب تعدهن بلاءً او لتطيب قلوب آبائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك
عرّف الذكور او لجبر التأخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين
ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه لانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة انه
عليم قدير فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار وما كان لبشر وما صح له ان يكلمه الله
الا وحيا كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة
يتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافه به كما روي في حديث المعراج وما
وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى في طوى والطور لكن عطف
قوله او من وراء حجاب عليه يخصه بالاول فالآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها
وقيل المراد به الالهام والالقاء في الروع او الوحي المنزل به الملك الى الرسل فيكون
المراد بقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء او يرسل اليه نبيا فيبلغ وحيه
كما امره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحى الى الرسول ووحيا بما عطف عليه
منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب ظرف وقع حالا وقرأ نافع او يرسل برفع
اللام انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يفعل ما تقتضيه حكمته فيكلم تارة
بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا واما من وراء حجاب وكذلك اوحينا اليك
روحا من امرنا يعني ما اوحي اليه وسماه روحا لان القلوب تحيى به وقيل جبريل
والمعنى ارسلناه اليك بالوحي ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي قبل
الوحي وهو دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا
طريق اليه الا السمع ولكن جعلناه اي الروح او الكتاب او الايمان نورا نهدي
به من نشاء من عبادنا بالتوفيق للقبول والنظر فيه وانك لتهدي الى صراط
مستقيم هو الاسلام وقرئ لتُهدى اي ليهديك الله صراط الله بدل من الاول
الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا الا الى الله تصير الامور
بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبي
من قرأ حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

سورة الزخرف مكية وقيل الا قوله واسئل من ارسلنا وآيها تسع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا اقسم بالقرآن على انه جعله قرآنا عربيا وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول ابي تمام وثناياك انها اغريض ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقرآن من حيث انه معجز مبين طرق الهدى وما يحتاج اليه في الديانة او بين للعرب كما يدل على انه صيره كذلك لعلكم تعقلون لكي تفهموا معانيه وانه عطف على انا وقرأ حمزة والكسائي بالكسر على الاستئناف في ام الكتاب في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر لدينا محفوظ عندنا عن التغيير لعلي رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة او محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لان وفي ام الكتاب متعلق بعلي واللام لا تمنعه او حال منه ولدينا بدل منه او حال من ام الكتاب افنضرب عنكم الذكر صفحا افنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف اي انهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولي الشيء صفحة عنقك وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صفحا وح يحتمل ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه ان كنتم قوما مسرفين اي لان كنتم وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض وقرأ نافع وحمزة والكسائي ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزئون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم بطشا اي من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم ومضى مثل

قوله ولعل اقسام الله بالاشياء اه يعني ان القسم في كلام العرب لتأكيد المقسم عليه فاثباته تحقيق وتقع في كلام رب العزة ببعض مخلوقاته يكون لما في المقسم به مما يدل على المقسم عليه فيقع في كل مكان بما يناسبه

قوله افنذوده اي نطرده ونبعده وهذا تفسير لمنطوق اللفظ باعتبار معناه الحقيقي وقوله مجاز من قولهم الى انه استعارة تمثيلية فشبه حال من لم يذكر له القرآن والوحي اعرض عنه بحال الابل الغريبة وردت الماء مع ابل اصحابه فضربت وطردت عنه كما في المثل لاضربنه ضرب غرائب الابل والمراد لا نهملكم ويجوز ان يكون استعارة تبعية

الاولين وسلف في القرآن قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم لعله لازم مقولهم او ما دل عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم فكانهم قالوا الله كما حكى عنهم في مواضع اخر وهو الذي من صفته ما سرد من الصفات ويجوز ان يكون مقولهم وما بعده استئناف الذي جعل لكم الارض مهادا فتستقرون فيها وقرأ الحرميان وابو عامر وابن عامر وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها لعلكم تهتدون لكي تهتدوا الى مقاصدكم او الى حكمة الصانع بالنظر في ذلك والذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار ينفع ولا يضر فانشرنا به بلدة ميتا زال عنه النماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك مثل ذلك الانشار تخرجون تنشرون من قبوركم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء وضم الراء والذي خلق الازواج كلها اصناف المخلوقات وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون ما تركبونه على تغليب المتعدي بنفسه على المتعدي بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت في السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع له او الغالب على النادر ولذلك قال لتستووا على ظهوره اي ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله وجده قرينة اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه السلام انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله وانا الى ربنا لمنقلبون اي راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله او لانه مخطر فينبغي للراكب ان لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سألتهم اي وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة

قوله لانه تنازعه الفعلان وولانه تعليل لقوله سماه اي الولد بعد بيان انه جعل بمعنى سمى بانه اشارة الى استحالته لان الجزء يقتضي التركيب وقبول الانقسام وهو سبحانه وتعالى منزه عن الجسمية وما يتبعها من التركيب لانه واحد احد لا يضاف اليه انقسام حقيقة ولا فرضا ولا خارجا ولا ذهنا وقوله بعد ذلك الاعتراف بانه الخالق المتصف بما مر من الصفات المقتضية لبطلان ما قالوه من نسبة الولد وانما قيد بما ذكر لانه هو القبيح لتناقض اقوالهم وعودهم الى كفرهم القديم اذ لو بين ان ذلك الجعل كان قبل الاقرار كان الاقرار رجوعا عنه مبطلا له فلم يكن بذلك المقام من الذم ولو اريد مقارنته له كما وقع في الكشاف اذ قال مع ذلك الاعتراف لم يناسب التعبير بالماضي والقول بان بعد بمعنى مع خلاف ما يقتضيه الظاهر والسياق وكذا القول بانه لا يوفق بالحال فان قلت فكيف تقييد اللفظ ما ذكر فقد عرفنا انه اوفق بالمقام قلت بناء على انه ليس المقصود ظاهره من المضي بل الاستمرار لان الاصل فيما ثبت

بنات الله ولعله سماه جزءاً كما سمي بعضاً لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق في ذاته وقرئ جزؤا بضمتين إن الإنسان لكفور مبين ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله لانها من فرط الجهل به والتحقير لشانه أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين معنى الهمزة في ام الانكار والتعجب من شانهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزءاً حتى جعلوا له من مخلوقاته جزءا اخس مما اختير لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها اشتد غمهم به كما قال وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله له مثلا اذ الولد لا بد ان يماثل الوالد ظل وجهه مسودا صار وجهه اسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة وهو كظيم مملوء قلبه من الكرب وفي ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر في الذكور وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا أومن ينشأ في الحلية أي أوجعلوا له او اتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات وهو في الخصام في المجادلة غير مبين مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأي ويجوز ان يكون من مبتدأ محذوف الخبر اي ومن هذا حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا تمنعه كما عرفت وقرأ حمزة والكسائي وحفص ينشأ أي يربى وقرئ ينشأ ويناشأ بمعناه ونظير ذلك أعلاه وعلاه وعالاه وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا كفر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله انقصهم رأيا وأخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان والبصريان عند على تمثيل زلفاهم وقرئ أنثا جمع الجمع أشهدوا خلقهم أحضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرأ نافع أأشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وآأشهدوا بمدة بينهما ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة ويسألون أي عنها يوم القيمة وهو وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهي ان لله جزءا

بنات وهي الملائكة ويسألون من المسألة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
اي لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا بنفي مشيئة عدم العبادة
على امتناع النهي عنها او على حسنها وذلك باطل لان المشيئة ترجيح بعض الممكنات
على بعض مأمورا كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم فقال ما لهم بذلك
من علم ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان تكون الاشارة الى اصل
الدعوى كانه لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم
من طريق العقل ثم اضرب عنه الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال
ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن او ادعائهم ينطق على صحة ما قالوه
فهم به مستمسكون بذلك الكتاب مستمسكون بل قالوا انا وجدنا آباءنا
على امة وانا على آثارهم مهتدون لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية
وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة التي تؤم كالرحلة
للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الام اي القاصد ومنها
الدين وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها
انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ودلالة على ان التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وان متقدميهم
ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة
صرفهم عن النظر الى التقليد قال اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم
اي اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم وهو حكاية امر ماض اوحي
الى النذير او خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول قراءة ابن عامر
وحفص قال وقوله قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اي وان كان اهدى اقناطا
للنذير من ان ينظروا ويتفكروا فيه فانتقمنا منهم بالاستئصال فانظر
كيف كان عاقبة المكذبين فلا تكترث بتكذيبهم واذ قال ابراهيم واذكر
وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل او ليقلدوه ان لم

يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف آبائهم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون بريء
من عبادتكم او معبودكم مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والمتعدد
والمذكر والمؤنث وقرئ بريء وبراء ككريم وكرام الا الذي فطرني استثناء منقطع
او متصل على ان ما تعم اولي العلم وغيرهم فانهم كانوا يعبدون الله والاوثان
او صفة على ان ما موصوفة اي انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني
فانه سيهدين سيثبتني على الهداية او سيهدين الى ما وراء ما هداني اليه وجعلها
وجعل ابراهيم عم او الله تعالى كلمة التوحيد كلمة باقية في عقبه في ذريته فيكون
فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة في عقبه على التخفيف وفي
عاقبه اي فيمن عقبه لعلهم يرجعون يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحده
بل متعت هؤلاء وآباءهم هؤلاء المعاصرين للرسول من قريش وآباءهم بالمد في
العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا في الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى
اعترض به على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة في تعييرهم حتى جاءهم الحق
دعوة التوحيد او القرآن ورسول مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين
للتوحيد بالحجج والآيات ولما جاءهم الحق لينبههم عن غفلتهم قالوا هذا سحر
وانا به كافرون زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا
القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين من احدى القريتين مكة والطائف عظيم بالجاه والمال كالوليد
ابن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي فان الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم
ولم يعلموا انها رتبة روحانية تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات
القدسية لا التزخرف بالزخارف الدنيوية اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل
وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة
الدنيا وهم عاجزون عن تدبيرها وهي خويصة امرهم في دنياهم فمن اين لهم
ان يتدبروا امر النبوة التي هي اعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضي ان يكون

حلالها وحرامها من الله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات واوقعنا
بينهم التفاوت في الرزق وغيره ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليستعمل بعضهم
في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال في الموسع
ولا لنقص في المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا تصرف فكيف يكون فيما
اعلى منه ورحمة ربك هذه يعني النبوة وما يتبعها خير مما يجمعون من حطام
الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه ولولا ان يكون الناس امة واحدة لولا
ان يرغبوا في الكفر اذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه
لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج ومصاعد
جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون يعلون السطوح لحقارة
الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال او علة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه
وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا
وسقفا وهو لغة في سقف ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكؤن اي ابوابا
وسررا من فضة وزخرفا وزينة عطف على سقفا او ذهبا عطف على محل من
فضة وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ان هي المخففة واللام هي الفارقة
وقرأ حمزة وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به مع
ان وما والاخرة عند ربك للمتقين عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة على
ان العظيم هو العظيم في الاخرة لا في الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك
للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى ما لهم
في الاخرة مخل به في الاغلب لما فيه من الآفات قل من يتخلص عنها كما اشار اليه بقوله
ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعامى ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات
وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش بالفتح اي يعمى يقال عشي اذا كان في بصره
آفة وعشي اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة
نقيض له شيطانا فهو له قرين يوسوسه ويغويه دائما وقرأ يعقوب بالياء

على إسناده إلى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي أن يرفع نقيض وإنهم ليصدونهم
عن السبيل عن الطريق الذي من حقه أن يسبل وجمع الضميرين للمعنى إذ المراد
جنس العاشي والشيطان المقيض له ويحسبون أنهم مهتدون الضمائر الثلاثة
الأولى له والباقيان للشيطان حتى إذا جاءنا أي العاشي الشيطان يا ليت بيني
وبينك بعد المشرقين بعد المشرق من المغرب فغلب المشرق وثني وأضيف
البعد إليهما فبئس القرين أنت ولن ينفعكم اليوم أي ما أنتم عليه من التمني
إذ ظلمتم إذ صح أنكم ظلمتم أنفسكم في الدنيا بدل من اليوم أنكم في العذاب
مشتركون لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين
في سببه ويجوز أن يسند الفعل إليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما
ينفع الواقعين في أمر صعب معاونتهم في تحمل أعبائه وتقسيمهم لمكابدة
عنائه إذ لكل منكم ما لا تسعه طاقته وقرئ إنكم بالكسر وهو يقوي الأول أفأنت
تسمع الصم أو تهدي العمي إنكار تعجب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم
بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقرونا
بالصمم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه في دعاء قومه وهم لا
يزيدون إلا غيا فنزلت ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار
تغاير الوصفين وفيه إشعار بأن الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى فإما
نذهبن بك أي فإن قبضناك قبل أن نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة
بمنزلة لام القسم في استجلاب النون المؤكدة فإنا منهم منتقمون بعدك في
الدنيا والآخرة أو نرينك الذي وعدناهم أو أردنا أن نريك ما وعدناهم من العذاب
فإنا عليهم مقتدرون لا يفوتوننا فاستمسك بالذي أوحي إليك من الآيات
والشرائع وقرئ أوحى على بناء الفاعل وهو الله تعالى إنك على صراط مستقيم لا
عوج له وإنه لذكر لك لشرف لك ولقومك وسوف تسألون أي عنه يوم القيامة
وعن قيامكم بحقه واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أي واسأل أممهم وعلماءهم

ديتهم أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون هل حكمنا بعبادة الأوثان وهل
جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد والدلالة
على أنه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له فإنه كان أقوى ما حملهم على
التكذيب والمخالفة ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه فقال
إني رسول رب العالمين يريد باقتصاصه تسلية الرسول ومناقضة قولهم
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عم
إلى التوحيد فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون فاجؤوا وقت ضحكهم
منها أي استهزؤوا بها أول ما رأوها ولم يتأملوا فيها وما نريهم من آية
إلا هي أكبر من أختها إلا وهي بالغة أقصى درجات الإعجاز بحيث يحسب الناظر
فيها أنها أكبر مما يقاس إليها من الآيات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك
رأيت رجالا بعضهم أفضل من بعض وكقوله من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم
مثل النجوم التي يسري بها الساري أو إلا وهي مختصة بنوع من الإعجاز مفضلة
على غيرها بذلك الاعتبار وأخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد
لعلهم يرجعون على وجه يرجى رجوعهم وقالوا يا أيها الساحر نادوه
بذلك في تلك الحالة لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم أو لأنهم كانوا يسمون
العالم الباهر ساحرا ادع لنا ربك أي يدعو لنا فيكشف عنا العذاب بما
عهد عندك بعهده عندك من النبوة أو من أن يستجيب دعوتك أو أن يكشف
العذاب عمن اهتدى أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الإيمان والطاعة
إننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون فاجؤوا نكث
عهدهم بالاهتداء ونادى فرعون بنفسه أو بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما
بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمن بعضهم قال يا قوم أليس
لي ملك مصر وهذه الأنهار أنهار النيل ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر
طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي تحت قصري أو أمري

قوله على اقامة المسبب مقام السبب اى هو على الانفصال المنقول عن سيبويه والخليل فى هذه الاية تكون الاسمية ماولة بفعلية معادلة لفظا ومعنى على انه اقيم المسبب عنها مقامها والاصل ما ذكره فاقيم خيرته باعتبار العلم بها مقام ابصارهم لان المسبب هو علمهم بخيريته لا الخيرية نفسها فالمراد ام انا خير عندكم وفى علمكم وجعله الزمخشري من تنزيل السبب منزلة المسبب عكس ما قاله المص ورده الشارح المحقق بان قوله انا خير سبب لقولهم من جهة بعثه على النظر فى حاله واستعداده لما ادعاه وقولهم انت خير سبب لكونهم بصراء عنده فانا خير سبب بالاول لكن لا يخفى ان سبب العلم بذلك والحكم وان احسب الوجود فالامر بالعكس لان ابصارهم سبب لقولهم انت خير ولذا قال المص انه من اقامة المسبب وهو اعتراض على المدقق اذ قرره بان فرعون لما قدم اسباب البسطة عقبه بقوله افلا تبصرون اى استقصارا لهم وتنبيها على انه لا يخفى على ذى عينين فقال ام انا خير اى تبصرون انى مقدم متبوع والعدول للتنبيه على ان هذا الشق هو المسلم لا محالة فكانه محكى عن لسانهم بعد ما ابصروا وهو اسلوب عجيب وفن غريب وجعله المص من انزال السبب مكان المسبب لا نكونه خيرا فى نفسه بحصول اسباب التقدم والملك سبب لان يقال فيه انت خير وقوله انت خير

قوله والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون فنحى بهذا الاعتبار المعلوم ما قرره متصلة لظهور التعادل وان كانت بحسب الظاهر ليست كذلك ولذا قال ابو البقا رحمه الله انها منقطعة لفظا متصلة معنى ثم ان اعترض عليه نصب اذا ظن مخالفته لما اجمع عليه النحاة وابصارهم سبب لكنهم خيريته منه قوله نفتح القى اليه مقاليد الملك هو كناية عن تمليكه كما ان ما فى النظم كذلك وقوله اذ كانوا تعليل لجعله كناية عما ذكره هو تتمة كلام زعوا انهم ان الرياسة من لوازم الرسالة كما قالته كفار قريش فى عظيم القريتين

اوبين يدى فى جنانى والواو اما عاطفة لهذه الانهار على ملك فتجرى حال منها او واو حال وهذه مبتدا والانهار صفتها وتجرى خبرها **افلا تبصرون** ذلك **ام انا خير** مع هذه المملكة والبسطة **من هذا الذى هو مهين** ضعيف حقير لا يستعد للرياسة من المهانة وهى القلة **ولا يكاد يبين** الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة وام اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير اذ قدم من اسباب فضله او متصلة على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون فتعلمون انى خير منه **فلولا القى عليه اسورة من ذهب** اى فهلا القى اليه مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب واسورة جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرى به وقرا يعقوب وحفص سورة وهى جمع سوار وقرى اساور جمع اسورة والقى عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى **او جاء معه الملائكة مقترنين** مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن **فاستخف قومه** فطلب منهم الخفة فى مطاوعته او فاستخف احلامهم **فاطاعوه** فيما امرهم به **انهم كانوا قوما فاسقين** فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق **فلما آسفونا** اغضبونا بالافراط فى العناد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد غضبه **انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا** قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به او جمع سالف كخدم وقرا حمزة والكسائى بضم السين واللام جمع سليف كرغف او سالف كصبر او سلف كخشب وقرى سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اى ثلة سلفت **ومثلا للآخرين** وعظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون **ولما ضرب ابن مريم مثلا** اى ضرب ابن الزبعرى لما جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال النصارى اهل كتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون انه

ابن الله والملائكة اولى بذلك وعلى قوله واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا او ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح اذا قومك منه من هذا المثل يصدون يضجون فرحا لظنهم ان الرسول صار ملزوما به وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالضم من الصدود اى يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف وقالوا أآلهتنا خير ام هو اى آلهتنا خير عندك ام عيسى فان كان في النار فلتكن آلهتنا معه او آلهتنا الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت آلهتنا اولى بذلك او آلهتنا خير ام محمد فنعبده وندع آلهتنا وقرأ الكوفيون أآلهتنا بتحقيق الهمزتين والف بعدها ما ضربوه لك الا جدلا ما ضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل بل هم قوم خصمون شداد الخصومة حراص على اللجاج ان هو الا عبد انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل امرا عجيبا كالمثل السائر لبني اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ولو نشاء لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم ملائكة في الارض يخلفون ملائكة يخلفونكم في الارض والمعنى ان حال عيسى وان كانت عجيبة فانه تعالى قادر على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب الى الله تعالى وانه وان عيسى لعلم للساعة لان حدوثه او نزوله من اشراط الساعة يعلم به دنوها او لان احياءه الموتى يدل على قدرة الله تعالى عليه وقرئ لعلم اى لعلامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا وفي الحديث ينزل عيسى على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة بها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد عم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها فلا تشكن

فيها واتبعون واتبعوا هداي وشرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول امران تقوله هذا الذي ادعوكم اليه صراط مستقيم لا يضل سالكه ولا يصدنكم الشيطان عن المتابعة انه لكم عدو مبين ثابت عداوته بان اخرجكم عن الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرائع الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة بالانجيل او الشريعة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق بامر الدنيا فان الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال عليه السلام انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله واطيعون فيما ابلغه عنه ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا صراط مستقيم الاشارة الى مجموع الامرين وهو تتمة كلام عيسى او استئناف من الله يدل على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم من بين النصارى او اليهود والنصارى من بين قومه المبعوث اليهم فويل للذين ظلموا من المتحزبين من عذاب يوم اليم هو القيامة هل ينظرون الا الساعة الضمير لقريش او للذين ظلموا ان تأتيهم بدل من الساعة هل ينظرون الا اتيان الساعة بغتة فجأة وهم لا يشعرون غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها الاخلاء الاحباء يومئذ بعضهم لبعض عدو اي يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب الا المتقين فان خلتهم لما كانت في الله تبقى نافعة ابد الآباد يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى وكانوا مسلمين حال من الواو اي الذين آمنوا مخلصين غير ان هذه العبارة آكد ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم او تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف من

ذهب وأكواب الصحاف جمع صحفة والأكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له
وفيها وفي الجنة ما تشتهي الأنفس وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه
على الأصل وتلذ الأعين بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوائد
في التنعم والتلذذ وأنتم فيها خالدون فإن كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ
وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وتلك الجنة التي أورثتموها
بما كنتم تعملون وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لأنه يخلفه عليه
العامل وتلك إشارة إلى الجنة المذكورة ووقعت مبتدأ والجنة خبرها والتي
أورثتموها صفتها أو تلك مبتدأ والجنة صفتها والتي خبرها أو صفة الجنة
والخبر بما كنتم تعملون وعليه تتعلق الباء بمحذوف لا بأورثتموها لكم فيها
فاكهة كثيرة منها تأكلون بعضها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل
تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القرآن وهو حقير بالإضافة
إلى سائر نعم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة إن المجرمين الكاملين في
الإجرام وهم الكفار لأنه جعل قسيم المؤمنين بالآيات وحكى عنهم ما يخص
بالكفار في عذاب جهنم خالدون خبر إن أو خالدون خبر والظرف متعلق
به لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى إذا سكنت قليلا والتركيب
للضعف وهم فيه في العذاب مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم
ولكن كانوا هم الظالمين مر مثله غير مرة وهم فصل ونادوا يا مالك
وقرئ يا مال على الترخيم مكسورا ومضموما ولعله إشعار بأنهم لضعفهم
لا يستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا ليقض علينا
ربك والمعنى سل ربنا أن يقضي علينا من قضى عليه إذا أماته وهو لا ينافي
إبلاسهم فإنه جؤار وتمن للموت من فرط الشدة قال إنكم ماكثون لا خلاص
لكم بموت ولا غيره لقد جئناكم بالحق بالإرسال والإنزال وهو تتمة الجواب
إن كان في قال ضمير الله والأجواب منه وكأنه تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك

قوله ولا يلزم من ذلك الخ والاشارة الى ما ذكر من قوله ان كان
حيث علق تبع عبادة الولد على صحة وجوده بكلمة ان دون لو
المستعملة في المفروضات ولو محالا فانها وان لم تقتض
وقوع ما بعدها لا تنافي جوازه وصحته وقوله اذ المحال قد
يستلزم المحال كينونة الولد المحالة مستلزمة لمحال
آخر وهو عبادته يعني انها شرطية والشرط مما يدل على
استلزام احد الطرفين للآخر وهو محال لان المحال قد
يستلزم المحال وان قد تستعمل في مثله كلو لنكتة كما بينه
اهل المعاني فالتعليق بها لا يستلزم صحة الكينونة
فما قيل ان هذا لا يصح لتعليل ما قبله وتفريع ما قبله لا
يلتفت اليه شهاب

قوله والدلالة على انكاره الخ هو مرفوع معطوف على قوله
نفيهما اي المراد انها منه الكفار نعم وهو النظر و
الاستدلال لا المراء والجدال فلما سبق على هذه
الطريقة مصدرا بان دون لو المشعرة بالانتفاء اوهم
للعناد والمراد بهذا التعبير ... تجوز جرة و
على قول مجرد الشرط كما ارتضاه بعض ارباب الحواشي

ولكن اكثركم للحق كارهون لما في اتباعه من اتعاب النفس وادآب الجوارح ام
ابرموا امرا في تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته فانا مبرمون امرا في
مجازاتهم والعدول من الخطاب للاشعار بان ذلك اسوء من كراهتهم او ام احكم
المشركون امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله ام يحسبون
انا لا نسمع سرهم حديث نفسهم بذلك ونجواهم وتناجيهم بلى نسمعها ورسلنا
والحفظة مع ذلك لديهم ملازمة لهم يكتبون ذلك قل ان كان للرحمن ولد فانا
اول العابدين منكم فان النبي صلى الله عليه وسلم يكون اعلم بالله وبما يصح له
وما لا يصح واولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم
من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد
نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثمة
بانتفاء الطرفين وان هنا لا تشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الا
معلول لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على انكاره للولد
ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان اولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له
ولد في زعمكم فانا اول العابدين لله الموحدين له والانفين منه او من ان يكون له
ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه او ما كان له ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة
وقرأ حمزة والكسائي ولد بالضم وسكون اللام سبحان رب السموات والارض
رب العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها اصولا ذات
استمرار تبرأت عما يتصف به سائر الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها
وخالقها فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم
الذي يوعدون اي القيامة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى
وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون في الآخرة وهو الذي في السماء اله وفي الارض
اله مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه
كقولك هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرأ الله والراجع مبتدأ محذوف لطول الصلة

الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبرا له لانه لا يبقى عايد لكن لو جعل صلة
وقدر لاله مبتدأ محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه في السماء
الالوهية دون الاستقرار وفيه نفي الالهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق
الالوهية وهو الحكيم العليم كالدليل عليه وتبارك الذي له ملك السموات
والارض وما بينهما كالهواء وعنده علم الساعة العلم بالساعة التي تقوم
القيامة فيها واليه ترجعون للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم وروح
بالتاء على الالتفات للتهديد ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة كما
زعموا انهم شفعاء وهم عند الله الا من شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد والاستثناء
متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه
ومنفصل ان خص بالاصنام ولئن سألتهم من خلقهم سألت العابدين
او المعبودين ليقولن الله لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى يؤفكون
يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره وقيله وقول الرسول ونصبه للعطف
على سرهم او على محل الساعة او لاضمار فعله اي وقال قيله وجره عاصم وحمزة
عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره يا رب ان هؤلاء قوم لا
يؤمنون او معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب
الجار او مجرور باضماره او مرفوع بتقدير وقيله يا رب قسمي وان هؤلاء جوابه
فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم ايساً عن ايمانهم وقل سلام تسلم منكم
ومتاركة فسوف يعلمون تسلية للرسول وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر
بالتاء على انه من المأمور بقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف
كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون

سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب الاية وهي سبع او تسع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين القرآن والواو للعطف ان كان حم مقسما بها والا

فالقسم والجواب قوله إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ في ليلة القدر او البراءة

ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى سماء الدنيا من اللوح ثم انزل على الرسول

صلى الله عليه وسلم نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية

والدنيوية او لما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل

الاقضية إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ استيناف يبين المقتضي للانزال وكذلك قوله

فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة

يستدعي ان ينزل فيها القرآن الذي هو من عظايمها ويجوز ان يكون صفة ليلة

وما بينهما اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله تنزل

الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يفرق بالتشديد ونفرق كل

اي يفرقه الله ونفرق بالنون أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من

عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل

او امر او ضميره المستكن في حكيم لانه موصوف وان تراد به مقابل النهي وقع مصدرا

ليفرق او لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه

بمعنى آمرين او مأمورا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ بدل من انا كنا منذرين

اي انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة

عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه

اعظم انواع التربية او علة ليفرق او امرا ورحمة مفعول به يفصل فيها كل

امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من شأننا ان نرسل رحمتنا فان فصل كل

امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ

رحمة على تلك رحمة إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو

بما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه صفاته رَبِّ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا خبر آخر او استيناف وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك

إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ اي ان كنتم من اهل الثبات من اهل الايقان في العلوم او ان

قوله ليلة القدر وهو ما عليه اكثر المفسرين وقوله البراءة معطوف على القدر اي ليلة البراءة وهي ليلة نصف شعبان فانها تسمى الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة وتسميتها بليلة البراءة والصك لانه تعالى يكتب لعباده براءة في هذه الليلة كذا في الكشاف يشير اليه ما ذكره المهدوي وغيره من انه في تلك الليلة يامر الله الملائكة بما يكون في ذلك العام فيكتب من اللوح المحفوظ فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل والحروب لجبرائيل والآجال لعزرائيل وهكذا وظاهر كلامهم هنا ان البراءة وهي مصدر برئ براءة اذا تخلص تطلق على صك الاعمال ... الديون وما ضاهاها فانه ورد في الآثار ذلك وان كان يتجاوز مشهورا صار به كالمشترك وفي المغرب برئ من الدين والعيب براءة ومنه البراءة لخط الابراء والجمع براءات وبراوات عامية انتهى ولكن اهل اللغة على انه لم يسمع من العرب بانه عامي صرف وان كان باب المجاز واسعا قال ابن السيد في المقتضب البراءة في الاصل مصدر برئ براءة واما البراءة المستعملة في صناعة الكتاب فتسمية بذلك اما على انها من برئ من شيء اذا اداه وبرئت من الامر اذا تخليت عنه فكان المطلوب منه ما برئ الى الطالب ومحل له وقيل اصله ان الجاني كان اذا جنى وعفي عنه الملك كتب له كتابا بامان ما خافه فكان يقال كتب السلطان لفلان براءة ثم عم ذلك فيما كتب من ولي الامر واشباههم انتهى واعلم انه قال في الكشاف ان بين ليلة النصف وليلة القدر تعين ليلة تعين انها تكون في السابعة والعشرين من رمضان فيه نظر لا يخفى

موقنين في اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم
مريدين اليقين فاعلموا ذلك **لا اله الا هو** اذ لا خالق سواه **يحيي ويميت** كما
تشاهدون **ربكم ورب آبائكم الاولين** قرئا بالجر بدلا **بل هم في شك يلعبون**
رد لكونهم موقنين **فارتقب** فانتظر لهم **يوم تأتي السماء بدخان مبين** يوم
شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره
او لان الهوا يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمي الشر
الغالب دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى
السماء لان ذلك يكفه عن الامطار او يوم ظهور الدخان المعدود في اشراط
الساعة لما روي انه عم لما قال اول الايات الدخان ونزول عيسى عم ونار
تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله الاية
وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه
كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره او يوم القيمة
والدخان يحتمل المعنيين **يغشى الناس** يحيط بهم صفة للدخان وقوله **هذا
عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون** مقدر بقول وقع حالا وانا
مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم **انى لهم الذكرى** من اين لهم وكيف
يتذكرون بهذه الحال **وقد جاءهم رسول مبين** بين لهم ما هو اعظم منها في
ايجاب الادكار من الايات والمعجزات **ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون** قال
بعضهم يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون **انا كاشفوا العذا**ب
بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فانه دعا فرفع القحط **قليلا** كشفا قليلا او زمانا
قليلا وهو ما بقي من اعمارهم **انكم عائدون** الى الكفر عقيب الكشف ومن فسر الدخا
ن بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم
بعد الاربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما في القيمة اوله بالشرط والتقدير
يوم نبطش البطشة الكبرى يوم القيمة او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه **انا**

منتقمون لا منتقمون فإنّ انّ يجزم عنه او بدل من يوم تأتي وقرئ نبطش اي نجعل
البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون امتحناهم بارسال موسى اليهم او اوقعناهم في
الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتأكيد او لكثرة القوم
وجاءهم رسول كريم على الله او على المؤمنين او في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه
ان ادوا الي عباد الله بأن ادوهم الي وارسلوهم معي او بأن ادوا الي حق الله
من الايمان وقبول الدعوة يا عباد الله ويجوز ان يكون ان مخففة ومفسرة لأن
مجيء الرسول يكون برسالة ودعوة اني لكم رسول امين غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه
او لائتمان الله اياه على وحيه وهو علة الامر وان لا تعلوا على الله ولا تتكبروا
عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله وان كالاولى في وجهيها اني آتيكم بسلطان
مبين علة النهي ولذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شأن لا يخفى
واني عذت بربي وربكم التجأت اليه وتوكلت عليه ان ترجمون ان تؤذوني
ضربا او شتما او ان تقتلوني وقرئ عتّ بالادغام وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون
فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي ولا تتعرضوا الي بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم
الى ما فيه فلاحكم فدعا ربه بعد ما كذبوه ان هؤلاء بأن هؤلاء قوم مجرمون
وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ
بالكسر على اضمار القول فأسر بعبادي ليلا اي فقال اسر او قال ان كان الامر
كذلك فاسر وقرأ ابن كثير ونافع بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون يتبعكم فرعون
وجنوده اذا علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا
على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغير شيئا ليدخله القبط
انهم جند مغرقون وقرئ بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا كثيرا تركوا من جنات
وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل حسنة ونعمة وتنعم
كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم

منها والامر كذلك واورثناها عطف على الفعل المقدر او على تركوا قوما اخرين
ليسوا منهم في شيء وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر
فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد
بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء وكسفت لمهلكهم الشمس في نقيض ذلك
ومنه ما روي في الاخبار ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله
ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم اهل السماء والارض وما كانوا منظرين
ممهلين الى وقت اخر ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من استعباد
فرعون وقتله ابناءهم من فرعون بدل من العذاب على حذف المضاف او على
جعله عذابا لافراطه في التعذيب او حال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ
من فرعون على الاستفهام تنكيرا له لنكر ما كان عليه من الشيطنة انه كان
عاليا متكبرا من المسرفين في العتو والشرارة وهو خبر ثان اي كان متكبرا
مسرفا او حال من الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بينهم ولقد اخترناهم
اخترنا بني اسرائيل على علم عالمين بانهم احقاء بذلك او مع علم منا بانهم يزيغون
في بعض الاحوال على العالمين لكثرة الانبياء فيهم او على عالمي زمانهم واتيناهم
من الايات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ما فيه بلاء مبين
نعمة جلية او اختبار ظاهر ان هؤلاء يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة
فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار على الضلالة والانذار
عن مثل ما حل بهم ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى ما العاقبة ونهاية
الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات ثانية كما
في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها
حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة التي من
شانها كذلك الا الموتة الاولى وما نحن بمنشرين بمبعوثين فاتوا بابائنا
خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين ان كنتم صادقين في وعدكم

ليدل عليه اهم خير في القوة والمنعة ام قوم تبع تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عم ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون والذين من قبلهم كعاد وثمود اهلكناهم استيناف بما لقوم تبع والذين من قبلهم هددهم كفار قريش وحال باضمار قد او خبر عن الموصول ان استونف به انهم كانوا مجرمين بيان للجامع المقتضي للاهلاك وما خلقنا السموات والارض وما بينهما وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر في الانبياء وغيرها ما خلقناهما الا بالحق الا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة او البعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون لقلة نظرهم ان يوم الفصل فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء او فصل الرجل عن اقاربه واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم اي ان ميعاد جزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا له للفصل مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو والنصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر منه من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق في الصافات طعام الاثيم الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل دردي الزيت تغلي في البطون وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا للمهل اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما كغلي الحميم غليانا مثل غليه خذوه على ارادة القول والمقول له الزبانية فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء

كط

قوله ما ادري اتبع الا قال ابن حجر المروي ما ادري اهو عزير ام لا وفي ذي القرنين بدل عزير كما رواه ابو داود والحاكم وقوله كما قيل لهم اي لملوك اليمن مطلقا كما يقال لملك الروم قيصر ولكنه كان اولا علما لملك مخصوص منهم وهو المراد في النظم ثم شاع في كل من ملك اليمن وقوله يتقيلون بالبناء للمجهول من قولهم تقيل فلان اباه اذا اقتدى به كما قاله الراغب في مفرداته وهو من القول واوي وقيل انه يائي لقولهم اقيال واجيب بان اصله قيل مشدد فخفف وقيل اصله قيول فلما خفف صار كميت وهو جري على لفظه وقيل سمي به لنفوذ اقواله شهاب

هف

قوله اذ الاظهر اه قوله كالمهل خبر ثان او خبر ضمير مقدر او حال من طعام والعامل فيه معنى التشبيه فلا يرد قول ابي البقاء انه لا يصح لعدم ما يعمل فيه ويتعلق على قراءة ابن كثير وحفص بالتحتية فيه ضمير لما ذكر من الطعم وجوز ابو البقاء كون جملة خبر مبتدأ محذوف فلا تتعين الحالية وقد قيل ان الضمير المستتر فيه عود على المهل فيكون حالا منه كما ذكره المعرب والمص لم يلتفت اليه لانه لا يناسب المقام اذ المراد انه ماكولهم يغلي في بطونهم واذا كان حالا مما شبه به الماكول لم يفد كما لا يخفى والحميم ما هو في غاية الحرارة فان قلت كيف يكون حالا من احدهما وقد منع النحاة مجيء الحال من المضاف اليه في غير صور مخصوصة وممنوع من المبتدأ والخبر قلت هذا بناء على جواز مجيء الحال عن الخبر ومن المبتدأ والمضاف الى المبتدأ في حكمه وهذا احد الصور التي يجيء الحال فيها من المضاف لانه كالجزء في جواز اسقاطه كما يعرفه من فهم تلك المسئلة واما ما قيل انه حال من ضمير احدهما والمراد ضمير الشجرة المستتر في قوله كالمهل لا ولي باحدهما الا من اسمها الظاهر اذ لا وجه له ولا من ضميرهما اذ لا ضمير لهما فتكلف بارد وتصرف فاسد والحمل على ما ذكره ضعيف احسن منه شهاب

وجره بقهر وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان الى سواء الجحيم
وسطه ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم كان اصله يصب من فوق رؤسهم
الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى
الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق
انك انت العزيز الكريم اى وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا على ما كان
يزعمه وقرأ الكسائى انك بالفتح اى ذق لانك وعذابا بانك ان هذا العذاب
ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه ان المتقين فى مقام فى موضع
اقامة وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم امين يأمن صاحبه من الآفة والانتقال
فى جنات وعيون بدل من مقام جئ به للدلالة على نزاهته واشتماله على
ما يستلذ به من المآكل والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر
ثان او حال من الضمير فى الجار او استئناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق
ما غلظ منه ومشتق من البراقة متقابلين فى مجالسهم ليستأنس بعضهم
ببعض كذلك الامر كذلك او اتيناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين
قرناهم بهن ولذلك عدى بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين
واختلف فى انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون
ويأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شئ منها بمكان ولا زمان
امنين من الضرر لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يحيون
فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل والضمير للآخرة والموت اول احوالها
او الجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكأنه فيها او الاستثناء
للمبالغة فى تعميم النفى وامتناع الموت فكأنه قال لا يذوقون فيها الموت الا
اذا امكن ذوق الموتة الاولى فى المستقبل ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ ووقاهم
على المبالغة فضلا من ربك اى اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع
اى ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب

قوله باحد الاحتمالين يحتمل ان يريد بالاحتمالين تقدير المضاف وهو خلق وعدمه فالمراد الاحتمال المعهود اي الاحتمالين السابقين في قوله ان في خلق السموات كما مر وقوله فان بثه على الاحتمال الاول ويحتمل ان يريد الموصولية والمصدرية فانه على المصدرية تظهر عطفه عليه لان بث الدواب نوع من الخلق وهو عطف مصدر على مثله وفي قوله فان بثه اشارة الى حمله على المصدر وقوله عطف ما اشارة الى الموصولية فتدبر

قوله ولعل اختلاف الفواصل الثلاث يعني جعل الآيات اولا للمؤمنين وثانيا للموقنين وثالثا لقوم يعقلون لان قرين الايقان المبني عن تصفية شوائب الاشتباه فوق قرين الايمان ومرتبة العقل المبني عن الاستحكام وعدم التزلزل بشبه المبطلين فوقهما والاول يحصل بالنظر في نفس الكونيات وخلاصة الممتزجات والثالث بما تكرر في الاوقات وفيه كلام في شرح الكشاف يكفي ما ذكره

فانما يسرناه بلسانك سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه فيتذكرون به لما لم يتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة جمعة اصبح يغفر له

سورة الجاثية مكية وهي سبع او ست وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب ان جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم وما يبث من دابة ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف اليه باحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار آيات لقوم يوقنون محمول على محل ان واسمها وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملا على الاسم واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيا به الارض بعد موتها يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي وتصريف الريح آيات لقوم يعقلون فيه القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين في والابتداء او ان الا ان يضمر في او ينصب آيات على الاختصاص او يرفع باضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف الآيات في الدقة والظهور تلك آيات الله اي تلك الآيات دلائله نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة بالحق ملتبسين به او ملتبسة به فباي حديث بعد الله وآياته يؤمنون اي بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في قولك اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله وهو القرآن لقوله

الله نزل احسن الحديث وآياته دلائله المتلوة او القرآن والعطف لتغاير الوصفين
وقرأ الحجازيان وحفص وابو عمرو وروح يؤمنون بالياء ليوافق ما قبله ويل لكل
افاك كذاب اثيم كثير الآثام يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر يقيم على كفره
مستكبرا عن الايمان بالآيات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات كقوله
يرى غمرات الموت ثم يزورها كأن لم يسمعها اي كأنه فخفف وحذف ضمير الشأن
والجملة في موقع الحال اي يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم على اصله
والبشارة على الاصل والتهكم واذا علم من آياتنا شيئا واذا بلغه شيء
من آياتنا وعلم انه منها اتخذها هزوا لذلك من غير ان يرى فيها ما يناسب
الهزء والضمير لآياتنا وفائدته الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم انه من الآيات
بادر الى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه او لشيء لانه بمعنى
الآية اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم من قدامهم لانهم متوجهون
اليها او من خلفهم لانه بعد آجالهم ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا من
الاموال والاولاد شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي الاصنام
ولهم عذاب عظيم لا يتحملونه هذا هدى الاشارة الى القرآن ويدل عليه
قوله والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقرأ ابن كثير
ويعقوب وحفص برفع اليم والرجز اشد العذاب الله الذي سخر لكم البحر
بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص
فيه لتجري الفلك فيه بامره بتسخيره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله
بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون هذه النعم
وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا بان خلقها نافعة لكم
منه حال من ما اي سخر هذه الاشياء كائنة منه او خبر محذوف اي هي جميعا
منه او لما في السموات وسخر لكم تكرير للتوكيد او لما في الارض وقرئ منة على
المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر محذوف

ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون في صنايعه قل للذين امنوا يغفروا حذف
المقول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اي يعفوا ويصفحوا
للذين لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقايعه باعدائه من قولهم ايام العرب
لوقايعهم او لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم
بها والآية نزلت في عمر شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل انها منسوخة
باية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون علة للامر والقوم هم المؤمنون
او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب
المغفرة او الاساءة او ما يعمهما وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون
وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما اي ليجزى الخير او الشر او الجزاء اعني ما يجزى
به لا المصدر فان الاسناد اليه سيما مع المفعول به ضعيف من عمل صالحا
فلنفسه ومن اساء فعليها اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه ثم الى ربكم
ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب التورية
والحكم والحكمة النظرية والعملية او فصل الخصومات والنبوة اذ كثر
فيهم الانبيا ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله من
اللذايذ وفضلناهم على العالمين حيث اتيناهم ما لم نؤت غيرهم واتيناهم
بينات من الامر ادلة في امر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل
ايات من امر النبي صلى الله عليه وسلم مبينة لصدقه فما اختلفوا في ذلك الامر
الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال بغيا بينهم عداوة وحسدا
ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمواخذة
والمجازاة ثم جعلناك على شريعة طريقة من الامر امر الدين فاتبعها فاتبع
شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون آراء الجهال التابعة
للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين ابائك انهم لن يغنوا عنك
من الله شيئا مما اراد بك وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اذ الجنسية

علة

على الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم والله ولي المتقين فواله بالتقى واتباع
الشريعة هذا اي القرآن او اتباع الشريعة بصائر للناس بينات تبصرهم وجه
الفلاح وهدى من الضلال ورحمة ونعمة من الله لقوم يوقنون يطلبون
اليقين ام حسب الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها
انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة ان نجعلهم ان نصيرهم
كالذين آمنوا وعملوا الصالحات مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله سواء
محياهم ومماتهم بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه
اذ المعنى انكار ان يكون حياتهم ومماتهم سيان في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين
ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل والحال من
الضمير في الكاف والمفعولية والكاف حال وان كان للثاني فحال منه او استئناف
يبين المقتضي للانكار وان كان لهما فبدل او حال من الثاني وضمير الاول والمعنى
انكار ان يستووا بعد الممات في الكرامة او ترك المؤاخذة كما استووا في الرزق
والصحة في الحياة او استئناف مقرر لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى
والضلال وقرئ ومماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج ساء
ما يحكمون ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات
والارض بالحق كانه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضي
للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن
واذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على
بالحق لانه في معنى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل
ولتجزى وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسمية ذلك ظلما
ولو فعله الله لم يكن منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار
افرأيت من اتخذ الهه هواه ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكأنه
يعبده وقرئ آلهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى

احسن منه رفضه اليه واضله الله خذله على علم عالما بضلاله وفساد
جوهر روحه وختم على سمعه وقلبه فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات
وجعل على بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة
والكسائي غشوة فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلاله افلا تذكرون وقرئ
تتذكرون وقالوا ما هي ما الحياة او الحال الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها
نموت ونحيا اي نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيي بعد ذلك او نموت بانفسنا
ونحيا ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعض او يصيبنا الموت والحياة
فيها وليس وراء ذلك حياة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر
عبدة الاوثان وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة
بقاء العالم من دهره اذا غلبه وما لهم بذلك من علم يعني نسبة الحوادث
الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال او انكار البعث او كليهما
ان هم الا يظنون اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما
لم يحسوا به واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم
او مبينات له ما كان حجتهم ما كان لهم متشبث يعارضونها به الا ان قالوا
ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم او على
اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فانه لا يلزم من عدم حصول الشيء حالا
امتناعه مطلقا قل الله يحييكم ثم يميتكم على ما دلت عليه الحجج ثم يجمعكم
الى يوم القيمة لا ريب فيه فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت
الجمع للمجازاة على ما قرر مرارا والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها واذا كان
كذلك امكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء ولكن
اكثر الناس لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسبونه ولله ملك
السموات والارض تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة يومئذ
يخسر المبطلون اي يخسر يوم القيمة ويومئذ بدل منه وترى كل امة جاثية

مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة او باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية اي
جالسة على اطراف الاصابع لاستفازهم كل امة تدعى الى كتابها صحيفة اعمالها
وقرا يعقوب كل على انه بدل الاول وتدعى صفة او مفعول ثان اليوم تجزون
ما كنتم تعملون محمول على القول هذا كتابنا اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه
لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم
بلا زيادة ونقصان انا كنا نستنسخ نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون
اعمالكم فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته
التي من جملتها الجنة ذلك هو الفوز المبين لظاهر لخلوصه عن الشوائب واما
الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم الم يأتكم رسلي فلم تكن
اياتي تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء
بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين عادتهم الاجرام
واذا قيل ان وعد الله يحتمل الموعود والمصدر حق كائن هو او متعلقه لا محالة
والساعة لا ريب فيها افراد للمقصود وقرا حمزة بالنصب عطفا على اسم ان قلتم
ما ندري ما الساعة اي شيء الساعة استغرابا لها ان نظن الا ظنا اصله
نظن ظنا فادخل حرف النفي والاستثناء لاثبات الظن ونفي ما عداه كانه قال
ما نحن الا نظن ظنا او لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله وما
نحن بمستيقنين اي لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا
من ابائهم وما تليت عليهم من الايات في امر الساعة وبدا لهم ظهر لهم سيئات
ما عملوا على ما كانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاءها
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وهو الجزاء وقيل اليوم ننساكم نترككم في
العذاب ترك المنسي كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به
واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه وماواكم النار وما لكم من
ناصرين يخلصونكم منها ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا استهزأتم

قوله واطيعوه نظر لقوله العزيز الحكيم وفيه اشارة الى هذه الاضافة كناية او مجاز عن الامر لانه المقصود فله الحمد والثناء والعظمة والكبرياء

قوله من قرأ الخ حديث موضوع وتعويذه بمعنى ما فيه من افعاله التي تحمل الاطلاع عليها والروعة الخوف بينهما جناس مقلوب

بها ولم يتفكروا فيها وغرتكم الحياة الدنيا فحسبتم ان لا حياة سواها فاليوم لا يخرجون منها وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ولا هم يستعتبون لا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين اذ الكل نعمة منه الدال على كمال قدرته وله الكبرياء في السموات والارض اذ ظهر فيها آثارها وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه واطيعوا له عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية وآيها اربع او خمس وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما يقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه مرارا واجل مسمى وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه الكل وهو يوم القيمة او كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له والذين كفروا عما انذروا من هول ذلك الوقت ويجوز ان تكون ما مصدرية معرضون لا يتفكرون فيه ولا يستعدون لحلوله قل ارأيتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اي اخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل ان يكون لها في نفسها مدخل في خلق شيء من اجزاء العالم فتستحق به العبادة وتخصيص الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية ائتوني بكتاب من قبل هذا من قبل هذا الكتاب يعني القرآن فانه ناطق بالتوحيد او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة او الامر به ان كنتم صادقين في دعواكم وهو الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم نقلا بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا وقرئ اثارة بالكسر اي مناظرة فان المناظرة تثير المعاني واثرة اي شيء اوثر به واثرة بالحركات الثلاث في الهمزة وسكون الثاء

قوله اي اخبروني عن حال آلهتكم سماوية كالنجوم او ارضية كالاصنام ففي ذكر السموات والارض اشارة اليهما وقوله اخبروني اما تفسير لارأيتم او لاروني او لهما على ان الثاني تأكيد للاول وقوله بعد تأمل فيها هذا مأخوذ من ارأيتم واروني في معنى اخبروني فان الاخبار عن الشيء يكون بعد معرفته الحاصلة من التأمل فيه سواء كانت الرؤية بصرية او علمية فتوبيخهم على ذلك بالالتزام شهاب

قوله تخصيص الشرك الخ اي انه تعالى خص الشرك بالسموات ولم يقل او في الارض لانه اذا نفى خلقهم لشيء من الارض وهي عالم سفلي فانتفاء خلقهم للعالم العلوي اولى

قوله وهو قوله ائتوني الخ والنقلي الكتب او علوم السلف والعقلي قوله ارأيتم الخ وقوله وهو الزام الخ كانه جعله على ما ذكره المص ان يعطف فلم جرد من العاطف واذا كان هذا بالدليل النقلي وذلك للعقلي لا يصح مع مباينته له ان يكون توكيدا لارأيتم او اروني كما توهم قلت لما بين الدليلين ترك العاطف تنبيها على ما بينهما من بعد المسافة فكأنه عدل عنه الى الاستئناف وان عطف في بعض نظائره كقوله ام آتيناهم كتابا فلا وجه لاستضعافه شهاب

فالمفتوحة للمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثر والمضمومة
اسم ما يؤثر ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له انكار ان
يكون احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير الى عبادة من
لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا ان يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم الى يوم القيمة
ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشغولون
باحوالهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا
بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال والمقال وقيل الضمير للعابدين وهو
كقوله والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات او
مبينات قال الذين كفروا للحق لاجله وفي شأنه والمراد به الآيات ووضعه موضع
ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم
بالكفر والانهماك في الضلالة لما جاءهم حين ما جاءهم من غير نظر وتأمل هذا
سحر مبين ظاهر بطلانه ام يقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى
ذكر ما هو اشنع منه وانكار له وتعجيب قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون
لي من الله شيئا اي ان عاجلني الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شيء منها
فكيف اجترئ عليه واعرض نفسي للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم
هو اعلم بما تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح في آياته كفى به شهيدا
بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار وهو وعيد
بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن و
اشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم قل ما كنت بدعا من الرسل بديعا منهم
ادعوكم الى ما لا يدعون اليه او اقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات
كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه كقيم او مقدر بمضاف اي
ذا بدع او مقدر بمضاف وما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدارين على التفصيل اذ لا علم لي
بالغيب ولا لتاكيد النفي المشتمل على ما يفعل بي وما اما موصولة منصوبة او

قوله ما دامت الدنيا يحتمل ان المراد به
التأبيد كما مر فلا يرد انتظار كلامهم
انه غاية لعدم الاستجابة لا اللدنيا لمن لا
يستجيب فيحتاج الى التوجيه بانه ينقطع
عدم الاستجابة حينئذ لانقضائه سابق
الدعاء ولا يحتاج ورد بقوله فنعرضهم فلم
يستجيبوا لهم الآن يقال انه دعا على
زعمهم او المنقطع حينئذ الانقضاء
على عدم الاستجابة حينئذ كما يعلم اليه
قوله واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء
واما القول بانه مفهوم فلا يعترض
المنطوق فيرد ما في الدرر والينبوع
من البديع ان الغاية عند من قبيل
اثبات النقض لا المفهوم قال الزركشي
في شرح جمع الجوامع مذهب القاضي ابو بكر

قوله اي ان عاجلني الله الخ في الكشاف
ان افتريته على سبيل الفرض عاجلني
الله لا محالة بعقوبة الافتراء عليه
فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا
تطيقون دفع شيء من عقابه عني فكيف
افتريه واتعرض لعقابه انتهى وهو شارة
الى ان قوله فلا تملكون الخ ليس هو الجواب
في الحقيقة وانما هو قائم مقام الجواب
قوله عاجلني الخ والفاء في قوله فلا تملكون
لي للسببية اقيم المسبب مقام الجزاء
تعويلا على بعض شراح والبيان للمصنف
بقوله ان عاجلني الخ فلا وجه لما قيل
انه رد على الزمخشري ولا مخالفة بين
كلامه وكلامه ولو قيل بعاقبني لكان
ما اراده

استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل اي يفعل الله ان اتبع الا ما يوحى الي لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين وما انا الا نذير عن عقاب الله مبين بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة قل أرأيتم ان كان من عند الله اي القرآن وكفرتم به وقد كفرتم به ويجوز ان يكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل الا انها تعطفه بما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله ابن سلام وقيل موسى عليه السلام وشهادته ما في التوراة من نعت الرسول صلى الله عليه وسلم على مثله مثل القرآن وهو ما في التوراة من المعاني المصدقة للقرآن المطابقة له او مثل ذلك وهو كونه من عند الله فآمن اي بالقرآن لما رآه من جنس الوحي مطابقا للحق واستكبرتم عن الايمان ان الله لا يهدي القوم الظالمين استيناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل الستم ظالمين وقال الذين كفروا للذين آمنوا لاجلهم لو كان الايمان وما اتى به محمد صلى الله عليه وسلم خيرا ما سبقونا اليه وهم سقاط اذ عامتهم فقراء وموالي ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار او اليهود حين اسلم ابن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه وهو كقولهم اساطير الاولين ومن قبله ومن قبل القرآن وهو خبر لقوله كتاب موسى ناصب لقوله اماما ورحمة على الحال وهذا كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وقد قرئ به لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدقا او منه لتخصيصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الدلالة على ان كونه مصدقا للتوراة كما دل على انه حق دل على انه وحي وتوقيف من الله سبحانه وقيل مفعول مصدق اي يصدق ذا لسان عربي باعجازه لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول ويؤيد الاخير قراءة

قوله ذات كره اشارة الى انه حال من الفاعل بتقدير مضاف وقوله او وصفا على انه صفة للمصدر اى وهو منصوب على المصدر لتقدم ما هو في معنى فعل او وقد تقدم في النساء الفرق بين المفتوح والمضموم والكلام فيهما

قوله ولذلك اى لكون المراد الرضاع التام عبر بالفصال عنه او عن وقته دون الرضاع المطلق لانه لا نفهمه والموصوف بقوله التام فافهم من تطويل الكلام وقد تقدم تفصيله في سورة البقرة

نافع وابن عامر والبزى بخلاف عنه ويعقوب بالتاء وبشرى للمحسنين عطف على محله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكن في اصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اى جوزوا جزاء ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقرأ الكوفيون احسانا وقرئ حسنا اى ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرأ الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله او وقته والمراد به الرضاع التام المنتهى به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال كل حى مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده ثلاثون شهرا كل ذلك بيان لما تكابده الام في تربية الولد مبالغة في التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقى ذلك وبه قال الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي الا بعد اربعين سنة قال رب اوزعني الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا وقرأ البزى بفتح الياء ان اشكر نعمتك التي انعمت على وعلى والدى يعنى نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وذلك يؤيد ما روى انها نزلت في ابي بكر رضى الله عنه لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه وان اعمل صالحا

رضاه نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضا الله عز وجل واصلح
لي في ذريتي واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم ونحوه يجرح في
عراقيبها نصلي اني تبت اليك عما لا ترضيه او يشغل عنك واني من المسلمين
المخلصين لك اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني طاعاتهم فان
المباح حسن ولا يثاب عليه ويتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرا حمزة والكسائي
وحفص بالنون فيهما في اصحاب الجنة كائنين في عدادهم او مثابين او معدودين
فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه فان يتقبل ويتجاوز وعد الذي
كانوا يوعدون اي في الدنيا والذي قال لوالديه اف لكما مبتدا خبره اولئك
والمراد به الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه فان خصوص
السبب لا يوجب التخصيص وفي اف قراءات ذكرت في سورة بني اسرائيل اتعدانني ان
اخرج ابعث وقرا هشام اتعداني بنون واحدة مشددة وقد خلت القرون
من قبلي فلم يرجع احد منهم وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك
او يسالان الله ان يغيثه بالتوفيق للايمان ويلك امن اي يقولان له ويلك وهو
الدعاء بالثبور بالحث على ما يخاف على تركه ان وعد الله حق فيقول ما هذا
الا اساطير الاولين اباطيلهم التي كتبوها اولئك الذين حق عليهم
القول بانهم اهل النار وهو يرد النزول في عبد الرحمن لانه يدل على انه من
اهلها لذلك وقد جب عنه ان كان لاسلامه في امم قد خلت من قبلهم
كقوله في اصحاب الجنة من الجن والانس بيان للامم انهم كانوا خاسرين
تعليل للحكم على الاستئناف ولكل من الفريقين درجات مما عملوا مراتب
من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا والدرجات غالبة في
المثوبة وهاهنا جاءت على التغليب وليوفيهم اعمالهم جزاءها وقرا نافع وابن
عامر وحمزة والكسائي وابن ذكوان بالنون وهم لا يظلمون بنقص ثواب
او زيادة عقاب ويوم يعرض الذين كفروا على النار يعذبون بها وقيل تعرض

النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض اذهبتم اى يقال
لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير
ان ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة وهما يقرآن بها وبهمزتين محققتين طيباتكم
لذائذكم فى حياتكم الدنيا باستيفائها واستمتعتم بها فما بقى لكم منها
شئ فاليوم تجزون عذاب الهون الهوان وقد قرئ به بما كنتم تستكبرون
فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون بسبب الاستكبار الباطل والفسوق
عن طاعة الله وقرئ تفسقون بالكسر واذكر اخا عاد يعنى هودا اذ انذر
قومه بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف
الشئ اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن وقد
خلت النذر الرسل من بين يديه ومن خلفه قبل هود وبعده والجملة حال
او اعتراض ان لا تعبدوا الا الله اى لا تعبدوا او بان لا تعبدوا فان النهى عن الشئ
انذار عن مضرته انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب شرككم قالوا
اجئتنا لتأفكنا لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من العذاب
عن الشرك ان كنت من الصادقين فى وعدك قال انما العلم عند الله لا علم لى
بوقت عذابكم ولا مدخل لى فيه فأستعجل به وانما علمه عند الله فيأتيكم به فى
وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به وما على الرسول الا البلاغ ولكنى
اراكم قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين
فلما رأوه عارضا سحابا عرض فى افق السماء مستقبل اوديتهم متوجه اوديتهم
والاضافة فيه لفظية وكذا فى قوله قالوا هذا عارض ممطرنا اى يأتينا بالمطر
بل هو اى قال هود بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقرئ قل بل ريح
هى ريح ويجوز ان يكون بدلا من ما فيها عذاب اليم صفتها وكذا قوله تدمر
تهلك كل شئ من نفوسهم واموالهم بامر ربها وقرئ يدمر كل شئ من دمر
دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا او الهاء فى ربها ويحتمل ان يكون استينافا

قوله وآلهة عطف على قوله قربانا

للدلالة على ان لكل ممكن فناء مقضيا لا يتقدمه ولا يتأخر ويكون الهاء لكل شيء فانه بمعنى الاشياء اذ لا يوجد فابصبة سكون الا بغتته وفي ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرأ عاصم وحمزة والكساى لا يرى الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن كذلك نجزي القوم المجرمين روي ان هودا لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم في البحر ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ان نافية وهي احسن من ما ههنا لانها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت الفها هاء في مهما او شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم في الذي او في شيء ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر او صلة كما في قوله يرجي المرء ما ان لا يراه وتعرض دون ادناه الخطوب والاول اظهر واوفق لقوله هم احسن اثاثا كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء من الاغناء وهو القليل اذ كانوا يجحدون بآيات الله علة لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه وكذلك حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون من العذاب ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الآيات بتكريرها لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة فهلا منعتهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واول مفعولي اتخذوا الراجع الى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا وآلهة بدل وعطف بيان او آلهة وقربانا حال او مفعول له على انه بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا

عن نصرهم وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال وذلك افكهم
وذلك الاتخاذ الذي هذا اثره صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة
وآفكهم اي جعلهم آفكين وافكهم اي قولهم الافك اي ذو الافك وما كانوا
يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك والنفر دون العشرة
وجمعه انفار يستمعون القرآن حال محمولة على المعنى فلما حضروه اي
القرآن او الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا انصتوا قال بعضهم لبعض اسكتوا
لنسمعه فلما قضي اتم وفرغ من قراءته وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول
صلى الله عليه وسلم ولوا الى قومهم منذرين اي منذرين اياهم بما سمعوا
روي انهم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي النخلة عند منصرفه
من الطائف يقرأ في تهجده قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى
قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا او ما سمعوا بامر عيسى عم مصدقا لما
بين يديه يهدي الى الحق من العقائد والى طريق مستقيم من الشرائع يا قومنا
اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما يكون
في خالص حق الله فان المظالم لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم هو معد
للكفار واحتج ابو حنيفة رض باقتصارهم على المغفرة والاجارة على ان لا ثواب
لهم والاظهر انهم في توابع التكليف كبني آدم ومن لا يجب داعي الله فليس
بمعجز في الارض اذ لا ينجي منه مهرب وليس له من دونه اولياء يمنعونه منه
اولئك في ضلال مبين حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شأنه اولم يروا
ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن ولم يتعب ولم يعجز
والمعنى ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد بقادر على ان يحيي
الموتى اي قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر والباء مزيدة لتأكيد النفي
فانه مشتمل على ان وما في حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله بلى انه على كل شيء
قدير تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كانه لما صدّر

السورة بتحقيق المبدأ اردفها باثبات المعاد ويوم يعرض الذين كفروا على
النار منصوب بقول مضمر مقوله اليس هذا بالحق والاشارة الى العذاب
قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم في الدنيا
ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ لهم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
اولوا الثبات والجد منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا
العزم اصحاب الشرائع اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها
ومعاداة الطاغين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم
الصلاة والسلام وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا
يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب
على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى
قال قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته
اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة ولا تستعجل لهم لكفار قريش
بالعذاب فانه نازل بهم في وقته لا محالة كأنهم يوم يرون ما يوعدون
لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا من هوله مدة لبثهم في الدنيا
حتى يحسبونها ساعة بلاغ هذا الذي وعظتم به او هذه السورة بلاغ
اي كفاية او تبليغ من الرسول عليه السلام ويؤيده انه قرئ بلغ وقيل مبتدأ
خبره لهم وما بينهما اعتراض اي لهم وقت يبلغون اليه كأنهم اذا بلغوه ورأوا ما فيه
استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم
الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها
من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد وتسمى سورة القتال وهي مدنية وآيها تسع او ثمان وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا عن الدخول في الاسلام وسلوك
طريقه او منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر او شياطين قريش والمصرين
من اهل الكتاب او عام في جميع من كفر وصد اضل اعمالهم جعل مكارمهم
كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اي ضائعة محبطة بالكفر
او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن او ضلالا حيث لم يقصدوا به
وجه الله او ابطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله
واظهار دينه على الدين كله والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعم المهاجرين والانصار
والذين آمنوا من اهل الكتاب وغيرهم وآمنوا بما نزل على محمد تخصيص
للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان لا يتم دونه
وانه الاصل فيه ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضا على
طريقة الحصر وحقيته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل
وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم سترها بالايمان وعملهم
الصالح واصلح بالهم حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد ذلك اشارة
الى ما مر من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدأ خبره بان الذين كفروا
اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع
هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهذا تصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك
يسمى تفسيرا كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس يبين لهم
امثالهم احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم بان جعل اتباع
الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا
للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا في المحاربة
فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر
وانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التأكيد الاختصار والتعبير به عن
القتل اشعارا بانه ينبغي ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير له بأشنع

صورة حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ
فشدوا الوثاق فأسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به
فاما منا بعد واما فداء اى فاما تمنون منا او تفدون فداء والمراد التخيير بعد
الاسر بين المن والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف
اذا اسر تخير الامام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق منسوخ عند ابى حنيفة
او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل او الاسترقاق وقرئ فدى كعصا
حتى تضع الحرب اوزارها آلاتها واثقالها التى لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع
اى تنقضى الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل آثامها والمعنى حتى تضع اهل
الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشد او للمن والفداء او للمجموع
بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم
وقيل بنزول عيسى ذلك اى الامر ذلك او افعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر
منهم لانتقم منهم بالاستيصال ولكن ليبلو بعضكم ببعض ولكن امركم بالقتال
ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين
بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كى يرتدع بعضهم عن الكفر
والذين قتلوا فى سبيل الله اى جاهدوا وقرأ البصريان وحفص قتلوا اى استشهدوا
فلن يضل اعمالهم فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل ويضل على البناء للمفعول
سيهديهم الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة
عرفها لهم وقد عرفها لهم فى الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها
به او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدى اليه كانه كان ساكنه
منذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم بحيث يكون
لكل جنة مفرزة يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ان تنصروا دينه
ورسوله ينصركم على عدوكم ويثبت اقدامكم فى القيام بحقوق الاسلام
والمجاهدة مع الكفار والذين كفروا فتعسا لهم فعثورا وانحطاطا

ونقيضه لعا قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا وانتصا
بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا او مفسر لناصبه
واضل اعمالهم عطف عليه ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله القران لما فيه
من التوحيد والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص
وتصريح بسببية الكفر بالقران للتعس والاضلال فاحبط اعمالهم كرره
اشعارا بانه يلزم الكفر بالقران ولا ينفك عنه بحال افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم استاصل عليهم
ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم وللكافرين من وضع الظاهر
موضع المضمر امثالها امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير
يدل عليها او السنة لقوله تعالى سنة الله التي قد خلت ذلك بان الله مولى الذين
امنوا ناصرهم على اعدائهم وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع العذاب عنهم
وهو لا يخالف قوله وردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك
ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الدنيا ويأكلون كما تأكل الانعام حريصين
غافلين عن العاقبة والنار مثوى لهم منزل ومقام وكاين من قرية هي اشد قوة
من قريتك التي اخرجتك على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه
والاخراج باعتبار التسبب اهلكناهم بانواع العذاب فلا ناصر لهم يدفع
عنهم وهو كالحال المحكية افمن كان على بينة من ربه حجة من عنده وهو القران
او ما يعمه والحجج العقلية كالنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كمن زين له سوء
عمله كالشرك والمعاصي واتبعوا اهواءهم في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا
عن حجة مثل الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة
وقيل مبتدأ خبره كمن هو خالد في النار وتقدير الكلام امثل اهل الجنة كمثل
من هو خالد او امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعري عن حرف الانكار وحذف

ما حذف فاستغنى بجري مثله تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع
للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة والنار وهو على الأول خبر محذوف تقديره
أفمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار أو بدل من قوله كمن زين وما بينهما
اعتراض لبيان ما يمتاز به من على بينة في الآخرة تقريرا لانكار المساواة فيها
أنهار من ماء غير آسن استئناف يشرح المثل أو حال من العائد المحذوف أو
خبر لمثل وآسن من أسن الماء بالفتح إذا تغير طعمه وريحه أو بالكسر على معنى الحدوث
وقرأ ابن كثير أسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حازرا وأنهار
من خمر لذة للشاربين لذيذة لا يكون فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة
سكر وخمار تأنيث لذ أو مصدر نعت به بإضمار ذات أو تجوز وقرئت بالرفع على صفة
الأنهار والنصب على العلة وأنهار من عسل مصفى لم يخالطه الشمع وفضلات
النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الأشربة في الجنة بأنواع ما يستلذ
منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها
واستمرارها ولهم فيها من كل الثمرات صنف على هذا القياس ومغفرة من
ربهم عطف على الصنف المحذوف أو مبتدأ خبره محذوف أي لهم مغفرة كمن هو
خالد في النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الأشربة فقطع أمعاءهم
من فرط الحرارة ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك يعني المنافقين
كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمعون كلامه فإذا
خرجوا قالوا للذين أوتوا العلم أي لعلماء الصحابة ماذا قال آنفا ما الذي قال
الساعة استهزاء أو استعلاما إذ لم يلقوا له آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم
أنف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف
بمعنى وقتا مؤتنفا أو حال من الضمير في قال وقرأ ابن كثير أنفا أولئك الذين
طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم فلذلك استهزؤوا بها وتهاونوا
بكلامه والذين اهتدوا زادهم هدى أي زادهم الله بالتوفيق والإلهام

او

أو قول الرسول صلى الله عليه وسلم وآتاهم تقواهم بين لهم ما يتقون أو أعانهم
على تقواهم أو أعطاهم جزاءها فهل ينظرون إلا الساعة فهل ينتظرون غيرها
أن تأتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة وقوله فقد جاء أشراطها كالعلة له
وقرئ إن تأتهم على أنه شرط مستأنف جزاؤه فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم والمعنى
إن تأتهم الساعة بغتة لأنه قد ظهر أماراتها كمبعث النبي صلى الله عليه وسلم
وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم أي تذكرهم إذا جاءتهم الساعة وحينئذ لا يفرغ له
ولا ينفع فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك أي إذا علمت سعادة
المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل
النفس بإصلاح أحوالها وأفعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعي غفرانهم وفي إعادة
الجار وحذف المضاف إشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وأنها جنس آخر فإن
الذنب ما له تبعة ما بترك الأولى والله يعلم متقلبكم في الدنيا فإنها مراحل
لا بد من قطعها ومثواكم في العقبى فإنها دار إقامتكم فاتقوا الله واستغفروه
وأعدوا لمعادكم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة أي هلا نزلت سورة
في أمر الجهاد فإذا أنزلت سورة محكمة مبينة لا تشابه فيها وذكر فيها
القتال أي الأمر به رأيت الذين في قلوبهم مرض ضعف في الدين وقيل نفاق
ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت جبنا ومخافة فأولى لهم فويل
لهم أفعل من الولي وهو القرب أو فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم
المكروه أو يؤول إليه أمرهم طاعة وقول معروف استئناف أي أمرهم طاعة
أو طاعة وقول معروف خير لهم أو حكاية قولهم لقراءة أبي يقولون طاعة
فإذا عزم الأمر أي جد وهو لأصحاب الأمر وإسناده إليه مجاز وعامل الظرف
محذوف وقيل فلو صدقوا الله أي فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو الإيمان لكان
الصدق خيرا لهم فهل عسيتم وقرأ نافع بكسر السين فهل يتوقع منكم إن توليتم

امور الناس وتامرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم عن الايمان ان تفسدوا فى الارض
وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الولاية وتجاذبا لها او رجوعا الى ما كنتم عليه فى
الجاهلية من التغاور ومقاتلة الاقارب والمعنى انهم لضعفهم فى الدين وحرصهم
على الدنيا احقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا
على لغة الحجاز فان بنى تميم لا يلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا وان توليتم
اعتراض وعن يعقوب توليتم اى ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم
فى الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع اولئك
اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام فاصمهم
عن استماع الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله افلا يتدبرون القرآن
يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصى ام على
قلوب اقفالها لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام منقطعة ومعنى
الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض منهم او للاشعار بانها
لابهام امرها فى القساوة او لفرط جهالتها ونكرها كانها مبهمة منكورة واضافة
الاقفال اليها للدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال
المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم الى ما كانوا
عليه من الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة
الشيطان سول لهم سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل
حملهم على الشهوات من السول وهو التمنى وفيه ان السول مهموز قلبت همزته
واوا لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن رده بقولهم هما يتساولان
وقرئ سول على تقدير مضاف اى كيد الشيطان سول لهم واملى لهم ومد لهم فى
الامال والامانى او امهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب واملى
لهم اى وانا املى لهم فيكون الواو للحال او الاستئناف وقرأ ابو عمرو واملى على
البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان او لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما

نزل

نزل فيه قال اليهود الذين كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعدما تبين لهم نعته
للمنافقين او المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في بعض الامر
في بعض اموركم او في بعض ما تأمرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة في
الخروج معهم ان اخرجوا والتظافر على الرسول صلى الله عليه وسلم والله يعلم
اسرارهم ومنها قولهم هذا الذي افشاه الله عليهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص
اسرارهم على المصدر فكيف اذا توفتهم الملائكة فكيف يعملون ويحتالون
حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضي والمضارع المحذوف احدى تائيه يضربون
وجوههم وادبارهم تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له
ذلك اشارة الى التوفي الموصوف وكرهوا رضوانه ما يرضاه من الايمان و الجهاد
وغيرهما من الطاعات فاحبط اعمالهم لذلك ام حسب الذين في قلوبهم مرض
ان لن يخرج الله ان لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين اضغانهم احقادهم ولو
نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم فلعرفتهم بسيماهم
بعلاماتهم التي نسمهم بها واللام لام الجواب كررت في المعطوف ولتعرفنهم
في لحن القول جواب قسم محذوف ولحن القول اسلوبه او امالته الى جهة تعريض
وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب والله يعلم
اعمالكم فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات ولنبلونكم بالامر
بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على
مشاقها ونبلو اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها او اخبارهم
عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين في صدقها وكذبها وقرأ ابو بكر الافعال الثلاثة
بالياء ليوافق ما قبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين
لهم الهدى هم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا
بكفرهم وصدهم او لن يضروا رسول الله بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه

وتعظيم مشاقته وسيحبط اعمالهم ثواب حسنات اعمالهم بذلك ومكايدهم
التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم ولا تثمر لهم الا القتل
والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن
والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم عام في كل من
مات على كفره وان صح نزوله في اصحاب القليب ويدل بمفهومه على انه قد يغفر
لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه فلا تهنوا فلا تضعفوا وتدعوا الى السلم
ولا تدعوا الى الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقرئ ولا تدّعوا
من ادّعى بمعنى دعا وانتم الاعلون الاغلبون والله معكم ناصركم ولن
يتركم اعمالكم ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من قريب
او حميم فافردته عنه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده منه انما
الحياة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ثواب
ايمانكم وتقواكم ولا يسألكم اموالكم جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير
كربع العشر والعشر وان يسألكموها فيحفكم فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء
والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا استأصله تبخلوا
فلا تعطوا ويخرج اضغانكم ويضغنكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
والضمير في يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون او البخل لانه سبب الاضغان
وقرئ تخرج بالياء والتاء ورفع اضغانكم ها انتم هؤلاء اي انتم يا مخاطبون
هؤلاء الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا في سبيل الله استئناف مقرر
لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما
فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية المتقدمة ومن يبخل فانما
يبخل عن نفسه فان نفع الانفاق وضر البخل عائدان اليه والبخل يعدى بعن

وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى فانه امساك عن مستحق والله الغنى
وانتم الفقراء فما يأمركم به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم
وان تتولوا عطف على وان تؤمنوا يستبدل قوما غيركم يقوم مقامكم قوما
اخرين ثم لا يكونوا امثالكم فى التولى والزهد فى الايمان وهم الفرس لانه سئل ع م
وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه وقال هذا وقومه او الانصار او اليمن او
الملائكة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة محمد كان حقا على الله ان
يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية نزلت فى مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية

وايها تسع بسم الله الرحمن الرحيم وعشرون اية

انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد بفتح مكة والتعبير عنه بالماضى لتحققه او بما
اتفق له فى تلك السنة كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه
فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سالوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ
به رسول الله صلى الله عليه وسلم لساير العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل فى الاسلام
خلقا عظيما وظهر له فى الحديبية اية عظيمة وهى انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض
ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح الروم فانهم غلبوا
على الفرس فى تلك السنة وقد عرف كونه فتحا للرسول عليه السلام فى سورة
الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء اى قضينا لك ان تدخل مكة من قابل ليغفر لك
الله علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعى فى اعلاء الدين وازاحة
الشرك وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص
الضعفة عن ايدى الظلمة ما تقدم من ذنبك وما تأخر جميع ما فرط منك
مما يصح ان يعاتب عليه ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة
ويهديك صراطا مستقيما فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وينصرك
الله نصرا عزيزا نصرا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة

هو الذي انزل السكينة الثبات والطماينة في قلوب المومنين حتى يثبتوا
حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يقينا
مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمينان النفس عليها او انزل فيها السكون
الى ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ليزدادوا ايمانا بالشرايع مع ايمانهم
بالله واليوم الاخر ولله جنود السموات والارض يدبر امرها فيسلط بعضها
على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم اخرى كما تقتضيه حكمته وكان الله
عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر ويدبر ليدخل المومنين والمومنات جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها علة لما بعده لما دل عليه قوله
ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير اي دبر ما دبر من تسليط المومنين
ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم
من ذلك او فتحنا او انزل او جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال
ويكفر عنهم سيئاتهم يغطيها ولا يظهرها وكان ذلك اي الادخال والتكفير
عند الله فوزا عظيما لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر
وعند حال من الفوز ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
عطف على يدخل الا اذا جعلته بدلا فيكون عطفا على المبدل الظانين
بالله ظن السوء ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمومنين
عليهم دائرة السوء دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمومنين لا يتخطاهم
وقرأ ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح غلب
في ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما في الاصل
مصدر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه
في الاخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين والموضع موضع
الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال الكل في الوعيد
بلا اعتبار السببية وساءت مصيرا جهنم ولله جنود السموات

والارض

الذوق وفقه الذي جعل الله تعالى فعل عباده موافقا لما يحبه ويرضاه للتفقه الفقه طول الاصابة والوقوف على المعنى الخفي
الذي يتعلق به الحكم وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد ويحتاج الى النظر والتأمل ولهذا لا يجوز ان يسمى الله تعالى فقيها لانه لا يخفى عليه شيء
الدين والملة متحدان بالذات مختلفان بالاعتبار حبلهم ووصف الحبل بما يدل على القوة والمتانة بقوله المتين الى الصلب الشديد
وفضلهم ابتداء احسانا بلا علة المبين اى المتضح وميراث مجاز عن الانتقال الانبياء والمرسلين فالرسول بعثه الله تعالى لتبليغ
الاحكام ملكا كان او آدميا وكذا النبي الا انه مختص بالانس وحجته اى دليله وبرهانه الدامغة اى القاطعة المذلة للخصم
من الدمغ وهو من الشجاج التي بلغت الدماغ على خلق اجمعين كله على وجه التعميم التعميم للمبالغة والرعاية السجع
ومحجة بفتح الحاء والميم والجيم جادة الطريق وهي طريق واسع السالكة الراقية للوصلة الى اعلى عليين
حبله [illegible] وعليه [illegible] وصلة
سبيله

قوله

[illegible] المفردات [illegible]
والزمخشري [illegible] الواردة والمراد [illegible]
كلام محققه في الاحاديث الواردة [illegible]

والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا على امتك ومبشرا
ونذيرا على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبي والامة
او لهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه وتقووه بتقوية دينه
ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له بكرة و
اصيلا غدوة وعشيا او دائما وقرا ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء
وقرئ تعزروه بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاي وكسرها
وتعززوه وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله لانه المقصود ببيعته يد الله فوق ايديهم حال او استئناف مؤكد له
على سبيل التخييل فمن نكث نقض العهد فانما ينكث على نفسه فلا يعود
ضرر نكثه الا عليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله وفى في مبايعته فسيؤتيه
اجرا عظيما هو الجنة وقرئ عهد وقرا حفص عليه بضم الهاء وابن كثير ونافع
وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والآية نزلت في بيعة الرضوان سيقول
لك المخلفون من الاعراب هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم
واهاليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف عن مقاتلة قريش
ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالهم وقرئ
بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله على التخلف يقولون بالسنتهم ما ليس
في قلوبهم تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار قل فمن يملك لكم من الله
شيئا فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم كقتل
او هزيمة وخلل في المال والاهل وعقوبة على التخلف وقرا حمزة والكسائي بالضم
او اراد بكم نفعا ما يضاد ذلك وهو تعريض بالرد بل كان الله بما تعملون
خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون
الى اهليهم ابدا لظنكم ان المشركين يستأصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع

على اهلاء كارضاب على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وزين ذلك في
قلوبكم فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان وظننتم ظن
السوء الظن المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء وهو وسائر ما يظنون
بالله ورسوله من الامور الزائغة وكنتم قوما بورا هالكين عند الله لفساد
عقيدتكم وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين
سعيرا وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله
ورسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او
لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض يدبره كيف يشاء يغفر
لمن يشاء ويعذب من يشاء اذ لا وجوب عليه وكان الله غفورا رحيما فان
الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك
جاء في الحديث الالهي سبقت رحمتي غضبي سيقول المخلفون يعني المذكورين
اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها يعني مغانم خيبر فانه عليه السلام رجع
من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم ثم
غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم ذرونا
نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله ان يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية
ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر
انه في تبوك والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرا حمزة والكسائي
كلم الله وهو جمع كلمة قل لن تتبعونا نفي في معنى النهي كذلكم قال الله من قبل
من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم في
الغنائم وقرئ بالكسر بل كانوا لا يفقهون لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا
وهو فطنتهم لامور الدنيا والاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم
واثبات الحسد والثاني رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين قل
للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة

التخلف ستدعون الى قوم اولى بأس شديد بنى حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم او المشركين فانه قال تقاتلونهم او يسلمون
اى يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة او يسلموا
ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطى الجزية وهو يدل على امامة ابى بكر رض اذ لم
عهد
تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان فى
النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية
فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة فى الدنيا والجنة فى الآخرة وان
تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج لما اوعد على
التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد ومن يطع الله
ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار فصل الوعد واجمل الوعيد
مبالغة فى الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال
ومن يتول يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب ههنا انفع من الترغيب وقرأ نافع وابن
عامر ندخله ونعذبه بالنون لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت
الشجرة روى انه عم لما نزل الحديبية بعث خراش بن امية الخزاعى الى اهل مكة
فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان فحبسوه فارجف بقتله
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وكانوا الفا وثلاثمائة او اربعمائة
او خمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت
سمرة او سدرة فعلم ما فى قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينة عليهم
الطمانينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر
غب انصرافهم وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة يأخذونها يعنى مغانم خيبر
وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا مقتضى الحكمة وعدكم الله مغانم كثيرة
تأخذونها وهى ما يفئ على المؤمنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه يعنى مغانم
خيبر

وكف ايدي الناس عنكم ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان او ايدي
قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة او الغنيمة اية للمؤمنين امارة يعرفون
بها انهم من الله بمكان او صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه عن
الحديبية او وعد المغانم او عنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف هو علة لكف
او عجل لتسلموا او لتاخذوا او العلة لمحذوف مثل فعل ذلك ويهديكم صراطا
مستقيما هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه واخرى ومغانم اخرى معطوفة على
هذه او منصوبة بفعل يفسره قد احاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها
موصوفة وجرها باضمار رب لم تقدروا عليها بعد لما كان فيها من الجولة قد احاط الله
بها استولى فاظفركم بها وهي مغانم هوازن او فارس وكان الله على كل شيء قديرا
لان قدرته ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة
ولم يصالحوا لولوا الادبار لانهزموا ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا
ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن
مضى من الامم كما قال لاغلبن انا ورسلي ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا
وهو الذي كف ايديهم عنكم اي ايدي كفار مكة وايديكم عنهم ببطن مكة
في داخل مكة من بعد ان اظفركم عليهم اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي
جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن
الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح
واستشهد به على ان مكة فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله وكان
الله بما تعملون من مقاتلتهم اولا طاعة لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرأ
ابو عمرو بالياء بصيرا فيجازيهم عليه هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد
الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله يدل على ان ذلك كان عام الحديبية والهدي
ما يهدى الى مكة وقرئ الهدي وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذي يحل
فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذي لا يجوز ان ينحر في غيره والا

لما نحروا الرسول صلى الله عليه وسلم حيث احصر فلا حجة فيه لمن حجة الحنفية على ان
مذبح هدي المحصر هو الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم
لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ان تطؤهم ان توقعوا بهم و
تبيدوهم قال وطئنا وطأ على حنق وطأ المقيد نابت الهرم وقال عليه السلام
ان اخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد بالطائف كان اخر وقعة النبي صلى الله
عليه وسلم بها واصله الدوس وهو بدل اشتمال من رجال ونساء او من ضميرهم
في تعلموهم فتصيبكم منهم من جهتهم معرة مكروه كوجوب الدية والكفارة
بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم
مفعلة من عره اذا عراه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤهم اي تطؤهم
غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة
ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم
مكروه لما كف ايديكم عنهم ليدخل الله في رحمته علة لما دل عليه كف الايدي
من اهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين اي كان ذلك ليدخل الله في رحمته اي في
توفيقه لزيادة الخير او للاسلام من يشاء من مؤمنيهم او مشركيهم لو تزيلوا
لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم
عذابا اليما بالقتل والسبي اذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر او ظرف لعذبنا
او صدوكم في قلوبهم الحمية الانفة حمية الجاهلية التي تمنع اذعان الحق فانزل
الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين فانزل عليهم الوقار والثبات وذلك
ما روي انه عليه السلام لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد
العزى ومكرز بن حفص ليسألوه ان يرجع من عامه على ان يخلي له قريش مكة
من القابل ثلاثة ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي رضي الله
عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال
اكتب هذا ما صالح رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما

قوله ای توفیقه اشارة الی ان کان المراد من
المؤمنین فالرحمة التی یرید ان یدخلهم فیها التوفیق لزیادة
الخیر والطاعة لا اصله لئلا یکون تحصیلا للحاصل فلیس
احترازا عن الرحمة من غیر عمل حتی یکون اعتزالا کما قیل
فان کف الایدی عن اهل مکة وصون من فیها من المؤمنین
وابقاءهم علی حالهم وطاعتهم توفیق لهم لزیادة الخیر
والطاعة فان ارید بهم المشرکین فان المراد من الرحمة التی
ادخلهم فیها الاسلام لانهم اذا شاهدوا منع تعذیبهم بعین
الظفر بهم لاختلاط المؤمنین بهم اعتناء بهم رغبوا فی
الاسلام والانخراط فی سلک المرحومین فظهر وجه کون قوله
لیدخل علة لکف الایدی عن اهل مکة لصون من فیها من المؤمنین
لانهم اذا اصابهم الکف المذکور ظهروا ایمانهم لمعاینة
قوة الدین وشوکة الاسلام یقتدی بهم العاثرون للایمان
فلا وجه لجعل اللام استعارة من معنی التعلیل لما یترتب
علی الشیء تشبیها له بالعلة الغائیة کما قیل لانه عدول
عن الحقیقة المتبادرة من غیر داع للعدول سوی اظهار
الفضول شهاب

صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل
مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا
عليهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحلموا والزمهم كلمة التقوى كلمة
الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم او الثبات والوفاء
بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها او كلمة اهلها وكانوا احق
بها من غيرهم واهلها والمستأهل لها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم اهل
كل شيء وييسره له لقد صدق الله رسوله الرؤيا رأى عليه السلام انه هو
واصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا
وحسبوا ان ذلك يكون في عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا
قصرنا ولا رأينا البيت فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه بالحق ملتبسا به
فان ما رآه كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز ان يكون
بالحق صفة مصدر محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى التمييز
بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وان يكون قسما اما باسم الله تعالى او بنقيض
الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف
ان شاء الله تعليق للعدة بالمشيئة تعليما للعباد او اشعارا بان بعضهم لا يدخل
لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا او النبي لاصحابه آمنين حال من الواو
والشرط معترض محلقين رؤسكم ومقصرين اي محلقا بعضكم ومقصرا
آخرون لا تخافون حال مؤكدة او استئناف اي لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم
تعلموا من الحكمة في تأخير ذلك فجعل من دون ذلك من دون دخولكم المسجد
او فتح مكة فتحا قريبا هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر
الموعود هو الذي ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به او بسببه ولاجله ودين
الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليغلبه على جنس الدين كله بنسخ
ما كان حقا وباظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المؤمنين على اهله اذ ما من

اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تأكيد لما وعد من الفتح وكفى بالله شهيدا
على ان ما وعد كائن او على نبوته باظهار المعجزات محمد رسول الله جملة مبينة للمشهود
به ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف او مبتدأ والذين معه معطوف
عليه وخبرهما اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع شديد ورحماء جمع
رحيم والمعنى انهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله
اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين تراهم ركعا سجدا لانهم مشتغلون بالصلاة
في اكثر اوقاتهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا الثواب والرضى سيماهم
في وجوههم من اثر السجود يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة
السجود فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قرئت ممدودة ومن اثر السجود بيانها
او حال من المستكن في الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة
يفسرها كزرع مثلهم في التورية صفتهم العجيبة الشأن المذكورة فيها
ومثلهم في الانجيل عطف عليه اي ذلك مثلهم في الكتابين وقوله كزرع
تمثيل مستأنف او تفسير او مبتدأ وكزرع خبره اخرج شطأه فراخه يقال اشطأ
الزرع اذا فرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر من رواية ابن ذكوان شطأه بفتحات
وهو لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة
الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا فآزره فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة
او من الايزار وهي الاعانة وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان فأزره كأجره فاستغلظ
فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق
وعن ابن كثير سؤقه بالهمز يعجب الزراع بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره
وهو مثل ضربه الله للصحابة قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى
امرهم بحيث اعجب الناس ليغيظ بهم الكفار علة لتشبيههم بالزرع في زكائه
واستحكامه او لقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة
واجرا عظيما فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان عن النبي صلى الله

عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة

سورة الحجرات مدنية بسم الله الرحمن الرحيم وآيها ثمان عشرة آية

يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا اي لا تقدموا امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم
الى كل ما يمكن او ترك لان المقصود نفي التقديم رأسا او لا تتقدموا ومنه مقدمة
الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم
بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان
تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعظيم له واشعار بانه من الله بمكان
يوجب اجلاله واتقوا الله في التقديم او مخالفة الحكم ان الله سميع لاقوالكم
عليم بافعالكم يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
اي اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته
محاماة على الترحيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته
كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبي والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد
الاستبصار والمبالغة في الايقاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة
الاهتمام به ان تحبط اعمالكم كراهة ان تحبط فيكون علة للنهي او لان تحبط على
ان النهي عن الفعل المعلل باعتبار التأدية لان في الجهر والرفع استخفافا قد يؤدي
الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان
ثابت بن قيس كان في اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتفقده فدعاه فقال يا رسول الله لقد نزلت اليك هذه الآية
واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال عليه السلام لست هناك انك
تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون انها محبطة ان
الذين يغضون اصواتهم يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب او

مخافة عن مخالفة النهي فما كان ابو بكر وعمر بعد ذلك يسمعانه حتى يستفهمهما
اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها
كاينة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف
او للفعل باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة
لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من
امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه لهم مغفرة لذنوبهم واجر
عظيم لغضهم وساير طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استيناف
لبيان ما هو جزاء الغاضين احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مولفة من معرفتين
والمبتدا اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دلت
على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا
بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشات
من جهة الوراء وفايدتها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرة اذ لا بد وان يختلف
المبدا والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة
وهي القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة بمعنى
مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبي عم وفيها كناية عن خلوته
بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بانهم
تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذي
ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا
وانما اسند الى جميعهم لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم
لا يعقلون اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا
المنصب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم

حتى تخرج اليهم فان أنّ وان دلت بما فى حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت
ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغى ان يكون مغيا بخروجه
فان حتى مختصة بغاية الشئ فى نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى رأسها
ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفى اليهم اشعار بانه لو خرج لا
لا لاجلهم ينبغى ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم
لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول
صلى الله عليه وسلم الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤول اذ روى انهم
وفدوا شافعين فى اسارى بنى العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله
غفور رحيم حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الادب التاركين
تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ
فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا روى انه عليه السلام بعث وليد بن عقبة مصدقا
الى بنى المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه
فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم بقتالهم
فنزلت وقيل بعث اليهم بعده خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين
فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وفى تعليق الامر
بالتبيين على فسق المخبر جواز على قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شئ
بكلمة ان عدم عند عدمه وان خبر الواحد العدل لو وجب تبينه من حيث
هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير
وقرأ حمزة والكسائى فتثبتوا اى فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا
كراهة اصابتكم قوما بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا على ما
فعلتم نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف
الثلاثة دائر مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما فى حيزه ساد
مسد مفعولى اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله لو يطيعكم فى

كثير من الامر لعنتم فانه حال من احد ضميري فيكم ولو جعل استينافا لم يظهر
للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهي انكم تريدون
ان يتبع رايكم في الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد من العنت
وفيه اشعار بان بعضهم اشار اليه بالايقاع ببني المصطلق وقوله ولكن
الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق
والعصيان استدراك ببيان عذرهم وهو انهم من فرط حبهم للايمان وكراهتهم
الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك منهم
احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله اولئك هم الراشدون
اي اولئك هم المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوي وكره متعدي بنفسه
الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له آخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل اليكم
منزلة مفعول آخر بالى والكفر تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد
والعصيان الامتناع عن الانقياد فضلا من الله ونعمة تعليل لكره او حبب وما
بينهما اعتراض لا للراشدون فان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا
من فعله مسندا الى ضميرهم او مصدر لغير فعله فان التحبيب والرشد فضل
من الله وانعامه والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم
حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع فان بغت احداهما على الاخرى
تعدت عليها فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ترجع الى حكمه وما امر
وانما اطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار
الى المسلمين فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل بالعدل بفصل ما بينهما على
حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل هنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد
المقاتلة واقسطوا واعدلوا في كل الامور ان الله يحب المقسطين يحمد
فعلهم بحسن الجزاء والاية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عم

قوله وعسى اسم الخ فإنها إذا أسندت إلى أن والفعل فتكون تامة لا تحتاج إلى الخبر وأن وما بعدها في محل رفع وقيل ناقصة وسد ما بعدها مسد الجزئين والمذهب المعتمد ولا يخفى حينئذ أن لها محلا من الإعراب فإن قيل هو رفع أو نصب لزم التحكم وإن قيل له محلان باعتبارين فلا وجه وقد ارتضاه بعضهم شيخنا وقوله عسوا أن يكونوا أو كونها ذات خبر حينئذ قول للنحاة وقيل الإخبار عن الذات بالمصدر أو تقديره مضافا مع الاسم والخبر أو يقال هي بمعنى قارب وأن وما معها مفعول أو هو قرب وهو منصوب على إسقاط الجار

قوله أو لا تفعلوا الخ وجهان فإن أنفسكم على ظاهره والتجوز في قوله تلمزوا بنوع مجاز ذكر فيه المسبب وأريد السبب والمراد لا ترتكبوا أمرا تعابون به والضرب الثاني بعيد عن السياق وغير مناسب للعطف ولا تنابزوا كما في الكشاف وكونه من التجوز في الإسناد وإذا أسند فيه ما للمسبب إلى السبب تكلف ظاهر وكذا كونه كالتعليل للنهي السابق لا يمنع كونه مخالفا للظاهر وكذا كون المراد به لا تتسببوا إلى الطعن فيكم بالطعن على غيركم كما جاء في الحديث من الكبائر أن يشتم الرجل والديه إذا فسر بأنه إذا شتم والدي غيره شتم الغير والديه وترك المصنف الأول من الوجوه الثلاثة المذكورة في الكشاف وهو أن المعنى خصوا أنفسكم أيها المؤمنون بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم أن تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا يسير بسيرتكم ففي الحديث اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس لأنه لا فرق بينه وبين المعنى الثاني إلا باعتبار أن المراد بالأنفس في الأول غير الأمر من المؤمنين وجعلهم أنفسهم لتنزيل اتحاد الجنس منزلة اتحاد الذات وفي الثاني أنفس الآمرين بالوجه المذكور وقيل ولم يرتض الزمخشري الوجه الثاني في دلالة الحديث على صحة الوجه الأول والمصنف لم يرتض ما ارتضاه لعدم ما يدل على التخصيص في النظم كما قيل والصواب ما قدمناه من أنه لقلة الفرق بينهما

بالسعف والنعال وهي تدل على أن الباغي مؤمن وأنه إذا قبض عن الحرب ترك كما جاء في الحديث لأنه فيء إلى أمر الله وأنه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة **إنما المؤمنون إخوة** من حيث إنهم منتسبون إلى أصل واحد هو الإيمان الموجب للحياة الأبدية وهو تعليل وتقرير للأمر بالإصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال **فأصلحوا بين أخويكم** ووضع الظاهر موضع المضمر مضافا إلى المأمورين للمبالغة في التقرير والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لأنهما أقل من يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالأخوين الأوس والخزرج وقرئ بين إخوتكم وإخوانكم **واتقوا الله** في مخالفة حكمه والإهمال فيه **لعلكم ترحمون** على تقواكم **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن** أي لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض إذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر والقوم مختص بالرجال لأنه إما مصدر نعت به فشاع في الجمع أو جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالأمور وظيفة الرجال كما قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلتين كقوم عاد وفرعون فإما على التغليب أو الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن لأنهن توابع واختيار الجمع لأن السخرية تغلب في المجامع وعسى باسمها استئناف بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لإغناء الاسم عنه وقرئ عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن فهي على هذا ذات خبر **ولا تلمزوا أنفسكم** أي ولا يعب بعضكم بعضا فإن المؤمنين كنفس واحدة أو لا تفعلوا ما تلمزون به فإن من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم **ولا تنابزوا بالألقاب** ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فإن النبز مختص بلقب السوء عرفا **بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان** أي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسوق بعد دخولهم في الإيمان واشتهارهم به والمراد به إما تهجين نسبة الكفر والفسوق إلى المؤمنين خصوصا إذ روي

ان الاية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابي هرون وعمي
موسى وزوجي محمد او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح
ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة
وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن كونوا منه
على جانب وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم انه من اي القبيل
فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن
الظن بالله وما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما
يباح كالظن في الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل مستانف للامر والاثم
الذنب الذي يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه من الواو وكانه يثم الاعمال اي يكسرها
ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه
من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولذلك
قيل للحواس الجواس وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين
تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا
ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته سئل عم عن الغيبة فقال ان
تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته
ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب
على افحش وجه مع مبالغة الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم
وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل
الماكول اخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى
ان صح ذلك او عرض عليكم هذا فكرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب
ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدده نافع واتقوا الله ان الله تواب رحيم
لمن اتقى ما نهي عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة في التواب لانه بليغ في قبول التوبة

اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم روي ان

رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما

وكان اسامة على طعامه فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى

بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما

لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت

يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحوا او خلقنا كل واحد

منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون

تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب

الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر

والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة

شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة

وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم

بعضا لا للتفاخر بالآباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا

ان اكرمكم عند الله اتقاكم فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص

فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عم من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله

وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي

هين على الله ان الله عليم بكم خبير ببواطنكم قالت الاعراب آمنا نزلت

في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا

يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك

كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون قل لم تؤمنوا اذ الايمان تصديق

مع ثقة وطمأنينة قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على الرسول بالاسلام و

المقاتلة كما دل عليه آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول

في السلم واظهار الشهادتين وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام ان يقول لا

استثناء من قوله فمن شرب ولا يجوز ان يكون استثناء من الموصول الثاني لانه يؤدي الى ان يكون معناه ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فانه ليس مني وهو خلاف المقصود وانما قدمت عليه اي على الاستثناء الجملة الثانية اي جملة ومن لم يطعمه فانه مني للعناية بها اي بالجملة الثانية قال بعض المتاخرين بدل قول المص للعناية بها لان مدلولها مفهوم منه بطريق الدلالة وانما ذكرت تتميما للجملة الاولى وما فيها من الترغيب الى الانتهاء بالنهي المذكور فحقها ان تذكر عقيبها قبل الاستثناء المزبور وكتب في حاشية كتابه ومن لم يتنبه لهذه الدقيقة زعم ان تقديمها لمجرد العناية اقول العناية نكتة عامة تحتها انواع ولذا قال ابن المجيد وجه العناية ان في التقديم ايذانا باتمام تتمة الجملة الاولى وان الغرض منها تاكيد الاولى وتتميمها نهيا عن الكروع من كل وجه وافادة ان المغترف ليس بذلك حكما فيوكد ترخيص الاغتراف ولو حرف لم يعد بهذه الفوائد وبعض المتاخرين ظن ان العناية نوع خاص من النكات مقابل لما ذكره وليس كذلك فان العناية والاهتمام نكتة يتضمن الانواع كما قدم الصابئون على الخبر المتعلق بالمقدم والخبر قوله من آمن منهم بالله في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى الى قوله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فان الصابئون فيه لا يجوز ان يكون معطوفا على محل اسم ان لان العطف على محل اسم ان قبل الاتيان بالخبر لا يجوز فهو مرفوع بالابتداء وخبره محذوف اي والصابئون كذلك فكان حق الكلام ان يقال ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى الى ولا خوف عليهم ثم يقال والصابئون كذلك لكن توسطت هذه الجملة بين ان وخبره للعناية تنبيها به على ان الصابئين يتاب عليهم وان كان كفرهم اغلظ بكذا الامر فيهما اذ كان حق الجملة الثانية تاخيرها عن الاستثناء ليرتبط الاستثناء بالجملة الاولى وان يقال فمن شرب منه فليس مني الا من اغترف غرفة بيده ومن لم يطعمه فانه مني اذ المطلوب ان لا يذاق من مائه وان رخص والاغتراف بالغرفة رخصة فتقدم قوله ومن لم يطعمه فانه مني لانه عزيمة وبيان حال الاخذ بالعزيمة اهم من الرخصة ومعنى الاستثناء بيان ان الاغتراف رخصة ولذلك قال والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير فمن لم يتنبه له قال ما قال اقول المص لم يذكر في تفسير الآية التي اوردنا نظيرة قراءة الرفع اي الصابئون وكلامه هنا مشعر بانه قراءة مشهورة بل القراءة منحصرة فيه فتدبر اي فكرعوا علق تفسير الشرب من النهر بالكرع بقوله اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بوسط اذ من للابتداء اعلم ان الفقهاء اختلفوا في ان من حلف ان لا يشرب من هذا النهر كيف يحنث قال بعضهم كابي حنيفة لا يحنث الا اذا كرع من النهر حتى لو اغترف بالكوز وشرب لم يحنث وقال بعضهم كابي يوسف ومحمد اذا اغترف بالكوز يحنث بما ان اللفظ اذا كان له حقيقة مستعملة ومجاز متعارف كان العمل بالحقيقة المستعملة اولى عنده من المجاز المتعارف وعندهما العمل بالمجاز المتعارف اولى فيها الا فهم الاول ففي اشارة الجواب بسؤال تقريره انك جعلت الكلام في الثاني خاصا وفي الاول اي في قوله فمن شرب منه عاما مع ان كليهما شرب مقيد وهو الشرب من النهر فاصل السؤال ان الاصل في الشرب من النهر الكرع الذي هو الشرب لا بواسطة فلم عدلت عن الاصل في قوله فمن شرب منه حيث عممت وحملت على الجنس المتناول للشرب بوسط والشرب بلا وسط والجواب بقوله ليتصل الاستثناء اي تعميم الشرب من النهر في الاول ليكون قوله الا من اغترف غرفة استثناء متصلا لان الاصل في الاستثناء الاتصال فقوم طالوت ثلث طوائف ان لا يكون كرعا والذين لم يذوقوا منه شيئا والذين اغترفوا منه غرفة حكم الاول انه ليس منه وان في من اشياعه والثالث مرخص اي فرطوا في الشرب ومعنى الافراط في الشرب انما يوخذ عن معنى الكرع الذي هو شرب البهائم سرور افندي عليه الرحمة رحم بلدة السلام حين المطالعة في بعض الايام

تاريخ سنة ١١٢٥

تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل منه الى هذا النظم
احترازا من النهي عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره
شرعا ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لقولوا فانه حال من ضميره اي ولكن
قولوا اسلمنا ولم تواطئ قلوبكم السنتكم بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص
وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم من اجورها شيئا من لات ليتا
اذا نقص وقرا البصريان لا يألتكم من الالت وهو لغة غطفان ان الله غفور
لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله
ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع
التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم
الارتياب في اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله
ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته والمجاهدة
بالاموال والانفس تصلح للعبادات المالية والبدنية باسرها اولئك هم الصادقون
الذين صدقوا في ادعاء الايمان قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه به بقولكم آمنا
والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية
وهو تجهيل لهم وتوبيخ روي انه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون
معتقدون فنزلت هذه يمنون عليك ان اسلموا يعدون اسلامهم عليك منة
وهي النعمة التي لا يستثيب موليها ممن يزلها اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود
بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي اسلامكم اي باسلامكم
فنصب بنزع الخافض او تضمين الفعل معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم ان
هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم
بالكسر واذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل
عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق الآية لطف وهو انهم لما سموا ما
صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك

بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء لما في الاية من الغيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهي خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد الكلام فيه كما مر في ص والقرآن ذي الذكر والمجيد ذو المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وامتثل احكامه مجد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم احد من جنسهم او من ابناء جلدتهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب حكاية لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعنتهم بهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده او مجملا ان كانت الاشارة الى محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله لانه ادخل في الانكار اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثاني استقصار لقدرة الله عما هو اهون مما يشاهدون من صنعه أئذا متنا وكنا ترابا اي أنرجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله ذلك رجع بعيد اي بعيد عن الوهم او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع قد علمنا ما تنقص الارض منهم ما تأكل من اجسادهم وهو رد لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ عن التغيير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب

محفوظ

محفوظ يطالعه او تأكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق يعني النبوة الثابتة بالمعجزات او النبي او القرآن لما جاءهم وقرئ لما جاءهم بالكسر فهم في امر مريج مضطرب من مرج الخاتم في اصبعه وذلك قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن افلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السماء فوقهم الى آثار قدرة الله في خلق العالم كيف بنيناها رفعناها بلا عمد وزيناها بالكواكب وما لها من فروج فتوق بان خلقها ملساء متلاصقة الطباق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر في بديع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا عن الفعل الاخير ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع فانبتنا به جنات اشجارا وثمارا وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شأنه ان يحصد كالبر والشعير والنخل باسقات طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من افعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد علة لانبتنا او مصدر فان الانبات رزق واحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا ارضا جدبة لا نماء فيها كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم احياء بعد موتكم كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون اراد اياه وقومه ليلائم ما قبله وما بعده واخوان لوط اخوانه لانهم كانوا اصهاره واصحاب الايكة وقوم تبع سبق في الحجر والدخان كل كذب الرسل اي كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه فحق وعيد فوجب وحل عليهم وعيدي وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول افعجزنا عنه بالابداء حتى نعجز عن

الاعادة من عَيِيَ بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار **بل هم في لبس**
من خلق جديد اي هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة
في خلق مستانف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شانه و
الاشعار بانه على وجه غير متعارف ولا معتاد **ولقد خلقنا الانسان ونعلم**
ما توسوس به نفسه ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة
الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة والبا مثلها
في صوت بكذا وللانسان ان جعلت مصدرية والبا للتعدية **ونحن اقرب**
اليه من حبل الوريد اي ونحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد
تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد مثل في القرب قال
والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان عرقان
مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه
وقيل سمي وريدا لان الروح ترده **اذ يتلقى المتلقيان** مقدر باذكر او متعلق
باقرب اي هو اعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى اي يتلقن الحفيظان ما يتلفظ
وفيه ايذان بانه غني عن استحفاظ الملكين فانه اعلم منهما ومطلع على ما يخفى
عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد يثبط العبد عن المعصية
وتاكيد في اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام الحجة يوم يقوم الاشهاد
عن اليمين وعن الشمال قعيد اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد كالجليس فحذف
الاول لدلالة الثاني عليه كقوله فاني وقيار بها لغريب وقيل يطلق الفعيل
للواحد والمتعدد لقوله والملائكة بعد ذلك ظهير **ما يلفظ من قول** ما يرمي
به من فيه **الا لديه رقيب** ملك يرقب عمله **عتيد** معد حاضر ولعله يكتب عليه
ما فيه ثواب او عقاب وفي الحديث كاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا
عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين عشرا واذا
عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح

كف

قوله والموت ادنى لي من الوريد • اوله
هل اعدون في معيشة رغيد • وهذا من شعر لذي الرمة
والموجود في ديوانه كما قيل • ما دون وقت الاجل
المعدود • تنقص ولا في العمر من مزيد • موعود يبصاقه
الموعود • والله ادنى لي من الوريد • والموت يلقي انفس
الشهود • وقوله والحبل العرق تفسير للمراد به هنا
لان الحبل بمعناه معروف واطلاقه على العرق بطريق
المشابهة كما يقال حبل الوريد وحبل العاتق لعرقيه
وقوله واضافته للبيان على انه مجاز عن العرق فاضافته
للبيان كشجر الاراك او لامية كما في غيره من اضافة العام
للخاص فان ابقي الحبل على حقيقته فاضافته كلجين الماء
ش

او يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وازاح
ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام
الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضي وسكرة الموت شدته الذاهبة
بالعقل والباء للتعدية كما في قولك جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت
حقيقة الامر او الموعود الحق الذي ينبغي ان يكون من الموت او الجزاء فان الانسان
خلق له او مثل الباء في تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على انها لشدتها
اقتضت الزهوق او لاستعقابها له كانها جاءت به او على ان الباء بمعنى مع
سكرة الحق سكرة الله واضافتها للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك اي الموت
ما كنت منه تحيد تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان ونفخ في الصور يعني
نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه
والاشارة الى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان
احدهما يسوقه والآخر يشهد بعمله او ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب
السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد
جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحال من كل لاضافته الى ما هو في حكم
المعرفة لقد كنت في غفلة من هذا على اضمار القول والخطاب لكل نفس اذ ما من
احد الا وله اشتغال ما عن الآخرة او للكافر فكشفنا عنك غطاءك الغطاء
الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصور
النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وقيل
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى كنت في غفلة من امر الديانة فكشفنا
عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد وقال
قرينه قال الملك الموكل عليه هذا ما لدي عتيد هذا ما هو مكتوب عندي
حاضر لدي او الشيطان الذي قيض له هذا ما عندي وفي ملكي عتيد لجهنم
هيأته لها باغوائي واضلالي وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان

عف

قوله فانه جواب محذوف دل عليه اه قيل انه تعليل لمقدمة مطوية دل عليها ما قبله وهو ان ها هنا تقاولا وفي كلامه تسامح فان قال جواب لسؤال ناش عن ذلك المحذوف يعني انه مبني على المسامحة وتنزيل منشأ السؤال منزلة السؤال نفسه وقوله دل عليه اه يعني ان الدليل على التقاول وان ثمة محذوفا هو قوله لا تختصموا وهذا القول يدل على تعيين ذلك المحذوف كما بينه في الكشاف فتأمل شهاب

قف

قوله ويجوز ان يكون بالوعيد حالا من الفاعل او المفعول والباء للملابسة او المعية والمعنى قدمت هذا القول موعدا لكم به او حالة كون القول ملتبسا بالوعيد وقوله واقعا على قوله اه يعني انه مفعول مراد به لفظه اي قدمت هذا القول

جعلت موصولة فبدلها او خبر بعد خبر محذوف القيا في جهنم كل كفار خطاب
من الله للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد وتثنية الفاعل
منزل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله * فان تزجراني يا ابن عفان انزجر
وان تدعاني احم عرضا ممنعا * او الالف بدل من نون التوكيد على اجراء الوصل مجرى
الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير
كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت
في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه عنه معتد متعد مريب شاك في الله وفي
دينه الذي جعل مع الله الها آخر مبتدأ متضمن معنى الشرط وخبره فالقياه
في العذاب الشديد او بدل من كل كفار فيكون فالقياه تكريرا للتوكيد او مفعول
لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اي الشيطان المقيض له وانما استؤنفت
كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه ربنا
ما اطغيته كان الكافر قال هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته بخلاف
الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول
اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان في ضلال بعيد فاعنته
عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الرأي مائلا الى الفجور كما قال
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال اي الله لا
تختصموا لدي اي في موقف الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استيناف مثل
الاول وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي
فلم يبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهي اي لا تختصموا عالمين باني اوعدتكم
والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا
والفعل واقعا على قوله ما يبدل القول لدي بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا
ان ابدل وعيدي وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان
دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وما انا بظلام للعبيد فاعذب من

لبس الى تعذيبه يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد سؤال

وجواب جيئ بهما للتخييل والتصوير والمعنى انها مع اتساعها يطرح فيها الجنة والناس

فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله لاملأن جهنم او انها من السعة بحيث يدخلها

من يدخلها وفيها بعد فراغ او انها من شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر

لهم والطالب لزيادتهم وقرأ نافع وابو بكر يقول بالياء والمزيد اما مصدر

كالمجيد او مفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة

اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف وازلفت الجنة للمتقين قربت لهم غير بعيد

مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف اي شيئا غير

بعيد او على زنة المصدر او لان الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون على

اضمار القول والاشارة الى الثواب او مصدر ازلفت وقرأ ابن كثير بالياء لكل اواب

رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لحدوده من خشي الرحمن بالغيب

وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون

في حكمه لان من لا يوصف به او مبتدأ خبره ادخلوها على تأويل يقال لهم ادخلوها

فان من بمعنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل او المفعول او صفة لمصدر اي خشية

ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب او العقاب بعد غيب وهو غائب

عن الاعين لا يراه احد وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم رجوا رحمته وخافوا

عقابه او بانهم يخشون خشيته مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة

اذ الاعتبار برجوعه الى الله ادخلوها بسلام سالمين من العذاب وزوال النعم او

مسلما عليكم من الله وملائكته ذلك يوم الخلود يوم تقدير الخلود لقوله

ادخلوها خالدين لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وهو ما لا يخطر ببالهم

مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكم اهلكنا قبلهم

من قرن هم اشد منهم بطشا قوة كعاد وفرعون فنقبوا في البلاد

فخرقوا في البلاد وتصرفوا فيها او جالوا في الارض كل مجال حذر الموت فالنقب

قوله والمعنى انها مع اتساعها فيكون الاستفهام

انكاريا بمعناه النفي كقوله لاملأن جهنم فان القرآن

يفسر بعضه بعضا والثاني في ان المراد الدلالة على سعتها

بحيث يدخلها من يدخلها وفيها فراغ وخلو كانه يطلب

الزيادة فالاستفهام للتقرير وعلى حقيقته لكنه

بالفرض والتقدير والثالث تمثيل لشدة غيظها وزفيرها

وبها فتنت الكفرة والعصاة وقد نهم حتى كانها

طالبة للزيادة نفعله حتى يمتلئ للشارع فتأمل

فان قلت الوجه الثاني هو كونها فيها فراغ مناف

لصحيح النظم من قوله لاملأن جهنم الاية قلت لا منافاة

بينهما كما توهم لان الامتلاء قد يراد به انه خلو طبقة

منها عمن يسكنها وان كان فيها فراغ كثير كما يقال ان

البلد مملوءة باهلها ليس فيها دار خالية مع ما بينهما

من الابنية والافضية او هذا باعتبار حالين فالفراغ

في اول دخول اهلها فيها ثم يساق اليها الشياطين

معهم فتمتلئ واما دفع المخالفة بما ورد في الحديث

من انه يضع فيها رب العزة قدمه فينزوي بعضها

الى بعض فيحصل حينئذ الامتلاء فمما لا ينبغي ذكره

لان هذا الحديث من المتشابهات التي لا بد من تأويلها

قال ابن فورك في كتاب مشكل الاحاديث والآيات انه

حديث صحيح روي عن ابي هريرة رضي الله عنه هكذا

قال ان جهنم لن تمتلئ حتى يضع الجبار قدمه فيها

فتقول قط قط وروي رجله بدل قدمه في رواية غير

صحيحة وقد اتفقوا على انه مأول فقال النضر بن شميل

ان القدم هنا الكفار الذين سبق في علمه تعالى دخولهم

النار والقدم يكون بمعنى التقديم لقوله قدم صدق

وقال ابن الاعرابي قريبا منه ايضا وقال بعضهم القدم

هنا بعض مخلوقاته او اقوام بعضهم اضيف اليه تعالى

لانه عزامره وحكمه وقيل الجبار جنس من الكفرة جبابرة

وقيل المراد بهم ابليس وشيعته فان الجبار غير مختص

بالله تعالى وكذا رواية الرجل ماولة فانها تكون بمعنى

الجماعة فلا بد من تأويله فاخذه على ظاهره ودفع المخالفة

به مما لا يليق شهاب

على الاول للتسبيب وعلى الثاني لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشيء
والبحث عنه هل من محيص اي هل لهم من الله او من الموت وقيل الضمير في نقبوا
لاهل مكة اي ساروا في اسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يتوقعوا
مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب
وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف مراكبهم
ان في ذلك اي فيما ذكر في هذه السورة لذكرى لتذكرة لمن كان له قلب اي قلب
واع يتفكر في حقائقه او القى السمع اي اصغى لاستماعه وهو شهيد حاضر بذهنه
ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفي تنكير
القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر كلا قلب ولقد
خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام مر تفسيره مرارا وما
مسنا من لغوب من تعب واعياء وهو رد لما زعمت اليهود من انه تعالى بدأ خلق العالم
يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش ٥
فاصبر على ما يقولون ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق
العالم بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه
وسبح بحمد ربك ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له
على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
يعني الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين ومن الليل فسبحه وسبحه بعض
الليل وادبار السجود واعقاب الصلاة جمع دبر من ادبرت الصلاة اذا انقضت
وقرأ الحجازيان وحمزة بالكسر وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالصلاة قبل طلوع
الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاءان والتهجد وادبار السجود النوافل
بعد المكتوبات واستمع لما اخبرك به من احوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر
به يوم ينادي المنادي اسرافيل او جبرائيل فيقول ايتها العظام البالية
واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب

بحيث

بحيث يصل نداؤه إلى الكل على السواء ولعله في الإعادة نظير كن في الإبداء ويوم نصب
بما دل عليه يوم الخروج يوم يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة النفخة الثانية
بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء ذلك يوم الخروج من القبور
وهو من أسماء يوم القيمة وقد يقال للعيد إنا نحن نحيي ونميت في الدنيا
وإلينا المصير للجزاء في الآخرة يوم تشقق تتشقق وقرأ عاصم وحمزة والكسائي
وخلف وأبو عمرو بتخفيف الشين الأرض عنهم سراعاً مسرعين ذلك حشر
بعث وجمع علينا يسير هين وتقديم الظرف للاختصاص فإن ذلك لا يتيسر إلا
على العالم القادر لذاته الذي لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا
بعثكم إلا كنفس واحدة نحن أعلم بما يقولون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتهديد لهم وما أنت عليهم بجبار بمسلط تقسرهم على الإيمان أو تفعل بهم
ما تريد وإنما أنت داع فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فإنه لا ينتفع به غيره
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة والذاريات مكية بسم الله الرحمن الرحيم وآيها ستون آية

والذاريات ذرواً يعني الرياح تذرو التراب وغيره أو النساء الولود فإنهن
يذرين الأولاد أو الأسباب التي تذري الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرأ أبو عمرو
وحمزة بإدغام التاء في الذال فالحاملات وقراً فالسحب الحاملة للأمطار أو الرياح
الحاملة للسحاب أو النساء الحوامل أو أسباب ذلك وقرئ وقراً على تسمية المحمول
بالمصدر فالجاريات يسراً فالسفن الجارية في البحر سهلاً أو الرياح الجارية في مهابها
أو الكواكب التي تجري في منازلها ويسراً صفة مصدر محذوف أي جرياً ذا يسر فالمقسمات
أمراً الملائكة التي تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها أو ما يعمهم
وغيرهم من أسباب القسمة أو الرياح يقسمن الأمطار بتصريف السحاب فإن حملت
على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الإقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت في
الدلالة على كمال القدرة وإلا فالفاء لترتيب الأفعال إذ الريح مثلاً تذرو الأبخرة

الى الجو حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجري به باسطة له الى حيث امرت به فتقسم المطر
انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم كانه استدل باقتداره
على هذه الاشيا العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود
وما موصولة او مصدرية والدين الجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك
ذات الطرايق والمراد اما الطرق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة
يسلكها النظار ويتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها طرايق او انها تزينها
كما تزين الموشى طرايق الوشي جمع حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال ومثل وقرئ
الحبك بالسكون والحبك كالابل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم
والحبك كالبرق انكم لفي قول مختلف في الرسول وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة
انه ساحر وتارة انه مجنون او في القرآن او القيمة او امر الديانة ولعل النكتة في
هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بالطرايق للسموات في
تباعدها واختلاف غاياتها يؤفك عنه من افك يصرف عنه الضمير للرسول
او القرآن او الايمان من صرف اذ لا صرف اشد منه فكانه لا صرف بالنسبة
اليه او يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول
على معنى يصدر افك من افك عن القول المختلف وبسببه كقوله ينهون عن اكل
وشرب اي يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ افك بالفتح اي من افك الناس
وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون الكذابون من
اصحاب القول المختلف واصله الدعا بالقتل اجرى مجرى اللعن الذين هم في
غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسالون ايان يوم الدين
اي فيقولون متى يوم الجزاء اي وقوعه وقرئ ايان بالكسر يوم هم على النار يفتنون
يحرقون جواب للسوال اي يقع يوم هم على النار يفتنون او هو يوم هم على النار
يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع ذوقوا
فتنتكم اي مقولا لهم هذا القول هذا الذي كنتم به تستعجلون هذا العذا

هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم والذي صفته
ان المتقين في جنات وعيون اخذين ما اتاهم ربهم قابلين لما اعطاهم راضين
به ومعناه ان كل ما اتاهم حسن مرضي متلقى بالقبول انهم كانوا قبل ذلك
محسنين قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك كانوا قليلا من الليل
ما يهجعون تفسير لاحسانهم وما مزيدة اي يهجعون في طائفة من الليل او
هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة اي في قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون
فيه ولا يجوز ان يكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل
نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت السبات والهجوع الذي هو
الغرار من النوم وزيادة ما وبالاسحار هم يستغفرون اي انهم مع قلة هجوعهم
وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وفي
بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه
وفي اموالهم حق نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس
للسائل والمحروم للمستجدي والمتعفف الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة وفي
الارض ايات للموقنين اي فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان او وجوه دلالات
من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزائها في الكيفيات
والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط
رحمته وفي انفسكم اي وفي انفسكم ايات اذ ما في العالم شيء الا وفي الانسان له
نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات
العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع
الكمالات المتنوعة افلا تبصرون تنظرون نظر من يعتبر وفي السماء رزقكم
اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات
وما توعدون من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها
مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مستأنف خبره فورب السماء والارض انه

لحق وعلى هذا فالضمير لما وعلى الأول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من الآيات والرزق
والوعد مثل ما انكم تنطقون اي مثل نطقكم كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون
ينبغي ان لا تشكوا في تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن في لحق او الوصف
لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى
غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شيء وان بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع
على انه صفة لحق ويؤيده قراءة حمزة والكسائي وابي بكر بالرفع هل اتاك حديث
ضيف ابراهيم فيه تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه اوحي اليه والضيف في الاصل
مصدر ولذلك يطلق للواحد والمتعدد قيل كانوا اثني عشر ملكا وقيل ثلاثة
جبرئيل وميكائيل واسرافيل وسماهم لانهم كانوا في صورة الضيف المكرمين
اي المكرمين عند الله او عند ابراهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته اذ دخلوا عليه
ظرف للحديث او للضيف او المكرمين فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما
قال سلام اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى تكون
تحيته احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرأ حمزة والكسائي قال سلم وقرئ منصوبا
والمعنى واحد قوم منكرون اي انتم قوم منكرون وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو آدم
ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرف
عنهم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيفه فان من ادب المضيف
ان يبادر بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف ويصير منتظرا فجاء بعجل
سمين لانه كان عامة ماله البقر فقربه اليهم بان وضعه بين ايديهم
قال الا تاكلون اي منه وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث
على الاكل على طريقة الادب ان قاله اول ما وضعه وللانكار ان قاله حينما
رأى اعراضهم فاوجس منهم خيفة فاضمر منهم خوفا لما رأى اعراضهم عن
طعامه لظنه انهم جاؤوه لشر وقيل وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب
قالوا لا تخف انا رسل الله قيل مسح جبرئيل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق

بانه

بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه بغلام هو اسحق عليم يكمل علمه اذا بلغ
فاقبلت امرأته سارة الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم في صرة صيحة
من الصرير ومحله النصب على الحال او المفعول ان اول فاقبلت باخذت فصكت
وجهها فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم
الحيض فلطمت وجهها من الحياء وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف
الد قالوا كذلك مثل ذلك الذي بشرنا به قال ربك وانما نخبرك به عنه
انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله محكما قال فما خطبكم
ايها المرسلون لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم
سأل عنه قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل
عليهم حجارة من طين يريد السجيل فانه طين متحجر مسومة مرسلة من
اسمت الماشية او معلمة من السومة وهي العلامة عند ربك للمسرفين
المجاوزين الحد في الفجور فاخرجنا من كان فيها في قرى قوم لوط واضمارها
وان لم يجر ذكرها لكونها معلومة من المؤمنين ممن آمن بلوط فما وجدنا
فيها غير بيت من المسلمين غير اهل بيت من المسلمين واستدل به على اتحاد
الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضي الا صدق المؤمن والمسلم
على من اتبعه وذلك لا يقتضي اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات
المختلفة على ذات واحدة وتركنا فيها آية علامة للذين يخافون العذاب
الاليم فانهم المعتبرون بها وهي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء اسود
منتن وفي موسى عطف على وفي الارض او وتركنا فيها على معنى وجعلنا
في موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان
مبين هو معجزاته كاليد والعصا فتولى بركنه فاعرض عن الايمان كقوله
ونأى بجانبه او فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه
الشيء ويتقوى به وقرئ بضم الكاف وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون

كانه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد في انه حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فاغرقناهم في البحر وهو مليم آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن منفعة وهي الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر من شيء اتت عليه مرت عليه الا جعلته كالرميم كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة اي العذاب بعد الثلاث وقرأ الكسائي الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين منه وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او اذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل في عاد ويؤيده قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي بالجر من قبل من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان والسماء بنيناها بايد بقوة وانا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها ليستقروا عليها فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شيء من الاجناس خلقنا زوجين نوعين لعلكم تذكرون فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام ففروا الى الله من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة اني لكم منه اي من عذابه المعد لمن اشرك وعصى نذير مبين بين كونه منذرا من الله بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر عنه ولا تجعلوا مع الله الها

آخر

اخر افرادا لاعظم ما يجب ان يفرّ منه انى لكم منه نذير مبين تكرير للتأكيد
او الاول مرتّب على ترك الايمان والطاعة والثانى على الاشراك كذلك اى
الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا
وقوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون
كالتفسير له ولا يجوز نصبه باتى وما يفسّره لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما
قبلها اتواصوا به اى كان الاولين والآخرين منهم اوصى بعضهم بعضا
بهذا القول حتى قالوه جميعا بل هم قوم طاغون اضراب عن ان التواصى
جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم فى
الطغيان الحامل عليه فتولّ عنهم فاعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت
عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد فما انت بملوم على الاعراض
بعد ما بذلت جهدك فى البلاغ وذكّر ولا تدع التذكير والموعظة فان الذكرى
تنفع المؤمنين من قدّر الله ايمانه او من آمن فانه يزداد بها بصيرة
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لما خلقهم على صورة متوجهة الى
العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيّا بها مبالغة فى ذلك ولو حمل على ظاهره
مع ان الدليل يمنعه لنافى ظاهر قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس
وقيل معناه الا لآمرهم بالعبادة او ليكونوا عبادا لى ما اريد منهم من رزق
وما اريد ان يطعمون اى ما اريد ان اصرفكم فى تحصيل رزقى فاشتغلوا
بما انتم كالمخلوقين له والمأمورين به فالمراد ان يبين ان شأنه مع عباده
ليس شأن السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل
معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسألكم عليه اجرا
ان الله هو الرزاق الذى يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه
عنه وقرئ انى انا الرزاق ذو القوة المتين شديد القوة وقرئ المتين بالجر
صفة للقوة فان للذين ظلموا ذنوبا اى للذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم

كط

قوله ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك
اي على وقوع العذاب من غير دافع له فان قلت القسم
في امثاله مناسب للمقسم عليه كما مر والدال على كمال القدرة
السماء والبحار والجبال المذكورة لا البيت المعمور وان
صح فلا حاجة الى ما تكلف له من غير داع وكمال الحكمة يدل عليه
كل ذلك ايضا لما في عجائب تلك المصنوعات من الحكم المشاهدة
وصدق اخباره لكون البيت معمورا كما اخبر بالحجاج
والمجاورين الى يوم الدين وضبط الاعمال لكتابتها في صحف
الاعمال واللوح المحفوظ وهذا كله يدل على ما ذكر من الوقوع
وانه كائن غير مدفوع شهاب

بالتكذيب نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم مثل نصيب نظرائهم
من الامم السالفة وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب
هو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون من يوم القيمة او يوم بدر عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة والطور مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي تسع واربعون آية

والطور يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى كلام الله والطور
بالسريانية الجبل او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض المواد او من عالم الغيب الى
عالم الشهادة وكتاب مسطور مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة
والمراد به القرآن او ما كتبه الله في اللوح المحفوظ او الواح موسى او في قلوب
اوليائه من المعارف والحكم او ما تكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد
الذي يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما
ليسا من المتعارف فيما بين الناس والبيت المعمور يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج
والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة
او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص والسقف المرفوع يعني السماء
والبحر المسجور اي المملوء وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت روي
ان الله يجعل يوم القيمة البحار نارا تسجر بها جهنم او المختلط من السجير وهو الخليط
ان عذاب ربك لواقع لنازل ماله من دافع يدفعه ووجه دلالة هذه الامور
المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله وحكمته وصدق اخباره وضبط
اعمال العباد للمجازاة يوم تمور السماء مورا تضطرب والمور تردد في المجيء والذهاب وقيل
تحرك في تموج ويوم ظرف وتسير الجبال سيرا اي تسير عن وجه الارض فتصير هباء
فويل يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك فويل لهم الذين هم في خوض يلعبون
اي في الخوض في الباطل يوم يدعون الى نار جهنم دعا يدفعون اليها بعنف وذلك

بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ
يُدعَون من الدعاء فيكون دعًّا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور او ظرف
لقول مقدر محكيه هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي فيقال لهم ذلك افسحر
هذا اي كنتم تقولون للوحي هذا سحر افهذا المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر لانه
المقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم لا تبصرون هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون في الدنيا
ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم
حين قلتم انما سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي ادخلوها
على اي وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها سواء عليكم اي الامران
الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء
واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيان في عدم النفع ان المتقين في جنات
ونعيم في اية جنات واي نعيم او في جنات ونعيم مخصوصة بهم فاكهين ناعمين
بما آتاهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو ووقاهم ربهم
عذاب الجحيم عطف على آتاهم ان جعلت ما مصدرية او في جنات او حال باضمار قد
من المستكن في الظرف او الحال من فاعل آتى او مفعوله او منهما كلوا واشربوا
هنيئا اي اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه
بما كنتم تعملون بسببه او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هنأكم
ما كنتم تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم
بحور عين الباء لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى
صيرناهم ازواجا بسببهن او لما في التزويج من معنى الالصاق والقرن ولذلك
عطف والذين آمنوا على حور اي قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين وقيل
انه مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله واتبعتهم ذريتهم بايمان اعتراض للتعليل
وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم بالجمع وضم التاء للمبالغة في كثرتهم والتصريح
بان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم

تابعين لهم في الايمان وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم
او الاشعار بانه يكفي للالحاق المتابعة في اصل الايمان الحقنا بهم ذرياتهم في
دخول الجنة او الدرجة لما روي انه عم قال ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته
وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية وقرا نافع وابن عامر والبصريان
ذرياتهم وما التناهم وما نقصناهم من عملهم من شيء بهذا الالحاق فانه
كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الآباء باعطاء الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ان
يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرا ابن كثير بكسر اللام من الت
يألت وعنه لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت ولتناهم من ولت
يلت ومعنى الكل واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله فان عمل
صالحا فكها والا اهلكها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اي وزدناهم
وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع التنعم يتنازعون فيها يتعاطون هم
وجلساؤهم بتجاذب كاسا خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث الضمير في قوله
لا لغو فيها ولا تاثيم اي لا يتكلمون بلغو الحديث في اثناء شربها ولا يفعلون
ما يؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول
وقراهما ابن كثير والبصريان بالفتح ويطوف عليهم اي بالكاس غلمان لهم
اي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كانهم لؤلؤ مكنون
مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عم والذي نفسي بيده ان فضل
المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب واقبل بعضهم
على بعض يتساءلون يسال بعضهم بعضا عن احواله واعماله قالوا انا كنا
قبل في اهلنا مشفقين خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين
من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة والتوفيق ووقانا عذاب السموم عذاب
النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد انا كنا من قبل
من قبل ذلك في الدنيا ندعوه نعبده او نسأله الوقاية انه هو البر المحسن

وقرأ نافع والكسائي بفتح همزة أنه الرحيم الكثير الرحمة فذكر فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم فما انت بنعمة ربك بحمد الله وانعامه بكاهن ولا مجنون كما يقولون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي أم تأمرهم احلامهم عقولهم بهذا التناقض في القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون وامر الاحلام به مجاز عن ادائها اليه أم هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد وقرئ بل هم أم يقولون تقوّله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن ان كانوا صادقين في زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدّوا فصحاء فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدي ويجوز ان يكون ردا للتقول فان سائر الاقسام ظاهر الفساد أم خلقوا من غير شيء من غير محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه او من اجل لا شيء من عبادة ومجازاة أم هم الخالقون يؤيد الاول فان معناه أم خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله أم خلقوا السموات والارض وام في هذه الآي منقطعة ومعنى الهمزة فيها للانكار بل لا يوقنون اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته أم عندهم خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته حكمته أم هم المصيطرون الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤوا أم لهم سلم مرتقى الى السماء يستمعون فيه صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه أم له البنات ولكم البنون فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رأيه لا يعد من العقلاء فضلا ان يترقى بروحه الى عالم

الملكوت فيطلعوا على الغيوب ام تسالهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم من مغرم
من التزام غرم مثقلون يحملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك ام عندهم
الغيب اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فهم يكتبون منه ام يريدون كيدا
وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم فالذين كفروا يحتمل
العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة
على انه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون هم الذين يحيق بهم الكيد او يعود عليهم
وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ام لهم
اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون عن اشراكهم
او شركة ما يشركونه به وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا يقولوا
من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم هذا سحاب تراكم بعضه على بعض وهو
جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه
يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرا ابن عامر وعاصم يصعقون
على المبني للمفعول من صعقه او اصعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي شيئا
من الاغناء في رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله وان للذين
ظلموا يحتمل العموم والخصوص عذابا دون ذلك اي دون عذاب الاخرة
وهو عذاب القبر او المواخذة في الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين ولكن
اكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك بامهالهم وابقائك في عنائهم فانك باعيننا
في حفظنا بحيث نراك ونكلاك وجمع العين لجمع الضمير وللمبالغة بكثرة اسباب
الحفظ وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مكان قمت او من منامك او الى الصلاة
ومن الليل فسبحه فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الريا ولذلك افرده
بالذكر وقدمه على الفعل وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من اخر الليل وقرئ بالفتح
اي في اعقابها اذا غربت او خفيت وعنه عليه السلام من قرا سورة الطور كان
حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

سورة النجم مكية وآيها احدى او اثنتان وستون آية بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اذا هوى اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه غلب فيه اذا غرب او انتثر
يوم القيمة او انقض او طلع فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وهويا
بالضم اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القرآن اذا انزل او النبات اذا سقط على
الارض واذا نما وارتفع على قوله ما ضل صاحبكم ما عدل محمد عم عن الطريق
المستقيم والخطاب لقريش وما غوى وما اعتقد باطلا والمراد نفي ما ينسبون
اليه وما ينطق عن الهوى وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى ان هو ما القرآن او
الذي ينطق به الا وحي يوحى الا وحي يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد
له واجيب عنه بانه اذا اوحى اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه
وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ بالوحي لا الوحي علمه شديد القوى ملك شديد قواه
وهو جبريل فانه الواسطة في ابداء الخوارق روي انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى
السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين ذو مرة حصافة في عقله
ورأيه فاستوى فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها قيل ما
رآه احد من الانبياء في صورته غير محمد عم مرتين مرة في السماء ومرة في الارض وقيل
استولى بقوته على ما جعل له من الامر وهو بالافق الاعلى افق السماء والضمير
لجبريل ثم دنى من النبي صلى الله عليه وسلم فتدلى فتعلق به وهو تمثيل لعروجه
بالرسول صلى الله عليه وسلم وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا من الرسول صلى الله عليه وسلم
فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله وتقرير لشدة قوته فان التدلي
استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجله من السرير وادلى دلوه والدلو
الثمر المعلق فكان جبريل كقولك هو مني معقد الازار والمسافة بينهما قاب
قوسين مقدارهما او ادنى على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة
الاتصال وتحقيق استماعه لما يوحى اليه بنفي البعد الملبس فاوحى جبريل الى عبده
عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها ما اوحى جبريل وفيه

للوحي به او الله اليه وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعني بشديد القوى كما في قوله
هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره
الى جناب القدس ما كذب الفؤاد ما رأى ما رأى ببصره من صورة جبريل او الله
تعالى اي ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب
ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا
لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره او ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا
ويدل عليه انه عليه السلام سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي وقرئ
ما كذب اي صدقه ولم يشك فيه أفتمارونه على ما يرى افتجادلونه عليه من المراء
وهو المجادلة واشتقاقه من مري الناقة فان كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه
وقرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب افتمرونه اي افتغلبونه في المراء من ماريته
فمريته او افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة
فان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم ولقد رآه نزلة اخرى
مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية
في هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو والكلام في المرئي والدنو ما سبق وقيل
تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة عن
المرة الاخيرة عند سدرة المنتهى التي ينتهي اليها علم الخلائق واعمالهم او ما
ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق
لانهم يجتمعون في ظلها وروي مرفوعا انها في السماء السابعة عندها جنة
المأوى التي يأوي اليها المتقون او ارواح الشهداء اذ يغشى السدرة ما يغشى
تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها
الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عما رآه وما طغى وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا
او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها وما جاوزها لقد رأى والله لقد رأى

من آيات ربه الكبرى اي والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية و
الملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما رأى ويجوز ان تكون الكبرى صفة
للآيات على ان المفعول محذوف اي شيئا من آيات ربه او من مزيدة افرأيتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف
او لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها اي يطوفون وقرأ
هبة الله عن البزي ورويس عن يعقوب اللات بالتشديد على انه سمي به لانه صورة
رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها
فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها واصلها تأنيث
الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف وهي فعلة من مناه اذا قطعه
فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرئ مناءة مفعلة من النوء
فانهم كانوا يستمطرون الانواء عندها تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان
للتأكيد كقوله يطير بجناحيه او الاخرى من التأخر في الرتبة ألكم الذكر وله الانثى
انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته او
هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله افرأيتم تلك اذا قسمة ضيزى جائرة
حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه
لتسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يأت وصفا وقرأ ابن كثير بالهمز
من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ان هي الا اسماء الضمير للاصنام اي
ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها عليها لانكم تقولون انها آلهة
وليس فيها شيء من معنى الالوهية او للصفة التي تصفونها بها من كونها آلهة وبنات
وشفعاء او للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها
العكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب
اليها بالقرابين سميتموها انتم سميتم بها وآباؤكم بهواكم ما انزل الله
بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون وقرئ بالتاء الا الظن

قوله الا توهم اشارة الى ان الظن ليس بمعنى الطرف الراجح بل المرجوح وهو التوهم

الا توهم ان ما هم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا وما تهوى الانفس وما تشتهيه
انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول والكتاب فتركوه ام للانسان
ما تمنى ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه والمراد
نفي طمعهم في شفاعة الآلهة وقولهم لئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقولهم
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ونحوها فلله الآخرة والاولى
يعطي منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما وكم من
ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم
شيئا ولا تنفع الا من بعد ان ياذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء من الملائكة
ان تشفع او من الناس ان يشفع له ويرضى ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام
لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة اي كل واحد منهم
تسمية الانثى بان سموه بنتا وما لهم به من علم اي بما يقولون وقرئ بها اي
بالملائكة او التسمية ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا
فان الحق الذي هو حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له في المعارف
الحقيقية وانما العبرة به في العمليات وما يكون وصلة اليها فاعرض عن من
تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا فاعرض عن دعوته والاهتمام بشأنه
فان من غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى
همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك اي امر الدنيا
او كونها شهية مبلغهم من العلم لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور
هممهم بالدنيا وقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن
اهتدى تعليل للامر بالاعراض اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب
نفسك في دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت ولله ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا ليجزي الذين اساؤا بما عملوا بعقاب ما عملوا
من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله اي خلق

قوله من يجيب ممن لا يجيب قيل عليه الصواب تاخير الحال عن مفعول نعلم اذ المعنى ما يعلم الله الا من يجيب ممن لا يجيب وهو بمعزل عن الصواب الا ان يقال انه قدم لئلا يتوهم انه مفعول لا يجيب وهو على نية التاخير ولا يخفى انما نكر من التقديم والتاخير لا يرضاه الا ذو التقصير وعبارته في الكشاف انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب وانت لا تعلم فنعمه اللهم مع اختصار وتحول فيه والعلم في مثله بمعنى التمييز كما اشار اليه شارح الكشاف فلذا تعلقت به من وحينئذ يجوز ان يكون المعنى اعلم بما تقه تمييز من يجيب من غيره تمييز الضال من المهتدي لا تمييز السالك على الدعوة الحريص على اتباع من دعاه من غيره وحاصله ما عليك الا البلاغ وهذا لا يخلو من التعقيد ولو قيل فيه تقدير واصل المعنى يعلم الله ليتميز من يجيب ممن لا يجيب كان اسهل وباب التقدير باب واسع وقوله يجيب ولا يجيب تفسير لضل واهتدى وعبر بالمضارع اشارة الى انه مستعمل ذلك في المستقبل وانه عبر عنه بالماضي في النظم لتحقق وقوعه كما هو العادة الجارية في اخبار الله تعالى كما مر

العالم وسواه للجزاء او ميّز الضال عن المهتدي وحفظ احوالهم لذلك ويجزي
الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او باحسن من اعمالهم
او بسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب
وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحد وقرا حمزة والكسائي
كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا
الا اللمم الا ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبي الكبائر والاستثناء منقطع
ومحل الذين النصب على الصفة او المدح او الرفع على انه خبر محذوف ان ربك
واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر او له ان يغفر ما يشاء من
الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا
ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى هو اعلم
بكم اعلم باحوالكم منكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم
علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم وحينما
في الارحام فلا تزكوا انفسكم فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة
عن المعاصي والرذائل هو اعلم بمن اتقى فانه يعلم التقي وغيره منكم قبل
ان يخرجكم من صلب آدم عليه السلام افرأيت الذي تولى عن اتباع الحق والثبات
عليه واعطى قليلا واكدى وقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية
وهي الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر على انها نزلت في الوليد بن المغيرة
كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال تركت دين
الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه
بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقي اعنده علم الغيب
فهو يرى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم
الذي وفى وفر واتم ما التزمه وامر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه
بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبريل حين

قوله وانا ماجاء في الاخبار الخ جواب عما قيل من ان الحج عن الميت والصدقة عنه ينفعانه وليس ذلك من سعيه فكيف التوفيق بينه وبين الحصر الذي في هذه الاية بان الغير لما نواه له صار بمنزلة الوكيل عنه القائم مقامه شرعا فكانه بسعيه وهذا لا يتأتى الا بطريق عموم المجاز عندنا او جواز الجمع بين الحقيقة والمجاز وعند المصنف لا يخفى وقد اجيب بان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي نفسه من الايمان والعمل الصالح فكانه سعيه وفيه نظر وكذا تضعيف الثواب كما في الكشاف فانه بناء في القصر على سعيه وحده والجواب عنه يعلم مما عرفته فتأمل واما قراءة القرآن للميت ونحوه فقال جماعة لا يصل ثوابها له وقيل انه يصل وقيل يصل له اذا وهب ثوابه له فينبغي ان يقول بعده اللهم اني وهبت ثواب ما قرأته لفلان اللهم فاوصله له ثم ان ما ذكره لا يرد في الاعمال كلها والوارد في الاحاديث الصحيحة في الحج والصدقة واختلف في قراءة القرآن ولا يجري في الصلاة والصوم وما وقع في الهداية من كتاب الحج من ان الاصل فيه صحة جعل الانسان ثواب عمله لغيره ولو صلاة وصوما وانه مذهب اهل السنة يحتاج الى التحرير وتحرير محل الخلاف في العبادة البدنية هل تقبل النيابة فتسقط عن لزمته بفعل غيره سواء كان باذنه ام لا بعد حياته ام لا فهذا وقع في الحج كما ورد في الاحاديث الصحيحة اما الصوم فلا وما ورد في حديث من مات وعليه صيام صام عنه وليه وكذا غيره من العبادات فقال الطحاوي في الآثار انه كان في صدر الاسلام ثم نسخ وليس الكلام في الفدية واطعام الطعام فانه بدل وكذا اهداء الثواب سواء كان بعينه او مثله فانه دعاء وقبوله بفضله تعالى كالصدقة عن الغير فاعرفه شهاب

يلقى في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهي التورية كانت اشهر واكثر عندهم الا تزر وازرة وزر اخرى ان هي المخففة من الثقيلة وهي بما بعدها في محل الجر بدلا من ما في صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كانه قيل ما في صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا وقوله عليه السلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى الا سعيه اي كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جاء في الاخبار من ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنائب عنه ثم يجزاه الجزاء الاوفى اي يجزى العبد سعيه بالجزاء الاوفى فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدرا وان يكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله وان الى ربك المنتهى انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع عما في الصحف وكذلك ما بعده وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيى لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله على سبيل العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق في الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى اذا قدر وان عليه النشأة الاخرى الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشأ وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهو ما يتأثل من الاموال وافرادها لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية وانه هو رب الشعرى يعني العبور وهي اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول عليه السلام وخالف قريشا في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول ابن ابي كبشة

ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه السلام وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم
خالفه ايضا في عبادتها وانه اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اولى الامم
هلاكا بعد نوح وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عادا
لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وعاد لولى بادغام التنوين
في اللام وثمودا عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرأ عاصم وحمزة
بغير تنوين ويقفان بغير الف والباقون بالتنوين ويقفون بالالف فما ابقى
الفريقين وقوم نوح ايضا معطوف عليه من قبل من قبل عاد وثمود
انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه
ويضربونه حتى لا يكون به حراك والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي
انقلبت وهي قرى قوم لوط اهوى بعد ان رفعها فقلبها فغشاها ما غشى
فيه تهويل وتعميم لما اصابهم
فباي آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب للرسول او لكل احد والمعدودات وان كانت نعما ونقما
سماها آلاء من قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء
والمؤمنين هذا نذير من النذر الاولى هذا القرآن انذار من جنس الانذارات
المتقدمة او هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين ازفت الآزفة
دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله اقتربت الساعة ليس لها من
دون الله كاشفة ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا
يكشفها او الآن بتاخيرها الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع
عليه سواه او ليس لها كشف من غير الله على انها مصدر كالعافية افمن هذا الحديث
يعني القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون تحزنا على
ما فرطتم وانتم سامدون لاهون او مستكبرون من سمد البعير في مسيره
اذا رفع رأسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء
فاسجدوا لله واعبدوا اي واعبدوه دون الآلهة عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

وانه اهلك عادا الاولى وهم قوم هود عليه السلام
اهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عادا الاخرى
وقيل الاخرى ارم وقيل كل آبائها يعني اول الخلق
هلاكا بعد قوم نوح عليه السلام من تفسير ابن الخازن

مكية وآيها خمس وخمسون استثنى منها بعضهم [illegible]

سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم القيمة ويؤيد الاول انه قرئ وقد انشق القمر اى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر وان يروا آية يعرضوا عن تأملها والايمان بها ويقولوا سحر مستمر مطرد وهو يدل على انهم رأوا قبله آيات اخر مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم من المرة يقال امررته اذا احكمته فاستمر او مستبشع من استمر اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى وكذبوا واتبعوا اهواءهم وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضي للاشعار بانهما من عادتهم القديمة وكل امر مستقر منته الى غاية من خذلان او نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة فان الشيء اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح اى ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة ولقد جاءهم في القرآن من الانباء انباء القرون الخالية او انباء الآخرة ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغام حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر محذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فانها موصولة او مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي او استفهام انكار اي فاي غناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك بان الانذار لا يغني فيهم يوم يدع الداع اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر الى شيء نكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول القيمة وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى أنكر خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث اى يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول

[illegible]

قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وصف التأبيد فيه كما في شرح الآثار للطحاوي انه دليل على انشقاق في الدنيا لان الآيات انما تكون قبل يوم القيامة لقوله وما نرسل بالآيات الا تخويفا نعوذ بالله من خلاف الصحابة والاستكبار عن اتباع مناهجهم كما قال تعالى ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون الآية انتهى ولو لم يكن الانشقاق من جنس الآيات لم يكن هذا القول مناسبا للمقام كما قيل وضعف لانه لو كانت هذه الجملة حالية والمعنى ان الساعة اقتربت وانشقاق القمر فيها دنا زمانه وظهرت آثاره والحال انهم مصرون على العناد كان منتظما اتم انتظام ولا ضرورة سوى مخالفة المنقول عن السلف في تفسيره هاهنا مثل [illegible]

قوله منته الى غاية ظاهره انه على العموم لا خصوص بامر النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل لكنه هو المقصود منه ردا على الكفار في تكذيبهم ويجوز تخصيصه بامر النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره من الناس وعلى التعميم هو تذييل لما هو كالمثل ولو ابقي على عمومه للعقلاء وغيرهم كان وجها آخر وهو المذكور في الكشاف في مقابلة [illegible] وقوله فان الشيء بيان للتلازم بين الانتهاء والاستقرار حتى يكون الثاني كناية عن الاول او مجازا والصحة ارادة معناه الحقيقي فلا وجه لما قيل من انه بيان للعلاقة المصححة للتجوز وليس هذا منافيا لقوله وكل شيء بلغ الحد انتهى فانه مقام آخر غير ما نحن فيه فتدبر

[illegible]

وإفراده وتذكيره لأن فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرئ خاشعة على
الأصل وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وعاصم خشعاً وإنما حسن ذلك ولا يحسن
مررت برجال قائمين غلمانهم لأنه ليس على صيغة تشبه الفعل وقرئ خشّع أبصارهم
على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالاً كأنهم جراد منتشر في الكثرة والتموج
والانتشار في الأمكنة مهطعين إلى الداع مسرعين مادّي أعناقهم إليه
أو ناظرين إليه يقول الكافرون هذا يوم عسر صعب كذبت قبلهم
قوم نوح قبل قومك فكذبوا عبدنا نوحاً وهو تفصيل بعد إجمال وقيل
معناه كذبوه تكذيباً على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب أو كذبوه
بعد ما كذبوا الرسل وقالوا مجنون هو مجنون وازدجر وزجر عن التبليغ
بأنواع الأذية وقيل إنه من جملة قيلهم أي هو مجنون وقد ازدجرته الجن
وتخبطته فدعا ربه أني بأني وقرئ بالكسر على إرادة القول مغلوب غلبني
قومي فانتصر فانتقم لي منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد روي أن الواحد
فقد روي أن الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشياً عليه فيفيق
اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر منصب
وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب
ففتّحنا بالتشديد لكثرة الأبواب وفجرنا الأرض عيوناً وجعلنا الأرض
كلها كأنها عيون متفجرة وأصله وفجرنا عيون الأرض فغير للمبالغة فالتقى
الماء ماء السماء والأرض وقرئ الماءان لاختلاف النوعين والماوان بقلب
الهمزة واواً على أمر قد قدر على حال قدرها الله في الأزل من غير تفاوت أو على
حال قدرت وسويت وهو أن قدر ما أنزل على قدر ما أخرج أو على أمر قدره
الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه على ذات ألواح ذات أخشاب
عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهي
صفة للسفينة أقيمت مقامها من حيث إنها شرح لها تؤدي مؤداها تجري

بأعيننا بمرأى منا أي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر أي فعلنا ذلك
جزاء لنوح لأنه نعمة كفروها فإن كل نبي نعمة من الله ورحمة على أمته ويجوز
أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل إلى الضمير، وقرئ لمن كفر أي للكافرين ولقد
تركناها أي السفينة أو الفعلة آية يعتبر بها إذ شاع خبرها واشتهر فهل
من مدكر معتبر، وقرئ مذتكر على الأصل ومذكر بقلب التاء ذالا والإدغام فيها
فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم ووعيد، والنذر يحتمل المصدر
والجمع ولقد يسرنا القرآن سهلناه أو هيأناه من يسر ناقته للسفر إذا
رحلها للذكر للادكار والاتعاظ بأن صرفنا فيه أنواع المواعظ والعبر أو
للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل من مدكر متعظ كذبت عاد فكيف
كان عذابي ونذر وإنذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله أو لمن بعدهم في تعذيبهم
إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا باردا أو شديد الصوت في يوم نحس شؤم
مستمر شؤمه أو استمر عليهم حتى أهلكهم أو على جميعهم كبيرهم وصغيرهم
فلم يبق منهم أحدا أو اشتد مرارته وكان يوم الأربعاء آخر الشهر تنزع الناس
تقلعهم روي أنهم دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم
الريح منها وصرعتهم موتى كأنهم أعجاز نخل منقعر أصول نخل منقلع عن
مغارسه ساقط على الأرض، قيل شبهوا بالأعجاز لأن الريح طيرت رؤوسهم وطرحت
أجسادهم، وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتأنيث في قوله أعجاز نخل خاوية
للمعنى فكيف كان عذابي ونذر كرره للتهويل، وقيل الأول لما حاق بهم في
الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة كما قال أيضا في قصتهم لنذيقهم عذاب
الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل
من مدكر كذبت ثمود بالنذر بالإنذارات أو المواعظ أو الرسل فقالوا
أبشرا منا من جنسنا أو من جملتنا لا فضل له علينا، وانتصابه بفعل يفسره
ما بعده، وقرئ بالرفع على الابتداء والأول أوجه للاستفهام واحدا منفردا

لا تبع له أو من آحادهم دون أشرافهم نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر كأنهم
عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم إياه ما رتبه على ترك اتباعهم له، وقيل السعر
الجنون ومنه ناقة مسعورة أألقي الذكر الكتاب والوحي عليه من بيننا وفينا
من هو أحق منه بذلك بل هو كذاب أشر حمله بطره على الترفع علينا بادعائه
سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة من الكذاب الأشر الذي
حمله أشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل أصالح أم من كذبه، وقرأ
ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات أو حكاية ما أجابهم به صالح
وقرئ الأشر كقولهم حذر في حذر والأشر أي الأبلغ في الشرارة وهو أصل
مرفوض كالأخير إنا مرسلو الناقة مخرجوها وباعثوها فتنة لهم امتحانا لهم
فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على أذاهم ونبئهم أن
الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم، وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب
محتضر يحضره صاحبه في نوبته أو يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم
قدار بن سالف أحيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطي قتلها فقتلها
والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر إنا أرسلنا عليهم
صيحة واحدة صيحة جبريل فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المتكسر
الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لأجلها أو كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب
الحظيرة لماشيته في الشتاء، وقرئ بفتح الظاء أي كهشيم الحظيرة أو الشجر
المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر
إنا أرسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة أي ترميهم إلا آل لوط
نجيناهم بسحر في سحر وهو آخر الليل أو مسحرين نعمة من عندنا إنعاما منا
وهو علة لنجينا كذلك نجزي من شكر نعمتنا بالإيمان والطاعة ولقد أنذرهم
لوط بطشتنا أخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين
ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا أعينهم فمسخناها

قوله وهكذا تكرير قوله فباي آلاء ربكما تكذبان استعطافا ... في سورة الرحمن يعني تكريره لما في جملة قبله عما هو نعمة صريحة او ضمنية فكرر ذلك للتنبيه والايقاظ قال علم الهدى في الدرر والغرر التكرار في سورة الرحمن انما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المعدودة فكلما ذكر نعمة انعم بها وبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره الم احسن اليك بان خولتك بالاموال الم احسن اليك بان فعلت بك كذا وكذا فيحسن فيها التكرير لاختلاف ما يقرره وهو كثير في كلام العرب واشعارهم كقول مهلهل يرثي كليبا

على ان ليس عدلا من كليب • اذا ما ضيم جيران المجير •
على ان ليس عدلا من كليب • اذا رجف العضاة من الدبور •
على ان ليس عدلا من كليب • اذا خرجت مخباة الخدور •
على ان ليس عدلا من كليب • اذا ما اعلنت نجوى الامور •
على ان ليس عدلا من كليب • اذا خيف المخوف من الثغور •
على ان ليس عدلا من كليب • غداة تلاتل الامر الكبير •
على ان ليس عدلا من كليب • اذا ما خار جار المستجير •

ثم انشد قصائد اخرى على هذا النمط ولولا خوف الملل لاوردتها فاعرفه من لطائف العرب

وسويناها بسائر الوجه روي انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل صفقة
فاعماهم فذوقوا عذابي ونذر فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة او ظاهر
الحال ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول
نهار معين عذاب مستقر يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار فذوقوا عذابي
ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كرر ذلك في كل قصة اشعارا
بان تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار
والاتعاظ واستينافا للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا
تكرير قوله فباي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما ولقد
جاء آل فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك كذبوا
باياتنا كلها يعني الايات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر
لا يعجزه شيء أكفاركم يا معشر العرب خير من اولئكم الكفار المعدودين
قوة وعدة او مكانة ودينا عند الله ام لكم براءة في الزبر ام نزل لكم في الكتب
السماوية ان من كفر منكم فهو في امان من العذاب ام يقولون نحن جميع جماعة
امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر
ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجميع سيهزم الجمع ويولون الدبر
اي الادبار وافراده لارادة الجنس او لان كل واحد يولي دبره وقد وقع ذلك يوم
بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر رضه انه لما نزلت قال لم اعلم ما هو فلما كان
يوم بدر رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع
فعلمته بل الساعة موعدهم موعد عذابهم الاصلي وما يحيق بهم في الدنيا
فمن طلائعه والساعة ادهى اشد والداهية امر فظيع لا يهتدى لدوائه
وامر مذاقا من عذاب الدنيا ان المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر
ونيران في الاخرة يوم يسحبون في النار على وجوههم يجرون عليها ذوقوا
مس سقر اي يقال لهم ذوقوا حر النار والمها فان مسها سبب التألم بها

وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته انا كل
شيء خلقناه بقدر انا خلقنا كل شيء مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا
مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع
على الابتداء وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة
في الدلالة على ان كل شيء مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار لما فيه
من النصوصية على المقصود وما امرنا الا واحدة الا فعلة واحدة وهو الايجاد
بلا معالجة ومعاناة او الا كلمة واحدة وهو قوله كن كلمح بالبصر في اليسر والسرعة
وقيل معناه معنى قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم
اشباهكم في الكفر ممن قبلكم فهل من مدكر متعظ وكل شيء فعلوه في الزبر
مكتوب في كتب الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح
ان المتقين في جنات ونهر انهار واكتفى باسم الجنس او سعة او ضياء من النهار
وقرئ بضم الهاء جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ
مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من تعالى امره في الملك والاقتدار
بحيث ابهمه ذوو الافهام عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل
غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ٥

سورة الرحمن مكية او مدنية او متبعضة وآيها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القرآن لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية
صدرها بالرحمن وقدم ما هو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقرآن
~~واجلها وهو انعامه بالقرآن~~ وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين ومنشأ الشرع
واعظم الوحي واعز الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق
لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله خلق الانسان علمه البيان ايماء
بان خلق البشر وما تميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما في

الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقى الوحى وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلاث التى هى اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد

الشمس والقمر بحسبان يجريان بحساب معلوم مقدر فى بروجهما ومنازلهما ويتسق بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب **والنجم** النبات الذى ينجم اى يطلع من الارض ولا ساق له **والشجر** الذى له ساق **يسجدان** ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم فى الجملتين ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما فى اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنى عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما فى الدلالة على ان ما يحس به من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره **والسماء رفعها** خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشأ اقضيته ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء **ووضع الميزان** العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذى حق حقه حتى انتظم امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض او ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كانه لما وصف السماء بالرفعة من حيث انها مصدر القضايا والاقدار وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب **الا تطغوا فى الميزان** لان لا تطغوا فيه اى لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول **واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان** ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة فى التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها على الاصل ولا تخسروا فى الميزان فحذف الجار واوصل الفعل **والارض وضعها**

٦٥٩

قوله واخلاء الجمل الخ ليس المراد باخلائها عنه ان حق الثلاث ان يعطف حتى يرد عليه ان الاولى لا يصح عطفها فكان عليه ان يقول اخلاء الجملتين كما قيل او يتوهم ان الثالثة هى الشمس والقمر بحسبان بل المراد انه لم يذكر عاطف فيها ولم يرد متعاطفة لا مقرونا كل منها بعاطف كما توهم مع ان اخلاء الكل لا يستلزم استحقاق الكل واذا ظهر المراد سقط الايراد وقوله لمجيئها على نهج التعديد هذا هو الصحيح والمرجح الاستدلال الى ان كلا منها نعمة مستقلة تقتضى الشكر عليه ايماء الى تقصيرهم فى اداءه ولو عطفت مع شدة ايصالها وتناسبها ربما توهم انها كلها نعمة واحدة وهذا بناء على ان الرحمن مبتدأ خبر ما بعده وقد قيل انه خبر مبتدأ اى الله الرحمن وما بعده مستانف لتعديد نعمه وعلم من التعليم ومفعوله مقدر اى علم الانسان لا جبريل او محمد عليهما الصلاة والسلام وليس من العلامة من غير تقدير كما قيل وجعل علامة وآية لمن اعتبر لبعده ومن ثم نعمه عطف على قوله تقدم واشار به الى تفاوت الرتبة بينهما وقيل لان الشروع فى الفعل بعد مضى مدة من تصور الغرض منه غالبا يجرى هذا على المنوال المعروف فى امثاله ولا يخفى بعده

قوله على ان الاصل اه متعلق بقراءة الفتح وهذا بناء على ما ادعاه بعض اهل اللغة من انه لم يرد منه الا رباعيا وهذا هو الذى اراده الشيخان كما صرح به شراح الكشاف واما ما قيل من انه لا حاجة الى ذلك لانه ورد ثلاثيا متعديا كقوله خسروا انفسهم وخسر الدنيا والآخرة والجواب عنه بانه ليس هذا من ذلك فان معناه وقوع الخسران بها وانها معدومات وهذا المعنى غير مراد ههنا اذ المراد لا تخسروا الموزون فى الميزان وكذا اذا جعل بمعنى النقص فلا محصل له لانه اذا سلم انه لا يكون الا متعديا فلا حاجة للتقدير المذكور نهايته ان يجعل الميزان مجازا عما فيه او يقدر فيه مضاف فتأمل فانه غير محرر

قوله كالجذع وهو خشبتها ويحرمها ... القائم وهو مثال بعد مثال الشارع الى الانتفاع بخصوصها فيها فهو بدل مما قبله ولو عطف عليه كان اظهر وفي بعض النسخ كالجذع ... والثمرة وفي بعضها كالجذع والجمار ... وللحب ذو العصف قيل فهو الصواب و النسخ مختلفة لكن المقصود ظاهر

حفظها مدحوة للانام للخلق وقيل الانام كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام اوعية الثمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطي من ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم كالجذع والحب والثمرة ذو العصف كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن والريحان يعني المشموم او الرزق من قولهم خرجت اطلب ريحان الله وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان اي وخلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف وقرأ حمزة والكسائي والريحان بالخفض وما عدا بالرفع وهو فيعلان من الروح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل روحان فقلبت واوه ياء للتخفيف فباي آلاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه وخلق الجان الجن او ابا الجن من مارج من صاف من الدخان من نار بيان لمارج فانه في الاصل المضطرب من مرج اذا اضطرب فباي آلاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما في اطوار خلقتكما حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة الكائنات رب المشرقين ورب المغربين مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما فباي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان يتجاوران ويتماس سطوحهما او بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه بينهما برزخ حاجز من قدرة الله او من الارض لا يبغيان لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما فباي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كبار الدر وصغاره وقيل

قوله وهو فيعلان من الروح هذا جواب عن اعتراض معروف بان الظاهر انه من الروح وهو واوي كما صرح به ابو علي فلا وجه لقلب الواو ياء واجاب بان اصله ريحان بالتشديد وكان اصله ريوحان فقلبت الواو ياء لاجتماعهما مع ياء ساكنة مقدمة وهو في مثله قياس مطرد وامر حسن بحسب اللسان نحو ميت وكثير من امثاله قوله وقيل روحان اي اصله روحان بفتح الراء وسكون الواو فقلبت على غير القياس شذوذا وكذا مرضه وهذا منقول عن ابي علي الفارسي وقد اعترض عليه بما مر واليه يشير كلام المصنف

قوله ولو استقريت جهات الموجودات اه هذا تفسير لما
على ان الوجه ليس بمعنى الجارحة مجازا عن الذات بل بمعنى
الجهة التي تقصد بتوجه اليها فانه موضوع لهذا المعنى
ايضا لا بمعنى القصد والمراد المقصود كما توهم قال استاذنا
القدسي قدس الله روحه ما هو في حد ذاته عدم والاصل
بقاؤه [illegible] حسب الذات الا الجهة التي يليها
الحق [illegible] يفضله ويفيضها عليه من عنده فالمعنى
ما سوى الحق من الممكنات فان اي قابل للفناء في حد ذاته
ولا نظر الحق اليه وافاضته خلع الوجود عليه لما حصل له
تشريف الوجود وبقي على ما كان عليه وهو مفقود فلم سوى
بعد نظر الحق اليه على الفناء الذي كان ثابتا له في حد ذاته
وبالنظر الى نفسه فيمكن ان يراد بالوجه العمل الصالح
كما في بعض التفاسير ومعنى قوله يلي جهته يتقرب به اليه

المرجان الخرز الاحمر وان صح ان الدر يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه
يخرج من مجمع الملح والعذب ولانهما لما اجتمعا صارا كالشيء الواحد فكان المخرج من
احدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب يُخرَج وقرئ يَخرُج ونُخرِج بنصب
اللؤلؤ والمرجان فباي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ
بحذف الياء ورفع الراء كقوله لها ثنايا اربع حسان * واربع فكلها ثمان ٥
المنشآت المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الشين اي
الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج او السير في البحر كالاعلام كالجبال
جمع علم وهو الجبل الطويل فباي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد
الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها
وغيره كل من عليها من على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او
من الثقلين فان ويبقى وجه ربك ذاته ولو استقريت جهات الموجودات و
تفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية في حد ذاتها الا وجه الله اي الوجه الذي
يلي جهته ذو الجلال والاكرام ذو الاستغناء المطلق والفضل العام فباي
آلاء ربكما تكذبان اي مما ذكرنا قبل وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء
رحمة وفضلا او مما ترتب على افناء الكل من الاعادة والحياة الدائمة والنعيم المقيم
يسأله من في السموات والارض فانهم مفتقرون اليه في ذواتهم وصفاتهم
وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشيء
نطقا كان او غيره كل يوم هو في شأن كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا
على ما سبق به قضاؤه وفي الحديث من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع
قوما ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا فباي
آلاء ربكما تكذبان اي مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا
سنفرغ لكم ايها الثقلان اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة
فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سافرغ لك

فان المتجرد للشي كان اقوى عليه واجد فيه وقرا حمزة والكسائي بالياء سنفرغ اليكم

اي سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض ولرزانة

رأيهم وقدرهم او لانهما مثقلان بالتكليف فباي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن

والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض ان قدرتم ان

تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارين من قضائه فانفذوا

فاخرجوا لا تنفذون اي لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان الا بقوة وقهر

وانى لكم ذلك او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما في السموات والارض فانفذوا

لتعلموا لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله فتعرجون عليها بافكاركم

فباي آلاء ربكما تكذبان اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال

القدرة او مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى ما

فوق السموات العلى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس ودخان قال

يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا او صفر مذاب يصب على

رؤسهم وقرا ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه

فيه ابو عمرو ويعقوب في رواية وقرئ نحس وهو جمع كصحف فلا تنتصران

فلا تمتنعان فباي آلاء ربكما تكذبان فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع

والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء فاذا انشقت السماء

فكانت وردة اي حمراء كوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد

كقوله فلئن بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنائم او يموت كريم كالدهان

مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر

فباي آلاء ربكما تكذبان اي مما يكون بعد ذلك فيومئذ اي فيوم تنشق السماء لا يسأل

عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم

ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله فوربك لنسألنهم

ونحوه فحين يحاسبون في المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا

تقدم رتبة فباي الاء ربكما تكذبان اي مما انعم الله على عباده المؤمنين في هذا
اليوم يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ
بالنواصي والاقدام مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصي تارة وبالاقدام اخرى
فباى الاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها
بين النار يحرقون بها وبين حميم ماء حار ان بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم
ويسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فباي الاء ربكما تكذبان
ولمن خاف مقام ربه موقفه الذي تقف فيه العباد للحساب او قيامه على احواله
من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين فاضاف
الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله ونفيت عنه مقام
الذئب كالرجل اللعين جنتان جنة للخائف الانسي والاخرى للخائف الجني فان الخطاب
للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة
لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او
روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فباي الاء ربكما تكذبان ذواتا افنان
انواع من الاشجار والثمار جمع فن وهي الغصنة التي تتشعب من فرع الشجر
وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل فباي الاء ربكما
تكذبان فيهما عينان تجريان حيث شاء في الاعالي والاسافل قيل احداهما
التسنيم والاخرى السلسبيل فباي الاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان
صنفان غريب ومعروف او رطب ويابس فباي الاء ربكما تكذبان متكئين
على فرش بطائنها من استبرق البطائن من ديباج ثخين واذا كانت البطائن
كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين او حال منهم لان من
خاف في معنى الجمع وجنى الجنتين دان قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى
اسم بمعنى مجني وقرئ بكسر الجيم فباي الاء ربكما تكذبان فيهن في الجنان فان
جنتان يدل على جنان هي للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور او في

هذه الالآء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف

نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان لم

يمس الانسيات انس والجنيات جن وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائي

بضم الميم فباي الاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان حمرة الوجنة

وبياض البشرة وصفائهما فباي الاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان في

العمل الا الاحسان في الثواب فباي الاء ربكما تكذبان ومن دونهما

جنتان ومن دون تلك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن

دونهم من اصحاب اليمين فباي الاء ربكما تكذبان مدهامتان خضراوان

تضربان الى السواد لشدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين

النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاولين الاشجار والفواكه

دالة على ما بينهما من التفاوت فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان

فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاولين وكذا ما بعده فباي الاء

ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل

فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة رحمه الله على ان من حلف لا ياكل

فاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث فباي الاء ربكما تكذبان فيهن خيرات اي خيرات

فخفف لان خير الذي بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل حسان حسان الخلق

والخلق فباي الاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن

يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة اي مخدرة او مقصورات الطرف

على ازواجهن فباي الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كحور

الاولين وهم لاصحاب الجنتين فانهما يدلان عليهم فباي الاء ربكما تكذبان

متكئين على رفرف وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط

او ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض خضر وعبقري حسان العبقري

منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد للجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد

به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى فباي الاء ربكما تكذبان تبارك

اسم ربك تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى
الصفة او مقحم كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال والاكرام
وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن

سورة الواقعة ادى شكر ما انعم الله عليه مكية وآيها تسع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب
اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة اي لا يكون حين
تقع نفس تكذب على الله او تكذب الان واللام مثلها في قوله قدمت لحياتي او
ليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق او ليس لها حينئذ نفس تحدثها
باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم
اذا شجعته وسولت له انه يطيقه خافضة رافعة تخفض قوما وترفع اخرين
وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون حينئذ من خفض اعداء
الله ورفع اوليائه او ازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير الجبال في
الجو وقرئتا بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا شديدا بحيث
ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة او بدل من اذا وقعت
وبست الجبال بسا فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا
لته او سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها فكانت هباء غبارا منبثا
منتشرا وكنتم ازواجا اصنافا ثلاثة وكل صنف يكون او يذكر مع صنف آخر
زوج فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب
المشأمة فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن
وتشاؤمهم بالشمائل واصحاب الميمنة واصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم
بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم واصحاب اليمن والشؤم فان السعداء ميامين
على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان

خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين
والسابقون السابقون والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور
الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات او الانبياء
فانهم مقدموا اهل الاديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول
ابي النجم وشعري شعري او الذين سبقوا الى الجنة اولئك المقربون في جنات
النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة واعليت مراتبهم ثلة من الاولين وقليل
من الآخرين اي هم كثير من الاولين يعني الامم السالفة من لدن آدم الى محمد
عليهما السلام وقليل من الآخرين يعني امة محمد عليه السلام ولا يخالف ذلك
قوله عليه السلام ان امتي يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم
اكثر من سابقي هذه الامة وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم ولا يرده قوله في اصحاب
اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا تنافي اكثرية احدهما
وروي مرفوعا انهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع على سرر
موضونة خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة
بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع متكئين عليها
متقابلين حالان من الضمير في على يطوف عليهم للخدمة ولدان مخلدون مبقون
ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم باكواب واباريق حال الشرب وغيره والكوب
اناء لا عروة له ولا خرطوم والابريق اناء له ذلك وكاس من معين من خمر لا يصدعون
عنها بخمار ولا ينزفون ولا ينزف عقولهم ولا ينفد شرابهم وقرئ لا يصدعون
اي لا يتفرقون وفاكهة مما يتخيرون اي يختارون ولحم طير مما يشتهون
وحور عين عطف على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اي وفيها او ولهم حور
وقرأ حمزة والكسائي بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف اي هم في جنات ومصاحبة
حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب
وقرئتا بالنصب على ويؤتون حورا كامثال اللؤلؤ المكنون المصون عما يضر به

في الصفاء والنقاء جزاء بما كانوا يعملون اي يفعل ذلك كله بهم جزاء لاعمالهم
لا يسمعون فيها لغوا باطلا ولا تأثيما ولا نسبة الى الاثم اي لا يقال لهم اثمتم
الا قيلا اي قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا
سلاما او صفته او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة
على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية واصحاب اليمين ما اصحاب
اليمين في سدر مخضود لا شوك له من خضد الشوك اذا قطعه او مثني اغصانه
من كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح وشجر موز او ام غيلان
وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين منضود نضد حمله من اسفله الى
اعلاه وظل ممدود منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت وماء مسكوب يسكب
لهم اين شاؤا وكيف شاؤا بلا تعب او مصبوب سائل كأنه لما شبه حال اصحاب اليمين
بأكمل ما يتمناه اهل البوادي اشعارا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة كثيرة
الاجناس لا مقطوعة لا تنقطع في وقت ولا ممنوعة لا تمنع عن متناولها بوجه
وفرش مرفوعة رفيعة القدر او منضدة مرتفعة او مرفوعة على الاسرة وقيل الفرش النساء وارتفاعها
انها على الارائك ويدل عليه قوله انا انشأناهن انشاء اي ابتدأناهن ابتداء
جديدا من غير ولادة ابداء او اعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا
عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن
ازواجهن وجدوهن ابكارا فجعلناهن ابكارا عربا متحببات الى ازواجهن
جمع عروب وسكن الراء حمزة وروي عن نافع وعاصم مثله اترابا فان كلهن
بنات ثلاث وثلاثين وكذا ازواجهن لاصحاب اليمين متعلق بانشأنا او جعلنا
او صفة لابكارا او خبر لمحذوف مثل هن او لقوله ثلة من الاولين وثلة من
الاخرين وهي على الوجه الاول خبر محذوف واصحاب الشمال ما اصحاب
الشمال في سموم في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء متناه في الحرارة وظل
من يحموم من دخان اسود يفعول من الحممة لا بارد كسائر الظل ولا كريم

ولانا نفى بذلك ما اوهم الظل من الاستراح انهم كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين فى الشهوات وكانوا يصرون على الحنث العظيم الذنب العظيم يعنى الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اى الحلم ووقت المواخذة بالذنب وحنث فى يمينه خلاف برّفيها وتحنث اذا تأثم وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا فى هذا الوقت كما دخلت العاطفة فى قوله او اباؤنا الاولون للدلالة على ان ذلك اشد انكارا فى حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن فى لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر او بالسكون وقد سبق مثله والعامل فى الظرف ما دل عليه مبعوثون لا هو للفصل بان والهمزة قل ان الاولين والاخرين لمجموعون وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقت به فى الدنيا وحد من يوم معين عند الله معلوم له ثم انكم ايها الضالون المكذبون اى بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لآكلون من شجر من زقوم من الاولى للابتداء والثانية للبيان فمالئون منها البطون من شدة الجوع فشاربون عليه من الحميم لغلبة العطش وتأنيث الضمير فى منها وتذكيره فى عليه على معنى الشجر ولفظه وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها فشاربون شرب الهيم الابل التى بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضى عليها هيامها وقيل الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذى لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه اخص من الآخر من وجه فلا اتحاد هذا نزلهم يوم الدين يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا فى الجحيم وفيه تهكم كما فى قوله فبشرهم بعذاب اليم لان النزل ما يعد للنازل تكرمة وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالاعمال الدالة عليه او بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة

قوله وقيل الرمال الخ لان الرمل يضرب به المثل فى عدم الرى مع كثرة الشرب لانه لتخلخله لا ينتقع فيه الماء ولا يظهر فيه اثر منه عليه لعيني والى هذا اشار المصنف بقوله لا يتماسك ومن العجيب هنا قول الشارح الطيبى ومن بعده ان شرب الهيم من اضافة الصفة الى الموصوف وان الرمل لما اعتبر معنى السيلان فيه كالمائع جعل مشروبا تهكما ونسب الشرب اليه مجازا وهو مما لا ينبغى ان يصدر عن مثله شهاب

افرايتم ما تمنون اي ما تقذفونه في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من مني
النطفة بمعنى مناها أانتم تخلقونه تجعلونه بشرا سويا ام نحن الخالقون
نحن قدرنا بينكم الموت قسمناه عليكم واقتنا موت كل بوقت معين وما
نحن بمسبوقين لا يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته او لا يغلبنا
احد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه على ان نبدل امثالكم على الاول حال
او علة لقدرنا وعلى بمعنى اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثاني صلة
والمعنى على ان نبدل منكم اشباهكم فنخلق بدلكم او نبدل صفاتكم على ان امثالكم
جمع مثل وننشئكم فيما لا تعلمون في خلق وصفات لا تعلمونها ولقد علمتم
النشأة الاولى فلولا تذكرون ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى
فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على
صحة القياس افرايتم ما تحرثون تبذرون حبه أانتم تزرعونه تنبتونه
ام نحن الزارعون المنبتون لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما فظلتم تفكهون
تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه او على ما اصبتم لاجله من المعاصي فتحدثون
فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ
فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا
او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ ابو بكر أئنا لمغرمون على الاستفهام
بل نحن قوم محرومون حرمنا رزقنا او محدودون لا مجدودون افرايتم
الماء الذي تشربون اي العذب الصالح للشرب أانتم انزلتموه من المزن
من السحاب واحده مزنة وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن
المنزلون بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء
جعلناه اجاجا ملحا او من الاجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين
جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه او الاكتفاء
بسبق ذكرها او يخص ما يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب بمزيد التأكيد

قوله الفاصلة بين جواب ما يتمحض كان الشرطية
والمراد بما يتضمن معناه كمن ومما كان لا يخفى
وعلم السامع بمكانه والاكتفاء يقتضي تقدم
وما بعده يقتضي خلافه وما يقصد لذاته المأكول
لا المشروب انما تطلب الطبيعة ليسهل طبخ
الطعام ويعد للحرارة ونحو ذلك مما قصد
لغيره وفي المثل السائر ان اللام اذا دخلت
في المطعوم دون المشروب لان جعل الماء
العذب ملحا اسهل امكانا في العرف والعادة
والموجود من الماء الملح اكثر من الماء العذب
ما اذا جرت المياه العذبة على الاراضي المتغيرة
التربة احالتها الى الملوحة فلم يحتج في جعل
الماء العذب ملحا الى زيادة تاكيد فلذلك لم تدخل
لام التاكيد المفيدة لزيادة التحقيق واما المطعوم
فان جعله حطاما من الاشياء الخارجة عن المعتاد
واذا وقع يكون عن سخط شديد فلذلك قرن باللام
لتقرير ايجاده وتحقيق امره انتهى شهاب

فلولا تشكرون امثال هذه النعم الضرورية افرايتم النار التي تورون تقدحون

انتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون يعني الشجرة التي منها الزناد نحن

جعلناها جعلنا نار الزناد تذكرة تبصرة في امر البعث كما مر في سورة يس او في

الظلام او تذكيرا وانموذجا لنار جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون

القواء وهي القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من اقوت الدار

اذا خلت من ساكنيها فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر اسمه او

بذكره فان اطلاق اسم الشيء ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب وتعقيب

الامر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وانعامه اما للتنزيه عما يقول الجاحدون

لوحدانيته الكافرون لنعمته او للتعجب من امرهم في غمط نعمته او للشكر على ما عدها

من النعم فلا اقسم اذ الامر اوضح ان يحتاج الى قسم او فاقسم ولا مزيدة للتاكيد

كما في لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدا واشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه

قراءة فلاقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه بمواقع النجوم بمساقطها

وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر

لا يزول تاثيره او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القران ومواقعها اوقات

نزولها وانه لقسم لو تعلمون عظيم لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة

وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى وهو

اعتراض في اعتراض فانه اعتراض بين القسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف

والصفة انه لقران كريم كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في اصلاح

المعاش والمعاد او حسن مرضي في جنسه في كتاب مكنون مصون وهو اللوح

لا يمسه الا المطهرون لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية

وهم الملائكة او لا يمس القران الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى

نهي او لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون والمطهرون

من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اي انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والالهام

كط

قوله كثير النفع او الكريم لا تختص بكثرة الاحسان
والبذل كما يتوهم بل هو صفة ورشى يحمد من
الافعال والاوصاف ويوصف به الله تعالى والناس
وغيرهم وقد خصه العرف بما ذكر اولا فتفسير
المص له بكثير النفع اما لان كثرة وسعة محمودة
نوع معناه المحقق او لانه مستعمل من الكريم العرفي
كما في شرح الكشاف واذا فسر بالحسن المرضي
فعلى ان الكريم الاتصاف بكل ما يحمد في بابه
وبذلك ما قدمه الزمخشري من ان المعنى انه
كريم على الله لانه يرجع لما ذكره وفيه تقدير من غير حاجة

تنزيل من رب العالمين صفة ثالثة اورابعة للقرآن وهو مصدر نعت به
وقرئ بالنصب اى نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعنى القرآن انتم مدهنون
متهاونون به كمن يدهن فى الامر اى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون
رزقكم اى شكر رزقكم انكم تكذبون اى بمانحه حيث تنسبونه الى الانواء وقرئ
شكركم اى تجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وتكذبون بقولكم
فى القرآن انه سحر وشعر وفى المطر انه من الانواء فلولا اذا بلغت الحلقوم
اى النفس وانتم حينئذ تنظرون حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال
ونحن اقرب ونحن اعلم اليه الى المحتضر منكم عبر عن العلم بالقرب الذى هو اقوى
سبب الاطلاع ولكن لا تبصرون لا تدركون كنه ما يجرى عليه فلولا ان كنتم
غير مدينين اى مجزيين يوم القيمة او مملوكين مقهورين من دانه اذا اذله و
استعبده واصل التركيب للذل والانقياد ترجعونها ترجعون النفس الى مقرها
وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتوكيد
وهى بما فى حيزه دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل
عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم باياته ان كنتم صادقين فى تعطيلكم
فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم فاما ان كان من
المقربين اى ان كان المتوفى من السابقين فروح فله استراحة وقرئ فروح
بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة وريحان
ورزق طيب وجنة نعيم ذات تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام
لك يا صاحب اليمين من اصحاب اليمين اى من اخوانك يسلمون عليك واما
ان كان من المكذبين الضالين يعنى اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم
زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم ما اوعدهم به فنزل من حميم وتصلية
جحيم وذلك ما يجد فى القبر من سموم النار ودخانها ان هذا اى الذى ذكر
فى السورة او فى شأن الفرق لهو حق اليقين اى حق الخبر اليقين فسبح باسم

كف

قوله حق الخبر اليقين وفسره فى الكشاف بالثابت
من اليقين واليقين العلم الذى زال عنه اللبس كما ذكره
الزمخشرى فى الحاقة وهو تفسير لحسب المعنى و
الاضافة فيه لامية كما بين فى الحاقة نحو كما تقول هو
العالم حق العالم والمعنى كعين اليقين وهو كعين
الشمس ونفسه وذكر فى تفسير قوله كلا لو تعلمون
علم انه بمعنى علم الامر اليقين اى كعلم ما تستيقنون
لانه معنى اضيق يلائم ذلك المقام كذا افاده المدقق فى
الكشف يعنى انه من اضافة العام للخاص ومنهم من
خلاف تفضيل انها لامية وقيل انها بيانية على معنى
وقريب مما فسره اليقين ما قيل من انه العلم
الثابت بالدليل وقوله انه تفسير بحسب المعنى
يعنى بيان انه يشترط فيه ذلك وانما هو العلم المتيقن
مطلقا وما ذكر ماخوذ من المقام وحق على ما ذكره
للتاكيد والمص جعل اليقين صفة للخبر المذكور
فى السورة او فى جميع القرآن ولحق لمعان كالحقيقة
والثابت ومقابل الباطل وكلام محتمل لها وما فى
الكشف من ان تقدير الموصوف لا يناسب هذا المقام
غير مسلم ولذا لم يلتفت له المص فتدبر شهاب

ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شأنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً ٥

سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات والارض ذكر ههنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعاراً بان من شأن ما اسند اليه ان يسبحه في جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات ومجيء المصدر مطلقاً في بني اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل حال وانما عدي باللام وهو معدى بنفسه مثل نصحت له ونصحته اشعاراً بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصاً لوجهه وهو العزيز الحكيم حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح له ملك السموات والارض فانه الموجد لها والمتصرف فيها يحيي ويميت استئناف او خبر لمحذوف وحال من المجرور في قوله له وهو على كل شيء من الاحياء والاماتة وغيرهما قدير تام القدرة هو الاول السابق على سائر الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها والآخر الباقي بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها او هو الاول الذي تبتدئ منه الاسباب وتنتهي اليه المسببات او الاول خارجاً والآخر ذهناً والظاهر والباطن الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول او الغالب على كل شيء والعالم بباطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين وهو بكل شيء عليم يستوي عنده الظاهر والخفي هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض كالبذور وما يخرج منها كالزروع وما ينزل من السماء كالامطار وما يعرج فيها كالابخرة وهو معكم اينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه ولعل تقديم

قوله حال من ضمير لا تؤمنون فهي حال متداخلة
وقوله اي عذر اشارة الى ان المسئول عنه مضمون
الحال كما قررناه ولام لتؤمنوا صلة تدعوا
او تعليلية والى الاول ذهب المص كما اشار اليه
بقوله يدعوكم اليه فاللام بمعنى الى لانها تعدي
بها وباللام

الخلق على العلم لانه دليل عليه له ملك السموات والارض ذكره مع الاعادة
كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما والى الله ترجع الامور يولج الليل في
النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور بمكنوناتها آمنوا
بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من الاموال التي جعلكم الله
خلفاء في التصرف فيها فهي في الحقيقة له لا لكم او التي استخلفكم عمن قبلكم
في تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس فالذين
آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية
واعادة ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه
بالكبر وما لكم لا تؤمنون بالله اي وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك
ما لك قائما والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى
اي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحجج والآيات وقد
اخذ ميثاقكم اي وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل ذلك بنصب الادلة
والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرأ ابو عمرو على البناء
للمفعول ان كنتم مؤمنين بموجب ما فان هذا موجب لا مزيد عليه هو الذي
ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم اي الله او العبد من الظلمات الى النور
من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرؤف رحيم حيث نبهكم
بالرسل والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم الا
تنفقوا واي شيء لكم في ان لا تنفقوا في سبيل الله فيما يكون قربة اليه ولله
ميراث السموات والارض يرث كل شيء فيهما ولا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك
فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى لا يستوي منكم
من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة بيان لتفاوت المنفقين باختلاف
احوالهم من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات حثا على تحري الافضل منها
بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من انفق محذوف لوضوح

ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة اذ عز الاسلام به وكثر اهله وقلت الحا
الى المقاتلة والانفاق من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا اى من بعد الفتح وكلا
وعد الله الحسنى اى وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهى الجنة وقرا ابن
عامر وكل بالرفع على الابتداء اى وكل وعده ليطابق ما عطف عليه والله بما
تعملون خبير عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والاية نزلت فى ابى بكر
رض فانه اول من آمن وانفق فى سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف
به على الهلاك من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا من ذا الذى ينفق ماله
فى سبيله الله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه
وتحرى اكرم المال وافضل الجهات له فيضاعفه له اى يعطى اجره اضعافا وله
اجر كريم اى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه ينبغى ان يتوخى
وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا وقرا عاصم فيضاعفه بالنصب على
جواب الاستفهام باعتبار المعنى فكانه قال ايقرض الله احد فيضاعفه له وقرا ابن
كثير يضعفه مرفوعا وابن عامر ويعقوب يضعفه منصوبا يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات ظرف لقوله وله او فيضاعف او مقدر باذكر يسعى نورهم ما يوجب
نجاتهم وهدايتهم الى الجنة بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف
اعمالهم من هاتين الجهتين بشراكم اليوم جنات اى يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة
بشراكم اى المبشر به جنات او بشراكم دخول جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين
فيها ذلك هو الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات
المخلدة يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا
انظرونا انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف او انظروا الينا
فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين ايديهم
وقرا حمزة انظرونا على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم نقتبس من نوركم
نصب منه قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف الالهية

قوله كقول لبيد العامري الشاعر المشهور وهو من قصيدة مشهورة التي هي احد المعلقات
السبع واولها عفت الديار محلها ومقامها • بمنى تابد غولها فرجامها • في تشبيه
ناقته بالبقرة الوحشية في نفرتها وسرعة عدوها • وتسمعت رز الانيس فراعها
عن ظهر غيب والانيس سقامها • فغدت كلا الفرجين تحسب انه • مولى المخافة خلفها وامامها •
حتى اذا يئس الرماة فارسلوا • غضفا دواجن قافلا اعصامها • الى آخر القصيدة وقوله فغدت بالعين
المهملة في شرحها من عدا يعدو اذا اسرع في السير والذي في شروح الكشاف بالمعجمة وهما متقاربان معنى اي
عدت البقرة الوحشية ثم انفرت لفزعها من الصياد لا تدري اذلك الصائد خلفها ام قدامها فتحسب كلا
جانبيها من الخلف والامام احرى و اولى بان يكون فيه الخوف

والاخلاق الفاضلة فانه تتولد منها او الى الموقف فانه من ثم تقتبس او الى
حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر فانه لا سبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب
من المؤمنين او الملائكة فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور
بحائط له باب يدخل فيه المؤمنون باطنه باطن السور او الباب فيه الرحمة
لانه يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب من جهته لانه يلي النار ينادونهم
الم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا بلى ولكنكم فتنتم
انفسكم بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم وشككتم
في الدين وغرتكم الاماني كامتداد العمر حتى جاء امر الله وهو الموت
وغركم بالله الغرور الشيطان او الدنيا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فدا
وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين كفروا ظاهرا او باطنا مأواكم
النار هي مولاكم هي اولى بكم كقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى
المخافة خلفها وامامها وحقيقته محراكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى
بكم كقولك هو مئنة الكرم اي مكان قول القائل انه لكريم او مكانكم عما
قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب
وجيع او متوليكم تتولاكم كما توليتم موجباتها في الدنيا وبئس المصير النار
الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يأت وقته يقال
أنى الامر يأني أنيا وأنا وإنا اذا جاء إناه وقرئ بكسر الهمزة من آن يئين
بمعنى انى ولما يأن روي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا
الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وما نزل من الحق اي القرآن وهو
عطف على الذكر عطف احد الوصفين على الآخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر
الله وقرأ نافع وحفص ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ أنزل ولا يكونوا كالذين
اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرأ رويس بالتاء والمراد النهي عن
مماثلة اهل الكتاب فيما حكي عنهم فطال عليهم الامد فقست قلوبهم

اى فطال عليهم الزمان بطول اعمارهم او اٰمالهم او ما بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامد وهو الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما فى كتابهم من فرط القسوة اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات ترغيبا فى الخشوع وزجرا عن القساوة قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون كى يكمل عقلكم ان المصدقين والمصدقات ان المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ بهما وقرأ ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اى الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله قرضا حسنا عطف على معنى الفعل فى المحلى باللام لان معناه الذين اصدقوا او صدقوا وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص يضاعف لهم ولهم اجر كريم معناه والقراءة فى يضاعف ما مر غير انه لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر

والذين اٰمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم اى اولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء او هم المبالغون فى الصدق فانهم اٰمنوا وصدقوا جميع اخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم او على الامم يوم القيمة وقيل والشهداء عند ربهم مبتدأ وخبر والمراد به الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد او الذين استشهدوا فى سبيل الله لهم اجرهم ونورهم مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور الموعودان لهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم فيه دليل على ان الخلود فى النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد لما ذكر حال الفريقين فى الاخرة حقر امور الدنيا اعنى ما لا يتوصل به الى الفوز الاجل بان بين انها امور خيالية قليلة النفع

سريعة الزوال لانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم جدا اتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها بنبات انبته الغيث فاستوى واعجب به الحراث او الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا رأى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اي يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم امور الآخرة بقوله وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن اقبل عليها ولم يطلب الآخرة بها سابقوا سارعوا مسارعة السابقين في المضمار الى مغفرة من ربكم اي موجباتها وجنة عرضها كعرض السماء والارض اي عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل المراد به البسطة كقوله فذو دعاء عريض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب الا مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله من قبل ان نبرأها نخلقها والضمير للمصيبة او للارض او للانفس ان ذلك اي اثباته في كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا اي اثبت وكتب لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم بما اعطاكم الله منها فان من علم ان الكل مقدر هان عليه الامر وقرأ ابو عمرو بما اتاكم من الاتيان

لتعادل لما فاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها
واما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفي الاسى
المانع عن التسليم لامر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله
والله لا يحب كل مختال فخور اذ قل من يثبت نفسه حالتي الضراء والسراء الذين
يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن
به غالبا او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني
الحميد لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود
في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره ولا ينفعه التقرب اليه بشكر نعمه وفيه
تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرأ نافع وابن عامر فان الله
الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم بالبينات
بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب ليبين الحق ويميز صواب العمل والميزان
ليسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال ليقوم الناس بالقسط وانزاله
انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل الى نوح ويجوز ان يراد به العدل لتقام
به السياسة ويدفع به الاعداء كما قال وانزلنا الحديد فيه بأس شديد فان
آلات الحروب متخذة منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها وليعلم
الله من ينصره ورسله باستعمال الاسلحة في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف
دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا او اللام صلة لمحذوف اي انزله ليعلم الله
بالغيب حال من المستكن في ينصره ان الله قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز
لا يفتقر الى نصرة وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال
فيه ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بان
استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط فمنهم فمن الذرية
او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ارسلنا مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون
عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على

أن الغلبة للضلال ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم
أي أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى إلى عيسى عم والضمير لنوح وإبراهيم ومن
أرسلا إليهم أو من عاصرهما من الرسل لا للذرية فإن الرسل المقفى بهم من الذرية
وآتيناه الإنجيل وقرئ بفتح الهمزة وأمره أهون من أمر البرطيل لأنه أعجمي وجعلنا
في قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة ورهبانية أي
وابتدعوا رهبانية ابتدعوها أو رهبانية مبتدعة على أنها من المجعولات
وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة إلى الرهبان
وهو المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان من خشي وقرئت بالضم كأنها منسوبة
إلى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان ما كتبناها عليهم ما فرضناها عليهم
إلا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع أي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان
الله وقيل متصل فإن ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الإيجاب
المقصود منه دفع العقاب ينفي الندب المقصود منه مجرد حصول مرضات
الله وهو يخالف قوله ابتدعوها إلا أن يقال ابتدعوها ثم ندبوا إليها أو ابتدعوها
بمعنى استحدثوها وأتوا بها أو لأنهم اخترعوها من تلقاء أنفسهم فما
رعوها أي فما رعوها جميعا حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد
وقصد السمعة والكفر بمحمد عم ونحوها إليها فآتينا الذين آمنوا إيمانا
الصحيح وحافظوا حقوقها ومن ذلك الإيمان بمحمد عليه السلام منهم
من المتسمين باتباعه أجرهم وكثير منهم فاسقون خارجون عن حال الاتباع
يا أيها الذين آمنوا بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله
محمد عليه السلام يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لإيمانكم بمحمد صلى الله عليه
وسلم وإيمانكم بمن قبله ولا يبعد أن يثابوا على دينهم السابق وإن كان منسوخا
ببركة الإسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره ويجعل لكم نورا
تمشون به يريد المذكور في قوله يسعى نورهم والهدى الذي يسلك به إلى جناب

القدس ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اي ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده

انه قرئ ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء اهل الكتاب ان لا

يقدرون على شيء من فضل الله ان هي المخففة والمعنى انهم لا ينالون شيئا مما

ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان

به او لا يقدرون على شيء من فضله فضلا ان يتصرفوا في اعظمه وهو النبوة

فيخصونها بمن ارادوا ويؤيده قوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء

والله ذو الفضل العظيم وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه

لا يقدر النبي والمؤمنون به على شيء من فضل الله ولا ينالونه فيكون وان الفضل

عطفا على لا يعلم وقرئ ليلا ووجهه ان الهمزة حذفت وادغمت النون في اللام

ثم ابدلت ياء وقرئ ليلا على ان الاصل في الحروف المفردة الفتح عن النبي صلى

الله عليه وسلم من قرا سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الاول مكي والباقي مدني وآيها اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله روي ان خولة

بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت ما طلقني فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر

اولادها وشكت الى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الاربع وقد تشعر بان الرسول

او المجادلة تتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها وادغم

حمزة والكسائي وابو عمرو وهشام دالها في السين والله يسمع تحاوركما تراجعكما الكلام

وهو على تغليب الخطاب ان الله سميع بصير للاقوال والاحوال الذين يظهرون

منكم من نسائهم الظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من

الظهر والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء انثى محرم وفي منكم تهجين لعادتهم فيه

فانه كان من ايمان الجاهلية واصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة

والكسائي يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر ما هن امهاتهم اي على الحقيقة ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول صلى الله عليه وسلم وعن عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهو على لغة من ينصب وانهم ليقولون منكرا من القول اذ الشرع انكره وزورا منحرفا عن الحق فان الزوجة لا تشبه الام وان الله لعفو غفور لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اي الى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعي بامساك المظاهر عنها في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو اقل ما ينتقض به وعند ابي حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة بشهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع او بالظهار في الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار وكانوا يظاهرون في الجاهلية وهو قول الثوري وبتكراره لفظا وهو قول الظاهرية او معنى بان يحلف على ما قال وهو قول ابي مسلم او الى المقول فيها بامساكها او استباحة استمتاعها او وطئها فتحرير رقبة اي فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا على كفارة القتل من قبل ان يتماسا ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ذلكم اي ذلكم الحكم بالكفارة توعظون به لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه والله بما تعملون خبير لا تخفى عليه خافية فمن لم يجد اي الرقبة والذي غاب ماله واجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فان افطر لغير عذر لزمه الاستئناف وان افطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع

عندنا خلافا لابي حنيفة ومالك فمن لم يستطع اي الصوم لهرم او مرض مزمن
او شبق مفرط فانه عليه السلام رخص للاعرابي المفطر ان يعدل لاجله فاطعام
ستين مسكينا ستين مدا بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رطل
وثلث لانه اقل ما قيل في الكفارات وجنسه المخرج في الفطرة قال ابو حنيفة
يعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس
مع الطعام اكتفاء بذكره مع الاخرين او لجوازه في خلال الطعام كما قال ابو حنيفة
ذلك اي ذلك البيان او التعليم للاحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله
لتؤمنوا بالله ورسوله اي فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه
ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله لا يجوز تعديها وللكافرين
اي الذين لا يقبلونها عذاب اليم وهو نظير قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين
ان الذين يحادون الله ورسوله يعادونهما فان كلا من المتعاديين في حد غير
حدود الآخر كبتوا كما كبت اخزوا او اهلكوا واصل الكبت الكب الذين من قبلهم
يعني كفار الامم الماضية وقد انزلنا آيات بينات تدل على صدق الرسول وما جاء
به وللكافرين عذاب مهين يذهب عزهم وتكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب
بمهين او باضمار اذكر جميعا كلهم لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين فينبئهم
بما عملوا اي على رؤس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم احصاه الله احاط
به عددا لم يغب عنه شيء ونسوه لكثرته او تهاونهم به والله على كل شيء شهيد
لا يغيب عنه شيء الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض كليا وجزئيا
ما يكون من نجوى ثلاثة ما يقع من تناجي ثلاثة ويجوز ان يقدر مضاف او يؤول
نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة صفة لها واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الارض
فان السر امر مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه الا هو رابعهم
الا الله يجعلهم اربعة من حيث انه يشاركهم في الاطلاع عليها والاستثناء من
اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العدد

اما الخصوص الواقعة فان الاية نزلت في تناجي المنافقين او لان الله وتر يحب
الوتر والثلاثة اول الاوتار او لان التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين
وثالث يتوسط بينهما وقرئ ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون او
تأويل نجوى بمتناجين ولا ادنى من ذلك ولا اقل مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر
كالستة وما فوقها الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرأ يعقوب ولا اكثر بالرفع
عطفا على محل من نجوى او محل لا ادنى بان جعلت لا لنفي الجنس اينما كانوا فان
علمه بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة ثم ينبئهم
بما عملوا يوم القيامة تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء ان الله
بكل شيء عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على السواء الم تر الى
الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين
كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية
الرسول اي بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الله والرسول وقرأ حمزة
وينتجون وروي عن يعقوب وهو يفتعلون من النجوى واذا جاؤك حيوك
بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه وتعالى
يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويقولون في انفسهم فيما بينهم لولا
يعذبنا الله بما نقول هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم
عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير جهنم يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم
فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول كما يفعل المنافقون وعن يعقوب
فلا تنتجوا وتناجوا بالبر والتقوى فيما تأتون وتذرون فانه مجازيكم عليه
انما النجوى اي النجوى بالاثم والعدوان من الشيطان فانه المزين لها والحامل
عليها ليحزن الذين امنوا بتوهمهم لانها في نكبة اصابتهم
وليس الشيطان او التناجي بضارهم بضار المؤمنين شيئا الا باذن الله الا

وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلام الله وكلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة او لما امرتم به كصلاة او جهاد او ارتفعوا في المجلس فانشزوا وقرا نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما يرفع الله الذين امنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وايوائهم غرف الجنان في الاخرة والذين اوتوا العلم درجات ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل الامر او استكرهه يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وانتفاع الفقراء والنهي عن الافراط في السوال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الاخرة ومحب الدنيا واختلف في انه للندب او للوجوب لكنه منسوخ بقوله ءاشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن علي رضه ان في كتاب الله اية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي ذلك التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله فان لم تجدوا

فإن الله غفور رحيم أي لمن لم يجد حيث رخص له في المناجاة بلا تصدق وذلك
على الوجوب أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات أخفتم الفقر
من تقديم الصدقة أو أخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر
وجمع صدقات لجمع المخاطبين ولكثرة التناجي فإذ لم تفعلوا وتاب الله
عليكم بأن رخص لكم أن لا تفعلوه وفيه إشعار بأن إشفاقكم ذنب تجاوز
الله عنه لما رأى منكم مما قام مقام توبتكم وإذ على بابها وقيل بمعنى إذا أو
إن فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلا تفرطوا في أدائهما وأطيعوا الله
ورسوله في سائر الأوامر فإن القيام بها كالجابر للتفريط في ذلك والله
خبير بما تعملون ظاهراً وباطناً ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله
عليهم يعني اليهود ما هم منكم ولا منهم لأنهم منافقون مذبذبون بين ذلك
ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الإسلام وهم يعلمون أن المحلوف عليه كذب
كمن يحلف بالغموس وفي هذا التقييد دليل على أن الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم
مطابقته وما لا يعلم وروي أنه عليه السلام كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن
رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان أزرق
فقال عليه السلام علام تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء
بأصحابه فحلفوا فنزلت أعد الله لهم عذاباً شديداً نوعاً من العذاب متفاقماً
إنهم ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا على سوء العمل وأصروا عليه اتخذوا أيمانهم
التي حلفوا بها وقرئ بالكسر أي إيمانهم الذي أظهروه جنة وقاية دون دمائهم
وأموالهم فصدوا عن سبيل الله فصدوا الناس في خلال أمنهم عن دين الله بالتحريش
والتثبيط فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الأول عذاب
القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً أولئك
أصحاب النار هم فيها خالدون قد سبق مثله يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون
له أي لله على أنهم مسلمون ويقولون كما يحلفون لكم في الدنيا أنهم منكم ويحسبون

أنهم

انهم على شيء لان تمكن النفاق في نفوسهم بحيث يخيل اليهم في الاخرة ان الايمان
الكاذبة تروج الكذب على الله كما تروجه عليكم في الدنيا الا انهم هم الكاذبون
البالغون الغاية في الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه
استحوذ عليهم الشيطان استولى عليهم من حذت الابل وحزتها اذا استوليت
عليها وهو مما جاء على الاصل فانساهم ذكر الله لا يذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم
اولئك حزب الشيطان جنوده واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون
لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد ان الذين يحادون
الله ورسوله اولئك في الاذلين في جملة من هو اذل خلق الله تعالى كتب الله في اللوح
لاغلبن انا ورسلي بالحجة وقرأ نافع وابن عامر ورسلي بفتح الياء ان الله قوي على
نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر
يوادون من حاد الله ورسوله اي لا ينبغي ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد انه
لا ينبغي ان يوادوهم ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ولو
كان المحادون اقرب الناس اليهم اولئك اي الذين لم يوادوهم كتب في قلوبهم الايمان
اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب
يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه وايدهم بروح منه اي من عند الله وهو
وهو نور القلب والقرآن او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحياة
القلب ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم
بطاعتهم ورضوا عنه بقضائه او بما وعدهم من الثواب اولئك حزب الله
جنده وانصار دينه الا ان حزب الله هم المفلحون الفائزون بخير الدارين
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة
سورة الحشر مدنية وآيها اربع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم روي انه عليه
الصلاة والسلام لما قدم المدينة صالح بني النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه

فلما كان يوم بدر قالوا انه النبي المنعوت في التورية بالنصر فلما هزم المسلمون
يوم احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة وحالفوا
ابا سفيان فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اخا كعب من الرضاعة فقتله
غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام
ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله سبح الى قوله والله على كل شيء قدير هو
الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر اي في
اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك او في اول حشرهم للقتال او
الجلاء الى الشام واخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر اليه او في اول حشر الناس الى
الشام واخر حشرهم فانهم يحشرون اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك او ان
نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الى اخر ما ظننتم
ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من
الله اي ان حصونهم تمنعهم من باس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة
الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم في انفسهم انهم في
عزة ومنعة بسببها ويجوز ان يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم فاتاهم الله اي
عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اي فاتاهم نصر الله
وقرئ فاتاهم اي العذاب والنصر من حيث لم يحتسبوا لقوة وثوقهم وقذف
في قلوبهم الرعب واثبت فيها الخوف الذي يرعبها اي يملاها يخربون بيوتهم
بايديهم ضنا بها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من الاتها وايدي المؤمنين
فانهم ايضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على
ايديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكانهم استعملوهم فيه
والجملة حال او تفسير للرعب وقرا ابو عمرو يخربون بالتشديد وهو ابلغ لما فيه
من التكثير وقيل الاخراب التعطيل وترك الشيء خرابا والتخريب الهدم فاعتبروا
يا اولي الابصار فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله واستدل

قوله فلا تغدروا كما غدر بنو
النضير ولا تعتمدوا على غير الله
كما اعتمدوا على حصونهم اشارة الى
تفريعه على ما قبله وقوله استدل به
المستدل به اكثر اهل الاصول كما هو
مسطور فيها حيث قالوا انا مكلفون
بالقياس سمعا لهذه الاية فانا
امرنا بالاعتبار والاعتبار رد الشيء
الى نظيره بان يحكم عليه بحكمه ولذا
سمي الاصل الذي ترد اليه النظائر
عبرة وهذا يشمل الاتعاظ والقياس
العقلي والشرعي وسوق الاية
للاتعاظ فيدل عليه عبارة وعلى
القياس اشارة فلا ينافي كونه دليلا
على حجية القياس شهاب

على ان القياس حجة من حيث انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها في
[حكم] لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قررناه في الكتب الاصولية ولولا ان
كتب الله عليهم الجلاء الخروج من اوطانهم لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما
فعل ببني قريظة ولهم في الآخرة عذاب النار استيناف معناه انهم ان نجوا من عذاب
الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق
الله فان الله شديد العقاب الاشارة الى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده
وما هو معد لهم او الى الاخير ما قطعتم من لينة اي شيء قطعتم من نخلة فعلة
من اللون ويجمع على الوان وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها الياني
او تركتموها الضمير لما وتانيثه لانه مفسر باللينة قائمة على اصولها وقرئ
على اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو وعلى انه كرهن فباذن الله فبامره وليخزي
الفاسقين علة لمحذوف اي وفعلتم او واذن لكم في القطع ليجزيهم على فسقهم
بما غاظهم منه روي انه عم لما امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد
في الارض فما بال قطع النخيل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار الكفار
وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم وما افاء الله على رسوله وما اعاده عليه بمعنى
صيره له او رده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تع خلق الناس لعبادته وخلق
ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم من بني النضير
او من الكفرة فما اوجفتم عليه فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة
السير من خيل ولا ركاب ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك
ان كان المراد فيء بني النضير فلان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها
رجالا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد
قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيئا الا ثلاثة كانت بهم حاجة ولكن الله
يسلط رسله على من يشاء بقذف الرعب في قلوبهم والله على كل شيء قدير
فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها ما افاء الله على رسوله

من اهل القرى بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه فلله وللرسول ولذي القربى و
اليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسم الفيء فقيل يسدس لظاهر الآية
ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله تعالى
للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول الى الامام على قول والى العساكر والثغور
على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه السلام
كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور
كيلا يكون اي الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء دولة بين الاغنياء منكم الدولة
ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كيلا يكون
الفيء ذا تداول بينهم او اخذه غلبة يكون بينهم وقرأ هشام دولة بالرفع على كان
اي كيلا تقع دولة جاهلية وما آتاكم الرسول وما اعطاكم من الفيء او الامر فخذوه
لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة وما نهاكم عنه عن اخذه منه
او عن اتيانه فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفة رسوله ان الله شديد العقاب
لمن خالفه للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول
لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوي القربى خصص الابدال بما بعده او الفيء بعني
بني النضير الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا
اموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم
شانهم وينصرون الله ورسوله بانفسهم واموالهم اولئك هم الصادقون
الذين ظهر صدقهم في ايمانهم والذين تبوؤا الدار والايمان عطف على المهاجرين
والمراد بهم الانصار فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى
تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول
وعوض عنه اللام او تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء
باردا وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره من قبلهم من قبل
هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوؤا الدار من قبلهم والايمان

يحبون من هاجر اليهم ولا يثقل عليهم ولا يجدون في صدورهم في انفسهم حاجة
ما يحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا مما اعطي المهاجرون
من الفيء وغيره ويؤثرون على انفسهم ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى
ان من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من احدهم ولو كان بهم خصاصة
حاجة من خصاص البناء وهي فرجه ومن يوق شح نفسه حتى يخالفها فيما يغلب
عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك هم المفلحون الفائزون بالثناء
العاجل والثواب الآجل والذين جاؤا من بعدهم هم الذين هاجروا بعد ما قوي
الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة
ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل اي لاخواننا في الدين في قلوبنا
غلا للذين آمنوا حقدا لهم ربنا انك رؤوف رحيم فحقيق بان تجيب دعاءنا الم
تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يريد الذين
بينهم وبينهم اخوة الكفر او الصداقة والموالاة لئن اخرجتم من دياركم
لنخرجن معكم في قتالكم او خذلانكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا اي من رسول الله
والمؤمنين وان قوتلتم لننصرنكم لنعاوننكم والله يشهد انهم لكاذبون
لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا
لا ينصرونهم وكان كذلك فان ابن ابي واصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم
اخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض
والتقدير ليولن الادبار انهزاما ثم لا ينصرون بعد ثم يخذلهم ولا ينفعهم
نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون
للمنافقين لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية مصدر للفعل المبني للمفعول
في صدورهم فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين من الله على ما
يظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله ذلك بانهم

كف
قوله وانتصابه بمثل يعني ان العامل في الظرف
اعني قريبا والناصب له لفظ مثل ولا يخفى
ركاكته فانه ان قصد ان فيه مضافا مقدرا عمل
المضاف اليه مقامه كما قيل فلا يخفى ان المعنى
ليس عليه لانه قصد تشبيه المثل بالمثل
اي الصفة الغريبة بمثلها لا بالوجود وكونه
لا يجب اضافة المثل ودخول الكاف على المشبه
به وكونه من اضافة الصفة لموصوفها اي المثل
الوجود ولا يدفع الركاكة وان صححه فان اريد ان
العامل التشبيه او متعلق الكاف لانه يدل على
وجوده كانت العبارة نائبة عنه وقيل عاملة
ذاقوا وعلى الاول فقوله ذاقوا الخ فبين للمثل و
هو جملة مفسرة لا محل لها من الاعراب شهاب

قوم لا يفقهون لا يعلمون عظمة الله حتى يخشونه حق خشيته ويعلمون
انه الحقيق بان يخشى لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون جميعا مجتمعين
الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر لفرط رهبتهم
باسهم بينهم شديد اي وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد باسهم
اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب في قلوبهم ولان الشجاع يجبن
والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين و
قلوبهم شتى متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بانهم قوم
لا يعقلون ما فيه صلاحهم وان تشتت القلوب يوهن قواهم كمثل الذين
من قبلهم اي مثل اليهود كمثل اهل بدر او بني قينقاع ان صح انهم اخرجوا
قبل النضير او المهلكين من الامم الماضية قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل
اذ التقدير كوجود مثل ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم
عذاب اليم في الآخرة كمثل الشيطان اي مثل المنافقين في اغراء اليهود على
اليهود على القتال كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اغراه على الكفر اغراء
الآمر المأمور فلما كفر قال اني بريء منك تبرأ عنه مخافة ان يشاركه في العذاب
ولم ينفعه ذلك كما قال اني اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما
في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين والمراد بالانسان الجنس وقيل
ابو جهل قال له ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الاية
وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر
نفس ما قدمت لغد ليوم القيامة سماه غدا لدنوه او لان الدنيا كيوم والآخرة
غده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما
قدمن للآخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير
للتأكيد والاول في اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثاني في ترك المحارم
لاقترانه بقوله ان الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصي ولا تكونوا

كالذين نسوا الله نسوا حقه فانساهم انفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها منا وزادهم وارهم يوم القيمة من الهول ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوى اصحاب النار واصحاب الجنة الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا الجنة و الذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج به اصحابنا على ان المسلم لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته تمثيل وتخييل كما مر في قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون فان الاشارة اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على الادغام وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن قلبت همزته هاء العزيز الجبار الذي جبر خلقه على ما اراد او جبر حالهم بمعنى اصلحها المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا سبحان الله عما يشركون اذ لا يشاركه في شيء من ذلك هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريا من التفاوت المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد ومن اراد الاطناب في شرح هذه الاسماء واخواتها فعليه بكتابي المنتهى بمنته في لمنى له الاسماء الحسنى لانها دالة على

حط
قوله نزلت في حاطب اه حاطب بحاء وطاء مهملتين وباء موحدة وبلتعة بفتح الباء الموحدة ولام ساكنة بعدها مثناة فوقية مفتوحة وعين مهملة قال السهيلي هو مولى عبد الله بن حميد بن زهير بن اسد بن عبد العزى وبلتعة اسمه عمرو وصورة ما في كتابه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم بالله لو سار اليكم وحده لنصره الله عليكم فانه منجز له ما وعده قيل وفي الخبر دليل على جواز قتل الجاسوس لتعليقه النبي بشهوده بدرا وسارة اسم المرأة هي مولاة بني عبد المطلب ومعتقهم وقيل مولاة ابي عمرو بن صيفي بن هاشم وخاخ بخائين معجمتين وقيل بحاء مهملة وجيم وقد روي في البخاري كذلك لكنه نسب للسهو وهو مكان بين مكة والمدينة بحو حرم وعلم والظعينة بالظاء المعجمة والعين المهملة المرأة ما دامت في هودجها وتطلق على المرأة مطلقا
شهاب

محاسن المعاني يسبح له ما في السموات والارض لتنزهه عن النقايص كلها وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات باسرها فانها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة مدنية بسم الله الرحمن الرحيم وآيها ثلاث عشرة آية

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة فانه لما علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو اهل مكة كتب اليهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وارسل مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثمة فجحدت فسل علي السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت وما غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وليس لي فيهم من يحمي اهلي فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره تلقون اليهم بالمودة تفضون اليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة او اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء جرت على غير من هي له فلا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط في الاسم دون الفعل وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل احد الفعلين لا تتخذوا او تلقون يخرجون الرسول واياكم اي من مكة وهو حال من كفروا او استئناف لبيانه ان تؤمنوا بالله ربكم بان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان ان كنتم خرجتم عن اوطانكم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف

دل عليه لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة بدل من تلقون او استيناف معناه
اي طائل لكم في اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم بما اخفيتم وما
اعلنتم اي منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية ومن
يفعله منكم اي يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل اخطأه ان يثقفوكم ان
يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ولا ينفعكم القاء المودة اليهم ويبسطوا
اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ما يسوءكم كالقتل والشتم وودوا لو
تكفرون وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضي للاشعار بانهم ودوا
ذلك قبل كل شيء وان ودادتهم حاصلة وان لم يثقفوكم لن تنفعكم ارحامكم
قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم يوم القيمة يفصل يفرق
بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق
الله لمن يفر عنكم غدا وقرأ حمزة والكسائي بكسر الصاد والتشديد وفتح الفاء
وعاصم يفصل وقرأ ابن عامر يفصل على البناء للمفعول مع التشديد وهو
بينكم والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه قد كانت لكم اسوة حسنة قدوة
اسم لما يؤتسى به في ابراهيم والذين معه صفة ثانية او خبر كان ولكم لغو او حال
من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت اذ قالوا لقومهم
ظرف لخبر كان انا برآء منكم جمع بريء كظريف وظرفاء ومما تعبدون من دون
الله كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشانكم والهتكم
وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده فتنقلب
العداوة والبغضاء الفة ومحبة الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك
استثناء من قوله اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغي
ان يأتسوا به فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه وما املك لك من
الله من شيء من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء
جميع اجزائه ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير متصل بما

قبل الاستثناء او امر من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نتحمله واغفر لنا ما فرط ربنا انك انت العزيز الحكيم ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعي لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة تكرير لمزيد الحث على التاسي بابراهيم ولذلك صدر بالقسم وابدل قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر من لكم فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك التاسي بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فانه جدير بان يوعد به الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم المشركين وتبرؤا منهم فوعدهم الله بذلك وانجز اذ اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء والله قدير على ذلك والله غفور رحيم لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء لان قوله ان تبروهم بدل من الذين وتقسطوا اليهم تفضوا اليهم بالقسط اي العدل ان الله يحب المقسطين العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسما بنت ابي بكر بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين ان تولوهم بدل من الذين بدل الاشتمال ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في غير موضعها يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن في الايمان الله اعلم بايمانهن فانه المطلع على ما في قلوبهن فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب

بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم فى وجوب العمل به
فلا ترجعوهن الى الكفار اى الى ازواجهن الكفرة لقوله لاهن حل لهم
ولاهم يحلون لهن والتكرير للمطابقة والمبالغة او الاولى لحصول الفرقة
والثانية للمنع على الاستيناف وآتوهم ما انفقوا ما دفعوا اليهن من المهور
وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر
عليه ردهن لورود النهى لزمه رد مهورهن اذ روى انه عليه السلام كان
بعد بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها
مسافر المخزومى طالبا لها فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت
فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان الاسلام
حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا آتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر فى
نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر
بما تعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة والمراد نهى المؤمنين عن المقام
على نكاح المشركات وقرا البصريان ولا تمسّكوا بالتشديد واسألوا ما انفقتم
من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما انفقوا من مهور ازواجهم
المهاجرات ذلكم حكم الله يعنى جميع ما ذكر فى الآية يحكم بينكم استيناف او حال
من الحكم على حذف الضمير او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع
ما تقتضيه حكمته وان فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم شئ من ازواجكم
احد من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شئ موقعه للتحقير والمبالغة فى التعميم او
شئ من مهورهن الى الكفار فعاقبتم فجاءت عقبتكم اى نوبتكم من اداء المهر
شبه الحكم باداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء
اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت ازواجهم
مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر روى انه لما نزلت الآية
المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهر الكوافر فنزلت وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم

من الكفار يعني هي الغنيمة فآتوا بدلها الفائت من الغنيمة واتقوا الله الذي انتم
به مؤمنون فان الايمان به مما يقتضي التقوى منه يا ايها النبي اذا جاءك
المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام
لما فرغ من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن
اولادهن يريد وأد البنات ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن
ولا يعصينك في معروف في حسنة تأمرهن بها والتقييد بالمعروف مع ان الرسول
لا يأمر الا به تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق فبايعهن
اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء واستغفر لهن الله ان
الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني
عامة الكفار او اليهود اذ روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون
اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الآخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانهم
لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات كما يئس الكفار
من اصحاب القبور ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع
الظاهر موضع الضمير للدلالة على ان الكفر آيسهم عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها اربع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم سبق تفسيره يا ايها
الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال
الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله
صفا فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر على
حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه
كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون المقت اشد البغض ونصبه على التمييز
للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة

في المنع عنه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا مصطفين مصدر
وصف به كانهم بنيان مرصوص في تراصهم من غير فرجة حال من المستكن في الحال
الاولى والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه واذ قال موسى لقومه
مقدر باذكر او وحين قال لهم ما قال كان كذا يا قوم لم تؤذونني بالعصيان والرمي
بالادرة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة
للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم فلما
زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب والله
لا يهدي القوم الفاسقين هداية موصلة الى معرفة الحق والى الجنة واذ قال
عيسى بن مريم يا بني اسرائيل ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له
فيهم اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا في حال تصديقي
لما تقدمني من التورية وتبشيري برسول يأتي من بعدي والعامل في الحالين ما في الرسول
من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل اسمه احمد يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى ديني التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اول الكتب
المشهورة الذي حكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم المرسلين فلما جاءهم
بالبينات قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته سحرا
للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى
ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اي لا احد اظلم
ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيقته المقتضي له خير الدارين فيضع موضع
الافتراء على الله بتكذيب رسله وتسميته اياته سحرا فانه يعم اثبات المنفي ونفي
الثابت وقرئ يدعي يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه والله لا يهدي القوم
الظالمين لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم يريدون ليطفئوا يريدون ان يطفئوا
واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تاكيدا كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة
تاكيدا في لا اباك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله يعني دينه او كتابه

اوجحه بافواههم يطعنهم فيه والله متم نوره مبلغ غايته بنشره واعلائه
وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالاضافة ولو كره الكافرون ارغاماً لهم
هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقرآن والمعجزة ودين الحق والملة الحنيفية
ليظهره على الدين كله ليغلبه على جميع الاديان ولو كره المشركون لما فيه من
محض التوحيد وابطال الشرك يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب اليم وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد تؤمنون بالله ورسوله
وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استئناف مبين للتجارة وهو الجمع
بين الايمان والجهاد المؤدي الى كمال عزهم والمراد به الامر وانما جيء به بلفظ
الخبر ايذاناً بان ذلك مما لا يترك ذلكم خير لكم يعني ما ذكر من الايمان والجهاد
ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله يغفر لكم ذنوبكم
جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره
ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم وبيعد جعله جواباً
لهل ادلكم لان مجرد دلالته لا توجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها
الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم الاشارة الى ما
ذكر من المغفرة وادخال الجنة واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة
نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل
وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره نصر من الله وهو
على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه
بالنصب على البدل والاختصاص والمصدر وفتح قريب عاجل وبشر المؤمنين
عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى الامر
كانه قال آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليهما آجلاً
وعاجلاً يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله وقرأ الحجازيان وابو عمرو بالتنوين
واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من

انصاري الى الله اى من جندى متوجهًا الى نصرة الله ليطابق قوله قال الحواريون
نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الاخر لما بينهما من
الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ
المراد قل لهم كما قال عيسى او كونوا انصارًا كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى
من انصاري الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به من الحور وهو
البياض وكانوا اثني عشر رجلًا فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة
اى بعيسى فايدنا الذين امنوا على عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى
فاصبحوا ظاهرين فصاروا غالبين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الصف كان عيسى مصليًا عليه مستغفرًا له ما دام في الدنيا وهو يوم

سورة الجمعة مدنية القيامة رفيقه وايها احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم
وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اى في
العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن رسولًا منهم من جملتهم اميًا مثلهم
يتلوا عليهم اياته مع كونه اميًا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم
من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والشريعة
او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه وان
كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة
احتياجهم الى نبي يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم وان هي
المخففة واللام تدل عليها وآخرين منهم عطف على الاميين او المنصوب في يعلمهم
وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا
بهم لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز الحكيم في تمكينه من هذا الامر
الخارق للعادة الحكيم في اختياره وتعليمه ذلك فضل الله ذلك الفضل الذي

امتاز به عن اقرانه فضله يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل
العظيم الذي يستحقر دونه نعيم الدنيا ونعيم الآخرة مثل الذين حملوا التوراة
علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا ولم ينتفعوا بما فيها كمثل
الحمار يحمل اسفارا كتبا من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل
فيه معنى المثل او صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا بئس مثل القوم الذين
كذبوا بآيات الله اي مثل الذين كذبوا وهم اليهود المكذبون بآيات الله على نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوفا والله
لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا تهودوا ان زعمتم انكم
اولياء لله من دون الناس اذ كانوا يقولون نحن اولياء الله واحباؤه فتمنوا
الموت فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة ان كنتم
صادقين في زعمكم ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي
والله عليم بالظالمين فيجازيهم على اعمالهم قل ان الموت الذي تفرون منه
وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم فانه ملاقيكم
لا تفوتونه لاحق بكم والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكأن
فرارهم يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغيرها ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء
عاطفة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم
عليه يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة اي اذن لها من يوم الجمعة بيان
لاذا وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب تسميه العروبة
وقيل سماه كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه اليه واول جمعة جمعها رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه لما قدم المدينة نزل قبا واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة
وصلى الجمعة في دار لبني سالم بن عوف فاسعوا الى ذكر الله فامضوا اليه مسرعين
قصدا فان السعي دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلاة والامر بالسعي اليها
يدل على وجوبها وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم خير لكم اي السعي الى ذكر الله

خير لكم من المقابلة فان نفع الاخرة خير وابقى ان كنتم تعلمون الخير والشر الحقيقيين
او كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلوة اديت وفرغ منها فانتشروا في
الارض وابتغوا من فضل الله اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر
بعد الحظر للاباحة وفي الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما
هو عيادة وحضور جنازة وزيارة اخ في الله لعلكم تفلحون بخير الدارين واذا
راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روي انه عليه السلام كان يخطب للجمعة
فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثني عشر فنزلت وافراد التجارة
برد الكناية لانها المقصودة فان المراد من اللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون
به العير والترديد للدلالة على ان منهم من انفض بمجرد سماع الطبل ورؤيته
او للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان
مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره اذا راوا تجارة انفضوا
اليها واذا راوا لهوا انفضوا اليه وتركوك قائما اي على المنبر قل ما عند الله
من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما يتوهمون
من نفعهما والله خير الرازقين فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من
اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية بسم الله الرحمن الرحيم وآيها احدى عشرة آية

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الشهادة اخبار عن علم
من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم في الشهادة
بقوله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم
يعتقدوا ذلك اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب او شهادتهم هذه فانها تجري
مجرى الحلف في التوكيد وقرئ ايمانهم جنة وقاية عن القتل والسبي فصدوا عن
سبيل الله صدا او صدودا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم

ذلك اشارة الى الكلام المتقدم اى ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى
الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان بانهم امنوا
انهم امنوا ظاهرا ثم كفروا سرا او امنوا اذا راوا الية ثم كفروا حينما سمعوا من شياطينهم
شبهة فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه فهم لا يفقهون
حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها
وصباحتها وان يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابى
جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جمع مثله فيعجب
بهيكلهم ويصغى الى كلامهم كانهم خشب مسندة حال من الضمير المجرور فى
لقولهم اى تسمع لما يقولون مشبهين باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم
اشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهى الخشبة التى نخر جوفها
شبهوا بها فى حسن المنظر وقبح المخبر وقرا ابو عمرو والكسائى وقنبل عن ابن كثير بسكون
الشين على التخفيف وعلى انه كبدن فى جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم
اى واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم ثانى مفعولى يحسبون ويجوز
ان يكون صلته والمفعول هم العدو وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه
بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله فاحذرهم عليه يدل على ان الضمير للمنافقين
قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان
يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق واذا قيل لهم تعالوا
يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك
ورايتهم يصدون يعرضون عن الاستغفار وهم مستكبرون عن الاعتذار
سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم
فى الكفر ان الله لا يهدى القوم الفاسقين الخارجين عن مظنة الاصلاح لانهماكهم
فى الكفر والنفاق هم الذين يقولون اى للانصار لا تنفقوا على من عند رسول
الله يعنون فقراء المهاجرين حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض

بيده الارزاق والقسم ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله يقولون
لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روى ان اعرابيا نازع بعض
الانصار في الغزوات على ماء فضرب الاعرابي رأسه بخشبة فشكا الى ابن ابي
فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة
فليخرج الاعز الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز
والاذل على هذه القراءات مصدرا وحالا على تقدير مضاف اى خروج او اخراج
او مثل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله
والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين
امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها
والاهتمام بها عن ذكره كالصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد
نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهى اليها للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل
ذلك اى اللهو بها وهو الشغل فاولئك هم الخاسرون لانهم باعوا العظيم
الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم ادخارا للاخرة من
قبل ان يأتي احدكم الموت اى يرى دلائله فيقول رب لولا اخرتني امهلتني
الى اجل قريب امد غير بعيد فاصدق فاتصدق واكون من الصالحين
بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقرأ ابو عمرو واكون
بالنصب عطفا على اصدق وقرئ بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح
ولن يؤخر الله نفسا ولن يمهلها اذا جاء اجلها اخر عمرها والله خبير
بما تعملون فمجاز عليه وقرأ ابو بكر بالياء ليوافق ما قبله في الغيبة عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق ٥

سورة التغابن مختلف فيها ثماني عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله لان نسبة ذاته الخ لان ذاته المقتضية للقدرة لا تنفك عنها وتكون نسبتها الى جميع الاشياء على سواء فلا يتصور كون بعضها مقدورا له دون بعض بل هو قادر عليها كلها قوله ثم شرع اي المدعى هنا كونه قادرا على كل شيء من الذوات والصفات كالكفر والايمان فقال هو الذي خلقكم الخ كما سنقرره

يسبح لله ما في السموات وما في الارض بدلالتها على كماله واستغنائه له الملك
وله الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة وهو
على كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما
ادعاه فقال هو الذي خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه
ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه والله بما تعملون بصير فيعاملكم
بما يناسب اعمالكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة وصوركم
فاحسن صوركم فصوركم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زينكم بصفوة
اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم انموذج جميع
المخلوقات واليه المصير فاحسنوا سرائركم حتى لا تمسخ بالعذاب ظواهركم يعلم
ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات
الصدور فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا لان نسبة المقتضي لعلمه
الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته
اولا بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم يأتكم
ايها الكافرون نبؤا الذين كفروا من قبل كقوم نوح وهود وصالح فذاقوا
وبال امرهم ضرر كفرهم في الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل
على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار ولهم عذاب اليم في الآخرة ذلك اي
المذكور من الوبال والعذاب بانه بسبب ان الشان كانت تأتيهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا وتعجبوا ان يكون الرسل بشرا والبشر
يطلق للواحد والجمع فكفروا بالرسل وتولوا عن التدبر في البينات واستغنى
الله عن كل شيء فضلا عن طاعتهم والله غني عن عبادتهم وغيرها حميد
يدل على حمده كل مخلوق زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم
ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان مع ما في حيزه قل بلى اي
بلى تبعثون وربي لتبعثن قسم اكد به الجواب ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة

والمحاذاة وذلك على الله يسير لقبول المادة وحصول القدرة التامة فآمنوا
بالله ورسوله محمد والنور الذي انزلنا يعني القرآن فانه باعجازه ظاهر
بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه والله بما تعملون خبير فمجازيكم عليه
يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن او مقدر باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم
التغابن يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا
سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن
الحقيقي هو التغابن في امور الآخرة لعظمها ودوامها ومن يؤمن بالله ويعمل
صالحا اي عملا صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما ذلك الاشارة الى مجموع
ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع
والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير
كانها والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له ما اصاب من مصيبة الا
باذن الله الا بتقديره وارادته ومن يؤمن بالله يهد قلبه للثبات والاسترجاع
عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة
سفه نفسه ويهدأ بالهمزة اي يسكن والله بكل شيء عليم حتى القلوب واحوالها
واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين فان توليتم
فلا بأس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل
المؤمنون لان ايمانهم بان الكل منه يقتضي ذلك يا ايها الذين آمنوا ان
من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم
في امر الدين او الدنيا فاحذروهم ولا تأمنوا غوائلهم وان تعفوا عن ذنوبهم
بترك المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك التثريب عليها وتغفروا باخفائها
وتمهيد معذرتهم فيها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل
عليكم انما اموالكم واولادكم فتنة اختبار لكم والله عنده اجر عظيم

للسن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي لهم فاتقوا الله ما استطعتم اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا في وجوه الخير خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اي فعلوا ما هو خير لها وهو تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف تقديره انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدر جوابا للاوامر ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون سبق تفسيره ان تقرضوا الله بصرف المال فيما امره قرضا حسنا مقرونا باخلاص وطيب قلب يضاعفه لكم يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة واكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق والله شكور يعطي الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء العزيز الحكيم تام القدرة والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة

سورة الطلاق مدنية بسم الله الرحمن الرحيم وهي اثنتا عشرة آية

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه كندائهم او لان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه فطلقوهن لعدتهن اي وقتها وهو الطهر فان اللام في الازمان وما يشبهها للتأقيت ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على ان العدة بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغي ان يكون في الطهر وانه يحرم في الحيض من حيث ان الامر بالشيء يستلزم النهي عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهي لا يستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر لما طلق امرأته حائضا امره عليه السلام بالرجعة وهو سبب نزوله واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء واتقوا الله ربكم في تطويل العدة والاضرار بهن لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن ولا يخرجن باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال

جاز اذ الحق لا يعدوهما وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله الا ان ياتين بفاحشة مبينة مستثنى من الاول والمعنى الا ان تبذو على الزوج فانه كالنشوز في اسقاط حقها او الا ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها او من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على ان خروجها فاحشة وتلك حدود الله الاشارة الى الاحكام المذكورة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بان عرضها للعقاب لا تدري اي النفس وانت ايها النبي او المطلق لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهو الرغبة في المطلقة برجعة او استئناف فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن عشرة وانفاق مناسب او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها واشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة او الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعي وجوبه في الرجعة واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه ذلكم يوعظ به يريد الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الآية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فانه المنتفع به والمقصود تذكيره ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدي حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل الله له مخرجا مما في شان الازواج من المضائق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون او كلام جيء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه عليه السلام اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعي اسره العدو فشكا ابوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتق الله واكثر قول لا حول ولا

قوله بناء للعام على الخاص يعني لو تقدمت هذه بان نعمل بها كان بها مخصص لقوله ازواجا في تلك لغير الحاملات وتقديم تلك في العمل بها يلزمه بناء العام وقوله واولات الاحمال الشامل للمطلقات والمتوفى عنها على الخاص وهو المتوفى عنها ثمة والمراد بالبناء كما قال بعض الفضلاء ان يراد بالعام الخاص من غير مخصص له اذ المتقدم لا يصح ان يكون مخصصا للمتاخر والبناء بهذا المعنى لم يتحقق فيه فهو محتاج للتحرير وقوله تعالى من امره يسرا اخذ م فيه البيان على مبتنيه للفاصلة او من فيه بمعنى في او تعليلية والسير الثواب والسهولة تامل
شهاب

فوة الا بالله ففعل فبيناهو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل
عنها العدو فاستاقها ومن يتوكل على الله فهو حسبه كافيه ان الله بالغ امره
يبلغ ما يريد ولا يفوته مراده وقرا حفص بالاضافة وقرئ بالغ امره اي نافذ
وبالغا على انه حال وخبر ان قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا او مقدارا او
اجلا لا يتاتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تاقيت الطلاق
بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سياتي من مقاديرها واللائي يئسن
من المحيض من نسائكم لكبرهن ان ارتبتم شككتم في عدتهن اي جهلتم
فعدتهن ثلاثة اشهر روي انه لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة
قروء قيل فما عدة اللائي لم يحضن فنزلت واللائي لم يحضن اي كذلك
واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن اي منتهى عدتهن وهو حكم يعم
المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى من المحافظة على
عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال
بالذات وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل ههنا بخلافه ثمة ولانه صح ان
سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال قد حللت فتزوجي ولانه متاخر النزول فتقديمه تخصيص
وتقديم الاخر بناء للعام على الخاص والاول راجح للوفاق عليه ومن يتق الله في
احكامه فيراعي حقوقها يجعل له من امره يسرا يسهل عليه امره ويوفقه للخير
ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم ومن يتق الله في احكامه
فيراعي حقوقها يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم
له اجرا بالمضاعفة اسكنوهن من حيث سكنتم اي مكانا من سكناكم من
وجدكم من وسعكم اي مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم
ولا تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن فتلجئوهن الى الخروج وان كن
اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة وهذا يدل

على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والاحاديث توافقه فان ارضعن
لكم بعد انقطاع علقة النكاح فآتوهن اجورهن على الارضاع وأتمروا بينكم
بمعروف وليأمر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر وان تعاسرتم تضايقتم
فسترضع له اخرى امرأة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة
من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله اى لينفق كل من الموسر والمعسر
ما بلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها
وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعد له باليسر فقال سيجعل الله بعد عسر
يسرا اى عاجلا او آجلا وكأين من قرية اهل قرية عتت عن امر ربها ورسله
اعرضت عنه اعراض العاتي المعاند فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء
والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها
والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق فذاقت وبال امرها عقوبة كفرها ومعاصيها
وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح فيه اصلا اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير
للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور به في قوله فاتقوا الله يا اولي الالباب
ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة
وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يعني
بالذكر جبريل لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر وهو القرآن ولانه مذكور في السموات
او ذا ذكر اى شرف او محمدا عليه السلام لمواظبته على قراءة القرآن او تبليغه وعبر
عن ارساله بالانزال ترشيحا او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدل عنه رسولا للبيان
او اراد به القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او ذكرا والرسول مفعوله
او بدله على انه بمعنى الرسالة يتلوا عليكم آيات الله مبينات حال من اسم الله
او صفة رسولا والمراد بالذين في قوله ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات اى ليحصل
لهم ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه يؤمن من
الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله

جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قرأ نافع وابن عامر ندخله
بالنون قد احسن الله له رزقا فيه تعجيب وتعظيم لما رزقوا من الثواب الله الذي
خلق سبع سموات مبتدأ وخبر ومن الارض مثلهن اي وخلق مثلهن في العدد من
الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله وقضاؤه
بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل
شيء علما علة لخلق او يتنزل او مضمر يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلعم

سورة التحريم مدنية بسم الله الرحمن الرحيم وآيها اثنتا عشرة آية

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي انه عليه السلام خلا بمارية في يوم عائشة
او حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل شرب
عسلا عند حفصة فواطأت عائشة سودة وصفية فقلن له انا نشم منك ريح المغافير
فحرم العسل فنزلت تبتغي مرضات ازواجك تفسير لتحرم او حال من فاعله او استئناف
لبيان الداعي اليه والله غفور لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم ما احله الله رحيم
رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة
ايمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او الاستثناء فيها
بالمشيئة حتى لا تحنث من قولهم حلل في يمينه اذا استثنى فيها واحتج به من رأى التحريم
مطلقا او تحريم المرأة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه
كونه يمينا مع احتمال انه عليه السلام اتى بلفظ اليمين كما قيل والله مولاكم متولي
امركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه واذ اسر
النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا تحريم مارية او العسل وان الخلافة
بعده لابي بكر وعمر فلما نبأت به اي فلما اخبرت حفصة عائشة بالحديث واظهره
الله عليه واطلع النبي عليه السلام على الحديث اي على افشائه عرف بعضه
عرف الرسول حفصة بعض ما فعلت واعرض عن بعض عن اعلام بعض تكرما

او جازاها على بعضه بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض وتؤيده قراءة الكسائي بالتخفيف

فانه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف

بالعكس ويؤيد الاول قوله فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم

الخبير فانه اوفق للاعلام ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات

للمبالغة في المعاتبة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل

قلوبكما عن الواجب من مخالفة الرسول بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وان تظاهرا

عليه وان تظاهرا عليه بما يسوءه وقرأ الكوفيون بالتخفيف فان الله هو مولاه وجبريل

وصالح المؤمنين فلن يعدم من يظاهره الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله

ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه

والملائكة بعد ذلك ظهير متظاهرون وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح

الجنس ولذلك عم بالاضافة وقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما

ينصره الله به عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن على التغليب

او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا

منهن لان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه

وقرأ نافع وابو عمرو يبدله بالتخفيف مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او

مصدقات قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات عن الذنوب عابدات

متعبدات او متذللات لامر الرسول سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لانه

يسيح بالنهار بلا زاد او مهاجرات ثيبات وابكارا وسط العاطف بينهما لتنافيهما

ولانهما في حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار يا ايها الذين

امنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بالنصح والتاديب

وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم انفس القبيلين على تغليب المخاطبين

نارا وقودها الناس والحجارة نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب عليها ملائكة

تلي امرها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق

قوله مقرات هو معنى مسلمات ومخلصات معنى مؤمنات لانه تصديق بالقلب وهو لا يكون الا خالصا فلا تكرار في الجمع بينهما هنا او الاسلام بمعنى الانقياد وهو معناه اللغوي فيفيد ذكره مع المؤمنات شهاب

شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون
ما يؤمرون فيما يستقبل ولا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ما
يؤمرون به يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اى
يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهى عن الاعتذار لانه لا عذر لهم او العذر لا ينفعهم
يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا بالغة فى النصح وهو صفة التائب فانه
ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازى مبالغة او فى النصاحة وهى
الخياطة كانها تنصح ما خرق الذنب وقرأ ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح
كالشكر والشكور او النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح او تنصح
نصوحا او توبوا نصوحا لانفسكم وسئل على عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء
على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم
وان تعزم على ان لا تعود وان تربى نفسك فى طاعة الله كما ربيتها فى المعصية
عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار
ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجبة
وان العبد ينبغى ان يكون بين خوف ورجاء يوم لا يخزى الله النبى ظرف ليدخلكم
والذين امنوا معه عطف على النبى احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم وقيل مبتدأ خبره
نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اى على الصراط يقولون اذا طفئ نور المنافقين
ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شىء قدير وقيل تتفاوت انوارهم
بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا يا ايها النبى جاهد الكفار بالسيف والمنافقين
بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذا بلغ الرفق مداه
ومأواهم جهنم وبئس المصير جهنم ومأواهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح
وامرأة لوط مثل الله حالهم فى انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين
النبى عليه السلام والمؤمنين من النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا
صالحين يريد به تعظيم نوح ولوط فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا عنهما من الله شيئا

فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج اغناء ما وقيل ادخلا النار اي لهما عند موتهما او يوم القيامة النار مع الداخلين مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون شبه حالهم في ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال آسية ومنزلتها عند الله مع انها كانت تحت اعدى اعداء الله اذ قالت ظرف للمثل المحذوف رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك او في اعلى درجات المقربين ونجني من فرعون وعمله من نفسه الخبيثة وعمله السيء ونجني من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنة عمران عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل التي احصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه في فرجها وقرئ فيها اي في مريم او في الحمل من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتابه وكتبه وما كتب في اللوح او جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى والانجيل وكانت من القانتين من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب وللاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم او من نسلهم فيكون من ابتدائية عن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد عليه الصلاة والسلام وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعنه عليه السلام من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر

ثلاثون بسم الله الرحمن الرحيم آية

تبارك الذي بيده الملك بقبضة قدرته التصرف في الامور كلها وهو على كل شيء قدير على كل ما يشاء قدير الذي خلق الموت والحياة قدرهما او اوجد الحياة واذالها حسبما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه

احصنت اي عن الفواحش لانها قذفت بالزنا ونفخنا حمل على حقيقته قال ابن عباس نفخ جبريل عليه السلام في جيب الدرع ومده باصبعه ونفخ فيه وكل ما في الدرع من الخرق ونحوه فانه يقع عليه اسم الفرج والضمير في فيه للفرج وقيل هو جيب الدرع وقد مر في الانبياء نيسابوري وكتب ما ذكره في الانبياء في ذلك في مشقة مخصوصة فليراجع منه

ادعى الى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون ايكم احسن عملا اصوبه واخلصه وجاء مرفوعا احسنكم عقلا واورعكم عن محارم الله واسرعكم في طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لانه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا تعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصف به او طوبقت طباقا او ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال او طبقة كرحبة ورحاب ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وقرأ حمزة والكسائي من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين فات عنه بعض ما في الاخر والجملة صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان في ابداعها نعما جليلة لا تحصى والخطاب فيها للرسول او لكل مخاطب فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب اي قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة اخرى متأملا فيها لتعاين ما اخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك ولذلك اجاب الامر بقوله ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد عنه طردا بالصغار وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد زينا السماء الدنيا اقرب السموات الى الارض بمصابيح بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السراج فيها ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة في سموات فوقها اذ التزيين باظهارها عليها والتنكير للتعظيم وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم

بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم به واعتدنا لهم عذاب السعير في الاخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمير وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق غيظا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية كلما القي فيها فوج جماعة من الكفرة سألهم خزنتها الم يأتكم نذير يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير اي فكذبنا الرسل وافرطنا في التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال رأسا وبالغنا في نسبتهم الى الضلال فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف اي اهل انذار او منعوت به للمبالغة او الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب او اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج قد جاء الى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة القول فيكون الضلال على ما كانوا عليه في الدنيا او عقابه الذي يكونون فيه وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات او نعقل فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا في اصحاب السعير في عدادهم ومن جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لانه في الاصل مصدر او المراد به الكفر فسحقا لاصحاب السعير فاسحقهم الله سحقا اي ابعدهم من رحمته والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائي بالتثقيل ان الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد او غائبين عنه او عن اعين الناس او بالمخفي عنهم وهو

قلوبهم لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير يصغر دونه لذائذ الدنيا واسروا قولكم
او اجهروا به انه عليم بذات الصدور بالضمائر قبل ان يعبر عنها سرا وجهرا
الا يعلم من خلق الا يعلم السر والجهر من اوجد الاشياء حسبما قدرته حكمته
وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن او الا يعلم الله
من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعي ان يكون ليعلم مفعول
ليفيد روي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله به رسوله
فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله على جهلهم هو الذي جعل
جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل لكم السلوك فيها فامشوا في مناكبها
في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه
الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شيء
لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله واليه النشور المرجع فيسألكم
عن شكر ما انعم عليكم أأمنتم من في السماء يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا
العالم او الله تعالى على تأويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب فانهم
زعموا انه تعالى في السماء وعن ابن كثير وأمنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام
ما قبلها وآمنتم بقلب الثانية الفا وهي قراءة نافع وابي عمرو ورويس ان يخسف
بكم الارض فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال
فاذا هي تمور تضطرب والمور التردد في المجيء والذهاب ام امنتم من في السماء
ان يرسل عليكم حاصبا ان يمطر عليكم حصباء فستعلمون كيف نذير كيف انذاري
اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف
كان نكير انكاري عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول وتهديد لقومه اولم
يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن
اذا بسطنها صففن قوادمها ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن
وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحرك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة

بين الاصبع في الطيران والطارئ عليه ما يمسكهن في الجو على خلاف الطبع الا الرحمن
الشامل رحمته كل شيء بان خلقهن على اشكال وخصائص هيأهن للجري في الهواء
انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب امن هذا الذي هو جند
لكم ينصركم من دون الرحمن عديل لقوله اولم يروا على معنى اولم ينظروا في امثال
هذه الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم
جند ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من
دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا
هذا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره والذي بصلته صفته وينصركم وصف لجند
محمول على لفظه ان الكافرون الا في غرور لا معتمد لهم امن هذا الذي يرزقكم
ام من يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه بامساك المطر ووسائر
الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم بل لجوا تمادوا في عتو عناد ونفور وشراد
عن الحق لتنفرطباعهم عنه افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى يقال كببته فاكب
وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فاقشع والتحقيق انهما من باب انفض بمعنى صار
ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعي كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى
مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزائه ولذلك
قابله بقوله امن يمشي سويا قائما سالما من العثار على صراط مستقيم مستوى
الاجزاء والجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين
ولعل الاكتفاء بما في الكب من الدلالة على حال المسلك للاشعار بان ما عليه
المشرك لا يستاهل ان يسمى طريقا كمشي المتعسف في مكان متعاد غير مستو وقيل
المراد بالمكب الاعمى فانه يتعسف فينكب وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا
هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة
قل هو الذي انشأكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ والابصار لتنظروا
صنائعه والافئدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون باستعمالها فيما

خلقتنا لاجلها قل هو الذى ذراكم فى الارض واليه تحشرون للجزاء ويقولون
متى هذا الوعد اى الحشر او ما وعدوا من الخسف والحاصب ان كنتم صادقين
يعنون النبى والمؤمنين قل انما العلم اى علم وقته عند الله لا يطلع عليه غيره
وانما انا نذير مبين والانذار يكفيه العلم بل الظن بوقوع المحذر منه فلما
راوه اى الوعد فانه بمعنى الموعود زلفة ذا زلفة اى قرب منهم سيئت وجوه
الذين كفروا بان علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب وقيل هذا الذى كنتم
به تدعون تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء او تدعون ان لا بعث
فهو من الدعوى قل ارايتم ان اهلكنى الله اماتنى ومن معى من المؤمنين او
رحمنا بتاخير آجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اى لا ينجيهم احد
من العذاب متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون قل هو الرحمن
الذى ادعوكم اليه مولى النعم كلها امنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق
عليه والعلم بان غيره بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار
به فستعلمون من هو فى ضلال مبين منا ومنكم وقرأ الكسائى بالياء قل
ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا فى الارض بحيث لا ينال بالدلاء مصدر وصف
به فمن يأتيكم بماء معين جار او ظاهر سهل المأخذ عن النبى صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر

سورة ن مكية وآيها اثنتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

ن من اسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او اليهموت وهو الذى عليه
الارض او الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه شئ اشد سوادا من النقس يكتب
به ويؤيد الاول سكونه وكتبته بصورة الحرف والقلم هو الذى خط اللوح والقلم
او الذى يخط به اقسم به لكثرة فوائده واخفى ابن عامر والكسائى ويعقوب
النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم
اذا اتصلت بها وقد روى ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كصاد

حط

قوله واخفى ابن عامر الخ الاخفاء لغة الستر وفى اصطلاح القراء صفة للحرف بين الاظهار والادغام عار من التشديد مع بقاء الغنة فى الحرف الاول وبينه ظهر مفارقته للادغام والاخفاء للنون يكون مع غير الباء والالف وغير احرف الحلق الستة واحرف يرملون الستة فهو عند خمسة عشر حرفا غير هذه والنون تدغم مع الغنة وعدمها فى حروف يرملون اذا عرفت هذه ظهر لك ما فى كلام المص من الخلل اذ ان حمل قوله اخفى على معنى ادغم لان الاخفاء لغوى لا اصطلاحى وان كان اولى من بقائه لانه اقل فسادا وهو المنقول فى كتب الاداء عن هؤلاء ايضا غير ظاهر الا ان قوله اجراء للواو المنفصل الا وجه له فانه ان اراد انفصالها بحرف آخر فليس بصحيح وان اراد الانفصال عن الكلمة بان يكون فى كلمة اخرى فليس كونهما من كلمة واحدة شرطا عند احد من القراء

قوله مع حروف الفم ...

وما يسطرون وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم وبالمعنى الثاني
على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الالة واجراؤه مجرى اولى العلم لاقامته مقامهم
او لاصحابه او للحفظة وما مصدرية او موصولة ما انت بنعمة ربك بمجنون
جواب القسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأي والعامل
في الحال معنى النفي وقيل مجنون والباء لا يمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من
حيث المعنى وان لك لاجرا على الاحتمال والبلاغ غير ممنون مقطوع او ممنون
به عليك من الناس فانه تع يعطيك بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم اذ تحتمل من
قومك ما لا يحتمله امثالك وسئلت عائشة عن خلقه فقالت كان خلقه القرآن
الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بايكم المفتون ايكم
الذي فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول
والمجلود او باي الفريقين منكم المجنون بفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي
ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهم المجانين
على الحقيقة وهو اعلم بالمهتدين الفائزين بكمال العقل فلا تطع المكذبين
تهييج للتصميم على معاصاتهم ودوا لو تدهن تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك
او توافقهم فيه احيانا فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء
للعطف اي ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن او للسببية
اي ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا
فيه وفي بعض المصاحف فيدهنوا على جواب التمني ولا تطع كل حلاف كثير الحلف
في الحق والباطل مهين حقير الرأي من المهانة وهي الحقارة هماز عياب مشاء
بنميم نقال للحديث على وجه السعاية مناع للخير يمنع الناس عن الخير من الايمان
والانفاق والعمل الصالح معتد متجاوز في الظلم اثيم كثير الآثام عتل جاف
غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد من مثالبه
زنيم دعي مأخوذ من زنمتي الشاة وهما المتدليتان من اذنها وحلقها قيل هو الوليد

قوله وقيل مجنون اي العامل في الحال المجنون كما ذكر الزمخشري وقوله والباء لا تمنع الخ لان معمول المجرور
كان بالحرف او بالاضافة لا يتقدم عليه كما ذكره النحاة لكنها لكونها زائدة هنا لم تعد مانعا وقوله وفيه
نظر اعترض عليه بما اشبه لانه يقتضي ان انتفاء الجنون عنه في هذه الحالة وقد لا ينتفي في غيرها
وكونها حالا لازمة كما ذكره المعرب لا يدفع الايهام ولا يخفى انه وارد على ما اختاره المص ايضا ويتكلف في وجه
النظر انه نفي داخل على مقيد فاما ان يكون لنفي
القيد فقط او مع المقيد واما كونه لنفي المقيد
فقط فلم يرد في كلامهم فيقتضي نفي الجنون والانعام
عليه او نفي الانعام وثبوت الجنون وكلاهما غير صحيح
هنا وقد قيل عليه ان المتبادر من نحو ما زيد بقائم
ضاحكا نفي القيام في هذه الحالة من غير القيام
فيجوز قيامه في غيرها فاذا كان المحكوم به لازما
لتلك الحالة لزم من نفيه نفيها والجنون نفي
لازم للنعمة الا ان المتبادر في المثال ثبوت القيام

ابن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شريق اصله في
ثقيف وعداده في زهرة ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير
الاولين اي قال ذلك حينئذ لانه كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره
لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون
علة للا تطع بمعنى ولا تطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر
أان كان على الاستفهام غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين اي الان
كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على ان شرط الغني في النهي عن الطاعة كالتعليل
بالفقر في النهي عن قتل الاولاد وان شرطه للمخاطب اي لا تطع شارطا يساره لانه
اذا اطاع للغني فكانه شرطه في الطاعة سنسمه بالكي على الخرطوم على الانف
وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقي اثره وقيل هو عبارة عن ان يذله
غاية الاذلال كقولهم جدع انفه لان السمة على الوجه سيما على الانف شين
وتسود وجهه يوم القيمة انا بلوناهم بلونا اهل مكة بالقحط كما بلونا اصحاب
الجنة يريد بستانا كان دون صنعاء لرجل صالح وكان ينادي
الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل او القته الريح او بعد من البساط
الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان
يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين
كما قال اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون
ولا يقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج
خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه ولان معنى لا اخرج ان شاء الله ولا اخرج
الا ان يشاء الله واحد او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج ابوهم فطاف
عليها على الجنة طائف بلاء طائف من ربك مبتدأ منه وهم نائمون فاصبحت
كالصريم كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء فعيل بمعنى مفعول
او كالليل باحتراقها واسودادها او كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا

بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال فتنادوا مصبحين ان
اغدوا على حرثكم اي اخرجوا او بان اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى لما
في معنى الاقبال ولتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء
ان كنتم صارمين قاطعين له فانطلقوا وهم يتخافتون يتشاورون فيما بينهم
وخفي وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها
اليوم عليكم مسكين ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهي
المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقوله لا ارينك ههنا
وغدوا على حرد قادرين وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم
يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم عزموا ان يتنكدوا
على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها الا على النكد وغدوا حاصلين
على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد
قرئ به اي لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله يتلاومون وقيل القصد
والسرعة قال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة اي غدوا الى
جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها او قيل علم للجنة فلما رأوها
اول ما رأوها قالوا انا لضالون طريق جنتنا وما هي بها بل نحن اي بعد ما تأملوا
وعرفوا انها هي محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم
رأيا او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرونه وتتوبون اليه من خبث
نيتكم وقد قاله حينما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى قالوا سبحان ربنا
انا كنا ظالمين او لولا تستثنون فسمي الاستثناء تسبيحا لتشاركهما في
التعظيم او لانه تنزيه عن ان يجري في ملكه ما لا يريده فاقبل بعضهم على
بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من
استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا
طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها بركة التوبة

قوله ان يتشبثوا المأخوذ من قوله ام نجعل المسلمين كالمجرمين لان توسوهم لذلك اما باستحقا
له اولان الله وعدهم به ووعد الكريم دين وهو من قوله ام لكم ايمان ومن لم يعهد زعم ان الوعد
تركه او محض تقليد من قوله ام لهم شركاء لان المراد من شاركهم في هذه المقالة وتبعهم
لها كما مر وهو معطوف على عقل وكونه على الترتيب معلوم من تقريره وقوله مراتب
النظر من الدليل العقلي ثم النقلي ثم التقليد من يعتقد صحة دليله ولا عد فيه
للنظر في النظر تغليبا كما توهم وليس مثل قوله تزييفا اي ابطالا وهو مستعار من
بيان الناقد للرائج من الزيف المغشوش والسند هنا ما يستند اليه من الدليل وما
يقرب منه كتقليد من يصح تقليده وليس المراد به مصطلح اهل الجدل وهو ما يبنى عليه
المنع فقط وان صح هنا بنوع تكلف فيدا فاعرفت هذا من غير تعسف علمت فساد ما
هنا لا رباب الحواشي كما قيل ان في قوله من عقل الى لفا ونشرا مرتبا فالاول بيان لما
يتشبث فيه عقلا والثاني لما يتشبث به نقلا وهو ان يكون لهم كتاب يدرسون فيه
ان لهم ما يشتهون او ان يكون ايمان بالله عليه تعالى بالغة الى يوم القيمة وقوله
او محض عطف على وهو عطف ان يكون التقليد من المتشبثات النقلية او عطف على
قوله نقل على ان يكون متشبثا اخر غير مستحق قوله وقيل المعنى الخ المراد بالشركاء على
الاول من قال بمثل مقالتهم فشاركهم فيها وعلى هذا الالهة التي عدوها شركاء في
الالوهية وقوله يوم يكشف على الثاني متعلق بقوله فليأتوا وكذا على الاول ويجوز
تعلقه بمقدر كما ذكره كان كيت وكيت وقيل بجاشمة وقيل ترهقهم شهاب

والاعتراف بالخطيئة وقد روى انهم ابدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف
انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها
معنى الرجوع كذلك العذاب مثل ذلك الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة
العذاب في الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر اعظم منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا
عما يؤديهم الى العذاب ان للمتقين عند ربهم اي في الاخرة او في جوار القدس
جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص افنجعل المسلمين كالمجرمين
انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه
لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه في الدنيا ما لكم كيف
تحكمون التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال
فكر واعوجاج رأي ام لكم كتاب من السماء فيه تدرسون تقرؤون ان لكم
فيه لما تخيرون ان لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه
المدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استينافا
وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا عهود موكدة بالايمان
بالغة متناهية في التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين
الى يوم القيامة متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا
نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم في ذلك اليوم او ببالغة اي ايمان تبلغ ذلك اليوم
ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا
لكم سلهم ايهم بذلك زعيم بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه ام
لهم شركاء يشاركونهم في هذا القول فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين
في دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه سبحانه في هذه الآيات على نفي جميع
ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل ونقل يدل عليه لاستحقاق او وعد او محض
تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى
ام لهم شركاء يعني الاصنام يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة كأنه لما نفى

ان يكونوا مثلهم فى الشركة والاستحقاق او يقيموا الآلهة مقامهم ان كانوا صادقين (بزيادة الهامش غير مقروءة)

ان يكونوا نما يشركون الله به يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب قال حاتم
اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا
او يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل او التعظيم وقرئ تكشف بالتاء على بناء الفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال ويدعون الى السجود توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم القيامة او يدعون الى الصلوات لاوقاتها ان كان وقت النزع فلا يستطيعون لذهاب وقته او زوال القدرة عليه خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة تلحقهم ذل وقد كانوا يدعون الى السجود فى الدنيا او فى زمان الصحة وهم سالمون متمكنون منه مزاحوا العلل فيه فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث كله الى فانى اكفيكه سنستدرجهم سنستدنيهم من العذاب درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين واملى لهم وامهلهم ان كيدى متين لا يدفع بشىء وانما سمى انعامه استدراجا بالكيد لانه فى صورته ام تسألهم اجرا على الارشاد فهم من مغرم من غرامة مثقلون بحملها فيعرضون عنك ام عندهم الغيب اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون به ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يونس اذ نادى فى بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا فى الضجرة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه يعنى التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه اى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء بالارض الخالية عن الاشجار وهو مذموم مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب

١٨٣

قوله لذهاب وقته الاول على ان المراد يوم القيمة والثانى على ان وقت النزع فهو لف ونشر مرتب والاستطاعة فى الاصل استدعاء الطواعية وهى الارادة والقصد ونفيها قد يكون لانتفاء القدرة وقد يكون نفيا للارادة لوجه ما كالكراهة وان كان قادرا كما فى قوله هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال ابن هشام فى تذكرته ومن خطه نقلت وما هنا ناظر له فانه فى الاول لم تنتف القدرة فيه وانما انتفى التكليف وفى حالة النزع انتفت القدرة للمرض وكذا قوله فى الدنيا او فى زمان الصحة وكذا قوله متمكنون الكنه لف ونشر غير مرتب ومزاحوا العلل اى مرفوعة عنهم العلل فى الدنيا لانهم يكلفون فيها كما قيل ان كلامه يشعر بان الاستطاعة المنفية القدرة الشرعية وما بعده يدل على ان المراد القدرة الحقيقية فيه تامل بل سلامة الاسباب والآلات
شهاب

لانها المنفية دون النفي فاجتباه ربه بان رد الوحي اليه او استنباه ان صح انه لم
يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه
من ان يفعل ما تركه اولى وفيه دليل على خلق الافعال والاية نزلت حين هم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يدعو على ثقيف وقيل باحد حين حل به ما حل فاراد ان يدعو
على المنهزمين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ان هي المخففة
واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون
يزلقون قدمك ويرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه
بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روي انه كان في بني اسد
عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث
ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصايص بعض النفوس
وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اي يهلكونك
لما سمعوا الذكر اي القرآن اي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم ويقولون
انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر للعالمين لما جننوه
لاجل القرآن بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا
وامتنهم رأيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثوا

سورة الحاقة مكية الذين حسن الله اخلاقهم وآيها احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة اي الساعة او الحالة التي يحق وقوعها او التي يحق فيها الامور اي تعرف
حقيقتها او يقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازي
وهو مبتدأ خبره ما الحاقة واصله ما هي اي اي شيء هي على التعظيم لشانها
والتهويل لها فوضع الظاهر موضع الضمير لانه اهول لها وما ادراك ما
الحاقة واي شيء اعلمك ما هي اي انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان تبلغها
دراية احد وما مبتدأ وادراك خبره كذبت ثمود وعاد بالقارعة بالحا

لة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار وانما وضعت موضع
ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة
المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم
بالتكذيب وغيره على انها مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا
بريح صرصر اي شديدة الصوت او البرد من الصر او الصر عاتية شديدة
العصف كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا
ردها سخرها عليهم سلطها عليهم بقدرته وهو استيناف او صفة جيء به لنفي
ما يتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب
سبع ليال وثمانية ايام حسوما متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة اذا
تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم
ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر
حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة
الاربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان
عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن فاهلكتها فترى
القوم ان كنت حاضرهم فيها في مهابها او في الليالي والايام صرعى موتى جمع
صريع كانهم اعجاز نخل اصول نخل خاوية متآكلة الاجواف فهل ترى لهم
من باقية من بقية او نفس باقية او بقاء وجاء فرعون ومن قبله ومن
تقدمه وقرأ البصريان والكسائي ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويدل
عليه انه قرئ ومن معه والمؤتفكات قرى قوم لوط والمراد اهلها بالخاطئة
بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل
امة رسولها فاخذهم اخذة رابية زائدة في الشدة زيادة اعمالهم في القبح انا
لما طغى الماء جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو يؤيد
من قبله حملناكم اي آباءكم وانتم في اصلابهم في الجارية في سفينة نوح لنجعلها

لكم لنجعل الفعلة وهي انجاء المؤمنين واغراق الكافرين تذكرة عبرة ودلالة
على قدرة الصانع وحكمته وكمال قدرته ورحمته وتعيها وتحفظها وعن ابن كثير
تعيها بسكون العين تشبيها بكتف والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء
ان تحفظه في غيرك اذن واعية من شانها ان تحفظ ما يجب حفظها بتذكره
واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه
مع قلته تسبب لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرأ نافع اذن بالتخفيف فاذا
نفخ في الصور نفخة واحدة لما بالغ في تهويل القيامة وذكر مآل المكذبين بها
تفخيما لشانها وتنبيها على مكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل
الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل
الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم وحملت
الارض والجبال رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة او
ريح عاصفة فدكتا دكة واحدة فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة
فيصير كل هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا امتا
لان الدك سبب التسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لا سنام لها وارض دكاء
للمتسعة المستوية فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة قامت القيامة وانشقت
السماء لنزول الملائكة فهي يومئذ واهية ضعيفة مسترخية والملك
والجنس المتعارف بالملك على ارجائها اي جوانبها على ارجائها جمع رجى بالقصر
ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحواليها
وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك ويحمل عرش ربك فوقهم
فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية لانها في نية التقديم يومئذ
ثمانية ثمانية املاك لما روي مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة
ايدهم الله باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله
ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس

للقضاء العام وعلى هذا قال يومئذ تعرضون تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان
العسكر ليعرف احوالهم وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما
لزمان متسع تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة
واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية سريرة على الله حتى يكون
العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة في العدل او على
الناس كما قال يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة والكسائي بالياء للفصل فاما من اوتي
كتابه بيمينه تفصيل للعرض فيقول تبجحا هاؤم اقرءوا كتابيه ها اسم
لخذوا وفيه لغات اجودها ها يا رجل وهاء يا امرأة وهاؤما يا رجلان وامرأتان
وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرءوا لانه
اقرب العاملين ولانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرءوه اذ
الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت
تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب الوقف لثباتها في الامام ولذلك قرئ
باثباتها في الوصل اني ظننت اني ملاق حسابيه اي علمت ولعله عبر عنه بالظن
اشعارا بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا ينفك عنها
العلوم النظرية فهو في عيشة راضية ذات رضى على النسبة بالصيغة او جعل
الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم
في جنة عالية مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار
قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالكسر المصدر دانية
يتناولها القاعد كلوا واشربوا باضمار القول وجمع الضمير للمعنى هنيئا
اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في
الايام الخالية الماضية ايام الدنيا واما من اوتي كتابه بشماله فيقول
لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه
يا ليتها الموتة التي متها كانت القاضية القاطعة لامري فلم ابعث بعدها او

اويا ليت الدنيا كانت الموتة ولم احي بعدها ما اغنى عني ماليه مالي من المال والتبع

وما نفي والمفعول محذوف او استفهام انكار مفعول لاغنى هلك عني سلطانيه

ملكي وتسلطي على الناس او حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا خذوه يقوله الله

لخزنة النار فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان يتعظم

على الناس ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا اي طويلة فاسلكوه فادخلوه

فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة

كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع ما يعذب به وثم

لتفاوت ما بينها في الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل على طريقة

الاستيناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها

استوجب ذلك ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على

اطعامه فضلا ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف

بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكافر بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر

لان اقبح العقائد الكفر بالله واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم

ههنا حميم قريب يحميه ولا طعام الا من غسلين غسالة اهل النار وصديدهم

فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا

تعمد الذنب من الخطأ المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون

بطرحها فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فاقسم ولا مزيدة

او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستانف بما تبصرون وما لا تبصرون بالمشاهدات

والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها انه ان القرآن لقول رسول يبلغه

عن الله فان الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله وهو محمد او جبريل عليهما السلام

وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون تصدقون لما ظهر لكم

صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم ولا بقول كاهن كما تدعون اخرى قليلا

ما تذكرون تذكرون تذكرا قليلا ولذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي

الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر امر بين لا

ينكرها الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول ومعاني

القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وقرأ ابن كثير ويعقوب بالياء فيهما

تنزيل هو تنزيل من رب العالمين نزله على لسان جبريل ولو تقول علينا بعض الاقاويل

سمي الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة

من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط

قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه

وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة

فما منكم من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه

عام والخطاب للناس وانه وان القرآن لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به

وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين

اذا راوا ثواب المؤمنين به وانه لحق اليقين اليقين الذي لا ريب فيه فسبح

باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضى بالتقول عليه

وشكرا على ما اوحى اليك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله

سورة المعارج مكية حسابا يسيرا وآيها اربع واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل سائل بعذاب واقع اي دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدي الفعل بالباء

والسائل نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك او ابو جهل

فانه قال فاسقط علينا كسفا من السماء سأله استهزاء او الرسول عليه السلام استعجل

بعذابهم وقرأ نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال على لغة قريش قال سالت

هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان ويؤيده

انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال واد بعذاب

ومضي الفعل لتحقق وقوعه اما في الدنيا وهو قتل بدر او في الآخرة وهو عذاب النار

عط
قوله او بيوم القيمة اي الكشاف فيمن علق في يوم بواقع لان المراد به يوم القيمة ولا يوصف بالقرب والبعد واما اذا علق بتعرج فليس المراد به يوم القيمة ولا يوصف بالقرب والبعد معنى لان استبعادهم اياه لاستحالتهم له وهم يستحيلون يوم العذاب لانكارهم له لا يوم عروج الملائكة لانه لم يقرع اسماعهم فمن قال يجوز ارادته اذا تعلق بيعرج ايضا لان وانه يدل عليه في احد الوجهين لم يقف على مراده لان مراده انه لا يعود الى يوم المذكور على ما ذكره يرجع الى ما فهم من الكلام وهو شيء اخر قوله من الامكان فالمراد بالبعد البعد عن الامكان والقرب القرب منه ولا شك ان العذاب او يوم القيمة ممكن ولا معنى لوصف الممكن بالقرب من الامكان لدخوله في حيزه الا ان يكون للمشاكلة والمراد وصفه بالامكان وهم يحيلونه لقولهم من يحيي العظام وهي رميم قوله او من الوقوع فقدم في الثاني دون الاول لانه لو تعلق به افاد امكانه عندهم وهم يحيلونه كما سمعت فيصير المعنى انهم يرونه بعيدا من الامكان ونحن نراه قريبا من الوقوع فضلا عن الامكان وهو احسن من تقدير الامكان فيهما فمن قال الاول في ايفاء حق البلاغة اظهر وتعليق الثاني ببعيد فيه ايهام اعتقادهم لامكانه لم يصب قوله ممكن يوم يكون بيان لحاصل المعنى وفيه اشارة الى ما قلنا من ان المراد بالقرب من الامكان الامكان وعبر به اما مشاكلة او ارخاء للعنان المشاكلة والمراد انه ليس في ذلك اليوم ما يحيله فهو باق على امكانه والا فالامكان متحقق في كل زمان فلا معنى لتقييده به وقيل المراد نظهر امكانه فيه قوله دل عليه واقع وهو يقع و قوله من في يوم ان علق به اي بواقع لانه يكون المراد به يوم القيمة يجوز ابداله منه بخلاف ما اذا علق بيعرج فانه غير هذا اليوم وهو ابدال من المحل لنصبه وقول ابي حيان في رده ان مراعاة المحل اذا كان الجار زائدا او شبيها بالزائد كرب فان لم يكن كذلك لم يجز فلا يقال مررت بزيد الظريف بالنصب غير وارد لان اشتراط ما ذكر غير صحيح عندهم كيف لا وقد مر في قراءة وارجلكم مراعاة المحل وليس كذلك وانما هو شيء مضطرب وعلى التقادير الثلثة المراد بالعذاب عذاب القيمة اما اذا اريد عذاب الدنيا فالمتعلق مقدر تقديره يكون كيت وكيت فكان على المص ان يذكر مقدما لتاليه على الوجوه لتقديرا ذكره ونحوه كما اشار اليه الزمخشري شهاب

للكافرين صفة اخرى لعذاب وصلة لواقع وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على هذا لتضمن سال معنى اهتم ليس له دافع يرده من الله من جهته لتعلق ارادته به ذي المعارج ذي المصاعد وهي الدرجات التي تصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم او في دار ثوابهم ومراتب الملائكة او السموات فان الملائكة يعرجون فيها تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة استيناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان في زمان يقدر بخمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لان ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد من السموات السبع والكرسي والعرش كذلك وحيث قال في يوم كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل في يوم متعلق بواقع او بسال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته اما لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبرئيل وافراده لفضله او خلق اعظم من الملائكة فاصبر صبرا جميلا لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسال لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وذلك مما يضجره او عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال الاتي المعنى قرب وقوع العذاب فقد شارفت الانتقام انهم يرونه بعيدا الضمير للعذاب او ليوم القيامة بعيدا من الامكان ونراه قريبا منه او من الوقوع يوم تكون السماء كالمهل ظرف لقريبا اي يمكن يوم يكون او لمضمر دل عليه واقع او بدل عن في يوم ان علق به والمهل المذاب في مهل كالفلزات او دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسال حميم

حميما ولا يسأل قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير ولا يُسأل على بناء المفعول اي لا
يطلب حميم من حميم او لا يسأل منه حاله يبصرونهم استئناف او حال تدل على ان
المانع عن السؤال هو التشاغل دون الخفاء او ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض
الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ
ببنيه وصاحبته واخيه حال من احد الضميرين او استئناف يدل على ان اشتغال
كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله
ويسأل عنها وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ لانه بمعنى تعذيب وفصيلته
وعشيرته الذين فصل عنهم التي تؤويه تضمه في النسب او عند الشدائد ومن في
الارض جميعا من الثقلين والخلائق ثم ينجيه عطف على يفتدي اي ثم لو ينجيه
الافتداء وثم للاستبعاد كلا ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتداء لا
ينجيه انها الضمير للنار او مبهم يفسره لظى وهو خبر او بدل او للقصة ولظى مبتدأ
خبره نزاعة للشوى وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول عن اللظى بمعنى اللهب
وقرأ حفص عن عاصم نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة او المنتقلة على
ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف وجمع شواة وهي جلدة الرأس تدعو تجذب
وتحضر كقول ذي الرمة تدعو انفه الريب مجاز من جذبها واحضارها لمن فرّ عنها
وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه من ادبر عن
الحق وتولى عن الطاعة وجمع فاوعى وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا
وتأميلا ان الانسان خلق هلوعا شديد الحرص قليل الصبر اذا مسه الشر
الضر جزوعا يكثر الجزع واذا مسه الخير السعة منوعا يبالغ في الامساك
والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها
واذا الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا الا المصلين استثناء للموصوفين
بالصفات المذكورة بعده من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك
الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق

قوله والشوى الاطراف يعني اطراف الاعضاء كاليد والرجل وقيل الاعضاء ليست بمقتل
ولذا يقال رمى فاشوى اذا لم يقتل وقوله تدعو خبر مبتدأ مقدر او حال من لظى او نزاعة
ايضا وتفسيره بقوله تجذب من الجذب وهو سحبه الى جانبه وتحضر مضارع احضره اذا اتى
به اليه واستشهد لوروده بمعنى هذا المعنى بهذا البيت المذكور كما ستراه قوله تدعو نفسه
الريب الخ وهو من قصيدة طويلة لذي الرمة مطلعها ما بال عينك منها الماء ينسكب
كأنه من كلى مفرية سرب وهي قصيدة ذكر فيها بقر الوحش وثورها فقال في وصف الثور
امسى بوهبين مجتاز المرتعه من ذي الفوارس تدعو انفه الريب وهبين وذو الفوارس
علمان لموضعين ومجتاز المرتعه اي مار بمحل يرتع فيه والريب بالراء المهملة والباء
الموحدتين بزنة عنب جمع ربة بالكسر والتشديد وهو النبت الذي يرعى بالصيف وليس
نبتا معينا كما في شرحه وبه فسره في المجمل ايضا وتدعو فيه بمعنى تجذب وتحضر في الاصل
وتجوز به عن كونه نبتا حسنا لا تفارقه البقر اذا رأته فجعل ذلك كأنه يدعوها على انه استعارة
تمثيلية او تبعية ولذا قال مجاز من جذبها الخ وقوله لمن فرّ متعلق باحضارها وذكره
اشارة الى ان ما في الآية ايضا استعارة بتشبيه تسخيرهم للدخول فيها لهم ولذا استشهد
له ببيت ذي الرمة قوله تدعو زبانيتها اي تجذبهم وتحضرهم لها فهو على حقيقته والتجوز
في الاسناد او بتقدير مضاف ودعاه بمعنى اهلكه الظاهر انه حقيقة ايضا وهو خلاف
المشهور في استعماله وان ورد في كلامهم كقوله دعاك الله من رجل بافعى قوله شديد
الحرص الخ لان سرعة الجزع اذا مسه المكروه وسرعة المنع اذا ناله الخير فهي صفة مفسرة له وقال
تعلب لذا فسره بتفسير لا يكون تفسير اوضح منه فكان اذا سئل عنه قرأ هذه الآية
وقال هو كقول في الالمعي الالمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا وهو كلام
حسن يناسب كونه جزوعا ومنوعا صفتين كاشفتين لهلوعا كما قيل ولا ينافيه ما ذكره
المصنف من الحالية فانها قد تكون مفسرة وان كان الاول اولى شهاب

والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك
ناشئة من انهماك في حب العاجل وقصر النظر عليه الذين هم على صلاتهم دائمون
لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم حق معلوم كالزكوات والصدقات
الموظفة للسائل الذي يسأل والمحروم والذي لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون
بيوم الدين تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في المثوبة
الاخروية ولذلك ذكر الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون
على انفسهم ان عذاب ربهم غير مأمون اعتراض يدل على انه لا ينبغي لاحد ان
يأمن عذاب الله وان بالغ في طاعته والذين هم لفروجهم حافظون الا على
ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك
هم العادون سبق تفسيره في سورة المؤمنين والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون
والذين هم بشهاداتهم قائمون حافظون وقرأ ابن كثير لامانتهم يعني لا يخفون ولا
ينكرون او لا يخفون ما علموه من حقوق الله وحقوق العباد وقرأ يعقوب
وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع والذين هم على صلاتهم يحافظون
فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها
اولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفي نظمه هذه
الصلاة مبالغة لا تخفى اولئك في جنات مكرمون بثواب الله فما للذين
كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين عن اليمين وعن الشمال
عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكان كل فرقة تعتزي الى غير
من تعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم
حلقا حلقا ويستهزؤن بكلامه ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم
بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح ما يقوله لنكون فيها افضل حظا منهم كما في
الدنيا كلا ردع لهم عن هذا الطمع انا خلقناهم مما يعلمون تعليل له والمعنى انكم
مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة

ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها او انكم مخلوقون من اجل ما تعلمون
وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوأ في منازل الكاملين او استدلال
بالنشأة الاولى على امكان النشأة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضا
مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون
على ان نبدل خيرا منهم اي نهلكهم ونأتي بخلق امثل منهم او نعطي محمدا بدلكم
من هو خير منكم وهم الانصار وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا ان
نهلكم فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون مر في
آخر الطور يوم يخرجون من الاجداث سراعا مسرعين جمع سريع كانهم
الى نصب منصوب للعبادة او علم يوفضون يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص
بضم النون والصاد وقرئ نصب بالضم على انه تخفيف نصب وجمع خاشعة
ابصارهم ترهقهم ذلة مر تفسيره ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون

سورة نوح مكية وهي ثمان وعشرون او تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان انذر اي بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز
ان تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة القول قومك
من قبل ان يأتيهم عذاب اليم عذاب الآخرة او الطوفان قال يا قوم اني لكم نذير
مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون مر في الشعراء نظيره وفي ان يحتمل الوجهان
يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به
في الآخرة ويؤخركم الى اجل مسمى هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة
ان اجل الله ان الاجل الذي قدره اذا جاء على الوجه المقدر به اجلا وقيل اذا جاء
الاجل الاطول لا يؤخر فبادروا في اوقات الامهال والتأخير لو كنتم تعلمون لو
كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم في حب الحياة كانهم شاكون

في الموت قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا اي دائما فلم يزدهم دعائي الا
فرارا عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم
ايمانا واني كلما دعوتهم الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم في
اذانهم سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا
يروني كراهة النظر الي من فرط كراهة دعوتي او لئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير
بصيغة الطلب للمبالغة واصروا اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من صر الحمار
على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا عن اتباعي استكبارا عظيما ثم
اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم مرة بعد اخرى
وكرة بعد اولى على اي وجه امكنني وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار
والجمع بينهما اغلظ من الافراد ولتراخي بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر
لانه احد نوعي الدعاء او صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا به او الحال
فيكون بمعنى مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر انه
كان غفارا للتائبين وكانهم لما امرهم بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان
كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم بما يمحق معاصيهم ويجلب
اليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو اوقع في قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى
اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك
على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال
وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء
والسماء يحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثير الدرور ويستوي في هذا البناء المذكر
والمؤنث والمراد بالجنات البساتين ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تاملون له توقيرا
اي تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونوا على حال تاملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان
للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وانما
عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة وقد خلقكم اطوارا حال

للانكار من حيث انها موجبة للرجاء فان خلقهم اطوارا اي تارات اذ خلقهم اولا عناصر
ثم مركبات تغذي الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما
ثم انشأهم خلقا اخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب
وعلى انه عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده من ايات الافاق فقال
الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا اي في السموات
وهو في السماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة وجعل الشمس سراجا
مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عما حوله والله انبتكم
من الارض نباتا انشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكون
من الارض واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية
ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا بالحشر واكده بالمصدر كما اكد به الاول
دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء وانها تكون لا محالة والله جعل لكم الارض
بساطا لتسلكوا يتقلبون عليها منها سبلا فجاجا واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل
معنى الاتخاذ قال نوح رب انهم عصوني فيما امرتهم به واتبعوا من لم يزده ماله
وولده الا خسارا واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث
صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الاخرة وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت
لهم باموال واولاد ادت بهم الى الخسار وقرا ابن كثير وحمزة
والكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا
عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا كبارا كبيرا في الغاية وهو ابلغ
من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على اذى نوح وقالوا
لا تذرن الهتكم اي عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا
ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين ادم ونوح فلما ماتوا
صوروا صورهم تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب وكان
ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرا نافع ودا بالضم

وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤساء او للاصنام لقوله انهن اضللن كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على رب انهم عصوني ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في امر دينهم او الضياع والهلاك لقوله ان المجرمين في ضلال وسعر مما خطاياهم من اجل خطيئاتهم وما مزيدة للتاكيد والتفخيم وقرا ابو عمرو مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا نارا المراد عذاب القبر او عذاب الاخرة لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال ولان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم ولان المراد نوع من النيران فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض لهم باتخاذ آلهة من دون الله لا يقدر على نصرهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اي احدا وهو مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار او الدور اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقرأ احوالهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم رب اغفر لي ولوالدي لمك بن متوشلخ وشمخا بنت انوش وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتي منزلي ومسجدي او سفينتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات الى يوم القيامة ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين يدركهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي وقرئ احي واصله وحي من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحي على الاصل وفاعله انه استمع نفر من الجن والنفر ما بين الثلاثة الى العشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه السلام

ما رآهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله به رسوله فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به بالقرآن ولن نشرك بربنا احدا على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد وانه تعالى جد ربنا قرأه ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكي بعد القول وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام فانها من جملة الموحى به ووافقهم نافع وابو بكر الا في قوله وانه لما قام على انه استئناف ومقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على ان ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اي عظمته من جد فلان في عيني اذا عظم او سلطانه او غناه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او سلطانه او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا بالتمييز وجد بالكسر اي صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن على الله شططا قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد او هو شطط لفرط ما اشتط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اعتذار عن اتباعهم السفيه في ذلك بظنهم ان احدا لا يكذب على الله وكذبا نصب على المصدرية لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اي قولا مكذوبا فيه ومن قرأ ان لن تقول كيعقوب جعله مصدرا لان التقول لا يكون الا كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فان الرجل كان اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فزادوهم فزادوا الجن باستعاذتهم رهقا كبرا وعتوا او فزاد الجن والانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق في الاصل غشيان الشيء وانهم

وان الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن او بالعكس والايتان من كلام الجن بعضهم لبعض
او استيناف كلام من الله ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به ان لن يبعث الله
احدا ساد مسد مفعولي ظنوا وانا لمسنا السماء طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس
مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه
فوجدناها ملئت حرسا حراسا اسم جمع كالخدم شديدا قويا وهم الملائكة الذين
يمنعونهم عنها وشهبا وهو المضيء المتولد من النار وانا كنا نقعد منها مقاعد
خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة
لنقعد او صفة لمقاعد فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اي شهابا راصدا
له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين على انه اسم جمع للراصد
وقد مر بيان ذلك في الصافات وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة
السماء ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا وانا منا الصالحون المؤمنون الابرار
ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون كنا
طرائق ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا
طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع وانا ظننا علمنا ان لن
نعجز الله في الارض كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هربا هاربين
منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا
وانا لما سمعنا الهدى اي القرآن امنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف
وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به
بخسا ولا رهقا نقصا في الجزاء ولا ان ترهقه ذلة او جزاء بخس ولا رهق لانه لم
حقا ولم يرهق ظلما لان من حق الايمان بالقرآن ان يجتنب ذلك وانا منا
المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة
فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما
القاسطون فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا

اى ان الشأن لو استقام الجن والانس وكلاهما على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا على الطريقة المثلى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة وعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفرانهم ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او موعظته او وحيه نسلكه ندخله عذابا صعدا شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا مع الله احدا فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهى الغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبى مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة ومواضع المساجد السجود على ان المراد النهى عن السجود لغير الله وآرابه السبعة والسجدات على انه جمع مسجد وانه لما قام عبد الله اى النبى وانما ذكر بلفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضى لقيامه يدعوه يعبده كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما راوا من عبادته وسمعوا من قرآءته او كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهى ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا جمع لبدة وهى لغة وقرئ لبدا كسجدا جمع لابد ولبدا كصبر جمع لبود قال انما ادعوا ربى ولا اشرك به احدا فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتى وقرأ عاصم وحمزة قل على الامر للنبى ليوافق ما بعده قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا ولا نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين قل انى لن يجيرنى من الله احد ان اراد بى سوءا ولن اجد من دونه ملتحدا منحرفا او ملتجأ الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد

قوله وقيل المراد بالمساجد الارض الخ اشارة الى ما فى الحديث الصحيح جعلت لى الارض مسجدا وطهورا قال القاضى عياض انه من خصائص هذه الامة لان من قبلنا كانوا لا يصلون الا فى مواضع تيقنوا طهارته ونحن خصصنا بجواز الصلاة فى جميع الارض الا ما تيقنا نجاسته وقال القرطبى وهو المشهور فى كتب الحديث ان هذا مما خص به نبينا صلى الله عليه وسلم وكانوا قبله انما تباح لهم الصلاة فى البيع والكنائس وفيه اشكال مشهور وهو ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان يكثر السياحة وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام يسافرون فاذا لم تجز لهم الصلاة فى غير الكنائس لزم ترك الصلاة فى كثير من الاوقات وهو بعيد ولذا قيل المخصوص بهذه الامة كونها مسجدا وطهورا فى التيمم واختصاص المجموع به لا يضر وقد يقال انه مخصوص بالحضر فتدبر شهاب

قوله عطف على بلاغا لا ينبغي تقدير المضارع فيه اي بلاغ ورسالاته فانه يكون من عطف الشئ على نفسه الا ان يوجه بان البلاغ من الله فيما اخذ عنه بغير واسطة والبلاغ ما هو بها وهو بعيد غاية البعد شهاب

قوله هو عالم الغيب يعني هو خبر ضمير محذوف واضافته محضة لقصد الثبات فيه فيفيد تعريف الطرفين فيه التخصيص لان الكلام وقع تعليلا لنفي الدراية كانه قيل ما ادري قرب ذلك الموعد وبعده الا ان يطلعني الله عليه لان علم الغيب مختص به وقد يطلع عليه بعض خلقه شهاب

قوله وكرامات الاولياء الخ يرد عليه ان الامام الغزالي رحمه الله قال الفرق بين الولي والنبي نزول الملك فان الولي ملهم والنبي ينزل عليه الملك مع كونه يكون ملهما فانه جامع بين النبوة والولاية وتبعه له بعض ارباب الحواشي فقسم التلقي من الملك بالالهام لانه من نفث الملك بالروع وهو خلاف الظاهر ورده الشيخ الاكبر في الفتوحات وقال انه غلط من قائله دال على عدم ذوقه والفرق بينهما انما هو فيما ينزل به الملك لا في نزوله فانه ينزل على الرسول النبي بخلاف ما ينزل به على الولي التابع وقد ينزل عليه بالبشرى والعون والامان في الحيوة الدنيا كما قال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الى اخر ما فصله فاعرفه شهاب

قوله تعالى واحاط قيل هو معطوف على ابلغوا ان كان ضمير ليعلم للنبي الموحى اليه واما ان كان الضمير لله فهو عطف على لا يظهر اي عالم الغيب فلا يظهر واحاط بما عند الرسل واحاط كل شئ عددا ويجوز هذا ايضا على التقدير الاول وقيل جملة احاط بتقدير قد وفيما دفع للتوهم الناشي من الكلام السابق وقوله ليتعلق به علمه اشارة الى ان علمه قديم والمقترن بالزمان تعلقه بالمعلوم وان تعليله هذا بالعلم لا انه غير مراد بل هو معلل بتعلقه الحادث واظهار ليتعلق به الجزاء كما في قوله ليعلم المجاهدين منكم كما مر تحقيقه شهاب

لنفي الاستطاعة او من ملتحدا ومعناه ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته فان صلته عن كقوله بلغوا عني ولو آية ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ فان على فجزاؤه ان خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى حتى اذا راوا ما يوعدون في الدنيا كوقعة بدر او في الاخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني والمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له فسيعلمون من هو اضعف ناصرا واقل عددا اهو او هم قل ان ادري ما ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون حتى اذا راوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن لا ادري وقته عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا اي على الغيب المخصوص به علمه الا من ارتضى لعلم بعضه حتى يكون له معجزة من رسول بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط وكرامات الاولياء على المغيبات انما تكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا على احوال الاخرة بتوسط الانبياء فانه يسلك من بين يديه من بين يدي المرتضى ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا اي ليعلم النبي الموحى اليه ان قد ابلغ جبريل والملائكة النازلون بالوحي او ليعلم الله ان ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا رسالات ربهم كما هي محروسة من التغيير واحاط بما لديهم بما عند الرسل واحصى كل شئ عددا حتى القطر والرمل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق من الاجر

سورة المزمل مكية وفيها محمد او كذب به عتق رقبة تسع عشرة او عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي

وقد قرئ به وبالمتزمل مفتوحة الميم ومكسورتها اى الذى زمله غيره او زمل نفسه
سمى به النبى عليه السلام تهجينا لما كان عليه لانه كان نايما او مرتعدا مما دهشه
بدء الوحى متزملا فى قطيفة او تحسينا له اذ روى انه كان يصلى متلففا بمرط
مفروش على عايشة فنزل وتشبيها له فى تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد
فى قيام الليل او من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اى الذى تحمل اعباء النبوة قم الليل
اى قم الى الصلاة او داوم عليها وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع والتخفيف الا
قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه الاستثناء بدل من الليل و نصفه
بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه
كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير
فى منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع
والاكثر منه كالنصف او للنصف والتخيير بين ان يقوم اقل منه على البت وان يختار
احد الامرين من الاقل والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين
قيام النصف والناقص منه والزايد عليه ورتل القران ترتيلا اقرأه على تؤدة
وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان
مفلجا انا سنلقى عليك قولا ثقيلا يعنى القرآن فانه لما فيه من التكاليف
الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها
امته والجملة اعتراض يسهل التكليف عليه بالتهجد ويدل على انه مشق مضاد
للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتامل
فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر وثقيل فى الميزان او على الكفار
والفجار او ثقيل تلقيه لقول عايشة رايته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد
فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر
والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستانف فان التهجد يعد للنفس ما به تعالج
ثقله ان ناشئة الليل ان النفس التى تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ

من مكانه اذا نهض قال نشأنا الى خوص برى بينها السرى والصوى منها مشرفات القماحد او قيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها الاول من نشأت اذا ابتدأت هي اشد وطأ اي كلفة او ثبات قدم وقرأ ابو عمرو وابن عامر وطاء مواطأة القلب اللسان لها او فيها او موافقته لما يراد من الخضوع والاخلاص واقوم قيلا واسد مقالا او اثبت قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات ان لك في النهار سبحا طويلا تقلبا في مهماتك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعي فراغا وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتحميد وتهليل وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم وتبتل اليه تبتيلا وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلا رب المشرق والمغرب خبر محذوف او مبتدأ خبره لا اله الا هو وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليل فان توحده بالالوهية يقتضي ان توكل اليه الامور واصبر على ما يقولون من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم الى الله كما قال وذرني والمكذبين دعني واياهم وكل الي امرهم فان بي غنية عنك في مجازاتهم اولي النعمة ارباب التنعم يريد صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا او امهالا ان لدينا انكالا تعليل للامر والنكل القيد الثقيل وجحيما وطعاما ذا غصة طعاما ينشب في الحلق كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيها الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة

بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلي انوار القدس فتلك العذاب بالحرمان عن لقاء الله يوم ترجف الارض والجبال تضطرب وتتزلزل ظرف لما في لدينا انكالا من معنى الفعل وكانت الجبال كثيبا رملا مجتمعا كانه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشيء اذا جمعته مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر انا ارسلنا اليكم رسولا يا اهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيمة بالاجابة والامتناع كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني موسى ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرأ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف تتقون انفسكم ان كفرتم بقيتم على الكفر يوما عذاب يوم يجعل الولدان شيبا من شدة هوله وهذا على الفرض او التمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصف اليوم بالطول السماء منفطر به منشق والتذكير على تاويل السقف او اضمار شيء لشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للآلة كان وعده مفعولا الضمير لله عز وجل او اليوم على اضافة المصدر الى المفعول ان هذه الآيات الموعدة تذكرة عظة فمن شاء ان يتعظ اتخذ الى ربه سبيلا اي يتقرب اليه بسلوك التقوى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشيء اقل بعدا منه وقرأ الكوفيون وابن كثير ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي الا الله فان تقديم اسمه مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله علم ان لن تحصوه اي لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه فاقرؤا

ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة
بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر
عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرؤا القرآن بعينه
كيف ما تيسر عليكم علم ان سيكون منكم مرضى استيناف يبين حكمة
اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال
واخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله والضرب فى الارض
ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم واخرون يقاتلون فى سبيل
الله فاقرؤا ما تيسر منه واقيموا الصلاة المفروضة واتوا الزكاة الواجبة
واقرضوا الله قرضا حسنا يريد الامر به سائر الانفاقات فى سبيل الخير
او باداء الزكاة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به فى قوله
وما تقدموا لانفسكم من خير من اجر تجدوه عند الله هو خيرا واعظم
اجرا من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت ومن متاع الدنيا وخيرا ثانى
مفعولى تجدوه وهو تاكيد او فصل لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع
حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتدا والخبر واستغفروا الله فى مجامع احوالكم
فان الانسان لا يخلوا من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبى صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر فى الدنيا والاخرة ٥

سورة المدثر مكية بسم الله الرحمن الرحيم وآيها ست وخمسون آيت

يا ايها المدثر اى المتدثر وهو لابس الدثار روى انه عليه السلام قال كنت بحراء فنودیت
فنظرت عن يمينى وشمالى فلم ار شيئا فنظرت فوقى فاذا هو على عرش بين السماء
والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى
فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر ولذلك قيل هى اول سورة نزلت وقيل تاذى
من قريش فتغطى بثوبه مفكرا او كان نائما متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر
المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفى فيه على سبيل الاستعارة

وقرئ المدثر اى الذى دثر هذا الامر وعصب به قم من مضجعك او قم قيام عزم
وجد فانذر مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل عليه قوله وانذر عشيرتك الاقربين
او قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر وخصص
ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روى انه لما نزل كبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وايقن انه الوحى وذلك لان الشيطان لا يامر بذلك والفاء
فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكانه قال وما يكن فكبر ربك او للدلالة
على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان
اول ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا
مقرين به وثيابك فطهر من النجاسات فان التطهير واجب فى الصلاة محبوب
فى غيرها وذلك بغسلها وبحفظها عن النجاسة كتقصيرها مخافة جر الذيول
فيها وهو اول ما امر به من رفض العادات المذمومة او طهر نفسك من الاخلاق
الذميمة والافعال الدنية فيكون امرا باستكمال القوة العملية بعد امره باستكمال
القوة النظرية والدعاء اليه او فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر
وقلة الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدى اليه من الشرك
وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر ولا
تمنن تستكثر لا تعط مستكثرا نهى عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا
فى عوض اكثر نهى تنزيه او نهيا خاصا به لقوله عليه السلام المستغزر يثاب من هبته
والموجب له ما فيه من الحرص والضنة او لا تمنن بعبادتك على الله مستكثرا
اياها او على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا اياه وقرئ
تستكثر بالسكون للوقف او الابدال من تمنن على انه من من بكذا او تستكثر بمعنى تجده
كثيرا والنصب على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها
وابطال عملها كما روى احضر الوغى بالرفع ولربك فاصبر لوجهه او امره
فاصبر فاستعمل الصبر فاصبر على مشاق التكاليف واذى المشركين فاذا نقر

نقر في الناقور في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي
هو الصوت والفاء للسببية كانه قال اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك
واعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله فذلك يومئذ يوم عسير
على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو
مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدل له او ظرف لخبر اذ التقدير فذلك الوقت وقوع
يوم عسير غير يسير تاكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر
بيسره على المؤمنين ذرني ومن خلقت وحيدا نزلت في الوليد بن المغيرة ووحيدا
حال من الياء اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه او من التاء اي ومن خلقته وحدي
لم يشركني في خلقه احد او من العائد المحذوف اي من خلقته فريدا لا مال له ولا ولد
او ذم فانه كان ملقبا به فتسماه الله تهكما به او ارادة انه وحيد ولكن في الشرارة
او عن ابيه لانه كان زنيما وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء
وكان له الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم
لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج ان يرسلهم في مصالحه
لكثرة خدمه او في المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين
او اكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام ومهدت له تمهيدا
وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اي باستحقاق
الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اي باستحقاق الرياسة والتقدم
ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيته وهو استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد على ما اوتي او لانه
لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال كلا انه كان لآياتنا
عنيدا فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف بمعاندة آيات
المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول الآية في نقصان ماله
حتى هلك سارهقه صعودا ساغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما
يلقى من الشدائد وعنه عليه السلام الصعود جبل من النار يصعد فيه سبعين

خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد او بيان للعناد والمعنى
فكر فيما يتخيل طعنا في القرآن وقدر في نفسه ما يقول فيه فقتل كيف قدر
تعجب من تقديره استهزاء به او لانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه من قولهم
قتله الله ما اشجعه اي بلغ في الشجاعة مبلغا يحق بان يحسد ويدعو عليه حاسده
بذلك روي انه مر بالنبي عليه السلام وهو يقرأ حم السجدة فاتى قومه وقال لقد سمعت
من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة
وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبا الوليد
فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فناداهم
فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل
رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال
ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه ففرحوا
بقوله وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة
على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها ثم نظر اي في امر القرآن مرة
بعد اخرى ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول او نظر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطب وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر
عن الحق او الرسول عليه السلام واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر
يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه
بها من غير تلبث وتدبر ان هذا الا قول البشر كالتاكيد للجملة الاولى ولذلك لم
يعطف عليها ساصليه سقر بدل من سارهقه صعودا وما ادراك ما
سقر تفخيم لشانها وقوله لا تبقي ولا تذر بيان لذلك وحال من سقر والعامل فيها
معنى التعظيم والمعنى لا تبقي على شيء يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه لواحة
للبشر مسودة لاعالي الجلد او لائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص
عليها تسعة عشر ملكا او صنفا من الملائكة يلون امرها والمخصص لهذا

العدد بأن اختلال النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثني عشر
والطبيعية السبع أو لأن جهنم سبع دركات ست منها لأصناف الكفار وكل صنف
يعذب بترك الاعتقاد والإقرار والعمل أنواعاً من العذاب يناسبها وعلى كل نوع
ملك أو صنف يتولاه وواحدة لعصاة الأمة يعذبون فيها بترك العمل نوعاً
يناسبه ويتولاه ملك أو صنف أو لأن الساعات أربعة وعشرون خمسة منها
مصروفة في الصلاة فيبقى تسعة عشر قد يصرف فيما يؤاخذ به بأنواع من العذاب
يتولاها الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالي الحركات فيما هو
كاسم واحد وتسعة أعشر جمع عشير كيمين وأيمن أي تسعة كل عشير جمع يعني نقيبهم
أو جمع عشر فيكون تسعين وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ليخالفوا
جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا إليهم ولأنهم أقوى الخلق بأساً
وأشدهم غضباً لله روي أن أبا جهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش أيعجز
كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فنزلت وما جعلنا عدتهم إلا فتنة
للذين كفروا وما جعلنا عددهم إلا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة
عشر فعبر بالأثر عن المؤثر تنبيهاً على أنه لا ينفك عنه وافتتانهم به استقلالهم
له واستهزاؤهم به واستبعادهم أن يتولى هذا العدد القليل تعذيب أكثر الثقلين
ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله ليستيقن الذين أوتوا الكتاب
أي ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن لما رأوا ذلك
موافقاً لما في كتابهم ويزداد الذين آمنوا إيماناً بالإيمان به أو بتصديق أهل
الكتاب له ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون أي في ذلك وهو تأكيد
للاستيقان وزيادة الإيمان ونفي لما يعرض المتيقن حيثما عراه شبهة وليقول
الذين في قلوبهم مرض شك أو نفاق فيكون إخباراً بمكة عما سيكون بالمدينة
بعد الهجرة والكافرون الجازمون في التكذيب ماذا أراد الله بهذا مثلاً أي
شيء أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا

أنه مثل مضروب كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء مثل ذلك المذكور
من الإضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين وما يعلم جنود ربك
جموع خلقه على ما هم عليه إلا هو إذ لا سبيل لأحد إلى حصر الممكنات والاطلاع
على حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار
ونسبة وما هي وما سقر أو عدة الخزنة أو السورة إلا ذكرى للبشر إلا تذكرة
لهم كلا ردع لمن أنكرها أو إنكار لأن يتذكروا بها والقمر والليل إذ أدبر أي
أدبر كقبل بمعنى أقبل وقرأ نافع وحمزة ويعقوب وحفص إذ أدبر والصبح إذا
أسفر أضاء إنها لإحدى الكبر لإحدى البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها
وإنما جمع كبرى على كبر إلحاقاً لها بفعلة تنزيلاً للألف منزلة التاء كما ألحقت قاصعاء
بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم أو تعليل لكلا والقسم معترض
للتأكيد نذيراً للبشر تمييز لإحدى الكبر إنذاراً أو حال عما دلت عليه الجملة أي كبرت
منذرة وقرئ بالرفع خبراً ثانياً أو خبر المحذوف لمن شاء منكم أن يتقدم أو
يتأخر بدل من للبشر أي نذيراً للمتمكنين من السبق إلى الخير والتخلف عنه أو لمن شاء
خبر لأن يتقدم فيكون في معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل
نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله مصدر كالشتيمة أطلقت للمفعول
كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين إلا أصحاب اليمين فإنهم فكوا رقابهم
بما أحسنوا من أعمالهم وقيل هم الملائكة أو الأطفال في جنات لا يكتنه وصفها
وهي حال من أصحاب اليمين أو ضميرهم في قوله يتساءلون عن المجرمين أي يسأل
بعضهم بعضاً أو يسألون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه أي دعوناه وقوله
ما سلككم في سقر جواب حكاية لما جرى بين المسؤولين والمجرمين أجابوا بها قالوا
لم نك من المصلين الصلاة الواجبة ولم نك نطعم المسكين ما يجب إعطاؤه
وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع وكنا نخوض مع الخائضين نشرع
في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين أخره لتعظيمه أي وكنا بعد

ذلك كله مكذبين بالقيامة حتى اتانا اليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم
شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا فما لهم عن التذكرة معرضين اي
معرضين عن التذكير يعني القرآن او ما يعمه ومعرضين حال كانهم حمر مستنفرة
فرت من قسورة شبههم في اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت
من قسورة اي اسد فعولة من القسر وهو القهر بل يريد كل امرئ منهم ان
يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا للنبي لن نتبعك حتى
تؤتي كلا منا بكتاب من السماء فيها من الله الى فلان اتبع محمدا كلا ردع عن اقتراحهم
الايات بل لا يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف
كلا ردع عن اعراضهم انه تذكرة واي تذكرة فمن شاء ذكره فمن شاء ان يذكره
وما يذكرون الا ان يشاء الله ذكرهم او مشيتهم كقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله
وهو تصريح بان فعل العبد بمشية الله وقرأ نافع تذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا
هو اهل التقوى حقيق بان يتقى عقابه واهل المغفرة حقيق بان يغفر عباده
سيما المتقين منهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات
بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيمة مكية بسم الله الرحمن الرحيم وايها تسع وثلاثون اية

لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم للتاكيد شائع في كلامهم قال
امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر وقد مر الكلام فيه في قوله
فلا اقسم بمواقع النجوم ولا اقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم النفوس
المقصرة في التقوى يوم القيامة على تقصيرها او التي تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت
في الطاعة او النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة او بالجنس لما روي انه عليه السلام
قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف
لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتني كنت قصرت او نفس آدم فانها لم تزل تتلوم على ما
خرجت به من الجنة وضمها الى القيمة لان المقصود من اقامتها مجازاتها ايحسب

قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه هو كقوله يريد الله ليبين لكم وفي المعنى انه قد اختلف فيه فقيل للمفعول محذوف اي يريد الله التبيين ليبين لكم وقال الخليل وسيبويه ومن تبعهما الفعل في ذلك مقدر بمصدر مرفوع بالابتداء واللام وبعدها خبر اي ارادة الله ليبين لكم وعلى هذا فلا مفعول للفعل انتهى وقيل انه منزل منزلة اللازم مصدره مقدر بلام الاستغراق اي موقع جميع ارادته ليفجر او مفعوله محذوف يدل عليه ليفجر اي يريد شهواته ومعاصيه كما قدر المعرب وهو مخالف لكلامهم في نظائره فليحرر قوله ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان فسره به لان امامه ظرف مكان استعير هنا للزمان المستقبل فيفيد الاستمرار والضمير للانسان كما ذكره المص وقيل هو ليوم القيامة ونقل عن ابن عباس وقيل الدوام والاستمرار لانه خبر عن حال الفاجر بانه يريد ليفجر في المستقبل على ان ارادته وحسبانه هما عين الفجور وفي اعادة المظهر ما لا يخفى من التهديد ونعي قبح ما ارتكبه وان الانسانية تاباه وقيل حمله على الاستمرار ليصح الاضراب ويصير المعنى بل يريد الانسان ان يستمر على فجوره ولا يتوب فلذا انكر البعث قوله بيان استيناف ابطال او تفسير لقوله ليفجر او بدل منه والاستيناف بياني كانه قيل لم يريد الدوام على الفجور فقيل لانه انكر البعث واستهزأ به قوله ولمن حمل ذلك اي قوله برق البصر على شخوصه عند النزع والاحتضار لانه حينئذ ينكشف له الامر فيعلم حقيقة ما اخبر به ولذا اتصل بما قبله والخسوف حينئذ بمعنى ذهاب نور البصر منه لانه المناسب له وجمع الشمس حينئذ استتباع الروح حاسة البصر فيعبر بالشمس عن الروح وبالقمر عن حاسة البصر على نهج الاستعارة كان نور البصر بسبب الروح كما ان نور القمر بسبب الشمس قوله او بوصوله الى مكان والضمير للروح وان كان نوعيا لنا وتليه عبكر وقوله من سكان جمع ساكن بيان لمن وفي نسخة لكان فقوله من سكان بقوله يقتبس على انه بدل من قوله منه وهو معطوف على قوله استتباع اي قيله ان يفسر الجمع بوصول الروح الانسانية الى المحل او الى من كان يقتبس الروح منه نور العقل وهم سكان القدس اي الارواح المقدسة المنزهة عن النقائص المبعدة عن نور الانوار فالقمر مستعار للروح والشمس لسكان الملا الاعلى لانهم يقتبس منهم اقتباس القمر من الشمس قوله وتذكير الفعل وهو جمع لنفسه هو المصحح لانه انما يجب التانيث وتغليب المعطوف المذكر وهو القمر هو المرجح وليس التغليب هنا اصطلاحيا حتى يعترض بانهما لم يجتمعا

يعني الجنس واسناد الفعل اليه لان فيهم من يحسب والذي نزل فيه وهو عدي بن ربيعة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر القيمة فاخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك ويجمع الله هذه العظام ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول بلى نجمعها قادرين على ان نسوي بنانه نجمع سلامياته وضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي بنانه الذي هو اطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اي نحن قادرون بل يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان يسئل ايان يوم القيمة متى يكون استبعادا او استهزاء فاذا برق البصر تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب اذا انفتح وخسف القمر وذهب ضوءه وقرئ على بناء المفعول وجمع الشمس والقمر في ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة في الذهاب او بوصوله الى مكان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اين المفر اي الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر وهو المكان كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجا مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل الى ربك يومئذ المستقر اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من عمل عمله من سنة حسنة او سيئة عمل بها بعده او بما قدم من ماله تصدق به وبما اخر فخلفه او باول عمله وآخره بل الانسان على نفسه بصيرة حجة بينة على اعمالها لانه شاهد بها

وصفها بالبصارة على المجاز او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء ولو القى
معاذيره ولو جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة
على غير قياس كالمناكير في المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر لا تحرك
يا محمد به بالقرآن لسانك قبل ان يتم وحيه لتعجل به لتأخذه على عجلة مخافة
ان ينفلت منك ان علينا جمعه في صدرك وقرآنه واثبات قراءته في لسانك وهو
تعليل للنهي فاذا قرأناه بلسان جبرئيل عليك فاتبع قرآنه وتكرر فيه حتى يرسخ
في ذهنك ثم ان علينا بيانه بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تأخير
البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة اذا كانت مذمومة
فيما هو اهم الامور واصل الدين فكيف بها في غيره او تذكر ما اتفق في اثناء نزول هذه
الايات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة
قراءته خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه
من اعمالك وقرآنه بالاقرار والتأمل فيه ثم ان علينا بيان امره بالجزاء عليه كلا
ردع للرسول عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار بالعاجل بل تحبون العاجلة
وتذرون الآخرة تعميم للخطاب اشعارا بان بني آدم مطبوعون على الاستعجال
وان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن
كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما وجوه يومئذ ناضرة بهية متهللة
الى ربها ناظرة تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك
قدم المفعول وليس هذا في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة
انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان
المستعمل بمعناه لا يعدى بالى وقول الشاعر واذا نظرت اليك من ملك والبحر
دونك زدتني نعما بمعنى السؤال فان الانتظار لا يستعقب العطاء ووجوه يومئذ
باسرة شديدة العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع اذا اشتد
كلوحه تظن يتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية تكسر الفقار كلا ردع

عن

قوله او يذكر ما اتفق في اثناء نزول هذه الايات من عجلته صلى الله عليه وسلم في تلقيها
عن جبرئيل عليه الصلاة والسلام فقيل له لا تحرك الخ فهذا عاصد رمضة في تلك
الحين كما يقول المرء وهو يتكلم لمخاطبه اذا لم يلتفت لا تلتفت يمينا ثم يعود لما كان فيه
من الكلام فالمناسبة لما وقع في الخارج لا المعنى الموجب فهو استطراد واعتراض بالمعنى
اللغوي لا الاصطلاحي حتى يرد عليه انه لم يقع ما اعترض فيه تأكيدا او لا يتبعه في الاعتراض
قوله وقيل الخطاب مع الانسان المذكور في قوله ايحسب الانسان فهو المخاطب بقوله
لا تحرك الخ كما قصد المص ولبعد مرضه المص وان ارتضاه غيره وقدمه على الوجه الثاني
وهو مخالف للماثور في تفسير الاية قوله ولذلك اي لكون المعنى ما ذكر قدم متعلقه
وهو قوله الى ربها الدال على الاختصاص بعدم النظر لما سواه قوله واذا نظرت اليك
من ملك البيت لا ادري قائله يعني انه استشهد بهذا البيت على ان النظر بمعنى
الانتظار لا يستعقب العطاء والمراد به هنا السؤال وانت خبير بان ما في الكشاف
من قول الناس انا الى فلان ناظر ما يصنع بي يريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل
واذا نظرت الخ فهو ما عرفته من انه كناية عن التوقع وهو يعقب العطاء وليس فيه ذكر
للانتظار لانه مغاير للتوقع وغير ملازم له ايضا وايضا كون الانتظار لا يعقب العطاء
غير مسلم نعم لا يطرد فيه فقد يجعل هنا ادعائيا ولا بد منه في السؤال ايضا وكون
النظر بمعنى السؤال بعيد ومن في قوله من ملك تجريدية كرأيت منك الاسد وقوله
والبحر دونك اي حائل بيني وبينك يعني انه مع بعده عنه لا يزال لا يتقلب في نعمه والمعنى
والبحر في الجود لا يصل الى كرمك وهذا اظهر وعليه فلا يرد ما ذكره اشكالا ان هذه الجملة حالية
قوله والباسل ابلغ من الباسر يعني كل منهما يدل على شدة العبوس والباسل يدل على
زيادة اقوى منه وعدل عن الابلغ لايهامه غير المراد فقوله لكنه الجواب عن سؤال مقدر
والكلوح بضم الكاف ما ينطبق على الوصف في حال العبوس وقوله يتوقع اربابها اشارة الى
ان الظن هنا بمعناه الحقيقي وان الضمير راجع الى الوجوه بتقدير مضاف فيه وكونه
للوجه بمعنى الذات استخداما بعيد وقيل الظن هنا بمعنى اليقين كما مر واتى بانه مقتضى
مقابلة النضرة والنعم تحقق سوء المنظر والنقم لا ظنه وتوقعه واجيب بان المراد انها
مع ما هي فيه من البلاء المحقق متوقعة لما هو اشد منه بعده وهو عبارة عن عدم تناهي الشدائد
وفيه نظر ولا ينافي ما ذكره المصنف كون ان مخففة من الثقيلة كان المنافي له انما
يدل على التحقق الصرف واما افعال الظن فتقع بعدها المصدرية والمخففة كما عرفته

عن ايثار الدنيا على الاخرة اذا بلغت التراقي اذا بلغت النفس اعلى الصدر وضمائر

من غير ذكر لدلالة الكلام عليها وقيل من راق وقيل حاضر واصحابها من يرقيه

مما به من الرقية او قال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة

من الرقي وظن انه الفراق وظن المحتضر ان الذي نزل به فراق الدنيا ومحابها والتفت

الساق بالساق والتوت ساقه بساقه فلا يقدر على تحريكها او شدة فراق الدنيا

بشدة خوف الاخرة الى ربك يومئذ المساق سوقه الى الله وحكمه فلا صدق ما

يجب تصديقه او فلا صدق ماله اى فلا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما

للانسان المذكور في ايحسب الانسان ولكن كذب وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى

اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله

يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى ويل لك من الولي واصله

اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل من

الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى

اى يتكرر ذلك عليه مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى مهملا لا

يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان

الحكمة تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بمجازاة

والمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الاخرة الم يك نطفة من مني يمنى ثم

كان علقة فخلق فسوى فقدره فعدله فجعل منه الزوجين الصنفين الذكر

والانثى وهو استدلال اخر على الاعادة على ما مر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه

قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان

اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه عم من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبريل

يوم القيمة انه كان مؤمنا

سورة الانسان مكية وآيها بسم الله الرحمن الرحيم احدى وثلاثون آية

هل اتى على الانسان استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد واصله اهل كقوله

قوله فان المتبختر يمد خطاه بيان لوجه افادته لما ذكر قال الامام هنا ذكر لما يتعلق بدنياه

بعد ذكر ما يتعلق بدينه قبل وثم للاستبعاد لان من صدر عنه مثل ذلك ينبغي ان

يخاف من حلول غضب الله به فيمشي خائفا متطامنا لا فرحا متبخترا قوله ويل

لك هذا محصل معناه المراد منه فانه مثله فيرد للدعاء عليه او للتهديد به والوعيد

وعن الاصمعي انها تكون للتحسر على امر فات هذا هو المعنى المراد بها والكلام في لفظها

فقيل هو فعل ماض دعائي من الولي واللام مزيدة اي اولاك الله ما تكرهه وعن ابن جني

اي ادناك الهلاك كما ذكره المص وقريب منه قول الاصمعي ان معناه قاربه ما يهلكه

ان نزل به واستحسنه ثعلب وقيل انه اسم وزنه افعل من الويل فقلب فقيل فلعى و

لم ينون ومعناه ما ذكره والفه للالحاق لا للتانيث وعلى الاسمية هو مبتدا ولك

الخبر وقيل اسم فعل مبني ومعناه وليك شر بعد شر ونقل الزمخشري عن ابي علي

انه علم لمعنى الويل وهو غير منصرف للعلمية ووزن الفعل وقيل عليه فالويل غير منصرف

ومثل يوم ايوم غير منقاس ولا يفرد عن الموصوف وادعاء القلب من غير دليل لا يسمع

وعلم الجنس خارج عن القياس فما ذكره بعيد من وجوه عدة وقيل فالاحسن انه افعل

تفضيل خبر لمبتدا يقدر كما يليق بمقامه فالتقدير هنا النار اولى لك يعني انت احق

بها واهل لها شهاب

طط

بجميع هذه الابيات قال السيوطي في شرح شواهد المغني والذي رأيته في نسخة

قديمة من ديوانه فهل رأونا وقال السيرافي الرواية الصحيحة ام هل رأونا وام منقطعة

بمعنى بل فلا دليل فيه لما قاله الزمخشري ومن تبعه لان الحرف لا يدخل على مثله

ولم يجعل المص دليله كما في الكشاف لاحتمال ان يكون جمع بينهما للتوكيد كما في قوله

ولا للما بهم دواء مع ان هذا اقرب لعدم اتحادهما لفظا والسفح اسفل الجبل

ينسفح فيه الماء والقاع الارض المنخفضة والاكم جمع اكمة وهي ما علا من الارض

دون الجبل والشدة بالفتح الحملة او بالكسر القوة والباء فيه لتضمين سال

معنى اهيم او للسببية وقوله اهل الكابة وتعريض معناه اهلكنا غابن

امهم وفيه تعريض بانهم كانوا في الخصب كذا في الكشف وعندي انه كناية عن

انهزامهم لان من شأن المنهزم الالتجاء الى الجبل شهاب

قوله من خلقه أولا اى ما خلق منه ومادته لان الشيء الذي لم يذكر المراد به العناصر
او التراب وهو وان ابهم معلوم من القرائن الخارجية فما قيل انه بطريق الاستخدام
لا وجه له الا ان يريد ما ذكر على ان الاستخدام غير المصطلح نقوله سابقا كالعناصر
والنطفة المراد المجموع بالنظر الى المجموع او التوزيع على الوجهين في المراد بالانسان
وليس نظرا للتقريب في الابهام وعدمه لان مرتبة العنصر بعيدة كما توهم
لان التقريب فيها نسبي تقريبي قوله مشيج بفتحتين كسبب واسباب او بفتح
فكسر ككتف واكتاف ومشيج فعيل فانه يجمع ايضا على افعال كشهيد واشهاد
ونصير وانصار وان قال في التسهيل انه غير مقيس وقوله وصف النطفة وهي
مفردة بها اي بامشاج وهو جمع لان المراد بها مجموع ماء الرجل والمرأة والجمع
قد يقال على ما فوق الواحد او باعتبار الاجزاء المختلفة فيها رقة وغلظا وصفرة
وطبيعة وقوة وضعفا حتى اختص بعضها ببعض الاعضاء على ما اراده الله بحكمته
وعلمه وقدرته فهذا في المعنى جوابان والحاصل انه نزل منزلة الجمع ووصف بصفته
اجراء له قوله وقيل مفرد اي امشاج هنا مفرد بناء على ان افعال يكون في المفردات
نادرا وقد عدوا منه الفاظا مذكورة في كتب اللغة واليه ذهب سيبويه في
لفظ انعام كما مر فالقول بانه لم يذهب اليه غير صحيح وقد عرفت ما فيه وقوله برمة
اعشار اي منكسرة كانها صارت عشر قطع والبرمة القدر والاكياش بكاف وياء
تحتية مثناة وشين معجمة ثوب غزل غزله مرتين وقيل الثوب الاكياش من
ملابس الاكياش قوله فهو كالمسبب اي جعل الله الانسان ذا سمع وبصر كالمسبب
عن الابتلاء لان المقصود من جعله كذلك ان ينظر الايات الافاقية والانفسية
ويسمع الادلة السمعية ولذا خصهما من بين الصفتين وقال كالمسبب لان افعاله
تعالى لا تحتاج الى الاسباب والعلل ولانه سبب عن ارادة الابتلاء لا عن الابتلاء نفسه
وقوله ورتب عليه الخ لانها جملة مستأنفة تعليلية في معنى لانا هديناه اي دللناه
على ما يوصله من الدلائل وهو انما يكون بعد التكليف والابتلاء به قوله واما
للتفصيل بتعدد الاحوال مع اتحاد الذات فصلت حالاته الى الشكر والكفران
كالاشارة اليه بقوله في حاليه والتقسيم للناس باختلاف الذوات والصفات
باعتبار ان بعضهم كذا وبعضهم كذا والشكر الاهتداء للحق وطريقه والكفران
ضده فالمعنى انا دللناه على الهداية والاسلام فمنهم مهتد مسلم ومنهم ضال كافر

قوله غير مذكور بالانسانية
اشار الى ان النفي راجع للقيد اي
غير معروف بها والمراد انه معدوم لم
يوجد بنفسه اذا كان الموجود اصله
ما لا يسمى انسانا ولا يعرف بعنوان الانسان
كالعناصر لان بعضه جملتها او بعضها المخلوق
من آدم عليه السلام او النطفة
المتولدة من الاغذية المخلوقة من العناصر
وقوله حال من الانسان فاطلق على
مادة الانسان مجازا بجعل ما
هو بالقوة منزلة ما هو
بالفعل وهو من مجاز الاول

امل وانا بسمع القارع ذي الاكرم حين من الدهر طائفة محدودة من الزمان الممتد
الغير المحدود لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية
كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع والمراد
بالانسان الجنس لقوله انا خلقنا الانسان من نطفة او آدم بين اولا خلقه ثم
ذكر خلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشيج او مشج من مشجت الشيء اذا خلطته ووصف
النطفة به لان المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة وكل منها مختلفة الاجزاء في الرقة
والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منها مادة عضو وقيل مفرد كاعشار واكياش
وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر فاذا اختلطا اخضرا او اطوار
فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة نبتليه في موضع الحال اي مبتلين
له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال فاستعار له الابتلاء فجعلناه سميعا
بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب من الابتلاء
ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله انا هديناه السبيل
اي بنصب الدلائل وانزال الآيات اما شاكرا واما كفورا حالان من الهاء واما للتفصيل
او التقسيم اي هديناه في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء
او الاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه او من السبيل ووصفه بالشكر والكفر
مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة
على الفواصل واشعارا بان الانسان لا يخلو عن كفران غالبا وانما المأخوذ به المتوغل فيه
انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا بها يقادون وسعيرا بها يحرقون وتقديم
وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين
احسن وقرأ نافع والكسائي وابو بكر سلاسلا للمناسبة ان الابرار جمع بر كارباب او بار
كاشهاد يشربون من كأس من خمر وهي في الاصل القدح تكون فيه كان مزاجها
ما يمزج بها كافورا لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور
في رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به عينا بدل

من كافور ان تجعل اسم ماء او من محل بن كاس على تقدير مضاف اى ماء عين او خمرها
او نصب على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعدها يشرب بها عباد الله اى ملتذا
او ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة او بمعنى من لان الشرب مبتدا منها كما هو يفجرونها
تفجيرا يجرونها كيف شاؤا اجراء سهلا يوفون بالنذر استيناف ببيان ما رزقوه
لاجله كانه سئل عنه فاجيب بذلك وهو ابلغ في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات
لان من وفى بما اوجبه على نفسه لله كان اوفى بما اوجبه الله عليه ويخافون يوما
كان شره شدائده مستطيرا فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق
والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي
ويطعمون الطعام على حبه حب الله او الطعام او الاطعام مسكينا ويتيما
واسيرا يعني اسارى الكفار فانه عم كان يوتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين
فيقول احسن اليه او الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون وفي الحديث
غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة القول
بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن
عائشة رض كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان
ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله لا نريد
منكم جزاء ولا شكورا اى شكرا انا نخاف من ربنا فلذلك نحسن اليكم
او لا نطلب المكافاة منكم يوما عذاب يوم عبوسا تعبس فيه الوجوه او
يشبه الاسد العبوس في ضراوته قمطريرا شديد العبوس كالذي يجمع ما
بين عينيه من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر
والميم مزيدة فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه
ولقاهم نضرة وسرورا بدل عبوس الفجار وحزنهم وجزاهم بما صبروا
بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا
ياكلون منه وحريرا يلبسونه وعن ابن عباس رض ان الحسن والحسين مرضا

قوله على ارادة القول بتقدير قائلين وهذا اما قولا باللسان لدفع الامتنان وتوهم توقع
المكافاة او بلسان الحال لما يظهر عليهم من امارات الاخلاص قوله كالذي يجمع
ما بين عينيه لانه قطمه اذا شده وجمع اطرافه شهاب

فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولديك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما صوم ثلاث ان برئا فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري ثلاث اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل بهذه السورة وقال خذها يا محمد هنأك الله في اهل بيتك **متكئين فيها على الارائك** حال من هم في فجزاهم او صفة لجنة **لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا** يحتملهما وان يكون حالا من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي قال وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان هواءها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر **ودانية عليهم ظلالها** حال او صفة اخرى معطوفة على ما قبلها او عطف على جنة اي وجنة اخرى دانية على انهم وعدوا جنتين لقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انها خبر ظلالها والجملة حال او صفة **وذللت قطوفها تذليلا** معطوف على ما قبله او حال من دانية وتذليل القطوف ان يجعل سهلة التناول لا يمتنع على قطافها كيف شاؤوا **ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب** واباريق بلا عرى **كانت قوارير قوارير من فضة** اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قوارير من نون سلاسلا وابن كثير الاولى لانها رأس الآية وقرئ قوارير من فضة على هي قوارير **قدروها تقديرا** اي قدروها في انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوه او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها او قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها اي جعلوا قادرين لها كما شاؤوا من قدر منقول من قدرت الشيء وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له **ويسقون فيها كأسا**

كان مزاجها زنجبيلا ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به عينا فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد به ان ينفي عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا فسميت به كتأبط شرا لانه لا يشرب بها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح ويطوف عليهم ولدان مخلدون دائمون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا من صفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض واذا رأيت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك اينما وقع رأيت نعيما وملكا كبيرا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف اكبر من ذلك وهو ان تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضيء بانوار قدس الجبروت عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ ونصبه على الحال من هم في عليهم او حسبتهم او ملكا على تقدير مضاف اي واهل ملك كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرأهما نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائي بالجر وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا اساور من فضة عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه قوله اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من الضمير في عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا يريد به نوعا آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله عز وجل ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى

قوله لانه عام معناه ان بصرك اي اراد بالعموم انه منزل منزلة اللازم وترك مفعوله فيفيد العموم في المقام الخطابي اذ تقدير احد المفاعيل دون غيره ترجيح بلا مرجح فيلزم العموم هذا مراده وهو اظهر من ان يخفى والعجب ممن ادعى هنا انه يقدر له مصدر معرف بلام الاستغراق بمعونة المقام وانه معنى كونه عاما وحينئذ فقوله معناه على ظاهره ولا حاجة الى جعله مآل المعنى كما قيل وثم ظرف بمعنى هناك نصب محلا على الظرفية قوله ما رق منها وما غلظ لف ونشر مرتب فما رق السندس وما غلظ الاستبرق فانه معرب استبره وهو الغليظ منه وفي كلامه اشارة الى ان خضر وان توسط فيهما وقوله او حسبتهم وما قيل عليه من انه يلزم منه تفكيك الضمائر لان بعضها للعاطف وبعضها للمعطوف عليه ورد بانه مع القرينة المعينة لا بأس به مع ان كون ضمير حلوا وسقاهم للمعطوف عليه غير مسلم فانه يجوز كونه للطائفتين كما ذكره المص وقوله بالرفع اي وتقديره على الياء مع كسر الهاء ومن نصبه ضمها واخبر به عن النكرة لانه نكرة واضافته لفظية كما اشار اليه بقوله في تفسيره يعلوهم وهو احسن من جعله منصوبا بفتحة مقدرة لانه شاذ او ضرورة فلا ينبغي ان يخرج عليه القراءة المتواترة كما فعله ابو البقا هذا والاحسن لفظا ومعنى كما في بعض الحواشي ان يعرب عاليهم مبتدأ وثياب خبره فتأمل قوله حملا على سندس بالمعنى لانه وان كان مفردا لفظا جمع معنى واما جعل جره للجوار لتوافق القراءتان معنى فلا يلتفت اليه لانه شاذ لا يخرج عليه من غير ضرورة قوله بالعكس اي بجر استبرق عطفا على سندس ورفع خضر على انه صفة ثياب فيدل على خضرة الاستبرق ايضا كما اشار اليه المص في تفسيره اولا قوله والفتح اراد به فتح القاف على انه علم جنس منقول من الفعل وحكي فتحه او المسمى به الجملة من الفعل والضمير المستتر وقد رد الزمخشري هذا القول بانه معرب من غير شبهة فيه وما ذكر في الحقيقة تكلف ضعيف رواية ودراية واضعف منه ما قيل انه باق على فعليته والضمير المستتر فيه راجع للخضر المفهوم من خضر او للسندس اشارة الى خلوص خضرته وانها لا يعلوها سواد كخضرة الدنيا وكله اوهى من بيت العنكبوت تنبيه للائمة المعتمد عليهم في استبرق اختلاف كثير لاهل اللغة والعربية والتفسير هل هو عربي او معرب وهل هو نكرة او علم جنس مبني او معرب مصروف او ممنوع من الصرف فكلها اقوال مصرح بها وهمزته همزة قطع او وصل والصحيح منها انه نكرة معرب مصروف مقطوع الهمزة لانه الثابت في السبعة المتواترة وعدم قطع همزته ثبت في قراءة

ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي منتهى درجات
الصديقين ولذلك ختم به ثواب الابرار ان هذا كان لكم جزاء على اضمار
القول والاشارة الى ما عد من ثوابهم وكان سعيكم مشكورا مجازى عليه
غير مضيع انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما لحكمة اقتضته
وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل به فاصبر لحكم ربك
بتاخير نصرك على كفار مكة وغيرهم ولا تطع منهم آثما او كفورا
اى كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالى في الكفر الداعى اليه
واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم
باعتبار ما يدعونك اليه فان ترتب النهى على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك
يستدعى ان يكون المطاوعة في الاثم والكفر فان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا
كفر غير محظور واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره او دم على صلاة
الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما ومن الليل فاسجد له
وبعض الليل فصل له ولعل المراد صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما
في صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له
طائفة طويلة من الليل ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم
امامهم او خلف ظهورهم يوما ثقيلا شديدا مستعار من الثقيل الباهظ لحامله
وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه نحن خلقناهم وشددنا اسرهم
واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا واذا شئنا
اهلكناهم وبدلنا امثالهم في الخلقة وشدة الاسر يعني النشأة الثانية ولذلك
جيء باذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقق القدرة وقوة الداعية ان هذه
تذكرة الاشارة الى السورة او الآيات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا
تقرب اليه بالطاعة وما تشاؤون الا ان يشاء الله وما تشاؤون ذلك الا
وقت ان يشاء الله مشيئتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يشاؤون بالياء

ان الله كان عليما بما يستاهل كل احد حكيما لا يشاء الا ما تقتضيه حكمته يدخل
من يشاء في رحمته بالهداية والتوفيق للطاعة والظالمين اعد لهم عذابا
اليما نصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد وكافا ليطابق الجملة المعطوف
عليها وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل
اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات مكية بسم الله الرحمن الرحيم وآيها خمسون آية

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات
فرقا فالملقيات ذكرا اقسم بطوائف من الملائكة ارسلهن الله باوامره متتابعة
فعصفن عصف الرياح في امتثال امره ونشرن الشرائع في الارض او نشرن النفوس
الموتى بالجهل بما اوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فالقين الى الانبياء
ذكرا عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او بآيات القرآن المرسلة بكل عرف الى
محمد صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن
آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر
الحق فيما بين العالمين او بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن
ما سوى الحق ونشرن اثر ذلك في جميع الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل
في نفسه فيرون كل شيء هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث لا يكون في القلوب
والالسنة الا ذكر الله او برياح عذاب ارسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن
السحاب في الجو ففرقن فالقين ذكرا اي تسببن له فان العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها
ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اي
ارسلن للاحسان والمعروف او بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على
الحال عذرا او نذرا مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف او
جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما
على الاولين بالعلية اي عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او البدلية من ذكرا على

ان المراد به الوحي او ما يعم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية
وقراهما ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص بالتخفيف انما توعدون لواقع
جواب القسم ومعناه ان الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة فاذا
النجوم طمست محقت واذهب نورها واذا السماء فرجت صدعت واذا
الجبال نسفت كالحب ينسف بالمنسف واذا الرسل اقتت عين لها وقتها
الذي يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لا يتعين لهم قبله
او بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وقرا ابو عمرو وقتت على الاصل لاي
يوم اجلت اي يقال لاي يوم اخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم
وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثاني مفعولي اقتت بمعنى علمت ليوم
الفصل بيان ليوم التاجيل وما ادراك ما يوم الفصل ومن اين تعلم
كنهه ولم تر مثله ويل يومئذ للمكذبين اي بذلك وويل في الاصل مصدر
منصوب باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك للمدعو عليه
ويومئذ ظرفه او صفته الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ
نهلك من هلكه بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الاخرين ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار
مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الاخرين المتاخرين من المهلكين
كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام كذلك مثل ذلك الفعل نفعل
بالمجرمين بكل من اجرم ويل يومئذ للمكذبين بايات الله وانبيائه فليس بتكرير
وكذا ان اطلق التكذيب او علق في الموضعين بواحد لان الويل الاول لعذاب
الاخرة وهذا للاهلاك في الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام
العرب الم نخلقكم من ماء مهين نطفة مذرة ذليلة فجعلناه في قرار
مكين هو الرحم الى قدر معلوم الى مقدار معلوم من الوقت الذي قدره الله
للولادة فقدرنا فقدرنا على ذلك او فقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائي
بالتشديد فنعم القادرون نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك

اوعلى الاعادة الم نجعل الارض كفاتا كافتة اسم لما يكفت اى يضم ويجمع
كالضمام والجماع لما يضم ويجمع او مصدر نعت به او جمع كافت كصائم وصيام
او كفت وهو الوعاء اجرى على الارض باعتبار اقطارها احياء وامواتا
منتصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم او لان احياء الانس وامواتهم بعض
الاحياء والاموات او الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس او بنجعل على
المفعول وكفاتا حال او الحال فيكون المعنى بالاحياء ما ينبت وبالاموات ما لا ينبت وجعلنا
فيها رواسى شامخات جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم والاشعار بان فيها
ما لم يعرف ولم ير واسقيناكم ماء فراتا بخلق الانهار والمنابع فيها ويل
يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم انطلقوا اى يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم
به تكذبون من العذاب انطلقوا خصوصا وقرا يعقوب انطلقوا على الاخبار
من امتثالهم للامر اضطرارا الى ظل يعنى ظل دخان جهنم كقوله وظل من يحموم ذى
ثلاث شعب يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية
الثلاثة اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدى
الى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة فى الدماغ والغضبية التى فى يمين القلب
والشهوية التى فى يساره ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه
وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل ولا يغنى من
اللهب وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا انها ترمى بشرر كالقصر اى كل
شررة كالقصر فى عظمها ويؤيده انه قرئ كشرار وقيل هو جمع قصرة وهى الشجرة
الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة
كحاجة وحوج كشجر وشجرة وهى اصل العنق والهاء للشعب كانه جمالات جمع
جمال او جمالة جمع جمل صفر فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل
سود فان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه فى العظم وهذا فى
اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرا حمزة والكسائى وحفص

جمالة وعن يعقوب ورويس جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ
من حبال السفينة شبه بها في امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم
لا ينطقون اي بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق او بشيء من فرط الدهشة والحيرة
وهذا في بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي ذكر واقع يومئذ ولا يؤذن
لهم فيعتذرون عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفي الاذن والاعتذار
عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن واوهم
ذلك ان لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل
بين المحق والمبطل جمعناكم والاولين تقرير وبيان للفصل فان كان لكم
كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم ويل
يومئذ للمكذبين اذ لا حيلة لهم في التخلص من العذاب ان المتقين من الشرك
لانهم في مقابلة المكذبين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون مستقرون في
انواع الترفه كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون اي مقولا لهم ذلك انا كذلك
نجزي المحسنين في العقيدة والعمل ويل يومئذ للمكذبين يمحض لهم العذاب المخلد و
لخصومهم الثواب المؤبد كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال
ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع
القليل على النعيم المقيم ويل يومئذ للمكذبين حيث عرضوا انفسهم للعذاب
الدائم بالتمتع القليل واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون اطيعوا واخضعوا
او صلوا واركعوا في الصلاة اذ روي انه نزل حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نجبي فانها مسبة وقيل هو يوم القيامة حين يدعون
الى السجود فلا يستطيعون لا يركعون لا يمتثلون واستدل به على ان الامر
للوجوب وان الكفار مخاطبون بالفروع ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث
بعده اي بعد القرآن يؤمنون اذ لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل على
الحجج الواضحة والمعاني الشريفة قال عم من قرأ سورة المرسلات كتب له انه ليس من المشركين

قوله كانه لفخامته خفي جنسه قد علمت ما يرد عليه ودفعه فهو استعارة تبعية فشبه الامر المحقق الذي شانه ان يخفى جنسه على الناس لا على السائل والمتكلم فيسال عنه لاستغرابه

نظيره ويستعمل لفظ المشبه به في المشبه كما اوضحه المص قوله والضمير لاهل مكة وان لم يسبق ذكرهم للاستغناء عنه بحضورهم حسا قيل مع ما في الترك من التحقير والاهانة

لاستعاره بانه مما يصان عنه ساحة الذكر الحكيم ولا يتوهم العكس لمنع المقام عنه فلا نرى ان في تركه ايهام فخامته وتعيينه لعظمته وعلو صيته حتى يعلم وان لم يذكر كما نوهم

ونحوه هو داود نبي وقوله يتساءلون عن البعث او تخصيصه بالبعث لا نقوله الم نجعل الارض مهادا من ادلته كما ستراه فسقط ما قيل انه يجوز ان يكون عن القران او النبوة او غير ذلك

قوله او يتساءلون الرسول والمؤمنين عنه على ان الضمير لاهل مكة والتساؤل متعد لمفعول المسئول ومفعوله مقدر هنا وهو ما ذكره واستشهد له بما ذكره من كلام العرب

لان التفاعل في الاصل مطاوع فيكون لازما وفاعله فاعل المفاعلة ومفعولها معا فتقول ضارب زيد عمرا وتضارب زيد وعمرو فلا يتعدى الا المفعول غير الذي فعل

مثل فعلك كما في قولهم تعاطينا الكاس وتفاوضنا الحديث قوله او للناس عموما سواء كفار مكة وغيرهم من المسلمين وهو معطوف على قوله لاهل مكة وسؤال

المؤمنين ليزدادوا خشية وايمانا وسؤال غيرهم استهزاء ليزيدوا كفرا وطغيانا وحذف المفعول على التعدي في الوجه السابق لان المستعظم السؤال بقطع النظر عن سبيل

ويجوز ان يكون لصون المسئول عن ذكره مع هذا السائل قوله بيان لشان المفخم او للمفخم شانه يعني ليس صلة يتساءلون لان عم صلته بل هو صلة محذوف مستانف للبيان ولا

يصح ابداله من الاول فان معناه عن النبا العظيم ام غيره وهذا لا يطابقه الا اعيد الاستفهام ام لا كما قيل وليس بشيء فانه يجوز فيه البدلية كما ذكره المعرب ولا يلزم اعادة الاستفهام

لان الاستفهام غير حقيقي ولا ان يكون عينه كما ادعاه لجواز كونه بدل بعض وما قيل لا نسلم عدم المطابقة اذا اعيد الاستفهام لغو من الكلام لا يتم بسلامة الامير والسلام

قوله بجزم النفي في الوجه الاول على ان الضمير لاهل مكة وما بعده على انه للناس عامة وكان عليه ان يزيد في الثاني التوقف والشك كما قيل ويجوز ان يفسر الاختلاف بزيادة

الخشية والاستهزاء قيل ويجوز ان يكون الاقرار والانكار على الاول ايضا وضميرهم للسائلين والمسئولين ولا يخفى ما فيه من مخالفة الظاهر وتفكيك الضمائر قوله

تكرير للمبالغة لانه لم يذكر مفعول العلم فاما ان يقدر سيعلمون حقيقة الحال وما عنه السؤال او سيعلمون ما يحل بهم من العقوبات والنكال وتكريره مع الابهام يفيد

مبالغة لانه اذا قيل لزيد لم تدعو ثم كرر كان ابلغ في الزجر شهاب

سورة النبأ مكية بسم الله الرحمن الرحيم واياتها اربعون واية

عم يتساءلون اصله عن ما فحذفت الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم
شان ما يتساءلون عنه كانه لفخامته خفي جنسه فيسال عنه والضمير لاهل مكة كانوا
يتساءلون عن البعث فيما بينهم او يسالون الرسول والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم
يتداعونهم ويترآءونهم اي يدعونهم ويرونهم او للناس عن النبأ العظيم
بيان لشان المفخم او صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل عليه
قراءة يعقوب عمه الذي هم فيه مختلفون بجزم النفي والشك فيه او بالاقرار
والانكار كلا سيعلمون ردع عن التساؤل ووعيد عليه ثم كلا سيعلمون
تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد الثاني اشد وقيل الاول عند النزع والثاني
في القيمة او الاول للبعث والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير
قل لهم ستعلمون الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا تذكير ببعض ما عاينوا
من عجايب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر
تقريره مرارا وقرئ مهدا اي انها لهم كالمهد للصبي مصدر ويمهد به ما يمهد لينوم عليه
وخلقناكم ازواجا ذكرا وانثى وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن الاحساس
والحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها او موتا لانه احد التوفيين
ومنه المسبوت للميت واصله القطع ايضا وجعلنا الليل لباسا غطاء يستتر
بظلمته من اراد الاختفاء وجعلنا النهار معاشا وقت معاش يتقلبون فيه
لتحصيل ما تعيشون به او حياة يبعثون فيها عن نومكم وبنينا فوقكم
سبعا شدادا سبع سموات اقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور وجعلنا
سراجا وهاجا متلالئا وقادا من وهجت النار اذا اضاءت او بالغا في الحرارة
من الوهج وهو الحر والمراد الشمس وانزلنا من المعصرات السحائب اذا اعصرت
اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له
ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او من الرياح التي حان

قوله وثم للاشعار بان الوعيد الثاني اشد قال
السمين التكرار للتوكيد وزعم ابن مالك
انه من التوكيد اللفظي ولا يضر توسط حرف
العطف والنحويون يابون هذا ولا يسمونه
الا عطفا افاد التاكيد انتهى ولا تحصل له وكان
عليه ان يقول واهل المعاني يابونه لما بينهما
من شبه الاتصال فان ما ذكره المفسرون
والنحاة هنا مخالف لما ذكره اهل المعاني في
في الفصل والوصل والتوفيق بينهما كما اشار
اليه ان ثم هنا للاستبعاد والتفاوت الرتبي
فكانه قيل لكم ردع وزجر شديد بل اشد واشد
وبهذا الاعتبار صار كانه مغاير لما قبله
ولذا حسن عطفه بثم غالبا وما ذكره اهل المعاني
ليس على اطلاقه ولم يقل بان الردع والوعيد الثاني
لان الوعيد يتضمن الردع ايضا فاكتفى به مع القرينة
السابقة شهاب

قوله اوحد للخلائق ينتهون اليه يعني ان الميقات اخص من الوقت وهو الوقت المحدود كالميعاد والميلاد لتوقيت زمانًا في الوعد والولادة فبين ان ذلك الوقت اما حد للدنيا واما حد للخلائق فانهم يرجعون اليه لتتميز احوالهم ويعلم الشقي من السعيد ورُوي انه صلى الله عليه وسلم الخ قال ابن حجر انه موضوع واثار الوضع لائحة عليه والقردة جمع قرد وقوله يسحبون الخ تفسير لقوله منكوسون وعمي جمع اعمى وقوله يتقذرهم اي يكرههم كما يكره الامور القذرة واهل الجمع هم اهل المحشر وقوله ملبسون مشدد ومخفف وما قيل من انه لا بد من التغليب في قوله تاتون اذ لا يمكن الاتيان للمقلوب والمسحوب على الوجه ولا من غيره وارجل ليس بشيء فان امور الاخرة لا تقاس على امور الدنيا والقادر على البعث قادر على جعلهم ماشين بلا ايد وارجل وان يمشي عند النار التي صلبوا عليها وقد قيل له صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم فقال الذي امشاهم على ارجلهم قادر ان يمشيهم على وجوههم مع انه لا يلزم ان ياتوا لانفسهم لجواز ان تاتي بهم الزبانية قوله وشققت السماء اشارة الى ان المراد بالفتح المضاف للجميع ليس ما عرف من فتح الابواب وانحاز لكن هذا هو الموافق لقوله اذا السماء انشقت اذا السماء انفطرت ونحوه فان القران يفسر بعضه بعضا والفتح يكون بمعنى الشق كفتح الجسور وما ضاهاه واما حمله على فتح الابواب على ان السماء تفتح ابوابها وتشقق ايضا فلا وجه له لانها اذا شققت لا تحتاج لفتح الابواب واذا جاء نصر الله بطل نهر معقل وعبر عن الشق بالفتح اشارة الى كمال قدرته حتى كان تشقق هذا الجرم العظيم كفتح الباب سهولة وسرعة وهو معطوف على تاتون ولا مخالفة بينهما لان المراد تفتح وعبر بالماضي لتحققه ولو جعل حالا بتقدير قد كان وجها حسنا كما في الكشف قوله فصارت اشارة الى انه كان من الافعال الناقصة ومعناها اتصاف المبتدا بالخبر في الزمن الماضي نحو كان زيد تاما وقد ترد بمعنى صار كما ذكره ابن مالك في تسهيله فيره فيد لعلى الانتقال من حال الى اخرى كما في قوله تعالى فكانت هباء منثورا والسماء بالشق لا تصير ابوابا حقيقة فلا بد من تاويلها فاما ان تشبه شقوقها بالابواب في السعة والكثرة تشبيها بليغا او يقدر فيه مضاف كما ذكره المص وجعل في الهواء كالهباء اي بعضه من اماكنها في الهواء وفلانا انما يكون بعد تفتتها او اجزاء متصاغرة كالهباء فقوله كالهباء حال اي كانت كالهباء شهاب

لها ان تعصر السحاب والرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبتدا للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية في دماء الهدي وقرئ ثجاجا ومثاجج الماء مصابه لنخرج به حبا ونباتا ما يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش وجنات الفافا ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال جنة لف وعيش مغدق وندامى كلهم بيض زهر او لفيف كشريف ولف جمع لفاء كخضر وخضراء وملتفة بحذف الزوائد ان يوم الفصل كان ميقاتا كان في علم الله او في حكمه ميقاتا حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ في الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتاتون افواجا جماعات من القبور الى المحشر روي انه عليه السلام سئل عنه فقال يحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل السحت واكلة الربا والجائرين في الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء وفتحت السماء وشققت السماء وقرا الكوفيون بالتخفيف فكانت ابوابا فصارت من كثرة الشقوق كان الكل ابواب او فصارت ذات ابواب وسيرت الجبال اي في الهواء كالهباء فكانت سرابا مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها ان جهنم كانت مرصادا موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها في مجازهم عليها

كص

قوله ما يقتات به اما موصولة ويقتات افتعال من القوت بمعنى يكون قوتا كالحنطة ويعتلف اي يكون علفا وهو غذآء للحيوان الاهلي والحشيش اليابس من النبات فما ذكره عبارة عن غذآء الانسان والحيوان ولا ثنيا في ما ذكره كون الحب انما يخرج بواسطة النبات فالقوت خاص بالانسان والعلف للحيوان وليس فيه لف ونشر لان الانسان يأكل النبات ايضا ويجوز ان يكون لفا ونشرا كما في الكشف للاغلب في كل منهما فانه كنى به عما ذكرناه وقوله بعضها ببعض مبتدأ وخبر اي بعضها ملتف ببعض والجملة مفسرة لقوله ملتفة او بعضها بدل من المستتر في ملتفة بدل البعض وقوله ببعض متعلق بملتفة لا فاعل فانه كان الظاهر ملتفا وان جاز بتكلف قوله جمع لف كجذع واجذاع واللف بمعنى الملفوف صفة مشبهة وفعل يجمع على افعال باطراد ولما كان لف المفرد غير معروف في اللغة والاستعمال احتاج لاثباته بشاهد ولذا ذهب كثير الى انه جمع لا واحد له من لفظه وهو كثير واختاره الزمخشري لسلامته عن التكلف قوله جنة لف وعيش مغدق * وندامى كلهم بيض زهر * فاللف بمعنى ملتفة الاشجار في النبات والعيش بمعنى المعيشة ومغدق في الاصل من الغدق وهو الماء الكثير فتجوز به هنا عن السعة والرفاهية وندامى جمع ندمان بمعنى نديم وزهر جمع ازهر بمعنى مشرق والمراد بكونهم بيضا زهرا انهم حسان يصف طيب الزمان والمكان وحسن الاخوان قوله او لف بضم اللام اي الفاف جمع لف بضم اللام وهو جمع لفا كخضرآء الممدود فيكون جمع جمع وهذا قول ابن قتيبة وما قبله قول الكسائي وقال في الكشاف بعد نقله عنه وما اظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر واحمار يعني انه بعيد لان نظائره لا تجمع على افعال اذ لا يقال خضر واخضار وحمر واحمار لان جمع الجمع لا ينقاس ووجود نظيره في المفردات لا يكفي كما توهم وقول الخضرآء لم يرد انه سمع فيه ذلك حتى يقال له ثبت اللوح ثم انقش لانه مثال مفروض لا شاهد منقول حتى يعترض عليه كما قيل ثم سوقه لا يخلو من كدر قوله او ملتفة بحذف الزوائد يعني الفاف جمع ملتفة لا انه مفرد مسموع بلا كلام الا ان مثله يجمع على ملتفات قياسا لا على الفاف فلذا قدر حذف زوائده ليكون ثلاثيا يجمع مثله على افعال وادعى الزمخشري انه قول وجيه لانه كما قال المعرب تكلف لا حاجة اليه فانه لا يعرف في العرب خلاف الزوائد المسمى عند النحاة ترخيما في مثله لانهم اصطلحوا على تسمية حذف الزوائد ترخيما كما يسمى حذف اخر المنادى ترخيما وانما عرف في التصغير والمصادر ولذا قال المدقق في الكشف غيره انه لا نظير له اصلا لان تصغير الترخيم ثابت اما جمعه فلا قيل واللواقح والطوائح ليس منه كما مر في الحجر وما في الكشف غير مسلم فانه وقع في

لا تعرف ما تجيء متوضئا

كالمضمار فانه الموضع الذي يضمر فيه الخيل ومجدة في ترصد الكفرة لئلا تشذ منها
واحد كالمطعان وقرئ أن بالفتح على التعليل لقيام الساعة للطاغين مآبا مرجعا
ومأوى لابثين فيها وقرأ حمزة وروح لبثين وهو ابلغ احقابا دهورا متتابعة
وليس فيه ما يدل على خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة
فليس فيه ما يقتضي تناهي تلك الاحقاب لجواز ان يكون احقابا مترادفة كلما
مضى حقب تبعه آخر وان كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على
خلود الكفار ولو جعل قوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا
حالا من المستكن في لابثين او نصب احقابا بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها
احقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب ويجوز ان
يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطأه الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره
فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله لا يذوقون تفسير له والمراد بالبرد
ما يروحهم وينفس عنهم حر النار او النوم وبالغساق ما يغسق اي يسيل من صديدهم
وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر ليتوافق رؤس الآي وقرأ حمزة
والكسائي وحفص بالتشديد جزاء وفاقا اي جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لاعمالهم
او موافقا لها او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا انهم كانوا لا
يرجون حسابا بيان لما وافقه هذا الجزاء وكذبوا بآياتنا كذابا تكذيبا وفعال
بمعنى تفعيل مطرد شائع في كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب
كقوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانما اقيم مقام التكذيب
للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم او المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين
وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة او كانوا مبالغين في الكذب
مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين او مكاذبين
ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة المصدر
اي تكذيبا مفرطا وكل شيء احصيناه قرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر

قوله لو صح اشارة الى المنع الوارد عليه مستندا الى ما روي عن الحسن من انه زمان
غير محدود ولذا فسره بعض اللغويين بالدهر وصيغة القلة لا تنافي عدم التناهي ايضا
لتأويلها بما ذكره لانه ليس له جمع كثرة فهي مشتركة لثبوت الحقب في جمعه كما ذكره الراغب
قوله وان كان ان كان تامة اي وان وجد وصح ان فيه ما يقتضي التناهي او دلالته على
الخروج ولو بعد زمان طويل فهو مفهوم معارض بالمنطوق الصريح في خلافه كآيات
الخلود وقوله وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم قوله ولو جعل قوله الجواب
بان الآية فيمن يتناهى عذاب الكفار لتقييده بقوله احقابا بان ما ذكره اذا كان حالا
كما ذكر يكون قيدا للبث على تلك الحالة فبعد الاحقاب يكونون لبثا على حال آخر واحقابا
ليس قيدا للبث لانه منصوب بلا يذوقون جنسا آخر من العذاب اي غير ذوق الحميم
والغساق ولم يلتفت الى كون جملة لا يذوقون صفة احقابا لانه خلاف الظاهر حينئذ
لعود ضمير فيها اليها ولانه لا يندفع به الايهام الناشئ من ظرفية الاحقاب للبث
بتقييد الاحقاب بشيء بخلاف ما اذا قيد اللبث المظروف فانه لا يلزم من انتهاء زمان
المقيد انتهاء زمان المطلق الظاهر بحسب المتبادر فتدبر وقيل لان الصفة والحال
سواء بان فيعلم الوصف بالقياس عليه ولا يجب ابراز الضمير اذا كان الواقع صفة
جارية على غير من هو له فعلا بالاتفاق وانما الخلاف في اسم الفاعل وهو معروف في كتب النحو
وهو غفلة عن قول ابن مالك في شرح التسهيل المرفوع بالفعل كالمرفوع بالصفة اذا حصل
الالتباس يجوز فيه ... وبعضهم حتى اعترض الدماميني على من قيده بالصفة اذا حصل
الالتباس نحو زيد عمرو يضربه وقال انه ليس بجيد لان الفرق بينهما ان الابراز في
الصفة واجب مطلقا البس ام لا بخلاف الفعل فادعاء هذا القائل الاتفاق ناشئ
من عدم النظر في المبسوطات والذي غره فيه كلام الكافية وشرحها مع انه سهو لان
ضمير يذوقون الراجع لغير من هو له الواو وهو بارز هنا لا مستتر فان اراد بالبروز
الانفصال فهو مع انه خلاف الظاهر غير مسلم قوله جوزوا بذلك وفي نسخة جزوا وهو
اشارة الى انه مفعول مطلق منصوب بفعل مقدر ووفاقا مصدر وافقه وهو صفة
جزاء بتقدير مضاف او تأويله باسم الفاعل او لقصد المبالغة على ما عرف في امثاله قوله
وافقها وفاقا وجاز جعله مصدر الفعل مقدر من لفظه كافخر ومعنى كونه موافقا
لاعمالهم انه بقدرها في الشدة والضعف بحسب استحقاقهم كما يقتضيه عدله وحكمته
والجملة من الفعل المقدر ومعموله جملة حالية او مستأنفة والجملة التي بعدها صفة جزاء
على تقدير الفعل شهاب

لحصيناه فان الاحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط او لتضمنه معنى كتبنا او لفعله المقدر
او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله فذوقوا
فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على
طريقة الالتفات للمبالغة في الحديث هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار
ان للمتقين مفازا فوزا او موضع فوز حدائق واعنابا بساتين فيها انواع
الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض وكواعب نساء فلكت
ثديهن اترابا لدات وكاسا دهاقا ملآنا وادهق الحوض ملأه لا يسمعون فيها
لغوا ولا كذابا وقرأ الكسائي بالتخفيف اي كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم
بعضا جزاء من ربك بمقتضى وعده عطاء تفضلا منه اذ لا يجب عليه
شيء وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به حسابا كافيا من
احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم وقرئ حسّابا اي محسبا كالدرّاك
بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان
وابو عمرو على الابتداء الرحمن صفته في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب
وبالرفع قراءة ابي عمرو وفي قراءة حمزة والكسائي بجر الاول ورفع الثاني على انه
محذوف او مبتدأ خبره لا يملكون منه خطابا والواو لاهل السموات والارض
اي لا يملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب وعقاب لانهم مملوكون له على
الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه يوم يقوم
الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا
تقرير وتأكيد لقوله لا يملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم
من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى
باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف لا يملكون او لا يتكلمون والروح ملك
موكل على الارواح او جنسها او جبريل او خلق اعظم من الملائكة ذلك اليوم
الحق الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا بالايمان والطا

انا انذرناكم عذابا قريبا يعنى عذاب الاخرة وقربه لتحققه فان كل ما هو آت قريب ولان مبدأه الموت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يرى ما قدمه من خير او شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية منصوبة بقدمت اى ينظر اى شئ قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا فى الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او فى هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيمة

سورة والنازعات مكية وفيها خمس او ست واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا هذه صفة ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اى اغراقا فى النزع فانهم ينزعونها من اقاصى الابدان او نفوسا غرقة فى الاجساد وينشطون اى يخرجون ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون فى اخراجها سبح الغواص الذى يخرج الشئ من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيئوها لادراك ما اعد لها من الالام واللذات او الاوليان لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون فى مضيها اى يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره او صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا فى النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط فى اقصى المغرب وتنشط من برج الى برج اى تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد آخر ويسبحون فى الفلك فيسبق بعضها فى السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج

الى برج ملابسة سمى الاولى نزعا والثانية نشطا او صفات للنفوس الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا اى نزعا شديدا من اغراق النازع فى القوس فتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيه فتسبق الى حظاير القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات او حال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات فتنشط الى عالم القدس فتسبح فى مراتب الارتقا فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات او صفات انفس الغزاة او ايديهم تنزع القسى باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمى ويسبحون فى البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها تنزع فى اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح فى جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر اقسم الله بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه يوم ترجف الراجفة وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التى تشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله يوم ترجف الارض والجبال او الواقعة التى ترجف الاجرام عندها وهى النفخة الاولى تتبعها الرادفة التابعة وهى السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة فى موقع الحال قلوب يومئذ واجفة شديدة الاضطراب من الوجيف وهى صفة القلوب والخبر ابصارها خاشعة اى ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب يقولون ائنا لمردودون فى الحافرة فى الحالة الاولى يعنون الحيوة بعد الموت من قولهم رجع فلان فى حافرته اى طريقته التى جاء فيها فحفرها اى اثر فيها بمشيه على النسبة كقوله عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ فى الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهى حفرة ائذا كنا وقرا نافع وابن عامر والكسائى اذا كنا على الخبر عظاما ناخرة بالية وقرا الحجازى والشامى وحفص وروح نخرة وهى ابلغ قالوا تلك اذا كرة خاسرة ذات خسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم فانما هى زجرة واحدة متعلق بمحذوف اى لا تستصعبوها فانما هى الا صيحة

واحدة يعني النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء على وجه الارض بعد
ما كانوا امواتا في بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان
السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها نائمة
او لان سالكها يسهر خوفا وقيل اسم جهنم هل اتيك حديث موسى اليس قد اتاك
حديثه فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب
من هو اعظم منهم اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى قد مر بيانه في سورة طه
اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة القول وقرئ ان اذهب لما في النداء من
القول فقل هل لك الى ان تزكى هل لك ميل الى ان تتطهر من الكفر والطغيان
وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته
فتخشى باداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل
لقوله فقولا له قولا لينا فاراه الآية الكبرى اي فذهب وبلغ فاراه المعجزة الكبرى
وهي قلب العصا حية فانه كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها
كالآية الواحدة فكذب وعصى فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الآية
وتحقق الامر ثم ادبر عن الطاعة يسعى ساعيا في ابطال امره او ادبر بعد ما رأى
الثعبان مرعوبا مسرعا في مشيه فحشر فجمع السحرة او جنوده فنادى في المجمع
بنفسه او بمناد فقال انا ربكم الاعلى اعلى كل من يلي امركم فاخذه الله نكال
الآخرة والاولى اخذا منكلا لمن رآه او سمعه في الآخرة بالاحراق وفي الدنيا
بالاغراق او على كلمته الآخرة وهي هذه وكلمته الاولى وهو قوله ما علمت لكم من اله
غيري او للتنكيل فيهما او لهما ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله
ان في ذلك لعبرة لمن يخشى لمن كان من شأنه الخشية أأنتم اشد خلقا
اصعب خلقا ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال
رفع سمكها اي جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب في العلو
رفيعا فسواها فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب

والتدوير وغيرها من قولهم سوى فلان أمره إذا أصلحه وأغطش ليلها أظلمه منقول
من غطش الليل إذا أظلم وإنما أضاف إليها لأنه يحدث بحركتها وأخرج ضحاها
وأبرز ضوء شمسها كقوله والشمس وضحاها يريد النهار والأرض بعد ذلك
دحاها بسطها ومهدها للسكنى أخرج منها ماءها بتفجير العيون ومرعاها
ورعيها في الأصل لموضع الرعي وتجريد الجملة عن العاطف لأنها حال بإضمار قد أو
بيان للدحو والجبال أرساها أثبتها وقرئ والأرض والجبال بالرفع على الابتداء
وهو مرجوح لأن العطف على فعلية متاعا لكم ولأنعامكم تمتيعا لكم ولمواشيكم
فإذا جاءت الطامة الداهية التي تطم أي تعلو على سائر الدواهي الكبرى التي
هي أكبر الطامات وهي القيامة أو النفخة الثانية أو الساعة التي يساق فيها أهل الجنة
إلى الجنة وأهل النار إلى النار يوم يتذكر الإنسان ما سعى بأن يراه مدونا في
صحيفته وكان قد نسيه من فرط الغفلة أو طول المدة وهو بدل من إذا جاءت وما
موصولة أو مصدرية وبرزت الجحيم وأظهرت لمن يرى لكل راء بحيث لا يخفى على
أحد وقرئ وبرزت ولمن رأى ولمن ترى على أن فيه ضمير الجحيم كقوله إذا رأتهم من مكان
بعيد أو أنه خطاب للرسول أي لمن تراه من الكفار وجواب فإذا جاءت محذوف دل
عليه يوم يتذكر وما بعده من التفصيل فأما من طغى حتى كفر وآثر الحيوة الدنيا
فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس فإن الجحيم هي
المأوى هي مأواه واللام فيه سادّ مسدّ الإضافة للعلم بأن صاحب المأوى هو
الطاغي وهي فصل أو مبتدأ وأما من خاف مقام ربه مقامه بين يدي ربه لعلمه
بالمبدأ والمعاد ونهى النفس عن الهوى لعلمه بأنه مرد فإن الجنة هي المأوى
ليس له سواها مأوى يسألونك عن الساعة أيان مرساها متى إرساؤها أي
إقامتها وإثباتها أو منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهي إليه
وتستقر فيه فيم أنت من ذكراها في أي شيء أنت من أن تذكر وقتها لهم أي ما أنت من
ذكراها لهم وتبيين وقتها في شيء فإن ذكرها لا يزيدهم إلا غيا ووقتها مما استأثره الله بعلمه

وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكراها مستأنف معناه انت ذكر من ذكراها اى علامة من اشراطها فان ارساله خاتما للانبياء امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب الى ربك منتهاها اى منتهى علمها انما انت منذر من يخشاها انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابى عمرو منذر بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا اى فى الدنيا او فى القبور الا عشية او ضحاها اى عشية يوم او ضحاه كقوله الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم واحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله فى يوم القيمة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة

سورة عبس مكية وآيها احدى واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روى ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله علمنى مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف المذهبين وقرئ ءان بهمزتين وبالف بينهما بمعنى الان جاءه الاعمى فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار بعذره فى الاقدام على قطع كلام الرسول بالقوم والدلالة على انه احق بالرأفة والرفق او لزيادة الانكار كانه قال تولى لكونه اعمى كالالتفات فى قوله وما يدريك لعله يزكى اى واى شئ يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الاثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره او يذكر فتنفعه الذكرى او يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير فى لعله للكافر اى انك طمعت فى تزكيته بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك اعرضت عن غيره فما يدريك ان

ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم بالنصب جوابا للترجي أما من استغنى فأنت له
تصدى تتعرض بالإقبال عليه وأصله تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع تصّدى
بالإدغام وقرئ تُصدى أي تُعرض وتُدعى إلى التصدي وما عليك ألا يزكى
وليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالإسلام حتى يبعثك الحرص على إسلامه إلى الإعراض
عمن أسلم إن عليك إلا البلاغ وأما من جاءك يسعى يسرع طالبا للخير وهو يخشى
الله أو أذية الكفار في إتيانك أو كبوة الطريق لأنه أعمى لا قائد له فأنت عنه تلهى
تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدي والتلهي للإشعار بأن العتاب
على اهتمام قلبه بالغني وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي له ذلك كلا ردع عن المعاتب
عليه أو معاودة مثله إنها تذكرة فمن شاء ذكره حفظه أو اتعظ به والضميران
للقرآن أو العتاب المذكور وتأنيث الأول لتأنيث خبره في صحف مثبتة فيها
صفة لتذكرة أو خبر ثان أو خبر محذوف مكرمة عند الله مرفوعة القدر مطهرة
منزهة عن أيدي الشياطين بأيدي سفرة كتبة من الملائكة أو الأنبياء ينتسخون
الكتب من اللوح أو الوحي أو سفراء يسفرون بالوحي بين الله ورسله أو الأمة
جمع سافر من السفر والسفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة إذا
كشفت وجهها كرام أعزاء على الله أو متعطفين على المؤمنين يكلمونهم
ويستغفرون لهم بررة أتقياء قتل الإنسان ما أكفره دعاء عليه بأشنع
الدعوات وتعجب من إفراطه في الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم
وذم بليغ من أي شيء خلقه بيان لما أنعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه
والاستفهام للتحقير ولذلك أجاب عنه بقوله من نطفة خلقه فقدره
فهيأه لما يصلح له من الأعضاء والأشكال أو فقدره أطوارا إلى أن تم خلقته
ثم السبيل يسره ثم سهل مخرجه من بطن أمه بأن فتح فوهة الرحم وألهمه أن
ينتكس أو ذلّل له سبيل الخير والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر
للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام دون الإضافة للإشعار بأنه سبيل عام

وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله
ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وعد الاماتة والاقبار في النعم لان الاماتة
وصلة في الجملة الى الحياة الابدية واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة
عن السباع وفي اذا شاء اشعار بان وقت النشور غير متعين في نفسه وانما هو
موكول الى مشيته كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض ما امره لم يقض بعد
من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله باسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما فلينظر
الانسان الى طعامه اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية انا صببنا الماء صبا
استئناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرا الكوفيون بالفتح على البدل منه
بدل الاشتمال ثم شققنا الارض شقا اي بالنبات او بالكراب واسند الشق
الى نفسه اسناد الفعل الى السبب فانبتنا فيها حبا كالحنطة والشعير وعنبا
وقضبا يعني الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى
وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها
او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا ومرعى
من اب اذا امه لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي او فاكهة
يابسة تؤب للشتاء متاعا لكم ولانعامكم فان الانواع المذكورة بعضها طعام
وبعضها علف فاذا جاءت الصاخة اي النفخة وصفت بها مجازا لان الناس
يصخون لها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله
بشانه وعلمه بانهم لا ينفعونه او للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم وتاخير
الاحب فالاحب للمبالغة كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه
لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه يكفيه في الاهتمام وقرئ يعنيه اي يهمه
وجوه يومئذ مسفرة مضيئة من اسفار الصبح ضاحكة مستبشرة
بما ترى من النعيم ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة ترهقها قترة
يغشاها سواد وظلمة اولئك هم الكفرة الفجرة الذين جمعوا الى الكفر الفجور

فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة قال عم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير مكية بسم الله الرحمن الرحيم وفيها تسع وعشرون

اذا الشمس كورت لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف او لف ضوءها فذهب انبساطه من الآفاق وزال اثره او القيت عن فلكها من طعنه فكوره اذا القاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل واذا النجوم انكدرت انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر او اظلمت من كدرت الماء فانكدر واذا الجبال سيرت عن وجه الارض او في الجو واذا العشار النوق اللاتي على حملهن عشرة اشهر جمع عشراء عطلت تركت مهملة او السحائب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف واذا الوحوش حشرت جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت ترابا او اميتت من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد واذا البحار سجرت احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وروح بالتخفيف واذا النفوس زوجت قرنت بالابدان او كل منها بشكلها او بكتابها وعملها ونفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين واذا الموءودة المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن سئلت باى ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تع لعيسى أأنت قلت للناس وقرئ سألت اى خاصمت عن نفسها او سألت عن الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية واذا الصحف نشرت يعني صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين اصحابها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى بالتشديد للمبالغة في النشر او لكثرة الصحف او شدة التطاير واذا السماء كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن

قوله تركت مهملة اى لا راعي لها ولا طالب لها وهو اما بعد البعث او قبيل قيام القيامة حيث يشتغل احد لما كان عنده وتخصيص العشار لانها انفس اموالهم وقوله او السحاب فهو استعارة تشبيه السحابة المتوقع مطرها بالناقة العشراء القريب وضع حملها وهي استعارة لطيفة مع المناسبة التامة بينه وبين ما قبله فان السحب تنعقد على رؤس الجبال وترى عندها ولانها فيه كونه مناسبا لما بعده على الاول فانه معنى حقيقى مرشح بنفسه وتعطيلها على مجاز ايضا بمعنى عدم انتقال مطرها لانهم في شغل عنه شهاب

قوله او سألت عن الاخبار عنها على القراءتين فانه لو لم يخبر عنها القتل على القراءة الاولى قتلت بكسر التاء وعلى الثانية قتلت بضمها وفي الكشاف ونقلا عن ابن عباس ان هذه الآية دليل على ان اطفال المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يستحق الا بالذنب واذا بكت الله الكافر ببراءة الموءودة من الذنب فما اقبح به وهو الذي لا يظلم مثقال ذرة ان يكر عليها بعد ما بكت فيفعل بها ما تنسى عنده فعل المبكت من العذاب الشديد انتهى قيل وهو استدلال بالآية النص كما لا يخفى على منع الشيء وعدم وليس مبنيا على التحسين والتقبيح كما توهم واجيب بمنع الدلالة لانه لا يقاس حال الخالق بحال المخلوق ولا يستقبح منه ما يستقبح منهم كما ان الذي يخلد في النار يستحق بكماله الذم والعقاب وفي الكشف بعد تسليم ما عدا التحسين والتقبيح فاشارة الآية الى ان باعثهم على القتل لم يكن الذنب بل الى ان الذنب اعني ما يستحق به الموءودة التعذيب معدوم من كل وجه وانها غير مكلفة فكيف يكتب عليها الذنب انتهى وفيه خلل من وجوه اما كونه مبنيا على التحسين والتقبيح فمما لا شبهة فيه وكيف ينكر وهو لا يتجه النص مستغن عن ذلك وجوابه مصرح بذلك والمنع مبني عليه كما صرح به في الكشف وايضا فان ما اورده على صاحب الكشف غير وارد لانه مصرح بان المراد ما يستحق به العذاب ولو بغير طريق التكليف وهو لازم لهم على مذهبهم والصحيح في الجواب عنه ما قيل ان تعذيب بني آدم جميعا من حيث انما يستحق بذنبه على الوجه الذي شرع فحين لم يكن للموءودة ذنب يجوز ان يخاصم قاتله كما يعذب بالله فليس كذلك فيجوز ان يعذبهم تبعا انتهى شهاب

الذبيحة وقرئ قشطت واعتقابا القاف والكاف كثير وإذا الجحيم سعّرت
اوقدت ايقادا شديدا وقرأنا فع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد وإذا
الجنة ازلفت قربت من المؤمنين علمت نفس ما احضرت جواب اذا وانما
صح والمذكور في سياقها اثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادي قيام الساعة
قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس
على اعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة فلا اقسم بالخنس
بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهي ما سوى النيرين من الكواكب السيارات
ولذلك وصفها بقوله الجوار الكنس اي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس
من كنس الوحشي اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر والليل
اذا عسعس اقبل ظلامه او ادبر وهو من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع
اذا ادبر والصبح اذا تنفس اي اضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم انه
القرآن لقول رسول كريم يعني جبريل فانه قاله عن الله تعالى ذي قوة لقوله شديد
القوى عند ذي العرش مكين عند الله ذي مكانة مطاع في ملائكته ثم امين على
الوحي وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها
على سائر الصفات وما صاحبكم بمجنون كما تبهته الكفرة واستدل بذلك على فضل
جبريل على محمد عليهما السلام حيث عد فضائل جبريل واقتصر على نفي الجنون عن
النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف اذ المقصود نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى
على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما ولقد رآه ولقد رأى
رسول الله جبريل بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو وما محمد على الغيب
على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب بظنين بمتهم من الظنة وهي التهمة
وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بالضاد بضنين من الضن وهو البخل اي لا يبخل
بالتبليغ والتعليم والضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من
اللسان او يساره والظاء من طرف اللسان واصول الثنايا العليا وما هو بقول

قوله ست منها في مبادي قيام الساعة
قيل هو على التفسير الاول كعشرت وعلى
الثالث اذا اريد الامانة في الدنيا عند
النفخة الاولى وقيل الظاهر ان المراد به ما
بين النفختين لظهور ان الست الاول
قبل النفخة الاولى والا لعدت من الاشراط
فان قلت قد ثبت ان موت الناس والخلائق
لا بعض الملائكة بعد النفخة الاولى فكيف
يتصور تعطيل العشار وحشر الوحوش
بزوال وحشتها من الدهشة قلت قد قيل
انه لم يثبت وقوع الموت في ابتداء تلك النفخة
فيحتمل ان يحصل في اثنائها دهشة تؤدي
لتعطيل النوق وحشر الوحوش ثم تؤدي
تلك الدهشة لهلاك الكل وقال بعض
العصر يكفي في صحة الكلام جريانه على احد
الوجوه في تينك الخصلتين وهو ان يكون
تعطيل العشار بمعنى تعطيل السحاب
وان يكون حشر الوحوش بمعنى اماتتها
ولا يلزم الكلام على جميع الوجوه ثم قال ان

قوله الا وقت ان يشاء الله اتبع فيه الزمخشري وابن جني وابا البقاء في جواز نيابة المصدر المأول من ان والفعل عن الظرف وقد منعه بعض النحاة وجوازه منقول عن الكوفيين وقال ابن هشام في الباب الثامن من المغني ان وصلتها لا يعطيان حكم المصدر في النيابة عن ظرف الزمان تقول جئتك صلاة العصر ولا يجوز جئتك ان تصلي العصر وقال مكي ان وما معها هنا في موضع خفض باضمار الباء اي الا بان والباء للمصاحبة او السببية وهذا عندي اقرب مما قدره المص اي ليست مشيئتكم الاستقامة بفعلكم بل مشيئتكم هي بخلق الله ومشيئته لان المشيئة لو كانت بفعل العبد ومشيئته تسلسلت المشيئات الى غير النهاية وفيه دلالة على ان احدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله ولا شر الا بخذلانه فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم اذ لو لم يشأ الله الاستقامة لم تستقيموا فاستقامتكم منه وفضله شهاب

قوله بامن يشاء وقيل انه جعل الخطاب للشائين مع عموم خطاب انه ذهب لداعي نفي الخلاف الباطلية ما النافية فيكون الكلام في المشيئة الحالية ولا مشيئة في الحال لمن يشاء وايا كون المشيئة في المستقبل ظرفا للمشيئة الحالية والاستقامة في الحال او في المستقبل وايا كون المشيئة الان في قوله الا ان يشاء الله خاصة للاستقبال وقدح بان جعل الخطاب للشائين لان الكلام فيهم والاستثناء تحقيق للحق ببيان ان مشيئتهم في المشيئة الله تعالى فلا منة لهم باستقامتهم بل الله يمن عليهم ان ذرهم الاستقامة لا لان ما ينفي الحال كما توهمه هذا القائل لانه غير مسلم مع انه مشروط بمقدم قرينة على خلافه كما في المغني وكلام المص لا يوافقه ايضا شهاب

شيطان رجيم بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفي قوله لكهانة وشعر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في امر الرسول والقرآن كقولك لتارك الجادة اين تذهب ان هو الا ذكر للعالمين تذكير لمن يعلم لمن شاء منكم ان يستقيم بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤن الاستقامة يا من يشاء الا ان يشاء الله الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم رب العالمين مالك الخلق كله عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة الانفطار مكية بسم الله الرحمن الرحيم واياتها تسع عشرة

اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا واذا القبور بعثرت قلب ترابها واخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى علمت نفس ما قدمت من عمل وصدقة واخرت من سنة او تركة ويجوز ان يراد بالتأخير التضييع وهو جواب اذا يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي شيء خدعك وجرأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضي اهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب احدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغترارا بكرمه الذي خلقك فسواك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء او معدلة بما يستعدها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة

غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات في اي صورة ما شاء ركبك
اي ركبك في اي صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف
صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار
بكرم الله وقوله بل تكذبون بالدين اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلي في
اغترارهم والمراد بالدين الجزاء او الاسلام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
يعلمون ما تفعلون تحقيق لما يكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح في الاهمال
وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عند الله لتعظيم الجزاء ان الابرار لفي نعيم وان
الفجار لفي جحيم بيان لما يكتبون لاجله يصلونها يقاسون حرها يوم
الدين وما هم عنها بغائبين لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل
ذلك اذ كانوا يجدون سمومها في القبور وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك
ما يوم الدين تعجيب وتفخيم لشان اليوم اي كنه امره بحيث لا تدركه دراية دار يوم
لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله تقرير لشدة هوله وفخامة امره
اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين او الخبر لمحذوف قال
عليه السلام من قرأ سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين مختلف فيها وآيها ست وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف اي حقير
روي ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوه وفي الحديث خمس بخمس
ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا
فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل
الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر الذين
اذا اكتالوا على الناس يستوفون اي اذا اكتالوا من الناس حقوقهم ياخذونها وافية
وانما ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه

عم

قوله ويستدعى اثبات الالف بعد الواو على ما تقرر في علم الخط من رسمها بعد واو الجمع اذا وقعت فى اخر الكلام وقوله كما هو الدفع لما يقال من ان رسم المصحف العثماني في نظائره لا يلزم ان يوافق ما ذكره علماء الخط بان رسم المصحف العثماني في نظائره فيدل على ان هذا مما جرى على الرسم فيه وقد ذهب اليه بعض المعربين فلذا نبهوا عليه هنا واما جعل هم ابتدائية مستلحق يخسرون فغير محتاج للبيان لان مخالفته لما قبله ركيكة جدا فلذا لم يلتفتوا اليه قوله فان من ظن ذلك يعني الا هنا ليست للاستفتاح او التنبيه فهي مركبة من الهمزة ولا النافية وبقي الظن بدون اليقين لانه ابلغ لان ظنه اذا امتنع دل على امتنع علمه بالطريق الاولى فلا حاجة الى ما قيل من ان الظن بمعنى اليقين هنا شهاب

عليهم واذا كالوهم او وزنوهم اي اذا كالوا للناس او وزنوا لهم يخسرون فحذف الجار واوصل الفعل كقوله ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا بمعنى جنيت لك او كالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تاكيدا للمتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الاخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها ويستدعي اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظائره الا يظن اولئك انهم مبعوثون فان من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبائح فكيف من تيقنه وفيه انكار وتعجب من حالهم ليوم عظيم لعظم ما يكون فيه يوم يقوم الناس نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده انه قرئ بالجر لرب العالمين لحكمه وفي هذا الانكار والتعجب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله والتعبير عنه برب العالمين مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه كلا ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ان كتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي سجين كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس او لانه مطروح كما قيل تحت الارضين في مكان وحش وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف ويل يومئذ للمكذبين بالحق او بذلك الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة او موضحة او ذامة وما يكذب به الا كل معتد متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله وعلمه فاستحال منه الاعادة اثيم منهمك في الشهوات المخدجة بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد النقل كما لم تنفعه دلائل العقل كلا ردع عن هذا القول بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون رد لما قالوه وبيان لما ادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك فيه حتى صار ذلك

صدآء على قلوبهم فعمى عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه السلام ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سودآء حتى يسود قلبه والرين الصدآء وقرأ حفص بل ران باظهار اللام كلا ردع عن الكسب الرائن انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك وقدر مضافا مثل رحمة ربهم او قرب ربهم ثم انهم لصالوا الجحيم ليدخلون النار ويصلونها ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون يقوله لهم الزبانية كلا تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء بر او ردع عن التكذيب ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم الكلام فيه ما مر في نظيره يشهده المقربون يحضرونه فيحفظونه او يشهدون على ما فيه يوم القيمة ان الابرار لفي نعيم على الارائك على الاسرة في الحجال ينظرون الى ما يسرهم من النعم والمتفرجات تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم وبريقه وقرأ يعقوب تعرف على بناء المفعول ونضرة بالرفع يسقون من رحيق شراب خالص مختوم ختامه مسك اي مختوم اوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته او الذي له ختام اي مقطع هو رائحة المسك وقرأ الكسائي خاتمه بفتح التاء اي ما يختم به ويقطع وفي ذلك يعني الرحيق او النعيم فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة شرابها عينا يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله ويمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب عينا على المدح او الحال من تسنيم والكلام في الباء كما في يشرب بها عباد الله ان الذين اجرموا يعني رؤساء قريش كانوا من الذين امنوا يضحكون كانوا يستهزؤن بفقرآء المؤمنين واذا مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين ملتذين بالسخرية منهم وقرأ حفص

فكهين واذا راوهم قالوا ان هولاء لضالون واذا رأوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال وما ارسلوا عليهم على المؤمنين حافظين يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين في النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم على الارائك ينظرون حال من يضحكون هل ثوب الكفار هل اثيبوا ما كانوا يفعلون وقرا حمزة والكسائي بادغام اللام في الثاء قال عم من قرا سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

سورة الانشقاق مكية بسم الله الرحمن الرحيم واياتها خمس وعشرون

اذا السماء انشقت بالغمام لقوله تع ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رض تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت له اي انقادت لتاثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المطواع الذي يأذن للامر ويذعن له وحقت وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق واذا الارض مدت بسطت بان تزال جبالها واكامها والقت ما فيها ما في جوفها من الكنوز والاموات وتخلت وتكلفت في الخلو اقصى جهدها حتى لم يبق شيء في باطنها واذنت لربها في الالقاء والتخلية وحقت للاذن وتكرير اذا الاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالابهام او الاكتفاء بما مر في سورتي التكوير والانفطار او بدلالة قوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه عليه وتقديره لاقى الانسان كدحه اي جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه او فملاقيه وبا ايها الانسان انك كادح الى ربك اعتراض والكدح اليه السعي الى لقاء جزائه فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا لا يناقش فيه وينقلب الى اهله مسرورا الى عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين او اهله في الجنة من الحور واما من اوتي كتابه وراء ظهره اي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه ويجعل يسراه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا يتمنى الثبور

ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك ويصلى سعيرا وقرأ الحجازيان والشامي والكسائي

ويصلى لقوله وتصلية جحيم وقرئ ويصلى لقوله ونصليه جهنم انه كان في

اهله في الدنيا مسرورا بطرا بالمال والجاه فارغا عن الاخرة انه ظن ان

لن يحور لن يرجع الى الله بلى ايجاب لما بعد لن ان ربه كان به بصيرا عالما

باعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه فلا اقسم بالشفق الحمرة التي ترى في

افق المغرب بعد الغروب وعن ابي حنيفة البياض الذي يليها سمي به لرقته

من الشفقة والليل وما وسق وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال

وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا. او طرده الى

اماكنه من الوسيقة والقمر اذا اتسق اجتمع وتم بدرا لتركبن طبقا عن

طبق حالا بعد حال مطابقة لاختها في الشدة وهو لما طابق غيره فقيل للحال

المطابقة او مراتب من الشدة بعد المراتب هي الموت ومواطن القيامة واهوالها

او هي وما قبلها من الدواهي على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن

بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ او الرسول على معنى لتركبن حالا

شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة او طبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة

المعراج وبالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة

لطبقا او حال من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق ومجاوزين له فما لهم لا يؤمنون

يوم القيمة واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لا يخضعون او لا يسجدون

لتلاوته لما روي انه عم قرأ واسجد واقترب فسجد بمن معه من المؤمنين

وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة على وجوب السجود

فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها

الا بعد ان رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها بل الذين كفروا يكذبون

اي بالقرآن والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة

فبشرهم بعذاب اليم استهزاء بهم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات استثناء

منقطع او متصل والمراد من تاب وآمن منهم فلهم اجر غير ممنون مقطوع او ممنون به عليهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه

سورة البروج مكية كتابه وراء ظهره وآيها اثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد ومشهود ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه من العجايب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي شاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او المبالغة في الكثرة كانه قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود او النبي وامته وساير الامم او كل نبي وامته او الخالق والخلق او عكسه فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ والمكلف ويوم النحر وعرفة والحجيج او يوم الجمعة والجمع فانه يشهد او كل يوم واهله قتل اصحاب الاخدود قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كانه قيل انهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق في الارض ونحوهما بناء ومعنى الحق والاحقوق روي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فراى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابراه فساله الملك من ابراه فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف

فهلكوا ونجا واجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا
ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهما من كنانتي
وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه ومات فآمن الناس
فامر باخاديد واوقدت فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي
يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وعن علي رضي ان بعض ملوك المجوس خطب
بالناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار فطرح
فيها من ابى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فاحرق في
الاخاديد من لم يرتد النار بدل من الاخدود بدل الاشتمال ذات الوقود صفة
لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام في الوقود للجنس اذ هم عليها
على حافة النار قعود قاعدون وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود
يشهد بعضهم لبعض عند الملك انه لم يقصر فيما امره به او يشهدون على ما يفعلون
يوم القيامة حين تشهد عليهم السنتهم وايديهم وما نقموا وما انكروا
منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء على طريقة قوله ولا
عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ووصفه بكونه
عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله الذي له
ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد للاشعار بما يستحق
ان يؤمن به ويعبد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات بلوهم بالاذى
ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق العذاب الزائد
في الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود وبعذاب
الحريق ما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير اذ الدنيا وما فيها
تصغر دونه ان بطش ربك لشديد مضاعف عنفه فان البطش اخذ
بعنف انه هو يبدئ ويعيد يبدئ الخلق ويعيده او يبدئ البطش بالكفرة

قوله وقيل المراد بالذين فتنوا الخ
اي ان الذي اقتضاه سبب النزول ان
يراد بهم كفار قريش واذيتهم لمن اسلم في
ابتداء الاسلام او الاعم منهم ومن اصحاب
الاخدود فانه تذييل لما قبله وفي جعل
الحريق جزاء الفتنة دقيقة تظهر لمن له
ذوق ووجه تمريضه ظاهر مما ذكرناه لانه
لم ينقل ان احدا منهم تاب كما اورده ابو حيان
على الزمخشري في ترجيحه هذا الوجه بمقتضى
التذييل وقد عرفت توجيهه فتامل شهاب

في الدنيا وبعيده في الاخرة وهو الغفور لمن تاب الودود المحب لمن اطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذي العرش صفة لربك المجيد العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائي صفة لربك او للعرش ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد لا يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود ابدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما اصابهم بل الذين كفروا في تكذيب لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم وراوا اثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم والله من ورائهم محيط لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط بل هو قران مجيد بل هذا الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى وقرئ قران مجيد بالاضافة اي قران رب مجيد في لوح محفوظ من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع صفة للقران وقرئ في لوح وهو الهواء يعني ما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة يكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق والكوكب البادي في الليل وهو في الاصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتي ليلا ثم استعمل للبادي فيه وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه او الافلاك والمراد الجنس او معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشانه ان كل نفس لما عليها حافظ اي ان الشان كل نفس لعليها حافظ رقيب فان هي المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما على انها بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب القسم فلينظر الانسان مم خلق

قوله اي ان الشان الخ هذا على قراءة التخفيف وعليه ان ان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير شان مقدر وكل نفس مبتدأ وعليها حافظ خبره وما زائدة واللام هي الفارقة وسماها المصنف فاصلة وهي مخالف للمعروف في اصطلاح النحاة ... الا ان المعنى واحد وقد قيل انه لا حاجة لتقدير ضمير الشان فانه في غير المفتوحة ضعيف والنهم لمرتبه تدخل اللام الفارقة على الجملة الخبرية النافي والمعروف في خوهف على الاول كما في حواشي الشهاب

قوله من منعة بفتح الميم والنون بمعنى القوة

ذكر ان كل نفس عليها حافظ اتبعه بوصية الانسان بالنظر فى مبدئه ليعلم صحة
اعادته فلا يملى على حافظه الا ما يسره فى عاقبته خلق من ماء دافق جواب لاستفهام
وماء دافق بمعنى ذى دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين فى الرحم لقوله
يخرج من بين الصلب والترائب بين صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام
صدرها ولو صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء
حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض
عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة فى توليدها ولذلك تشبهه ويسرع
الافراط فى الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهو النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيرة
نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المنى فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين
والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهى صالب انه على رجعه لقادر والضمير للخالق
ويدل عليه خلق يوم تبلى السرائر تتعرف وتميز بين ما طاب من الضمائر وما خفى
من الاعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه فما له فما للانسان من قوة من منعة
فى نفسه يمتنع بها ولا ناصر يمنعه والسماء ذات الرجع ترجع فى كل دورة الى الموضع
الذى تحركت عنه وقيل الرجع المطر سمى به كما سمى اوبا لان الله يرجعه وقتا فوقتا
لما فيه او من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يكون يراد
بالسماء السحاب والارض ذات الصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات او
الشق بالنبات والعيون انه ان القران لقول فصل فاصل بين الحق والباطل وما
هو بالهزل فانه جد كله انهم يعنى اهل مكة يكيدون كيدا فى ابطاله واطفاء نوره
واكيد كيدا واقابلهم بكيدى فى استدراجى لهم وانتقامى منهم بحيث لا يحتسبون
فمهل الكافرين فلا تشتغل بالانتقام منهم ولا تستعجل باهلاكهم امهلهم رويدا
امهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات ٥

سورة سبح مكية وآيها تسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتاويلات الزائغة واطلاقه على غيره زاعما انهما فيه سواء وذكره لا على وجه التعظيم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال عليه السلام اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى خلق كل شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه والذي قدر اي قدر اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها واجالها فهدى فوجهه الى افعاله طبعا او اختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الايات والذي اخرج المرعى انبت ما ترعاه الدواب فجعله بعد خضرته غثاء احوى يابسا اسود وقيل احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى من شدة خضرته سنقرئك على لسان جبريل او سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ مع انك امي ليكون ذلك اية اخرى لك مع ان الاخبار عما يستقبل ووقوعه كذلك ايضا من الايات وقيل نهي والالف للفاصلة كقوله السبيلا الا ما شاء الله نسيانه بان نسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما روي انه عليه السلام اسقط اية في قراءته في الصلاة فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال نسيتها او نفي النسيان راسا فان القلة تستعمل للنفي انه يعلم الجهر وما يخفى ما ظهر من احوالكم وما بطن او جهرك بالقراءة مع جبريل وما دعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء وانساء ونيسرك لليسرى ونعدك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي او التدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك عطفا على سنقرئك وانه يعلم اعتراض فذكر بعد ما استتب لك الامر ان نفعت الذكرى لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول الياس عن البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله وما انت عليهم بجبار الاية او لذم المذكرين واستبعاد تاثير الذكرى فيهم او للاشعار بان التذكير انما يجب اذا ظن نفعه ولذلك امر بالاعراض عمن تولى سيذكر من يخشى سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله فانه يتفكر فيها فيعلم حقيتها وهو

يتناول العارف والمتردد ويتجنبها ويتجنب الذكرى الأشقى الكافر فإنه أشقى من الفاسق او الأشقى من الكفرة لتوغله في الكفر الذي يصلى النار الكبرى نار جهنم فإنه عليه السلام قال ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم او ما في الدرك الأسفل منها ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه قد أفلح من تزكى تطهر من الكفر والمعصية او تكثر من التقوى من الزكاء او تطهر للصلاة او أدى الزكاة وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى لقوله أقم الصلاة لذكري ويجوز أن يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه فصلى صلاته بل تؤثرون الحياة الدنيا فلا تفعلون ما يسعدكم في الآخرة والخطاب للأشقين على الالتفات او على إضمار قل او للكل فإن السعي للدنيا أكثر في الجملة وقرأ أبو عمرو بالياء والآخرة خير وأبقى فإن نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له إن هذا لفي الصحف الأولى الإشارة إلى ما سبق من قد أفلح فإنه جامع أمر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة صحف إبراهيم وموسى بدل من الصحف الأولى قال عليه السلام من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله على إبراهيم وموسى ومحمد عليهم السلام ٥ ٥ ٥

سورة الغاشية مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ست وعشرون آية

هل أتاك حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم القيمة او النار من قوله وتغشى وجوههم النار وجوه يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها في النار خوض الإبل في الوحل والصعود والهبوط في تلالها ووهادها او عملت ونصبت في أعمال لا تنفعها يومئذ تصلى نارا تدخلها وقرأ أبو عمرو ويعقوب وأبو بكر تُصلى من أصلاه الله وقرئ تُصلّى بالتشديد للمبالغة حامية متناهية في الحر تسقى من عين آنية بلغت أناها في الحر ليس لهم طعام إلا من ضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الإبل ما دام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد طعامهم مما تتحاماه الإبل وتتعافاه لضره وعدم نفعه كما قال لا

يسمن ولا يغني من جوع والمقصود من الطعام احد الامرين وجوه يومئذ
ناعمة ذات بهجة او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ثوابه في جنة
عالية علية المحل او القدر لا تسمع يا مخاطب او الوجوه وقرأ على بناء المفعول بالياء
ابن كثير وابو عمرو ورويس وبالتاء نافع فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو
فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم فيها عين جارية يجري ماؤها ولا ينقطع والتنكير
للتعظيم فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك او القدر واكواب جمع كوب وهو اناء
لا عروة له موضوعة بين ايديهم ونمارق وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة
بعضها الى بعض وزرابي وبسط فاخرة جمع زربية مبثوثة مبسوطة افلا ينظرون
نظر اعتبار الى الابل كيف خلقت خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث
خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة
لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار ترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر
فصاعدا ليتأتى لها قطع البراري والمفاوز مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر
لبيان الآيات المنبثة في الحيوانات التي هي اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها
اعجب ما عند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة والى السماء
كيف رفعت بلا عمد والى الجبال كيف نصبت فهي راسخة لا تميل والى الارض
كيف سطحت بسطت حتى صارت مهادا وقرئ الافعال الثلاثة على بناء الفاعل
للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من
البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق القادر فلا ينكروا اقتداره على
البعث ولذلك عقب به امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال فذكر انما
انت مذكر فلا عليك ان لم ينظروا ولم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ لست
عليهم بمصيطر بمتسلط وعن الكسائي بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام الا
من تولى وكفر لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر يعني عذاب الآخرة
وقيل متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكانه اوعدهم بالجهاد في الدنيا

وعذاب النار في الآخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من تولى واصر فاستحق
العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ الا على التنبيه ان الينا ايابهم
رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال من الاوب قلبت
واوه الاولى ياء كقلبها في ديوان ثم الثانية للادغام ثم ان علينا حسابهم في المحشر
وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة في الوعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة والفجر مكية بسم الله الرحمن الرحيم وآيها تسع وعشرون آية

والفجر اقسم بالصبح او فلقه لقوله والصبح اذا تنفس او بصلوته وليال عشر
عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او عشر رمضان الاخير وتنكيرها
للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر
والاشياء كلها شفعها ووترها او الخلق لقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين والخالق
لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك او البروج والسيارات او شفع الصلوات
ووترها او بيومي النحر وعرفة وقد روي مرفوعا او بغيرها فلعله افرد بالذكر من انواع
المدلول لما رآه اظهر دلالة على التوحيد او مدخلا في الدين او مناسبة لما قبلهما
او اكثر منفعة موجبة للشكر وقرأ حمزة والكسائي والوتر بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر
والليل اذا يسر اذا يمضي كقوله والليل اذ ادبر والتقييد بذلك لما في التعاقب
من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسري فيه من قولهم صلى المقام
وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد خصه نافع وابو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل
ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق هل
في ذلك القسم او المقسم به قسم حلف او محلوف به لذي حجر يعتبره ويؤكد به ما
يريد تحقيقه والحجر العقل سمي به لانه يحجر عما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية وحصاة
من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله
الم تر كيف فعل ربك بعاد يعني اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح

قوم هود سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم باسمه ارم عطف بيان لعاد على تقدير مضاف
اي سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمي اوائلهم وهم عاد الاولى
باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتانيث ذات العماد ذات البناء الرفيع او
القدود الطوال او الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا
وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر
الجنة فبنى على مثالها في بعض صحارى عدن جنة وسماها ارم فلما تم سار اليها باهله
فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله
ابن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة
اخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة وثمود الذين جابوا
الصخر قطعوه واتخذوه منازل لقوله وتنحتون من الجبال بيوتا بالواد وادي
القرى وفرعون ذي الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها
اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا في البلاد صفة للمذكورين عاد
وثمود وفرعون او ذم منصوب او مرفوع فاكثروا فيها الفساد بالكفر والظلم
فصب عليهم ربك سوط عذاب ما خلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط
وانما سمي به الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها
ببعض وقيل شبه بالسوط ما احل بهم في الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى
ما اعد لهم في الاخرة من العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف ان ربك لبالمرصاد
المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل
لارصاده العصاة بالعقاب فاما الانسان متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه
قيل انه لبالمرصاد من الاخرة فلا يريد الا السعي لها فاما الانسان فلا يهمه الا
الدنيا ولذاتها اذا ما ابتليه ربه اختبره بالغنى واليسر فاكرمه ونعمه
بالجاه والمال فيقول ربي اكرمن فضلني بما اعطاني وهو خبر المبتدا الذي
هو الانسان والفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط في تقدير التاخير

كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمني وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله واما اذا
ما ابتلاه فقدر عليه رزقه اذا التقدير واما الانسان اذا ما ابتلاه اي بالفقر
والتقتير ليوازن قسيمه فيقول ربي اهانن لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير
قد يؤدي الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي الى قصد الاعدا والانهماك في حب الدنيا
ولذلك ذمه على قوليه وردعه عنه بقوله كلا مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه ولم
يقل فاهانه وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه ولان التوسعة تفضل والاخلال به لا يكون
اهانة وقرا ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغير يا في الوصل والوقف وعن
ابي عمرو مثله ووافقهم نافع في الوقف وقرا ابن عامر فقدر بالتشديد بل لا تكرمون
اليتيم ولا تحضون على طعام المسكين اي بل فعلهم اسوا من قولهم وادل على تهالكهم
بالمال وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون اهلهم على طعام المسكين
فضلا عن غيرهم وتاكلون التراث الميراث واصله وراث اكلا لما ذا لم اي جمع بين
الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم او ياكلون
ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص
وشره كلا ردع لهم عن ذلك وانكار وما بعده وعيد عليه اذا دكت الارض دكا دكا
دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال وهباء منبثا وجاء ربك
اي ظهرت ايات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار
هيبته وسياسته والملك صفا صفا بحسب منازلهم ومراتبهم وجيء يومئذ
بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وفي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام
مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها يومئذ بدل من اذا دكت الارض والعامل فيهما
يتذكر الانسان اي يتذكر معاصيه ويتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها وانى
له الذكرى اي منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله واستدل به على عدم وجوب
قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة يقول يا ليتني قدمت لحياتي اي
لحياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة وليس في هذا التمني دلالة على استقلال

العبد بفعله فان المحجور عن الشيء قد يتمنى ان كان يمكنا منه فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله اي لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيمة سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقراهما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول يا ايتها النفس المطمئنة على ارادة القول وهي التي اطمانت بذكر الله فان النفس تترقى في سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته وتستقر دون معرفته وتستغني به عن غيره او الى الحق بحيث لا يريبها شك او الامنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بها ارجعي الى ربك الى امره او موعده بالموت ويشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس قبل الابدان موجودة في عالم القدس او بالبعث راضية بما اوتيت مرضية عند الله فادخلي في عبادي في جملة عبادي الصالحين وادخلي جنتي معهم او في زمرة المقربين فتستضيء بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة او ادخلي في اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي التي اعددت لك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قراها في سائر الايام كان له نورا يوم القيمة

سورة البلد وفيها عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد في غيره او حلال لك ان تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح ووالد عطف على هذا البلد والوالد آدم وابراهيم عليهما السلام وما ولد ذريته او محمد صلى الله عليه وسلم والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما في قوله والله اعلم بما وضعت لقد خلقنا الانسان في كبد تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لا يزال في شدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول عليه السلام مما كان يكابده من قريش والضمير في ايحسب لبعضهم الذي كان يكابده

اكثر او بعتبر بقوته كابي الاشدين كلدة فانه كان يبسط تحت قدمه اديم عكاظي ويجذ

عشرة فيتقطع ولا يزل قدماه او لكل احد منهم والانسان ان لن يقدر عليه احد

فينتقم منه يقول اي في ذلك الوقت اهلكت مالا لبدا كثيرا من تلبد الشيء اذا اجتمع

والمراد ما انفقه سمعة ومفاخرة او معاداة للرسول ايحسب ان لم يره احد حين كان

ينفق او بعد ذلك فيسأله عنه يعني ان الله يراه فيجازيه او يجده فيحاسبه عليه ثم

قرر ذلك بقوله الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمايره و

شفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه

النجدين طريقي الخير والشر او الثديين واصله المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة

اي فلم يشكر تلك الايادي باقتحام العقبة وهو الدخول في امر شديد والعقبة الطريق

في الجبل استعارها لما فسرها به من الفك والاطعام في قوله وما ادراك ما العقبة

فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة

لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فانها لا تكاد

تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة

مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي

فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم وقوله وما ادراك ما العقبة اعتراض معناه انك

لم تدرك كنه صعوبتها وثوابها ثم كان من الذين امنوا عطف على اقتحم او فك وثم

لتباعد الايمان عن العتق والاطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات

به وتواصوا واوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة

بالرحمة على عباده او بموجبات رحمة الله اولئك اصحاب الميمنة اليمين او اليمن

والذين كفروا باياتنا بما نصبناه دليلا على حق من كتاب وحجة او بالقرآن هم

اصحاب المشأمة الشمال او الشؤم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار

بالضمير شان لا يخفى عليهم نار مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته

واغلقته وقرا ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصده عن النبي صلى الله عليه

من قرأ الا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تع الامان من غضبه يوم القيامة

سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحاها وضوئها اذا اشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تلاها تلا طلوعه طلوع الشمس اول الشهر او غروبه ليلة البدر او في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جلاها جلى الشمس فانها تنجلي اذا انبسط النهار او الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها والليل اذا يغشاها يغشى الشمس فيغطي ضوءها او الافاق او الارض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المتقدمين ربط الواو لما بعدها في قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين والسماء وما بناها ومن بناها وانما اوثرت على من لارادة الوصفية كانه قيل والشيء القادر الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام في قوله والارض وما طحاها ونفس وما سواها وجعل الماءات مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله فالهمها فجورها وتقواها بقوله وما سواها الا ان يضمر فيها اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما في قوله علمت نفس او للتعظيم والمراد نفس آدم والهام الفجور والتقوى افهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الاتيان بهما قد افلح من زكاها انماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول وكانه لما اراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي هو اقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم الائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر بعض احوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم

من قرأ الا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تع الامان من غضبه يوم القيامة

سورة الشمس مكية بسم الله الرحمن الرحيم وآيها خمس عشرة آية

والشمس وضحاها ضوءها اذا اشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تلاها تلا طلوعه طلوع الشمس اول الشهر او غروبه ليلة البدر او في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جلاها جلى الشمس فانها تنجلي اذا انبسط النهار او الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها والليل اذا يغشاها يغشى الشمس فيغطي ضوءها او الآفاق او الارض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف بالمتقدم ربط الواو لما بعدها في قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين والسماء وما بناها ومن بناها وانما اوثرت على من لارادة الوصفية كانه قيل والشيء القادر الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام في قوله والارض وما طحاها ونفس وما سواها وجعل الماءات مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله فالهمها فجورها وتقواها بقوله وما سواها الا ان يضمر فيها اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما في قوله علمت نفس او للتعظيم والمراد نفس آدم والهام الفجور والتقوى افهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الاتيان بهما قد افلح من زكاها انماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول وكانه لما اراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي هو اقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر بعض احوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم

صالحا وقد خاب من دساها نقصها واخفاها بالجهالة والفسوق واصل دسى
دسس كتقضى وتقضض كذبت ثمود بطغواها بسبب طغيانها او بما اوعدته من
عذابها ذي الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية واصله طغيا وانما قلبت ياؤه
واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى اذ انبعث حين قام ظرف لكذبت
او طغوى اشقاها اشقى ثمود وهو قدار بن سالف وهو من مالأه على قتل الناقة
فان افعل التفضيل اذا اضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم
العقر فقال لهم رسول الله ناقة الله اي ذروا ناقة الله واحذروا عقرها
وسقياها وسقيها فلا تذودوها عنها فكذبوه فيما حذرهم منه من حلول
العذاب ان فعلوا فعقروها فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو
من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم بسببه فسواها فسوى
الدمدمة بينهم او عليهم فلم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم او ثمود بالاهلاك ولا
يخاف عقباها اي عاقبة الدمدمة او عاقبة ثمود وتبعتها فيبقي بعض الابقاء
والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة والشمس فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

سورة والليل وآيها بسم الله الرحمن الرحيم احدى وعشرون آية

والليل اذا يغشى اي يغشى الشمس او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار اذا
تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى والقادر
الذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل نوع له توالد او آدم وحوا وقيل ما مصدرية
ان سعيكم لشتى ان مساعيكم لاشتات مختلفة جمع شتيت فاما من اعطى واتقى
وصدق بالحسنى تفصيل مبين لتشتت المساعي والمعنى من اعطى الطاعة واتقى
المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهي ما دلت على حق ككلمة التوحيد فسنيسره
لليسرى فسنهيئه للخلة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذا
هيأه للركوب بالسرج واللجام واما من بخل بما امر به واستغنى بشهوات الدنيا

عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى بانكار مدلولها فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية
الى العسر والشدة كدخول النار وما يغني عنه ماله نفي او استفهام انكار اذا تردى
هلك تفعل من الردى او تردى في حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى للارشاد
الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى الله
قصد السبيل وان لنا للآخرة والاولى فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب
الهداية للمهتدين فلا يضرنا تركهم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصلاها
لا يلزمها مقاسيا شدتها الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها
ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله الذي كذب وتولى اي كذب الحق واعرض عن الطاعة
وسيجنبها الاتقى الذي اتقى الشرك والمعاصي فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصلاها ومفهوم
ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف
الحصر السابق الذي يؤتي ماله يصرفه في مصارف الخير لقوله يتزكى فانه بدل
من يؤتي او حال من فاعله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فيقصد باتيانه مجازاتها
الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع او متصل عن محذوف مثل لا يؤتي
الا ابتغاء وجه ربه الاعلى لا لمكافأة نعمة ولسوف يرضى وعد بالثواب الذي يرضيه
والآيات نزلت في ابي بكر رض حين اشترى بلالا في جماعة تولاهم المشركون فاعتقهم
ولذلك قيل المراد بالاشقى ابو جهل وامية بن خلف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة والضحى مكية بسم الله الرحمن الرحيم وآيها احدى عشرة آية

والضحى ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه او لان فيه كلم
موسى ربه والقي السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله ان يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة
بياتا والليل اذا سجى سكن اهله او ركد ظلامه من سجا البحر سجوا اذا سكنت امواجه
وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار ها هنا باعتبار الشرف
ما ودعك ربك ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب

القسم وما قلى وما ابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل
روي ان الوحي تأخر عنه اياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف او لزجره سائلا
ملحا او لان جروا ميتا كان تحت سريره او لغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه
وقلاه فنزلت ردا عليهم وللآخرة خير لك من الاولى فانها باقية خالصة عن الشوائب
وهذه فانية مشوبة بالمضار كانه لما بين انه تعالى لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في
الدنيا وعده ما هو اعلى واجل من ذلك في الآخرة او ولنهاية امرك خير من بدايته
فانه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال ولسوف يعطيك ربك فترضى وعد شامل
لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه
سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدا والتقدير ولانت سوف يعطيك
لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة
على ان الاعطاء كائن لا محالة وان تأخر لحكمة الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما
انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن اليه فيما يستقبل ويجدك من
الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني او المصادفة ويتيما حال ووجدك ضالا
عن الحكم والاحكام فهدى فعلمك بالوحي والالهام والتوفيق للنظر وقيل
وجدك ضالا في الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام او حين فطمتك
وجاءت بك لترد الى جدك فازال ضلالك عن عمك وجدك ووجدك
عائلا فقيرا ذا عيال فاغنى بما حصل لك من ربح التجارة فاما اليتيم
فلا تقهر فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر فلا تعبس في وجهه
واما السائل فلا تنهر فلا تزجره واما بنعمة ربك فحدث فان التحدث
بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات
يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

سورة الم نشرح مكية بسم الله الرحمن الرحيم وآيها ثمان آيات

الم نشرح لك صدرك الم نفسحه حتى وسع مناجات الحق ودعوة الخلق وكان غايبا حاضرا او الم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقي الوحي بعدما كان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ما روى ان جبريل اتى رسول الله في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه وغسله فملاه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام انكار نفي الانشراح مبالغة في اثباته ولذلك عطف عليه **ووضعنا عنك وزرك** عبائك الثقيل **الذي انقض ظهرك** الذي حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله بالحكم والاحكام او حيرته او تلقي الوحي او ما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم وتعديهم في ايذائه حين دعاهم الى الايمان **ورفعنا لك ذكرك** بالنبوة وغيرها واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه في ملائكته وامر المؤمنين بالصلوة عليه وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد مبالغة **فان مع العسر** كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم **يسرا** كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله اذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما في ان مع من المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقاربين **ان مع العسر يسرا** تكرير للتاكيد او استيناف وعده بان العسر مشفوع بيسر اخر كثواب الاخرة كقولك ان للصايم فرحة ان للصايم فرحة اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد والجنس واليسر منكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد يغاير ما اريد بالاول **فاذا فرغت** من التبليغ **فانصب** فاتعب في العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السالفة ووعدنا بالنعم الاتية وقيل اذا فرغت من الغزو فانصب في العبادة او فاذا فرغت من الصلاة فانصب بالدعاء **والى ربك**

فارغب بالسوال ولا تسأل غيره فانه القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغّب اى رغب الناس الى طلب ثوابه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا الم نشرح فكانما جاءنى وانا مغتم ففرج عنى

سورة والتين مختلف فيها وآيها ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون خصهما بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فضلة له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن وفى الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة او مسجدا دمشق وبيت المقدس او البلدان وطور سينين يعنى الجبل الذى ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع الذى هو فيه وهذا البلد الامين اى الآمن من امن الرجل امانة فهو امين او المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة لقد خلقنا الانسان يريد به الجنس فى احسن تقويم تعديل بان خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات ثم رددناه اسفل سافلين بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل السافلين وهو النار وقيل بارذل العمر فيكون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات منقطعا فلهم اجر غير ممنون لا ينقطع او لا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له فما يكذبك فاى شئ يكذبك يا محمد دلالة ونطقا بعد بالدين بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعنى فما الذى يحملك على هذا الكذب أليس الله باحكم الحاكمين تحقيق لما سبق والمعنى أليس الذى فعل ذلك من الخلق والرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء على ما مر مرارا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين اعطاه الله العافية واليقين ما دام حيا فاذا مات اعطاه من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة العلق مكية وآيها تسع عشرة آية وهي أول سورة نزلت قبل الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرا باسم ربك اى اقرا القرآن مفتتحا باسمه او مستعينا به الذى خلق اى الذى له
الخلق او الذى خلق كل شىء ثم افرد ما هو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا وادل على وجوب
العبادة المقصودة من القراءة فقال خلق الانسان او الذى خلق الانسان فابهم
اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته من علق جمعه لان الانسان فى معنى
الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى نزل اولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته
وكمال حكمته اقرا تكرير للمبالغة او الاول مطلق والثانى للتبليغ او فى الصلاة ولعله
لما قيل له اقرا باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرا وربك الاكرم الزائد فى
الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده
على الحقيقة الذى علم بالقلم اى الخط بالقلم وقد قرئ به ليقيد به العلوم ويعلم
به البعيد علم الانسان ما لم يعلم بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات
فيعلمك القراءة وان لم تكن قارئا وقد عدد سبحانه مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا
لما انعم عليه من ان نقله من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا
لاكرميته واشار اولا الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل سمعا كلا ردع
لمن كفر بنعمة الله لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى
ان رآه استغنى اى رأى نفسه واستغنى مفعوله الثانى لانه بمعنى علم ولذلك جاز
ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان
على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى
ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى نزلت فى ابى جهل قال لو رايت محمدا ساجدا لوطئت
عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك فقال ان بينى وبينه لخندقا من نار
وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة فى تقبيح النهى والدلالة
على كمال عبودية المنهى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت تكرير للاول

وكذا الذي في قوله ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى والشرطية مفعول له الثاني وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسيم له والمعنى اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلوته ان كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه او آمرا بالتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقد او ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الصواب كما نقول الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله وقيل المعنى ارايت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب في الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكانه قال يا كافر اخبرني ان كان صلوته هدى ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى فاختصر على ذكر الصلوة لانه دعوة بالفعل ولان نهي العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة في تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة كلا ردع للناهي لئن لم ينته عما هو عليه لنسفعا بالناصية لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولاسفعن وكتبته في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطأ وهما لصاحبها على الاسناد المجازي للمبالغة فليدع ناديه اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار وهو في الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع او زبني على النسب واصلها زباني والتاء معوضة عن الياء كلا ردع ايضا للناهي لا تطعه واثبت انت على طاعتك واسجد ودم على سجودك واقترب وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد من ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرا

سورة القدر مختلف المفصل كله فيها وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

انا انزلناه في ليلة القدر الضمير للقرآن فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذي انزل فيه بقوله وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر وانزاله فيها بان ابتدأ بانزاله فيها او انزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه في فضلها وهي في اوتار العشر الاخير من رمضان ولعلها السابعة منها والداعي الى اخفائها ان يحيي من ارادها ليالي كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها لقوله فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير او لما روي انه عليه السلام ذكر اسرائيليا لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فتعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم بيان لما فضلت به على الف شهر وتنزلهم الى الارض او السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين من كل امر من اجل كل امر قدر في تلك السنة وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة ويقضي في غيرها السلامة والبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت مطلعه اي طلوعه وقرأ الكسائي بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر

سورة لم يكن مختلف فيها وآيها ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله ومن للتبيين والمشركين وعبدة الاصنام منفكين عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول حتى تأتيهم البينة الرسول والقرآن

فانه مبين للحق او معجزة الرسول باخلاقه والقرآن بافحامه من تحدى به رسول من الله بدل
من البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدأ يتلو صحفا مطهرة صفته او خبره
والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها وقيل المراد جبريل
وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا يأتي ما فيها وانه لا يمسها الا المطهرون فيها كتب
قيمة مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا عليه
بان آمن بعضهم او تردد في دينه او عن وعدهم بالاصرار على الكفر الا من بعد ما
جاءتهم البينة فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على
شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى وما امروا اي في
كتبهم بما فيها الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لا يشركون به حنفاء مائلين
عن العقائد الزائغة ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ولكنهم حرفوه وعصوا
وذلك دين القيمة دين الملة القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
في نار جهنم خالدين فيها اي يوم القيمة او في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك واشتراك
الفريقين في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما
اولئك هم شر البرية اي الخليقة وقرأ نافع البريئة بالهمزة على الاصل ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن
بان ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها
اضافة ووصفا بما تزداد لها نعيما وتأكيد الخلود بالتأبيد رضي الله عنهم استئناف
بما يكون لهم زيادة على جزائهم ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى امانيهم ذلك اي المذكور
من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها تسع آيات بسم الله الرحمن الرحيم

اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها او اللائق بها في الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس فعلال الا في المضاعف واخرجت الارض اثقالها ما في جوفها من الدفائن او الاموات جمع ثقل وهو متاع البيت وقال الانسان ما لها لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم ما لها يومئذ تحدث اخبارها تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبها تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر بان ربك اوحى لها اي تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها في ذلك تشف من العصاة يومئذ يصدر الناس من مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا متفرقين بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم وقرئ بفتح الياء فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب والعقاب وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهباء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

سورة والعاديات مختلف فيها وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة فالموريات قدحا التي توري النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى فالمغيرات يغير اهلها على العدو صبحا اي في وقته فاثرن به فهيجن بذلك الوقت نقعا غبارا او صياحا فوسطن به فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اي ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء روي انه عليه السلام بعث خيلا

فمضن شهر الم بانه منهم حبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية

اثر كمالهن الموريات بافكارهن انوار المعارف والمغيرات على الهوى والعادات اذا

ظهرلهن مثل انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين ان الانسان

لربه لكنود لكفور من كند النعمة كنودا والعاصي بلغة كندة والبخيل بلغة بني مالك

وهو جواب القسم وانه على ذلك وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على

نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده لشهيد فيكون وعيدا وانه لحب الخير

لمال من قوله ان ترك خيرا لشديد لبخيل او لقوي مبالغ فيه افلا يعلم اذا بعثر

بعث ما في القبور من الموتى وقرئ بحثر وبحث وحصل جمع محصلا في الصحف او

ميز ما في الصدور من خير او شر وتخصيصه لانه الاصل ان ربهم بهم يومئذ

وهو يوم القيمة لخبير عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم وانما قال ذلك ونسبه

لاختلاف شانهم في الحالين وقرئ ان وخبير بلا لام عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ

والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية بسم الله الرحمن الرحيم وفيها عشر آيات

القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة سبق بيانه في الحاقة يوم يكون

الناس كالفراش المبثوث في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب

يوم بمضمر دلت عليه القارعة وتكون الجبال كالعهن كالصوف ذي الالوان

المنفوش المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها في الجو فاما من ثقلت موازينه بان

ترجحت مقادير انواع حسناته فهو في عيشة راضية ذات رضى اي مرضية

واما من خفت موازينه بان لم يكن له حسنة يعبأ بها او ترجحت سيئاته على حسناته

فامه هاوية فماواه النار والهاوية من اسمائها ولذلك قال وما ادراك ما هيه

نار حامية ذات حمي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة

سورة التكاثر مختلف فيها بسم الله الرحمن الرحيم وفيها ثمان آيات

الهاكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لها اذا غفل التكاثر التباهي

بالكثرة حتى زرتم المقابر اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات
عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا بالكثرة
فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادّونا بالاحياء والاموات
فكثرتهم بنو سهم وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة
وقيل معناه الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم
في طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعي لاخرتكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت
كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي له ان لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا
فان عاقبة ذلك وبال وحسرة سوف تعلمون خطأ رأيكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو
انذار ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتأكيد وفي ثم دلالة
على ان الثاني ابلغ من الاول او الاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور كلا
لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم
ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف
الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله لترون الجحيم جوابا لانه محقق الوقوع
بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما
ثم لترونها تكرير للتأكيد والاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها
او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين
فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين والتكرير للتوكيد والاولى اذا رأتهم من
مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار
ثم لتسألن يومئذ عن النعيم الذي الهاكم والخطاب مخصوص بكل من الهاه
دنياه عن دينه والنعيم بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله تعالى قل
من حرم زينة الله كلوا من الطيبات وقيل يعم اذ كل يسأل عن شكره وقيل الآية
مخصوصة بالكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الهاكم لم يحاسبه الله
بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرأ الف آية

سورة والعصر مكية بسم الله الرحمن الرحيم وآيها ثلاث آيات

والعصر أقسم بصلاة العصر لفضلها أو بعصر النبوة أو بالدهر لاشتماله على الأعاجيب والتعريض بنفي ما يضاف إليه من الخسران إن الإنسان لفي خسر إن الإنسان لفي خسران في مساعيهم وصرف أعمارهم في مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإنهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحياة الأبدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق بالثابت الذي لا يصح إنكاره من اعتقاد أو عمل وتواصوا بالصبر عن المعاصي أو على الحق أو ما يبلو الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة إلا أن يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه إنما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود وإشعارا بأن ما عدا ما عدّ يؤدي إلى خسر ونقص حظ أو تكرما فإن الإبهام في جانب الخسر كرم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وآيها تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا في الكسر من أعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة إلا للمكثر المتعود وقرئ همزة ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذي يأتي بالأضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها في الأخنس بن شريق فإنه كان مغتابا أو في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جمع مالا بدل من كل أو ذم منصوب أو مرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير وعدده وجعله عدة للنوازل أو عدّه مرة بعد أخرى ويؤيده أنه قرئ وعدده على فك الإدغام يحسب أن ماله أخلده تركه خالدا في الدنيا فأحبه كما يحب الخلود أو حب المال أغفله عن الموت أو طول أمله حتى حسب أنه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بأن المخلد هو السعي للآخرة كلا ردع له عن حسبانه لينبذن

لَيُطْرَحَنَّ **فِي الْحُطَمَةِ** في النار التي من شأنها ان تحطم كل ما يطرح فيها **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ** ما النار التي لها هذه الخاصية **نَارُ اللَّهِ** تفسير لها **الْمُوقَدَةُ** التي اوقدها الله وما اوقده لا يقدر ان يطفيه غيره **الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ** تعلوا اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد الطف ما في البدن واشد تالما او لانه محل العقائد الزائغة ومنشأ الاعمال القبيحة **إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ** مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته قال تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء موصدة **فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ** اي موثقين في اعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص وقرأ الكوفيون غير حفص بضمتين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد واصحابه

سورة الفيل مكية بسم الله الرحمن الرحيم وآيها خمس آيات

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ الخطاب للرسول وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكأنه رآها وانما قال كيف لم يقل ما لان المراد به تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله فانها من الارهاصات اذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها الرسول عم وقصتها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيأ للدخول وعبا جيشه فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فارسل الله طيرا كل في منقاره حجر وفي رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فرميتهم فيقع الحجر في رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم تر جدا في اظهار اثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام **أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ** في تعطيل الكعبة وتخريبها

في تضليل في تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شانها وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل لا واحد لها كعبابيد وشماطيط ترميهم بحجارة وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون فجعلهم كعصف مأكول كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل اعفاه الله ايام حياته من الخسف

سورة قريش مكية بسم الله الرحمن الرحيم وآيها اربع آيات

لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل ايلافهم رحلة الشتاء والصيف اي الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين في الشعر اي فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش ويؤيده انهما في مصحف أبي سورة واحدة وقرئ ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار فشبهوا بها لانها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع اي بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد شدة اكلوا فيها الجيف والعظام وآمنهم من خوف خوف اصحاب الفيل او التخطف في بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لايلاف قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة

سورة الماعون مختلف واعتكف بها فيها وآيها سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

أرأيت استفهام معناه التعجب وقرئ اريت بلا همز الحاقا بالمضارع ولعل تصديرها بحرف الاستفهام سهل امرها وآرأيتك بزيادة الكاف **الذي يكذب بالدين** بالجزاء او الاسلام والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله **فذلك الذي يدع اليتيم** يدفعه دفعا عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه او ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل وقرئ يدع اي يترك **ولا يحض** اهله وغيرهم **على طعام المسكين** لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء **فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون** غافلون غير مبالين بها **الذين هم يراؤن** يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها **ويمنعون الماعون** الزكاة او ما يتعاور في العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلاة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التي هي قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليها الويل وللتسبيبية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة أرأيت غفر له ان كان للزكاة مؤديا ٥

سورة الكوثر مكية بسم الله الرحمن الرحيم **وهي ثلاث آيات**

انا اعطيناك وقرئ انطيناك **الكوثر** الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين وروي عنه عليه السلام انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده واتباعه او علماء امته او القرآن **فصل لربك** فدم على الصلوة

خالصا لوجه الله تعالى خلافا للساهي عنها والمرائي فيها شكرا لانعامه فان الصلاة
جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج
خلافا لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد
فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية ان شانئك ان من ابغضك
لبغضه لك هو الابتر الذي لا عقب له اذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى
ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الآخرة ما لا يدخل
تحت الوصف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل
نهر له في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر

سورة الكافرون مكية بسم الله الرحمن الرحيم وآيها ست آيات

قل يا ايها الكافرون يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون
روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة فنزلت لا اعبد ما تعبدون
اي فيما يستقبل فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل
الا على مضارع بمعنى الحال ولا انتم عابدون ما اعبد اي فيما يستقبل لانه
في قران لا اعبد ولا انا عابد ما عبدتم اي في الحال او فيما سلف ولا
انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا عابده ويجوز ان
يكونا تاكيدين على طريقة ابلغ وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم
كانوا موسومين قبل المبعث بعبادة الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما
بعبادة الله وانما قال ما دون من لان المراد الصفة
كأنه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وللمطابقة وقيل انها مصدرية
وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان لكم دينكم الذي انتم عليه
لا تتركونه ولي دين الذي انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن
الجهاد ليكون منسوخا بآية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من
الفريقين الآخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة

قوله منذ خلق المكلفين قيل انه رد لقول
في الكشاف وبلاغه معناه كان ولم يزل توابا لان التو
ثواب بامر اكتسبه واحدثه على ما يقول المعتزلة
انه صار توابا انا نشا الخلق فتابوا فقبل
توبتهم واما قبل ذلك فلم يكن توابا
ووجهه ان قبول التوبة من الصفات الاضا
ولا نزاع في حدوثها واختيار تواب على غفار
اشارة الى ان الاستغفار انما ينفع مع التوبة
والندم قوله والاكثر الخ فاذا على حقيقتها
وقيل نزلت بعد ما منى في حجة الوداع واذا
بمعنى اذ كما مر وتقدم في المغني وقيل
لما تقدم الامر ان يجعل على هذا شيئا
مستقبلا مترقبا باعتبار ان فتح مكة كان
ام الفتوح والدستور لما يكون من بعده
فهو مترقب باعتبار ما يدل عليه وان كان
متحققا باعتباره في نفسه وهذا امر
لا بد منه تصحيحا للنظم فانه تكلف لا حاجة
اليه وفي مسند كعبد بن وفي كتب البيهقي
خبر الموت فقوله نعي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اي اخبار له بقرب موته شهاب

صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرون فكانما قد قرأ ربع القرآن وتباعدت
عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

سورة النصر مدنية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ثلاث آيات

اذا جاء نصر الله اظهاره اياك على عدائك والفتح فتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله
المؤمنين وفتح مكة وساير البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزا للاشعار
بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيئا فشيئا وقد
قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره ورأيت الناس يدخلون
في دين الله افواجا جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر
قبايل العرب ويدخلون حال على ان رأيت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه
بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر بال احد حامدا له
او فصل له حامدا على نعمه روي انه لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلى
ثمان ركعات او فنزهه عما كانت الظلمة يقولون حامدا له على ان صدق وعده
او فاثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام واستغفره
هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات
الى غيره وعنه عليه السلام اني استغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وقيل
استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة
النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله انه كان
توابا لمن استغفر منذ خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه
نعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما قرأها بكى العباس فقال عليه السلام ما
يبكيك قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة
وكمال امر الدين وهي كقوله اليوم اكملت لكم دينكم ولان الامر بالاستغفار تنبيه
على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع وعنه عليه السلام من قرأ سورة اذا جاء
نصر الله اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

سورة تبت مكية بسم الله الرحمن الرحيم وآيها خمس آيات

تبت هلكت أو خسرت والتباب خسران يؤدي الى الهلاك يدا أبي لهب نفسه كقوله
ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقيل انما خصتا لانه عليه السلام لما نزل عليه وأنذر عشيرتك
الاقربين جمع أقاربه فأنذرهم فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا وأخذ حجرا ليرميه به فنزلت
وقيل المراد بهما دنياه وأخراه وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولأن
اسمه عبد العزى فاستكره ذكره ولانه لما كان من أصحاب النار كانت الكنية أوفق
بحاله أو ليجانس قوله ذات لهب وقرئ أبو لهب كما قيل علي بن أبو طالب وتب اخبار
بعد اخبار والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء
الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه انه قرئ وقد تب والاول اخبار عما
كسبت يداه والثاني عن عمل نفسه ما أغنى عنه ماله نفي لاغناء المال عنه حين
نزل به التباب أو استفهام انكار له ومحلها النصب وما كسب وكسبه أو مكسوبه
بماله من النتائج والارباح والوجاهة والاتباع أو عمله الذي ظن انه ينفعه أو ولده
عتبة وقد افترسه أسد في طريق الشام وقد أحدق به العير ومات أبو لهب بالعدسة
بعد وقعة بدر بأيام معدودة وترك ميتا حتى أنتن ثم استأجروا بعض السودان
حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه سيصلى نارا ذات لهب اشتعال
يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل على انه لا يؤمن لجواز أن يكون صليها للفسق وقرئ
سيصلى بالضم مخففا ومشددا وامرأته عطف على المستكن في سيصلى أو مبتدأ
وفي جيدها الخبر وهي أم جميل أخت أبي سفيان حمالة الحطب يعني حطب جهنم فانها
كانت تحمل الأوزار بمعاداة الرسول وتحمل زوجها على ايذائه أو النميمة فانها توقد نار
الخصومة أو حزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل في طريق الرسول
صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم بالنصب على الشتم في جيدها حبل من مسد أي
مسد أي فتل ومنه رجل ممسود الخلق أي مجدوله وهو ترشيح للمجاز أو تصوير لها
بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرا لشأنها أو بيانا لحالها

فى نار جهنم تكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم وفى جيدها سلسلة من النار والظرف فى موضع الحال والخبر وحبل مرتفع به عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت الله ان لا يجمع بينه وبين ابى لهب فى دار واحدة

سورة الاخلاص مختلف فيها وآيها اربع آيات بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هى هو او لما سئل عنه اى الذى سألتم عنه هو الله اذ روى ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذى تدعونا اليه فنزلت واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقى ما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة فى الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لا بد منه فى قل يا ايها الكافرون ولا يجوز فى تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرون مشاقة الرسول او موادعة لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه واما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه اخرى الله الصمد السيد المصمود اليه فى الحوائج من صمد اليه اذا قصده وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغنى عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه فى جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظ الله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها لم يلد لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضى لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله او المسيح ابن الله او ليطابق قوله ولم يولد وذلك لانه لا يفتقر الى شئ ولا يسبقه عدم ولم يكن له كفوا احد اى ولم يكن احد يكافئه او يماثله من صاحبة وغيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة لكن لما كان المقصود نفى المكافاة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن فى كفوا او خبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل

الثلاث بالعاطف لان المراد منها نفي اقسام الامثال فهي جملة واحدة منبهة عليها بالجمل وقرأ حمزة ويعقوب ونافع في رواية كفوا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء في الحديث انها تعدل ثلث القران فان مقاصده محصورة في بيان العقايد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقرؤها فقال وجبت قيل يا رسول الله ما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الفلق ما يفلق عنه اي يفرق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويخص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيمة والاشعار بان من قدر ان يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العايذ ما يخافه ولفظ الرب هنا اوقع من ساير اسمائه لان الاعاذة من المضار تربية من شر ما خلق خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعي كاحراق النار واهلاك السموم ومن شر غاسق ليل عظم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعه اذا وقب دخل ظلامه في كل شيء وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف ومن شر النفاثات في العقد ومن شر النفوس او النساء السواحر اللواتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي ان يهوديا سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بير فمرض عليه السلام ونزلت المعوذتان واخبره جبريل بموضع السحر فارسل عليا رضي الله عنه فجاء به فقرأهما

قوله لما كانت الاستعاذة الى اخره ثمة من شمول الفلق لجميع الممكنات كما مر وهو لا ينافي كون الاستعاذة من المضار البدنية العارضة للبدن بواسطة كل شيء من الموجودات فان المستعيذ هو النبي صلى الله عليه وسلم فيما شاهده من تغيرة حصلت في جسمه الشريف على ما علم من سبب النزول فليس هنا مخالفة لما قدمه كما توهمه بعضهم وضبط قياطرون

عليه وكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزايم الرجال بالحيل مستعارا من تليين العقد بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شرير بخلاف كل غاسق وحاسد **ومن شر حاسد اذا حسد** اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرر منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لان العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان وغيره ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث في العقد الثلاث وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين

سورة الناس مختلف فيها وآيها ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ قرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام **برب الناس** لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الانسان وغيره والاستعاذة في هذه السورة من الاضرار التي تعرض النفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثمة وخصصها بالناس هاهنا وكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم ويستحق عبادتهم **ملك الناس اله الناس** عطفا بيان له فان الرب قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون الها وفي هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر في المعارف فانه يعلم اولا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق انه غني عن الكل وذات كل شيء له ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق للعبادة لا غير واندرج في الاستعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا

بعظم الآفة المستعاذ منها وتكرير الناس لما في الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ اي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس سمي بفعله مبالغة ﴿الْخَنَّاسِ﴾ الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل في المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنس واخذ توسوسه وتشككه ومحل الذي الجر على الصفة او النصب او الرفع على الذم ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ بيان للوسواس او الذي ومتعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم الثقلين وفيه تعسف الا ان يراد به الناسي كقوله يوم يدع الداعي فان نسيان حق الله يعم الثقلين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

تم أنوار التنزيل ۵ وأسرار التأويل ۵ بحمد الله وعزته ۵ وحسن توفيقه ۵ على قلم افقر العباد ۵ الى الله الملك المنان الهادي ۵ نعمان بن المرحوم الحاج فتح الله البغدادي ۵ في عصرية يوم الأحد ۵ رابع شهر محرم الحرام ۵ لسنة اربع وتسعين والف ۵ وحسبنا الله ونعم الوكيل ۵ نعم المولى ونعم النصير ۵ ولا حول ولا ۵ قوة الا بالله ۵ العلي ۵ العظيم ۵

م

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
وكفى عبده ١١٧٥